العلاقة بين اسم السورة القرآنية موضوعاتها، دراسة تحليلية تطبيقية

إعداد
عمر علي حسان عرفات

المشرف
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التفسير

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

... الدراسات العليا
... الرسالة
التوقيع ...
التاريخ ١٩/٢/٢٠١٥

آذار، 2015

قرار لجنة المناقشة:

نوقشت هذه الرسالة/ الأطروحة (العلاقة بين اسم السورة القرآنية وموضوعاتها، دراسة تحليلية تطبيقية) وأجيزت بتاريخ: ١٧/ ٣/ ٢٠١٥.

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيع:
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل (مشرفاً) أستاذ مشارك في التفسير	....
الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي أستاذ في التفسير	....
الدكتور جهاد محمد النصيرات أستاذ مشارك في التفسير	....
الأستاذ الدكتور أحمد سليمان البشايرة (عضواً خارجياً) أستاذ في التفسير / جامعة العلوم الإسلامية	....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع...
التاريخ...

نموذج ترخيص

أنا الطالب : عمر علي حسان عرفات أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

العلاقة بين اسم السورة القرآنية وموضوعاتها
دراسة تحليلية تطبيقية

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: عمر عرفات

التوقيع:

التاريخ: ١٩/٣/٢٠١٥

الإهداء

إلى كل مؤمن أحبَّ القرآن العظيم، وخاضَ غِمارَه وسَبَر أغوارَه بنيَّـة صـادقةٍ وقلـبٍ مخلـص، لاستنباط حقيقـةٍ تكشف وجهاً من وجوه إعجاز هذا الكتاب العظيم الخالد، أهدي هذا العمل المتواضع.

الشكر

الحمد والشكر لله رب العالمين الذي أعانني على إنجاز هذه الرسالة.

وبكل احترام وتقدير أتوجه بالشكر إلى الدكتور الفاضل أحمد إسماعيل نوفل، المشرف على هذه الرسالة، الذي كان نِعْم الناصح والموجه، وتحمل ضعفي وتقصيري بكل صدر رحب ومودة.

وأتوجه بالشكر إلى اللذَّيْن لم يدخرا جهداً في تذليل الصعاب التي واجهتني، وفي دعاء ربي أن يوفقني، إلى والديَّ العزيزين.

وأتوجه بالشكر إلى أساتذة التفسير في كلية الشريعة، الذين نهلت من علمهم، وأدين لهم بكامل الاحترام والتقدير والمودة، وأخص منهم الدكتور جهاد نصيرات المشرف الأول على الرسالة، وأتوجه بالشكر إلى زوجتي الدكتورة مروه محمود خرمه التي تحملت معي عناء الدراسة ومشاقَّها، وأتوجه بالشكر إلى الأخ الزميل حمزة سالم الذي كان معيناً لي على إتمام هذه الدراسة.

وأتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا علي بمناقشة رسالتي.

كما وأتوجه بالشكر إلى كل من ساهم في مساعدتي بأي شكل من الأشكال لإتمام هذا العمل المتواضع، سائلاً المولى عز وجل أن يجعل ثوابه في ميزان حسناتي وميزان حسناتهم، وأن يجعله الله خالصاً لوجه الكريم، وذخراً لنا يوم نلقاه، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

فهرس المحتويات

الإهداء: .... أ

الشكر: .... ب

فهرس المحتويات: ....ج

ملخص الرسالة: ....

مقدمة الدراسة: ١

التمهيد: نبذة عن موضوع أسماء السور والجهود المتعلقة به: ٨

أولاً: أسماء السور بين التوقيف والاجتهاد...٨

ثانياً: جهود السابقين في هذا الموضوع. ١٢

الفصل الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أسماء يوم القيامة أو أحد مشاهده: ....

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أسماء يوم القيامة:.....................

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى حدث كوني سُمِّي به يومُ القيامة: ......

الواقعة ....

الحاقة ....

الزلزلة...

القارعة ....

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أمر متعلق بالناس سُمِّي به يومُ القيامة: ....

(التغابن، القيامة، الغاشية، النبأ)...

المبحث الثاني: السور التي جاء مشيراً إلى أحد مشاهد يوم القيامة:.......................

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحد المشاهد الكونية في يوم القيامة: ....

(التكوير، الانفطار، الانشقاق)..

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحد المشاهد المتعلقة بالناس يوم القيامة: ....

(الأعراف، الزمر، الدخان، الجاثية، المعارج) ....

ـ الفصل الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى موضوع القصص القرآني:

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى اسم صاحب القصة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى نبي من الأنبياء:

(يونس، هود، يوسف، إبراهيم، نوح)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحد الصالحين:

(آل عمران، مريم، لقمان)

المبحث الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مشهد أو مكان في القصة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مشهد في القصة:

(البقرة، المائدة، النمل، القصص)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مكان في القصة:

(الحجر، الكهف، سبأ، الأحقاف)

ـ الفصل الثالث: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحداث السيرة النبوية:

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحداث الغزوات:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى توجيه متعلق بأحد الغزوات:

(الأنفال، التوبة)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى فضل متعلق بأحد الغزوات:

(الأحزاب، الحشر)

المبحث الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى حدث خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى معجزة خاصة بالنبي صلى الله

عليه وسلم:

(الإسراء، القمر، الشرح)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى حدث فيه توجيه للنبي صلى الله عليه وسلم:

(الفتح، التحريم، الجن، المزمل، المدثر، عبس، الكوثر، النصر)

المطلب الثالث: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى حدث فيه توجيه للمؤمنين:

(محمد، الحجرات، المجادلة، الممتحنة، الجمعة، المسد)

ـ الفصل الرابع: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مُفتتحها:

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القَسَم أول السورة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القسم بالملائكة:

(الصافات، النازعات)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القسم بآية كونية دالة على علم الله وقدرته:

(الذاريات، النجم، القلم، المرسلات، البروج، الطارق، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، العاديات، العصر)

المطلب الثالث: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القسم بمكان:

(الطور، البلد، التين)

المبحث الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى الأحرف المقطعة أول السورة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مكوناً من حرفين: (طه، يس)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مكوناً من حرف واحد: (ص، ق)

ـ الفصل الخامس: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى موضوعات وأحكام فيها غير ما سبق:

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أسماء الله الحسنى أو صفاته أو كتابه الكريم:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحد أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته:

(النور، فاطر، غافر، الرحمن، الملك، الأعلى)

المطل الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القرآن الكريم:

(الفاتحة، الفرقان، فصلت، القدر، البينة)

المبحث الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مجموعات من الناس:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مجموعة مؤمنة:

(الأنبياء، المؤمنون)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مجموعة كافرة:

(الشعراء، الروم، المنافقون، المطففين، الهمزة، قريش، الكافرون)

المبحث الثالث: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى نعمة من نِعم الله تعالى:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى آية كونية دالة على علم الله وقدرته:

(الرعد، النحل، العنكبوت، العلق، الفلق)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى نعمة من نعم الله لابتلاء الناس:

(الزخرف، الحديد، الإنسان، التكاثر، الماعون، الفيل، الناس)

المبحث الرابع: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحكام عامة فيها:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحكام متعلقة بالنساء:

(النساء، الطلاق)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحكام متعلقة بعموم المؤمنين:

(الأنعام، الحج، السجدة، الشورى، الصف، الإخلاص)

ـ الخاتمة.

العلاقة بين أسماء السور القرآنية وموضوعاتها

دراسة تحليلية تطبيقية

إعداد

عمر علي حسان عرفات

المشرف

الدكتور أحمد إسماعيل نوفل

ملخص

تناولت هذه الدراسة أحد أهم موضوعات علوم القرآن الكريم، إلا وهي أسماء السور القرآنية، حيثُ بينت في مقدمتها المعنى اللغوي والاصطلاحي للسورة، وبينتُ فيها جهود السابقين المتعلقة في هذه الموضوع.

وتناولت في الفصل الأول العلاقة بين أسماء السور وموضوعاتها في السور التي جاء اسمها مشيراً إلى يوم القيامة أو أحد مشاهده.

وفي الفصل الثاني تناولت العلاقة بين أسماء السور وموضوعاتها في السور التي جاء اسمها مشيراً إلى موضوع القصص القرآني.

وفي الفصل الثالث تناولت العلاقة بين أسماء السور وموضوعاتها في السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحداث السيرة النبوية.

وفي الفصل الرابع تناولت العلاقة بين أسماء السور وموضوعاتها في السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مفتتحها.

وفي الفصل الخامس تناولت العلاقة بين أسماء السور التي جاء اسمها مشيراً إلى موضوعات وأحكام فيها غير ما سبق.

وقد اعتمد الباحث على الرأي الذي ترجح له، الذي يعتبر أسماء السور توقيفية بمعنى أن أسماءها وحي من الله، ولم يتطرق إلى الأسماء الاجتهادية الأخرى، وكان في كل سورة يبين العلاقة بين اسمها ومحورها الذي يجمع موضوعاتها كلها، فما كان فيها من صواب فمن الله، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان. والله الموفق.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الدعوة الإسلامية، وقد شاءت حكمة الله أن جاء هذا القرآن مكوناً من سور، وكل سورة تشتمل على آيات لعرض الموضوعات المتناولة في هذه السورة، وقد جاءت كلُّ سورة من سور القرآن مسماةً باسم معيَّن ليميزها عن الأخرى، وفي غالب الأمر يكون هذا الاسم فيه إشارةٌ إلى أحد الموضوعات البارزة في السورة.

وانطلاقاً من الإيمان بأن القرآن الكريم منزَّهٌ عن العبثية، وكل شيء فيه جاء وفق الحكمة الإلهية، فلا بد أن يخطر في ذهن قارئ القرآن تساؤلاتٌ حول السر في انتقاء هذه الأسماء للسور دون غيرها، وحول علاقتها بموضوعات السورة، وبالواقع الذي نزلت فيه.

مشكلة الدراسة:

إن السؤال الرئيس الذي يمثّل المشكلة في هذه الدراسة هو:

ـ هل هناك علاقة بين أسماء السور وموضوعاتها ؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

١. هل يصح اعتبار اسم السورة رابطاً بين الموضوعات المعروضة في السورة؟ وإن صح ذلك فما أوجه هذا الربط؟ أم أنه اسم اختير فقط ليشير إلى أحد الموضوعات البارزة فيها؟
٢. باعتبار وجود سور ذات أسماء مشيرة إلى أحداث السيرة النبوية؛ هل أثرت هذه الأحداث في انتقاء هذه الأسماء للسور دون غيرها، وما أوجه الربط بين أحداث السيرة وأسماء تلك السور؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها:

١. تلبي الحاجة لدى المختصين في علم التفسير وغيرهم لتجلية هذا الموضوع، كونه أحد علوم القرآن غير المطروقة بشكل مستوقف.
٢. تلبي الحاجة إلى الكشف عن أوجه العلاقات بين اسم السورة القرآنية وموضوعاتها، من خلال الدراسة التحليلية والتطبيقية لسور القرآن الكريم.
٣. تلبي الحاجة إلى الكشف عن أوجه العلاقات بين اسم السورة وواقعها الذي تنزلت فيه من خلال أحداث السيرة، من خلال الدراسة التحليلية والتطبيقية لسور القرآن الكريم.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. تحليل أوجه العلاقات بين اسم السورة القرآنية وموضوعاتها، من خلال التطبيق العملي على سور القرآن الكريم.
٢. تحليل أوجه العلاقات بين اسم السورة وأحداث السيرة النبوية في الواقع المكي والمدني، من خلال التطبيق العملي على السور التي تشير أسماؤها إلى أحداث السيرة.
٣. إثبات أن أسماء سور القرآن توقيفية من الله وليست اجتهادية من الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة.

الدراسات السابقة :

إن عدد الدراسات العلمية المحكّمة التي تطرقت في جزءٍ مما تناولته إلى الموضوع الأساسي في دراستي، وهو الربط بين اسم السورة وموضوعاتها وواقعها،هو ثلاث رسائل جامعية فقط، تطرقت إلى هذا الموضوع بشكل موجز ومقتضب، وهذه الرسائل هي:

١: **أسماء السور القرآنية: دلالات وإشارات،** وهي رسالة دكتوراه قدمها سيف راشد الجابري، في كلية أصول الدين في جامعة أم درمان، السودان، عام ٢٠٠١.

وقد كان الباحث يتناول السور التي ذكرها في رسالته من ثلاثة محاور، الأول: فضلها وأهميتها، والثاني: أسماؤها، والثالث: اسم السورة دلالات وإشارات.

وأكثر ما يعنيني في دراستي هو المحور الثالث، الذي تطرق فيه د. الجابري إلى العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها، وقد كان حديثه موجزاً مقتضباً حول هذا الموضوع، وهو بحاجة إلى مزيد من التفكر والتعمق للوصول إلى مدى أبعد للربط بين اسم السورة وموضوعاتها، كذلك لم يتطرق الجابري في هذا المحور إلى العلاقة بين اسم السورة وأحداث السيرة، بالإضافة إلى أن الحاجة ما زالت قائمة إلى دراسة السور التي لم يتناولها بالدراسة.

٢: **أسماء السور القرآنية: جمع ودراسة وتحليل،** وهي رسالة ماجستير قدمها سالم بن عبد الله الهنائي، في جامعة آل البيت، الأردن، عام ٢٠٠٢.

قسم الباحث رسالته إلى ثلاثة فصول:

* الأول: السور التي لها أكثر من عشرة أسماء (كسورة الفاتحة).

* الثاني: السور التي لها أكثر من أربعة أسماء إلى تسعة (كسورة البقرة).

* الثالث: السور التي لها أكثر من اسم إلى ثلاثة أسماء (كسورة محمد).

وقد كان الباحث بعد أن يذكر الأحاديث وأقوال العلماء التي توصل من خلالها إلى جمع هذه الأسماء، كان يشير بصورة مجملة إلى علاقة اسم السورة بمقاصدها، ولم يتجاوز أكبر حجم كتبه صفحة واحدة حول هذا الموضوع في المعظم الأعم من السور، ومنها سورتا البقرة وآل عمران.

لقد كان الهمُّ الأكبر للباحث جمع الأسماء التوقيفية والاجتهادية للسور وسردها، مع إشارة موجزة إلى الصلة بين الأسماء التوقيفية للسورة مع مقاصدها.

٣: **أسماء سور القرآن وفضائلها**، رسالة ماجستير قدمت في كلية الآداب في الدمام.

قسمت الباحثة كتابها إلى قسمين:

القسم الأول: دراسة قضايا ذات علاقة بالموضوع، وهي أشهر أسماء القرآن، وفضائله، وأسباب تعدد أسماء السور.

والقسم الثاني: دراسة فضائل أسماء السور حسب الترتيب المصحفي.

والذي يعنيني من هذه الرسالة هو أحد مطالب القسم الأول: اختصاص السور بأسماء معينة، والملاحظ فيه أيضاً أن الباحثة قد أشارت إشارات سريعة إلى بعض أوجه العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها، ولم يكن صنيعها في هذا المطلب يتجاوز ما كان يقرره أصحاب التفاسير من الإشارة إلى هذا الموضوع، ولم تتطرق الباحثة إلى العلاقة بين اسم السورة وأحداث السيرة.

والخلاصة: إن الدراسات السابقة كان بعضها فيه مجرد إشارات موجزة مقتضبة سريعة إلى العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها، وبعضها تطرق بتعمق في البحث عن العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها لكن بشكل يحتاج إلى توفية ومزيد من البحث والتحليل. وبعضها لم يتناول جميع سورة القرآن بالدراسة، أما الحديث عن العلاقة بين اسم السورة وأحداث السيرة فيكاد يكون منعدماً.

ولذلك تأتي هذه الدراسة من أجل المزيد من البحث والتعمق والتدبر والتفصيل في هذا الموضوع للوصول إلى إبراز الصلات بين اسم السورة وموضوعاتها، وبين اسم السورة وواقعها بشكل مستوفٍ.

هذا فيما يتعلق بالدراسات العلمية المحكمة، أما التفاسير والكتب التي تطرقت إلى موضوع الدراسة فسيأتي الحديث عنها في التمهيد، تحت عنوان: جهود السابقين في هذا الموضوع.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المناهج الآتية:

١. المنهج الاستقرائي: حيث سأقوم بعمل استقراء لسور القرآن الكريم للوصول إلى تصنيف منهجي يمكن من خلاله دراسة جميع السور القرآنية، وسأقوم باستقراء أحداث السيرة النبوية المتعلقة بالسور التي كان اسمها مشيراً إلى أحد هذه الأحداث، من أجل الوقوف على العلاقة بين أسماء السور وهذه الأحداث.

٢. والمنهج التحليلي التطبيقي: حيث سأقوم بالدراسة التحليلية التطبيقية لسور القرآن الكريم من حيث العلاقة بينها وبين أسمائها، وبينها وبين أحداث السيرة النبوية في الواقع المكي والمدني.
٣. والمنهج الوصفي: حيث سأقوم بوصف النتائج والأحكام التي توصلت إليها بعد التحليل، وعرضها من خلال تقسيم الدراسة إلى فصول ومباحث ومطالب.

محددات الدراسة:

لا بد من الإشارة إلى أنني سأتناول بالدراسة الأسماء التوقيفية للسور القرآنية فقط، ولن أتطرق إلى الأسماء الاجتهادية للسور، وهي التي لم يكن لأي منها سند صحيح مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم، بل كانت من اجتهادات الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وسيأتي تفصيل الحديث عن ذلك في التمهيد تحت عنوان: أسماء السور بين التوقيف والاجتهاد.

هيكلية البحث:

ـ التمهيد: نبذة عن موضوع أسماء السور والجهود المتعلقة به:

أولاً: أسماء السور بين التوقيف والاجتهاد.

ثانياً: جهود السابقين في هذا الموضوع.

ـ الفصل الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أسماء يوم القيامة أو أحد مشاهده:

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أسماء يوم القيامة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى حدث كوني سُمِّي به يومُ القيامة:

(الواقعة، الحاقة، الزلزلة، القارعة)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أمر متعلق بالناس سُمِّي به يومُ القيامة:

(التغابن، القيامة، الغاشية، النبأ)

المبحث الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحد مشاهد يوم القيامة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحد المشاهد الكونية في يوم القيامة:

(التكوير، الانفطار، الانشقاق)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحد المشاهد المتعلقة بالناس يوم القيامة:

(الأعراف، الزمر، الدخان، الجاثية، المعارج)

ـ الفصل الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى موضوع القصص القرآني:

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى اسم صاحب القصة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى نبي من الأنبياء:

(يونس، هود، يوسف، إبراهيم، نوح)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحد الصالحين:

(آل عمران، مريم، لقمان)

المبحث الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مشهد أو مكان في القصة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مشهد في القصة:

(البقرة، المائدة، النمل، القصص)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مكان في القصة:

(الحجر، الكهف، سبأ، الأحقاف)

ـ الفصل الثالث: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحداث السيرة النبوية:

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحداث الغزوات:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى توجيه متعلق بأحد الغزوات:

(الأنفال، التوبة)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى فضل متعلق بأحد الغزوات:

(الأحزاب، الحشر)

المبحث الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى حدث خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى معجزة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم:

(الإسراء، القمر، الشرح)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى حدث فيه توجيه للنبي صلى الله عليه وسلم:

(الفتح، التحريم، الجن، المزمل، المدثر، عبس، الكوثر، النصر)

المطلب الثالث: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى حدث فيه توجيه للمؤمنين:

(محمد، الحجرات، المجادلة، الممتحنة، الجمعة، المسد)

ـ الفصل الرابع: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مُفتتحها:

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القَسَم أول السورة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القسم بالملائكة:

(الصافات، النازعات)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القسم بآية كونية دالة على علم الله وقدرته:

(الذاريات، النجم، القلم، المرسلات، البروج، الطارق، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، العاديات، العصر)

المطلب الثالث: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القسم بمكان:

(الطور، البلد، التين)

المبحث الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى الأحرف المقطعة أول السورة:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مكوناً من حرفين: (طه، يس)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مكوناً من حرف واحد: (ص، ق)

ـ الفصل الخامس: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى موضوعات وأحكام فيها غير ما سبق:

المبحث الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أسماء الله الحسنى أو صفاته أو كتابه الكريم:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحد أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته:

(النور، فاطر، غافر، الرحمن، الملك، الأعلى)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى القرآن الكريم:

(الفاتحة، الفرقان، فصلت، القدر، البينة)

المبحث الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مجموعات من الناس:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مجموعة مؤمنة:

(الأنبياء، المؤمنون)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى مجموعة كافرة:

(الشعراء، الروم، المنافقون، المطففين، الهمزة، قريش، الكافرون)

المبحث الثالث: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى نعمة من نِعم الله تعالى:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى آية كونية دالة على علم الله وقدرته:

(الرعد، النحل، العنكبوت، العلق، الفلق)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى نعمة من نعم الله لابتلاء الناس:

(الزخرف، الحديد، الإنسان، التكاثر، الماعون، الفيل، الناس)

المبحث الرابع: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحكام عامة فيها:

المطلب الأول: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحكام متعلقة بالنساء:

(النساء، الطلاق)

المطلب الثاني: السور التي جاء اسمها مشيراً إلى أحكام متعلقة بعموم المؤمنين:

(الأنعام، الحج، السجدة، الشورى، الصف، الإخلاص)

- الخاتمة.

أولاً: أسماء السور بين التوقيف والاجتهاد:

لقد كبر الخلاف بين العلماء حول مصدر أسماء السور، أتوقيفية هي بمعنى أنها من عند الله تعالى أوحى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ أم هي اجتهادية من النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة الكرام؟ وقبل الانتقال إلى بيان هذا الاختلاف، لا بد من تعريفات موجزة لتكون مدخلاً إلى الدراسة:

الاسم لغة: جاء في معاجم اللغة أن الاسم هو ما يعرف به ذات الشيء و الأظهر مما ذكرَتْه هذه المعاجم أن أصله: سِمْوٌ، من السُّمو وهو الرفعة والعلو، وهو الذي به رفع ذكر المسمَّى فيُعرف به [١].

والسورة لغة: المنزلة الرفيعة، مأخوذة من السُّور، وهو الحائط، أصلها: سَوْرٌ، وهو أصل يدل على العلو والارتفاع، والسُّورة من البناء: ما حسن وطال، وقد قيل: إن أصلها: سؤرٌ، وهي البقية، فالسورة بقية من القرآن وقطعة منه [٢].

السورة القرآنية: « يطلق اسم السورة اصطلاحاً على طائفة من آي القرآن ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات » [٣].

ويعود وجه التشابه بين السُّور في اللغة والسورة القرآنية إلى أكثر من اعتبار: « إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة، وإما لما في السورة من معنى العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته المعنوية، وإما لأنها معجزة تُخرس كل مكابر، ويحق الله بها الحق ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون، أشبه بسور المدينة يحصِّنها ويحميها من غارة الأعداء وسطوة الأشقياء» [٤].

بعد هذه التعريفات أصبح بالإمكان الانتقال إلى موضوع بيان مصدر أسماء السور الذي اختلف فيه العلماء، ويمكن تفصيل آرائهم على النحو التالي:

أولاً: اعتبار أسماء سور القرآن الكريم توقيفية:

كان هذا رأي الإمام الزركشي رحمه الله حينما قال: « و ينبغي البحث عن تعداد الأسامي، هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني، فلن يُعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد ».وقال تحت عنوان:

---

(١) ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ)، **معجم المقاييس في اللغة**، ط ١، مجلد واحد، (تحقيق شهاب الدين أبو عمرو)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ م، ص ٤٩٠، و الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: ٤٢٥ هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط ٣، مجلد واحد، (تحقيق صفوان داوودي)، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٤٢٨، وابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١١ هـ)،**لسان العرب**، ط ٤، ١٧ م، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥، ج ٧، ص ٢٦٧. وقد قال: « مَن قال أن اسْماً مأخوذٌ من وَسَمْت فهو غلط، لأنه لو كان اسمٌ من سُمتُه لكان تصغيره: وسيماً ».

(٢) ينظر: ابن فارس، **معجم المقاييس**، ص ٤٩٧، و الأصفهاني، **المفردات**، ص ٤٣٣، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٧، ص ٢٩٨. ولعل اشتقاقها من السور أرجح، لأنه لا توجد قراءة متواترة في لفظة « سورة » في القرآن بالهمز. ينظر: خاروف، محمد فهد، وراجح، كريّم، **الميسر في القرآءات الأربع عشرة**، ط ٤، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٦.

(٣) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، ب ط، مجلد واحد، (تحقيق أبي الفضل الدمياطي)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦. ص ١٨٦.

(٤) الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، ط ٢، مجلد واحد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ١٩٥.

اختصاص كل سورة بما سميت: « ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها » (٥).

وقد كان هذا أيضاً رأي الإمام السيوطي رحمه الله حينما قال: « وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينتُ ذلك » (٦).

وممن قال بذلك أيضاً الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا حينما قالا: « وقد ثار جدل قديم بين العلماء حول أسماء السور القرآنية، هل هي وحي من الله تعالى أم باجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم؟ فإذا انطلقنا من فرضية أن الصحابة هم الذين وضعوا أسماء السور فينبغي مناقشة الإشكاليات التالية.. لو كان الصحابة قد سموا السور فكيف اتفقوا على أسماء السور التي لها اسم واحد وهي الأكثر، واختلفوا على أسماء السور الأخرى، وإذا كانوا هم الذين سموا كل الأسماء بما فيها المتعددة فلماذا اتفقوا على إعطاء أكثر من اسم لهذه السور دون غيرها؟ » (٧).

ومن الإشكالات التي ذكراها أيضاً باختصار:

إذا كانت التسمية من الصحابة فينبغي أن تكون مبررة لمن يأتي بعدهم، لكن الواقع يقر بوجود ندرة في بيان وجه التسمية للسور في كتب التفسير وعلوم القرآن مع أهميته، وبعض السور يمكن إدراك وجه التسمية فيها بسهولة، لكن البعض الآخر يصعب فيها ذلك كسورة يونس التي سميت باسمه مع أن قصته لم تذكر فيها، وبعض السور كانت تسميتها من الكلمة الأولى كسورة الرحمن، وأحياناً تكون التسمية من الكلمة الأخيرة كسورة الماعون، فما ضابط الصحابة في انتقاء هذه الأسماء إذاً؟

وهل يمكن أن يسمي الصحابة سوراً في القرآن بأسماء حشرات أو حيوانات كسورة العنكبوت أو البقرة؟ وهل من الممكن أن يسمي الصحابة سوراً بأسماء مثل: الكافرون والمنافقون؟

أقول: وأضيف تساؤلات أخرى: لماذا سميت سورٌ في القرآن بأسماء أنبياء كيوسف وهود ونوح، ولم تسم سور بأسماء أنبياء آخرين، مع أن لهم قصصاً ذكرت في القرآن أكثر من مرة كموسى وآدم عليهما السلام؟ ولماذا سميت سور بالحروف المقطعة مثل: طه و يس و ق و ص، فما حكمة الصحابة من اختيار هذه الأسماء إذا اعتبرنا أن أسماء السور اجتهادية.

لذلك ينبغي على الباحث إثبات أن اسم السورة كان الاختيار الأصوب والأحكم والأنسب لها، مما لا يدع مجالاً للشك في أن تلك التسمية كانت من الحكيم الخبير سبحانه وتعالى، وليست من البشر.

---

(٥) الزركشي، **البرهان**، ص ١٩٠.

(٦) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، ب ط، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ج ١، ص ١٠٦.

(٧) وادي، عيسى إبراهيم، ومهنا، محمود عبد الكريم، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ط ١، (مراجعة الأستاذ بسام جرار)، دار الرضوان، عمّان، ٢٠١٢. ص ٢- ٨. ومنها أُخذت الفقرة التالية لهذا الهامش.

ومن الكاتبين المعاصرين في علوم القرآن الذين اعتمدوا القول بأن أسماء سور القرآن توقيفية: الأستاذ الدكتور محمد المجالي، والدكتور عادل حسن (٨).

ثانياً: اعتبار بعض أسماء السور توقيفية، وبعضها الآخر اجتهادياً من الصحابة رضي الله عنهم:

كان ذلك رأي الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة في بحث له موسوم بـ « اسم السورة يمثل روحها العام» حينما رد على كلام الإمام السيوطي المذكور آنفاً، فقال: «إن كان مراد هذا الحافظ طيب الله ثراه من الثبوت الذي زعم مجيء الحديث في كل اسم من أسماء سور القرآن على درجة صالحة للحجية من تواتر أو صحة أو حسن فغير مسلَّم، فإن الباحث في كتب السنة وكتب التفسير بالمأثور يدرك لا محالة أنه مطلب عزيز المنال »، ثم ذكر خلاصة رأيه « فأما التحقيق الذي نقول به وندين الله عليه في هذه القضية بعد إتقان البحث وإنعام النظر، فهو أن التوقيف قد ثبت بالفعل في بعض السور، وقد لا يتيسر شيء أصلاً في العديد من السور ما يدل على توقيفيته، فالمنصف حينئذ يأخذ الحيطة ويلزم الجادة، فلا يقول بالتوقيف إلا فيما ثبت فيه التوقيف، وما لم يثبت فإنه يتوقف فيه على أقل تقدير ». وقد اعتمد هذا القول من الكاتبين المعاصرين في علو م القرآن الأستاذ الدكتور مصطفى رجب معتمداً على التعليل ذاته (٩).

فهذه بعض الآراء المتعلقة بهذا الموضوع، ويترجح للباحث بشكل قطعي أن أسماء السور إنما هي توقيفية من الله تعالى، وسأحاول في هذه الدراسة إثبات ذلك في كل السور.

وقبل أن أنتقل إلى النقطة الثانية ينبغي أن أَذْكر أن الدكتورة منيرة الدوسري قد أثبتت في كتابها « أسماء سور القرآن وفضائلها »، بعد الدراسة التحقيقية أن السور التي كان لها أكثر من اسم توقيفي بدليل صحيح مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم هي: **الفاتحة** فقد سماها النبي بعدة أسماء منها: أم الكتاب والسبع المثاني وغيرها، و**البقرة** وآل عمران فقد سماهما النبي صلى الله عليه وسلم بالزهراوين، و**التوبة** سماها ببراءة، و**الملك** سماها بتبارك والمنجية، و**الفلق والناس** سماهما بالمعوذتين. ولم يصح أي حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بسند صحيح في تسمية أي سورة أخرى بأكثر من اسم، بل كان ذلك من اجتهادات الصحابة كتسميتهم سورة الإسراء بسورة بني إسرائيل، وسورة غافر بسورة المؤمن، وسورة القلم بسورة ن (١٠).

ويعتقد الباحث أنه لم يكن من مقصود النبي صلى الله عليه وسلم إعطاء أسماء جديدة لهذه السور، إنما أراد أن يصفها بصفات مميزة لها، وكذلك السور التي سماها صلى الله عليه وسلم من الآية الأولى منها، كقوله لمعاذ رضي الله عنه: « إذا أممت بالناس فاقرأ بالشمس وضحاها،

---

(٨) المجالي، أ.د محمد خازر، **الوجيز في علوم الكتاب العزيز**، ط ٣، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ٢٠٠٦. ص ١٩٧، وعلي، د. عادل حسن، **الجمان في علوم القرآن**، ب ط، مكتبة المتنبي، الدمام، ٢٠٠٦. ص ٣٨٥، ٣٨٦، معتمداً على قول الزركشي والسيوطي السابق ذكرهما.

(٩) خليفة، أ. د إبراهيم عبد الرحمن، **اسم السورة يمثل روحها العام**، بحث مستل من حولية كلية أصول الدين، القاهرة، العدد: ٩، ١٩٩٢. ص ٨ و ١١. بتصرف. ورجب، وينظر: رجب، أ.د مصطفى، **فيض المنان في علوم القرآن**، ط ١، مؤسسة طيبة، القاهرة، ٢٠١٣. ص ٤١.

(١٠) ينظر: الدوسري، د. منيرة محمد، **أسماء سور القرآن وفضائلها**، ط ١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٦ هـ، ص ١٠٠ وما بعدها. والكتاب في الأصل رسالة ماجستير قدمت في كلية الآداب للبنات في الدمام.

وسبح اسم ربك الأعلى، واقرأ باسم ربك، والليل إذا يغشى » [11]، فإن الباحث يعتقد أنه صلى الله عليه وسلم أراد تحديد هذه السور لمعاذ حتى لا يذهب ذهنه إلى سور أخرى، لا أنه أراد تسميتها بغير أسمائها. ولذلك سيقتصر البحث في هذه الدراسة على الأسماء التوقيفية للسور فقط.

ثانياً: جهود السابقين في هذا الموضوع:

أ. جهود بعض الكاتبين في علوم القرآن:

لقد لفت هذا الموضوع نظر بعض الكاتبين في علوم القرآن فذكروا بعض الإشارات حول هذا الموضوع توحي تلميحاً بل تصريحاً أحياناً بضرورة الاعتناء به، ومن هؤلاء العلماء:

الإمام الزركشي رحمه الله في كتابه **البرهان،** فقد حاول تعليل تسمية سورة البقرة لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وتسمية سورة النساء لما تردد فيها من أحكامهن، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها. وحاول الإجابة عن سبب تسمية سورة هود بهذا الاسم مع أنه قد ذكر فيها غيره من الأنبياء، فأجاب بأن اسمه لم يتكرر في سورة أخرى كتكرره في هذه السورة، فقد فيها ذكر أربع مرات، وعلل تسمية سورة ق لتكرار هذا الحرف فيها [12].

وقد نقل الإمام السيوطي رحمه الله كلام الزركشي، ثم طرح ثلاثة تساؤلات: عن عدم وجود سورة باسم موسى عليه السلام مع أن قصته أكثر القصص ذكراً في القرآن، وكان أولى سورة أن تسمى باسمه طه أو القصص أو الأعراف، فأجاب لبسط قصته في هذه السور الثلاث ما لم يبسط في غيرها، وعن عدم تسمية سورة باسم آدم عليه السلام مع ذكره في عدة سور، فأجاب كأنه اكتفاء بسورة الإنسان، وعن عدم تسمية الصافات باسم إبراهيم عليه السلام مع ذكره فيها، وكذلك سورة ص لم تسمَّ باسم داود عليه السلام. ولم يجب لكنه قال: « فانظر في حكمة ذلك» [13].

وقد كان للعلماء الكاتبين في علوم القرآن في عصرنا أيضا جهود في هذا الموضوع، كالأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، فبعد أن ذكر أن أسماء السور توقيفية طرح سؤالاً: أتعلَّلُ أسماء السور، فأجاب بأنه إذا تم ذلك في كثير من السور لوضوح العلاقة بين الاسم والسورة كسورة يوسف، فإنه لن يتم في كثير من السور أيضاً، وذكر مثالاً على ذلك سورة يونس، سميت باسمه ولم تذكر فيها قصته [14]. وقد علل تسمية سورة إبراهيم في كتابه **قصص القرآن الكريم** حينما قال: «حدثنا القرآن الكريم عن إبراهيم عليه السلام بأنه أمّة وأنه أبو الأنبياء ... وسورة

---

(11) ينظر: مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)، **المسند الصحيح،** ط١، م ١، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩. كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء، رقم: ٩٧٥.

(12) ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن،** ص ١٩٠.

(13) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن،** ج ١، ص ١١٣.

(14) ينظر: عباس، أ. د فضل حسن، **إتقان البرهان في علوم القرآن،** ط٢، ٢م، دار النفائس، عمّان، ٢٠١٠، ج ١، ص ٤٣٨. أقول: بل لعله يتم تعليل ذلك في كل سور القرآن في هذه الدراسة إن شاء الله.

إبراهيم، السورة التي سميت باسمه، أرادها الله أن تكون أمة في السور كذلك فلها من اسمها نصيب، من أجل ذلك وجدنا هذه المحاضرة والمحاورة التي تنسب إلى الرسل، وما كان بينهم وبين أقوامهم، ولم نجد مثلها في غير هذه السورة الكريمة، إنهم تجمعوا ولكن في هذه السورة كما يتجمع الأبناء في بيت الأب» (١٥).

ب. جهود بعض المفسرين:

ولقد لفت هذا الموضوع أيضاً نظر بعض المفسرين، فتجد كثيراً منهم يشير إلى أحد أوجه العلاقة بين اسم السورة ومحورها أو أحد موضوعاتها، وقد كان كلامهم حول هذه القضية يدل غالباً على عمق تحليلهم واهتمامهم بها، وأبرز هؤلاء المفسرين: المهايمي، والبقاعي، وسيد قطب، وابن عاشور، ومؤلفو التفسير الموضوعي(١٦). وقد انطلقوا من قاعدة أن اسم السورة له علاقة مباشرة بمحورها، وكانوا يشيرون إلى هذه العلاقة قبل البدء بتفسير السورة، لكن كلامهم حول هذه القضية ما زال بحاجة إلى المزيد من التحليل ليس لبيان أوجه الربط بين اسم السورة ومحورها فحسب، بل لبيان علاقته بكل موضوعاتها.

جـ. جهود بعض الكاتبين في الوحدة الموضوعية للسور القرآنية:

وقد كان لبعض الكاتبين في موضوع الوحدة الموضوعية للسور أيضاً جهود متعلقة بأسماء السور، فبيان الوحدة الموضوعية للسورة يقتضي بيان العلاقة بين اسمها ووحدتها الموضوعية، وهذا موضوع لفت أنظار السابقين كالإمام الفيروز أبادي في كتابه: **البيان بمقاصد سور القرآن**، الذي يقوم على فكرة أن لكل سورة مقصداً ـ محوراً ـ تدور عليه موضوعاتها، وقد كان جهده بمثابة دعوة إلى النظر في هذه الموضوع، لكنه لم يكن يبين العلاقة بين مقصد السور واسمها بشكل كافٍ يشفي الغليل، ومنهم كذلك الإمام الفراهي في كتابه: **دلائل النظام**، إذ عقد فيه أسماه «عمود السورة إجمالاً» وهو يقوم على فكرة أن لكل سورة محوراً يجمع موضوعاتها، وألحقه بفصل أسماه «مطالب السور»، وقد بين فيه العلاقة بين موضوعات السورة ومحورها، ولكنه تناول عدداً محدوداً من السور، ولم يتطرق إلى علاقة اسم السورة بها بشكل مستوف (١٧).

ومن العلماء المعاصرين الذين كتبوا في هذا الموضوع الدكتور محمد حجازي في كتابه: **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**، إذ كان من مقررات كتابته أن السورة الواحدة وحدة كاملة، لها هدف واحد قد يستتبع أغراضاً مختلفة غالباً، وقد أثبت ذلك بتناوله سورتي النساء

---

(١٥) عباس، أ.د فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، ط ٢، دار النفائس، عمّان، ٢٠٠٧، ص ٨٥. بتصرف. وهو يشير إلى الآيات ٨ – ١٤ من هذه السورة.

(١٦) ينظر: المهايمي، علي بن أحمد (ت: ٨٣٥ هـ)، **تبصير الرحمن وتيسير المنّان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن**، ط ٢، ٢ م، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣. وكان ذلك منهجه في كل السور، والبقاعي، إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥ هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط ٤، ٨ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١. وكان ذاك منهجه في كل السور، وابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ب ط، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧. وكان ذاك منهجه في بعض السور، و قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ط ٣٤، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤. وكان ذلك منهجه في بعض السور، إلا أنه امتاز بذكر الوحدة الموضوعية للسور، ومسلم، أ.د مصطفى، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ط ١، مطبعة المعارف، الشارقة، ٢٠١٠، وكان ذلك منهجهم في كل السور.

(١٧) ينظر: الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (ت 817 هـ)، **البيان بمقاصد القرآن**، ط ١، (تحقيق إسلام بن عيسى العبادي)، المكتب الإسلامي، عمان، ٢٠١٣.، والفراهي، عبد الحميد، **دلائل النظام**، ب ط، الدائرة الحميدية، حيدر أباد، ١٣٨٨ هـ. ص ٩١- ١٠٥.

والمائدة بالدراسة التحليلية، ومنهم كذلك الدكتور رفعت فوزي في كتابه: **الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية**، فقد تناول فيه ثلاث عشرة سورة من القرآن لاستنباط الوحدة الموضوعية فيها، وهذه السور كلها مكية ما عدا سورة الأحزاب. وقد كان حديثه مقتضباً موجزاً، فغالباً يجيء حديثه في حدود الصفحتين من القطع الصغير، وأكبر حجم جاء في خمس صفحات، ولم يُشِرْ إلى العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها، ولا إلى العلاقة بين اسم السورة وواقعها [١٨].

وقبل الانتقال للدراسة التطبيقية، لا بد من الإشارة أن أقرب ما كُتب إلى موضوع دراستي هو كتاب: **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، للباحثين عيسى وادي ومحمود مهنا، فإن كلامهما حول موضوع علاقة اسم السورة بموضوعاتها هو أعمق كلام اطلعت عليه ناشئ عن طول نظر وتحليل، إذ تقوم فكرة هذا الكتاب على فرضية أن اسم كل سورة يتضمن الفكرة المركزية فيها، ودلالات هذا الاسم ذات صلة وثيقة بالأفكار الرئيسية في السورة، وقد شمل هذا الكتاب الحديث عن خمس وسبعين سورة، إلا أن الملاحظ على الكتاب أولاً: أنهما لم يتطرقا إلى العلاقة بين اسم السورة وأحداث السيرة إلا ما ندر.

وثانياً: أن حديثهما عن العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها ــ على الرغم من تعمقه ــ قد جاء مقتضباً أحياناً بحاجة إلى كثير من التفصيل لبيان المزيد من علاقة بين الاسم والموضوعات المذكورة في السورة، على نحو يشفي الغليل، ثم إن الباحثين كانا في كثير من السور ينطلقان من التعريف اللغوي لاسم السورة لربطه بموضوعاتها، ويغفلان أحياناً عن الدلالة السياقية له، مما أوصلهم إلى نتائج ـ من وجهة نظر الباحث ـ قد حادت قليلاً عن الصواب، بالإضافة إلى أنه بقيت حاجة ماسة إلى معرفة العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها في السور التي لم يتناولاها بالدراسة .

وبعد هذا التمهيد أصبح بالإمكان الانتقال إلى الدراسة التطبيقية على جميع سور القرآن، مشيراً إلى أنني سأذكر أقرب ما قيل من أقوال المفسرين والكاتبين إلى موضوع الدراسة فقط، وسأعتمد الدلالة السياقية لاسم السورة مع إردافها بالدلالة اللغوية له إن لزم الأمر.

أولاً: سورة الواقعة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس رحمه الله: « وقع: الواو والقاف والعين أصل واحد يدل على سقوط الشيء، والواقعة: القيامة، لأنها تقع بالخلق فتغشاهم »، ويقول الإمام الأصفهاني رحمه الله: « الوقوع: ثبوت الشيء ووقوعه، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ (وقع) جاء في العذاب والشدائد » [١٩]. وأما الدلالة السياقية فتعود إلى بيان أن يوم القيامة يوم سيقع بالناس بلا ريب، وحينها سيُخفض أناس ويرفع آخرون بناء على الأعمال التي ستوزن بميزان الله، ثم ينقسمون

---

(١٨) ينظر: حجازي، د. محمد محمود، **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**، ط ١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠. ص ٤٢- ٥٣، ١١٥- ١٢٥، ورفعت، د. محمد، **الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية**، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧.

(١٩) ابن فارس، **المقاييس**، ص ١١٠١، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٨٨٠.

إلى ثلاثة أقسام: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، وقد أكد ذلك مجيء اسم السورة بصيغة اسم الفاعل، وكأنها أمر قد حصل.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

أما من حيث علاقة هذا الاسم بموضوعات السورة، فقد ذكر بعض المفسرين والكاتبين أن سبب تسمية هذه السورة بهذا الاسم إنما يعود لكونها مملوءة بوقائع يوم القيامة، وأنها تحدثت عن مآل كل قسم من الأقسام الثلاثة المذكورين أولها والذين كانوا قد ذكروا في سورة الرحمن السابقة لها، وجزائهم العادل، فاسم السورة يعبر عن القضية الأولى التي تعالجها هذه السورة المكية، ألا وهي النشأة الآخرة رداً على قول المشركين الشاكين فيها والمكذبين بالقرآن، فدلالة اسم السورة « الواقعة » وما يتعلق به الظرف أدل ما فيها على ذلك (٢٠).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: إقامة الحجة على أن القيامة واقعة لا محالة، من خلال بيان قدرة الله تعالى على البعث بالأدلة العقلية، والتأكيد على ذلك ببيان مصير الناس في ذلك اليوم، فاسم السورة يدل على المحور المذكور. وهذه السورة تتميز عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة بيان أن القيامة واقعة لا محالة.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام: مقدمة تعرض بعض أهوال يوم القيامة، ثم تفصيلٌ في حال ومصير الأقسام الثلاثة المذكورة فيها، ثم ذكر أدلة عقلية من واقع حياة الإنسان على القدرة الإلهية على البعث، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق (٢١).

أولاً: جاءت مقدمة السورة متحدثةً عن بعض أهوال يوم القيامة، وأن الناس سينقسمون حينها إلى ثلاثة أقسام، وذلك يتناسب مع دلالة لفظ الواقعة وجرسه الصوتي « فالواقعة بمعناها وبجرس اللفظ ذاته ـ بما فيه من مد ثم سكون ـ تلقى في الحس كأنما هي ثقل ضخم ينقض من علٍ ثم يستقر، لغير ما زحزحة بعد ذلك ولا زوال، ثم إن سقوط هذا الثقل ووقوعه كأنما يتوقع له الحس أرجحة ورجرجة يُحدثها حين يقع، ويلبي السياق هذا التوقع فإذا هي تخفض أقداراً كانت رفيعة في الأرض، وترفع أقداراً كانت خفيضة، وإذا هي ترج الأرض رجاً، وإذا الجبال الراسية تتحول إلى فتات يتطاير كالهباء» (٢٢). ولاحظ أيضاً قوله تعالى ﮋ ﮐ ﮑ ﮒﮓﮊ المؤكد للمحور المذكور وارتباط اسم السورة به، ومما يلاحظ أن التعبير عن انقسام الناس جاء بصيغة الماضي: ﮋ ﯓ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ، والتعبير بهذا الفعل يجعل من القارئ شاهد عيان وكأن الواقعة وقعت وهو يرى انقسام الناس إلى ثلاثة أقسام بأم عينيه.

---

(٢٠) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن**، ص ١٠٦، والمهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣١٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج٧، ص ٤٠٢، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٧، ص ٢٨١، وقطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٤٦٢. وطهماز، عبد الحميد، **من سورة الطور إلى سورة الناس**، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨. ص ٦٥. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٢١) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١ ـ ٧، والحديث عن مصير الأقسام الثلاثة: ٨ ـ ٥٦، والأدلة العقلية: ٥٧ ـ ٨٠، والخاتمة: ٨١- ٩٦.

(٢٢) قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٤٦٢.

ثانياً: ثم تنتقل السورة إلى الحديث عن مصير تلك الأفرقة الثلاثة، فابتدأت بالمقربين لفضلهم، ثم أصحاب اليمين، ثم أصحاب الشمال. واللافت للنظر أن التفصيل في مصير تلك الأقسام الثلاثة، وفي وصف نعيم فريق السابقين المقربين، وفريق أصحاب اليمين أوفى وصف، وفي وصف عذاب أصحاب الشمال بأدق التفاصيل وكأنها معروضة للعيان، يؤكد حقيقة أن القيامة التي ستحدث فيها هذه الأحداث واقعة لا محالة (٢٣). ومما يؤكد ذلك أنه لا توجد سورة في القرآن ذكرت الحديث عن هذه الأقسام الثلاثة مجتمعة بهذا القدر الموجود في سورة الواقعة، واللافت للنظر أيضاً أسلوب التعبير عن تلك الأقسام، فانظر قوله تعالى: ژ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ، وقوله: ژ ﯨ ﯧ ﯦ ﯥ ﯤ ﯣ ژ وقوله: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ژ إن التعبير بشبه الجملة المفيدة للظرفية تطلعك على مزيد من الحضور وكأنك تراهم، بينما جاء التعبير في سور أخرى ـ كسورة الرحمن مثلاًـ بالجملة الاسمية: ژ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ژ التي تفيد الإخبار دون الحضور الذي تجده في سورة الواقعة.

ثالثاً: ثم انتقلت السورة إلى ذكر عدد من الأدلة العقلية على حقيقة البعث يراها الناس في حياتهم بشكل دائم، فالذي خلق الإنسان من المني وصوّره في الأرحام، هو الذي سيُميتُه ثم يبعثه للحساب كما أنشأه أول مرة، والذي أخرج الزرع من الأرض ولو شاء أن يجعله حطاماً لفعل، هو القادر على إخراج العباد من الأرض لحسابهم كما أخرج الزرع، والذي أنزل الماء الذي فيه حياة العباد ولو شاء أن يجعله أجاجاً لفعل، هو القادر على بعثهم كما أحياهم بذلك الماء، والذي أخرج الشجر بعد أن سقي بذلك الماء، فاستفاد منه العباد وأوقدوا فيه النار، هو القادر على إخراج العباد من الأرض كما أخرج ذلك الشجر.

فهذه الأدلة العقلية إنما ذكرت لتؤكد أن القيامة واقعة لا محالة، وهي أدلة على صدق القرآن الذي يدعو إلى الإيمان بهذه الحقيقة.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد ذكرت مصير تلك الفرق الثلاث حين الموت، فالسابقون يبشرون بالروح والريحان وجنات النعيم، وأصحاب اليمين في أمن وسلام، وأصحاب الشمال في الحميم والجحيم. وهكذا تلتقي الخاتمة مع المقدمة في التأكيد على المصير الذي ستؤول إليه الفرق الثلاث في القيامة الواقعة لا محالة. وانظر قوله تعالى عن حالة احتضار الإنسان للموت الذي هو أول منازل الآخرة: ژ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ژ فإن الذي جعل الموت لا مفر منه وهو واقع لا محالة، هو الذي جعل القيامة واقعة لا محالة، وبذلك يلتقي البدء والختام على المحور المذكور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثانياً: سورة الحاقة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس: « حقّ: الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته، فالحق: نقيض الباطل، ويقال: حق الشيء إذا وجب، والحاقة: القيامة، لأنها تحق بكل شيء، قال تعالى: ژ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ژ (الزمر: بعض الآية ٧١) » . وزاد الإمام الأصفهاني: «

(٢٣) قد أشار سيد قطب إلى ذلك في المصدر السابق ص ٣٤٦١.

الحق: المطابقة والموافقة، والحاقة: القيامة، لأنه يحق فيها الجزاء » [٢٤]. وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فيعود إلى تهويل شأنها، وبيان أنها حق لا مرية ولا هزل فيها.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أنها سميت بذلك لأن فيها مزيد تأكيد على تحقق يوم القيامة وأنه جدٌّ لا هزل فيه، وعلى حقيقة الجزاء في ذلك اليوم الذي فيه إحقاق الحق وإزهاق الباطل، وكمال قدرة الله تعالى وعدله، فهي تثبت صدق وعود القرآن وبراءة الرسول صلى الله عليه وسلم مما اتهمه به أهل الضلال [٢٥].

ويمكن للباحث بناء على الأقوال السابقة للأفاضل أن يلخص محور السورة بالقول بأنه: إثبات أن يوم القيامة يوم حق جدٌّ لا مجال فيه للهزل، من خلال بيان مصير المكذبين ومصير المؤمنين في ذلك اليوم، فوصف يوم القيامة بالحاقة يدل على المحور المذكور، وهذه السورة تتميز عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة بيان أن القيامة حقٌّ جدٌّ لا هزل فيها**، وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة لأربعة أقسام: أولاً: مقدمة تهول أمر الحاقة، وثانياً: حديث عن بعض الأقوام المكذبة بذلك اليوم العظيم، وثالثاً: عرض لبعض مشاهد يوم القيامة، ورابعاً: خاتمة مؤكدة لما سبق [٢٦].

أولاً: جاءت المقدمة بذكر اسم يوم القيامة « الحاقة » مع تكرار السؤال التجهيلي المفيد تهويل ذلك اليوم: وما أدراك ما الحاقة؟ « ويبرز هذا المعنى في اسم القيامة المختار في هذه السورة: الحاقة، وهي بلفظها وجرسها ومعناها تلقي في الحس معنى الجد والصرامة والحق والاستقرار، وإيقاعُ اللفظ بذاته أشبهُ شيءٍ برفعِ الثقل طويلاً، ثم استقراره استقراراً مكيناً، رَفْعه في مدة الحاء بالألف، وجِدُّه في تشديد القاف بعدها، واستقراره بالانتهاء بالتاء المربوطة التي تُنطق هاء ساكنة » [٢٧]. فالدلالات الناتجة عن وصف يوم القيامة بالحاقة تفيد معاني الجد والصرامة فلا مجال للهزل.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن الأقوام المكذبة بيوم القيامة وبيان مصيرهم بأسلوب يكاد يخطف القلوب: فلاحظ كيف كان التعبير عن كيفية إهلاكهم: ژ ۋ ۆ و ۋ ۈ ې ى ې ې □ □ ژ، ژ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ژ، ژ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ژ وانظر إلى الكلمات: بالطاغية، صرصر، أخذة رابية، طغى، التي تحوي حروف الاستعلاء: الطاء والغين

---

(٢٤) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٢٤٥، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٢٤٦.

(٢٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٦٠. والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ١١٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ٣٦٧٤. والصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، ب ط، ٣ م، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١. ج ٣، ص ٤٠٩، وطهماز، **من سورة الطور إلى سورة الناس**، ص ٢٥٣، وباجودة، د. حسن، **تأملات في سورة الحاقة**، ب ط، دار بوسلامة، تونس، ١٩٨٢، ص ٣، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٢٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١ ـ ٣، والحديث عن الأقوام المكذبة: ٤ ـ ١٢، ومشاهد يوم القيامة: ١٣ ـ ٣٧، والخاتمة: ٣٨ ـ ٥٢.

(٢٧) قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٦٧٤. وقريب منه كلام د. باجودة، **المرجع السابق**، ص ٤.

والخاء، مع تفخيم الراء، وتفخيم الألف بعد الغين، فكل هذه الكلمات تفيد الجد والصرامة، وهي متناسبة مع اسم السورة الذي يحوي المد اللازم المثقل، مع حرف الاستعلاء: القاف. والتعقيب على إهلاك الأقوام الذي يفيد الجدية: ژ ى ى ي ي ژ.

ثالثاً: ثم انتقلت السورة إلى عرض بعض مشاهد الآخرة، والملاحظ أن طابع التهويل والجد والصرامة يغطي تلك المشاهد كلها: ژ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ژ، وقد أكد السياق على أن النفخة الواحدة والدكة الواحدة كفيلتان ببدء ذلك اليوم العظيم بدون إعادة، ولاحظ أيضاً كيف عبر السياق عن نجاة من أوتي كتابه بيمينه: ژ ګ ګ ګ ګ ګ ګ ګ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ژ، فهو لم يكد يصدق أنه نجا. وكيف عبر عن مصير الكافر بضمير المفرد في مقابل الأمر بضمير الجمع للملائكة ليأخذوه وينفردوا به ليعذبوه: ژ ى ى ي ي   ژ، كل ذلك يناسب سياق التهويل والجدية والصرامة التي دل عليها وصف يوم القيامة بالحاقة. ولا تجد في السور التي سميت بأسماء يوم القيامة أو مشاهده تعبيراً أشد تهويلاً وحزماً عن مصير الكافر من هذه السورة.

رابعاً: وجاءت خاتمة السورة لتؤكد ما سبق، وهي أيضاً لا تخلو من طابع الجد والصرامة، يؤكد ذلك القسم بما تبصرون وما لا تبصرون، وتكرير التقريع للمكذبين: (قليلاً ما تؤمنون)، (قليلاً ما تذكّرون). بل إن الجد والحزم والصرامة كان طابع التعبير حتى فيما يتعلق بنفي أي شبهة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ژ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ژ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من أي شيء من ذلك. ثم لاحظ ختم السورة بـ «إن» المفيدة للتوكيد خمس مرات لإثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وتكذيب المكذبين، وكما افتتحت السورة بذكر يوم الحاقة العظيم، ختمت بالدعوة إلى تسبيح الله العظيم القادر على بعث الخلق في ذلك اليوم، وبذلك يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، بدلالات الجدية والحزم والصرامة التي طبعت كل موضوعات السورة بطابعها.

ثالثاً: سورة الزلزلة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام الأصفهاني: « الزَّلَّة في الأصل: استرسال الرِّجْل من غير قصد، والتزلزل: الاضطراب، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزَّلل فيه، قال تعالى: ژ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ژ وقال: ژ..پ پ پ پ ژ، وزاد الإمام ابن منظور: « الزلزلة والزلزال: تحريك الشيء، قال أبو إسحق في قوله تعالى : ژ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ المعنى إذا حركت حركة شديدة» [٢٨]. وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى بيانها ما يطرأ على الأرض يوم القيامة من الحركة والاضطراب، وفي ذلك دلالة على قدرة الله على البعث.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

---

(٢٨) الأصفهاني، **المفردات**، ص ٣٨١، وابن منظور: **لسان العرب**، ج ٧،ص ٥٢.

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن السورة إنما سميت بذلك لحديثها عن هول زلزلة الأرض يوم القيامة، واسم السورة يشير أيضاً إلى زلزلة القلوب في ذلك اليوم، ويشير إلى انكشاف الأمور وظهور المقدور من انقسام الناس في الجزاء إلى أهل سعادة وشقاء [٢٩].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: إثبات حقيقة يوم القيامة من خلال أكثر الأحداث هولاً من الأحداث الأخروية المذكورة فيها، ألا وهو زلزلة الأرض، فاسم السورة يدل على المحور المذكور، وهذه السورة تتميز عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة بيان** أن **القيامة زلزلة للأرض ولقلوب البشر.**

وبتأمل آيات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين دلالات اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

تجد في الآية الأولى توكيد الفعل: زلزلت، بالمصدر: زلزالها، والتوكيد بالمصدر أشد صيغ التوكيد، مما يفيد تهويل ذلك الزلزال، وكأن الأرض اختصت به فهو الزلزال الوحيد، بمعنى أن الزلازل التي سمعنا عنها في حياتنا لا تذكر أمام ذلك الزلزال العظيم. ولاحظ تكرار لفظة الأرض في الآيتين الأوليين، إذ كان من الممكن أن يقال: وأخرجت أثقالها، لكن السياق يريد التركيز على ما سيقع عليه الزلزال، ألا وهي الأرض الشاهدة على أعمال البشر، وقولَه تعالى: أثقالها، بالجمع، مما يفيد بيان مدى قوة ذلك الزلزال، إذ إن الأرض ستخرج تلك المليارات البشرية التي دفنت فيها خلال حياتهم عليها. و أمر آخر: وهو نسبة الأثقال إلى الأرض وكأنها اختصت بها، مما يشير إلى كونها هي الشاهدة على تلك الأثقال، ومما يفيد التركيز على الأرض التي أضيف إليها اسم السورة: تكرار الضمير العائد إليها خمس مرات، وقوله تعالى: أخبارها، بالجمع لا الإفراد، فهي ستخبر عن أفعال العباد بالتفصيل الذي يفيده الفعل: تحدّث، وهذا يؤكد المحور المذكور.

وأثر تلك الزلزلة لا يقتصر فقط على الأرض، بل هو سيزلزل قلوب الناس أيضاً ويسبب لهم الهلع والجزع، لاحظ قوله تعالى: أشتاتاً، الذي يدل على ذلك، وتكرار عبارة: مثقال ذرة، وهي متلائمة مع قوله تعالى أول السورة: أثقالها، فالذي سيأمر الأرض لتخرج كل تلك الأثقال، قادر على أن يحقق العدل بين الناس على أقل مثقال. وكل ذلك يفيد مدى أثر تلك الزلزلة التي ستؤدي إلى الحساب على قلوب البشر، وبذلك يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور والذي دل عليه اسمها أبلغ الدلالة.

رابعاً: سورة القارعة

([٢٩]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٠، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٠٤، و قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٥٤، و أ. د مسلم وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، ج ٩، ص ٢٨٥. وشحاتة، د. عبد الله، **أهداف كل سورة ومقاصدها**، ط ٤، ٥ م، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨. ج ٤، ص ٢٣٥. وطبّارة، عفيف، **تفسير جزء عم**، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ب ت، ص ١٥٦.وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس: « القاف والراء والعين، معظم الباب ضربُ الشيء، يقال: قرعتُ الشيء أقرعه: ضربته، والقارعة: الشديدة من شدائد الدهر، وسميت بذلك لأنها تقرع الناس، أي تضربهم بشدتها، والقارعة: القيامة، لأنها تضرب الناس بإقراعها»، وأكد ذلك الإمام الأصفهاني فقال: «القَرْع: ضرب شيء على شيء، ومنه: ضربتُه بالمقرعة» [٣٠]. وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى بيان أنها شديدة التأثير على الناس وكأنها تضربهم ضرباً.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها موضوعاتها، فذكروا أن اسم السورة يدل على مقصودها وهو إيضاح يوم الدين بتصوير أحواله في مبدئه ومآله، ثم تقسيم الناس إلى ناجٍ وهالك، كما وأن اسم السورة يلقي ظلاً وجرساً تشترك فيه حروفه كلها مع آثار القارعة في الناس والجبال سواء، تمهيداً لما ينتهي إليه المشهد من حساب وجزاء [٣١].

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: تأكيد حقيقة يوم القيامة من خلال بيان آثار قرعها على الجبال والناس في ذلك اليوم، ودلالات اسم السورة تُدل على المحور، وهذه السورة تتميز عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة بيان** أن **القيامة قرعٌ للجبال وفزعٌ للناس**، وفيما يلي بيان مدى ارتباط هذا الاسم بموضوعات السورة:

تحوي السورة مقدمةً لتهويل يوم القيامة، ثم عرضاً لأثر ذلك اليوم على الناس والجبال، ثم خاتمة في بيان مصير الناس إلى قسمين: في النعيم، وفي الجحيم [٣٢].

أولاً: تبدأ المقدمةُ «بإلقاء الكلمة مفردةً وكأنها قذيفة: القارعة، بلا خبر ولا صفة، لتلقي بظلها وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب، ثم أعقبها سؤال التهويل: ما القارعة، ثم أجاب بسؤال التجهيل: وما أدراك ما القارعة، فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك، وأن يُلِمَّ بها التصور» [٣٣]. وأعتقد أن مخرج الهاء من الجوف عند الوقوف على «القارعة» ثلاث مرات يعطي دوياً للقارعة وكأنها قذيفة حقاً.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى بيان مدى قرع يوم القيامة على الناس والجبال، فابتدأت بتشبيه حالة الناس في ذلك اليوم بصورة عهدوها في حياتهم، وكأن مجموعةً من الفراش تجمعت في مكان واحد ثم سمعت صوتاً مدوياً فتطايرت متبعثرة بسرعة وهلع. هذه الصورة لحال الناس يوم القيامة متناسقة مع دلالة لفظ: القارعة، ولاحظ أن السياق شبَّه الناس بأحد

---

(٣٠) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨٨١. والإصفهاني، **المفردات**، ص ٦٦٦.

(٣١) البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥١٣، قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٦٠. والصابوني، **صفوة التفاسير**، ج ٣، ٥٦٨، وشحاتة، **أهداف كل سورة ومقاصدها**، ج ٤، ص ٢٤٩. ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٥٢.

(٣٢) مقدمة السورة في الآيات الثلاث الأول، وأثر القارعة على الناس والجبال في الآيتين الرابعة والخامسة، وخاتمة السورة: ٧ ـ ١١.

(٣٣) قطب، **في ظلال القرآن**، نفس الجزء والصفحة. بتصرف.

أضعف وألطف المخلوقات: الفراش، في مقابل وصف يوم القيامة بأكثر الألفاظ دوياً: القارعة. لتكون الصورة أبلغ في التشبيه.

وانتقل السياق إلى تشبيه الجبال في ذلك اليوم بصورة معهودة أيضاً، فبعد أن قُرعت الجبال ببعضها أصبحت فتاتاً لا يكاد يكون لها وزن، كقطعة من الصوف تتطاير في الهواء. ولا يخفى التناسق بين وصف الجبال بهذه الصورة المفزعة وبين دلالات اسم السورة.

ثالثاً: ثم انتقلت السورة في الختام لبيان مصير الناس بعد أن قرعتهم القارعة بأهوالها، ولاحظ أن من ثقلت موازينه قد وصف مصيره بأنه: ژ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ژ، وهو وصف ملائم لبيان الحالة الآمنة التي صار إليها بعد حالة الخوف والهلع التي وُصف بها الناس أول السورة بسبب القارعة.

وأما الصنف الثاني من الناس: ژ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎژ،لاحظ أسلوب السخرية البديع: في بداية السورة تبين لنا مدى الخوف والجزع الذي تلحقه «القارعة» بالناس، وهنا عند الحديث عن مصير من خفت موازينه، وصف مصيره بأنه أمٌّ، وهي في الأصل مصدر الأمان لدى الطفل، لكن السياق القرآني العجيب قلب مفهوم هذه اللفظة المشعرة بالأمان إلى مفهوم مجزع، سيّما وأنه وصفها بالهاوية، فمن خفت موازينه يهوي بتلك الدار التي سيلزمها كما تلزم الأم ابنها إلى أن يقرع قعرها. فأنت ترى أن وصف يوم القيامة بـ «القارعة» ودلالاته المخيفة، قد تناسق مع موضوعات السورة أشد التناسق، وقد دل على المحور المذكور أبلغ الدلالة.

أولاً: سورة التغابن

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس: « الغَبْن:الغين والباء والنون كلمة تدل على ضعف واهتضام، يقال: غُبِن الرجلُ في بيعه فهو يغبن غبناً، وذلك إذا اهتضم فيه، وغَبِن في رأيه: وذلك إذا ضعف رأيه، والقياس في الكلمتين واحد». وزاد الإمام الأصفهاني: « يوم التغابن: يوم القيامة، لظهور الغَبْن في المبايعة المشار إليها بقوله: ﮋﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ (البقرة: بعض الآية ٢٠٧)، وبقوله: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﮊ (التوبة: بعض الآية ١١١) » [٣٤]، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى وصف حال الناس في ذلك اليوم، إذ سيظهر غبن الكافرين لعدم إيمانهم، وسيظهر غبن بعض المؤمنين لتقصيرهم في الأعمال الصالحة التي تُرصد لذلك اليوم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أنها إنما سُميت بالتغابن لحديثها عن التغابن والمغبونين، وأسباب التغابن وسبل الوقاية منه، واسم السورة يدل على كمال المؤمنين في نظر العاقبة، إذ غَبَنوا الكافرين بأخذ أماكنهم من الجنة، وإعطائهم أماكنهم من النار، وكمال سفه الكافرين إذ غَبَنهم المؤمنون. والغَبْن يلحق أيضاً يوم القيامة بمن قصَّر في الإحسان من المؤمنين، فيتمنى أن لو زاد في الإحسان فتعلو مرتبته في الجنة، واسم السورة يحذر مما جاء في سورة المنافقون السابقة لها من إقامة الدليل على أنه لا بد من الحساب [٣٥].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: إثبات حقيقة يوم القيامة من خلال التحذير مما أوقع الكافرين في الغبن الأكبر يوم القيامة، والتحذير من التقصير لئلا يقع المؤمن في الغبن في ذلك اليوم، فاسم السورة يدل على المحور المذكور، وتتميز هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة التحذير من الوقوع في الغبن يوم القيامة.**

والمتأمل في موضوعات السورة يجد الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولها مقدمة تبين قدرة الله على البعث والحساب، وثانيها تحذير مما أوقع الكافرين في الغبن الأكبر يوم القيامة، وثالثها تحذير للمؤمنين من التقصير لئلا يقعوا في الغبن، ورابعها خاتمة مؤكدة لما سبق [٣٦].

---

(٣٤) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨١١، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٦٠٢.

(٣٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٤٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٣، و أ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، ج ٨، ص ١٨٩، وعمر، أحمد عطا، **تفسير جزء قد سمع**، نُشر في عمّان بدون دار نشر، ٢٠٠٤، ص ١٥١، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢٩٣.

(٣٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١ ـ ٤، والتحذير مما أوقع الكافرين في الغبن الأكبر: ٥ ـ ١٠، والتحذير من التقصير: ١١ ـ ١٥، والخاتمة: ١٦ ـ ١٨.

أولاً: تذكر المقدمة أن الذي خلق الناس جميعاً بأحسن صورة، وخلق السماوات والأرض، لقادر على بعث الناس لحسابهم، واللافت للنظر في هذه المقدمة أن قوله تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ يبيّن أن الله قدير على جمع الناس ليوم التغابن وأن يُظهر لهم أعمالهم فيبان غبن المغبون.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى خطاب الكافرين الذين زعموا أنهم لن يبعثوا، فبيّن الله لهم أنهم سيبعثون ليوم الجمع، ذلك يوم التغابن، واللافت للنظر أيضاً أن السورة حذرت من الأعمال التي أوقعت الكافرين بالغبن الأكبر يوم القيامة: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ، فهم يكفرون ويتولون عن الرسل، وهم يزعمون أنهم لن يبعثوا، فكفرهم وتوليهم ساقهم إلى إنكار الآخرة، وهذا أكبر غبن وأكبر خسارة يوم القيامة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﮊ. وهذه السورة هي الوحيدة في القرآن التي جاء فيها لفظة (لتبعثنّ) ولفظة (لتنبؤنّ) بضمير الجمع المخاطب (٣٧)، مما يناسب دلالة اسم التغابن كما لا يخفى، أضف إلى ذلك التوكيد بالقسم، وبيان أن ذلك على الله يسير.

ثالثاً: ثم انتقلت السورة إلى خطاب المؤمنين، وأمرتهم بطاعة الله والرسول، واللافت للنظر أيضاً أن السورة قد حذرت المؤمنين من الوقوع في التقصير، والتلهّي بالأزواج والأموال والأولاد عن الاستعداد لذلك اليوم: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮊ.

رابعاً: خُتمت السورة بذكر وصايا تقي المؤمنين من الوقوع في الغبن يوم القيامة: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﮊ، فأمرتهم ببذل كل الجهد بالتقوى، والسمع والطاعة والنفقة، ولاحظ أن السورة ختمت ببيان أن الله عالم الغيب والشهادة فيجازي كل امرئ بما عمل خيراً أو شراً، وهكذا تلتقي مقدمة السورة مع خاتمتها على التحذير مما يوقع في الغبن في يوم القيامة، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة.

وكل هذه الأمور لا يخفى ارتباطها بدلالة اسم التغابن، فالسورة تأمر المؤمنين بالتقوى والإنفاق وعدم الالتهاء بما يوقعهم في التقصير، حتى لا يلحق بهم الغبن يوم القيامة.

ثانياً: سورة القيامة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام الأصفهاني: « قام يقوم قياماً، فهو قائم، وجمعه: قيامٌ، والقيامة: عبارة عن قيام الساعة المذكور في قوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ (الروم: بعض الآية ١٢)، وقوله تعالى: ﮋ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﮊ (المطففين: ٦)، والقيامة أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة ».

---

(٣٧) ينظر للمراجعة: عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**.

وزاد الإمام ابن منظور: « يوم القيامة: يوم البعث، يقوم فيه الخلق بين يدي الحي القيوم، قيل: أصله مصدر قام الخلق من قبورهم قيامة » [٣٨]. وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى بيان قدرة الله على بعث الناس ليقوموا بعد موتهم بين يدي الله.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أنها تتضمن تعظيم الله عز وجل الذي لا يتناهى ثوابه وعقابه في ذلك اليوم، وقد أكد ذلك أنها ذكرت قيام الناس بعد الموت إلى ساحة الحساب، فاسم السورة يشير إلى العلاقة المترابطة بين النفس البشرية ويوم القيامة، وأن يوم القيامة يوم لا مفر منه [٣٩].

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة: إثبات أن البعث ليوم القيامة أمر لا مفر منه، من خلال بيان القدرة الإلهية على الخلق أول مرة، فالقادر على الخلق أول مرة، قادر على البعث ليوم القيامة، فاسم السورة يدل على المحور المذكور، وتتميز هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة إثبات أن القيامة أمر لا مفر ولا ملجأ منه.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بين دلالة اسم السورة وموضوعاتها، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام: مقدمة تبين استبعاد الإنسان لوقوع يوم القيامة، ثم ذكْرُ بعض أحداث ذلك اليوم، وفي وسطها تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم حديث عن حالة الإنسان وقت الاحتضار للموت الذي هو أول مراحل الآخرة، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق [٤٠].

أولاً: جاءت المقدمة تحوي قسماً بذلك اليوم العظيم، وتبين موقف الإنسان من ذلك اليوم إذ يسأل مستبعداً: ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ، ولاحظ قوله تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ الذي يثبت قدرة الله على بعث الأجساد ليوم القيامة حتى لو أكلتها الأرض، وأن يجعل أصابعه خلقاً سوياً كما كانت قبل موته، ولا يخفى تناسق ذلك مع دلالة اسم السورة بأن يوم القيامة آت مهما فجر الإنسان وتغافل عنه.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن بعض مشاهد ذلك اليوم، واللطيف أن السياق عقّب على سؤال الإنسان المستبعد لوقوع ذلك اليوم بنقله إلى مشاهد ذلك اليوم بالظرف المقرون بالفاء المفيدة سرعة التعقيب، وكأن الإنسان لم يكد ينهي سؤاله إلا وهو قد أصبح يرى مشاهد ذلك اليوم بعينيه. وذلك فيه مزيد تأكيد على قدرة الله على البعث، ولاحظ قوله تعالى الذي يفيد أنه لا مفر من حقيقة البعث: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ.

([٣٨]) الأصفهاني، **المفردات**، ص ٦٩٠.، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٢، ص ٢٢٩. بتصرف.

([٣٩]) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد سور القرآن**، ص ١٢١، المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٦٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٢٤١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٧٦٦. والصابوني، **صفوة التفاسير**، ج ٣، ص ٤٥٨، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٢١.

([٤٠]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١ ـ ٦، وأحداث يوم القيامة: ٧ ـ ٢٥، والحديث عن حالة احتضار الإنسان: ٢٦ ـ ٣٥، والخاتمة: ٣٦ ـ ٤٠.

وفي خلال ذكر تلك الأحداث يأتي أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بعدم التعجل في حفظ القرآن، لأن الله قد تكفل بحفظ القرآن في قلبه صلى الله عليه وسلم ، والعلاقة بين محور السورة وهذه التوجيهات واضح، فإن القادر على جمع عظام الإنسان بعد موته، وجعل لحسابه يوماً لا مفر منه، قادر على جمع القرآن في قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن الذي خلق الإنسان ولم يتركه سدى، هو الذي أقام عليه الحجة في ذلك القرآن الذي حفظه من النسيان والتحريف.

ثالثاً: وانتقلت السورة إلى الحديث عن حالة احتضار الإنسان للموت، وأنه لا مانع حينئذ من خروج الروح، واللطيف أيضاً أن السياق قد عقب على تلك الحالة بذكر مشهد سوق الناس إلى ربهم في يوم القيامة، وكأن الإنسان بمجرد موته قد أصبح من أهل تلك المشاهد الأخروية: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ ، وهذا فيه مزيد تأكيد على قدرة الله على بعث الناس للقيامة كما لا يخفى.

رابعاً: وجاءت الخاتمة لتؤكد ما سبق، فذكّرت الإنسان بأصله وأنه لن يترك سدى، وأثبتت أن الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى من النطفة، هو القادر على أن يحييهم ليوم القيامة: ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ. وهكذا يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثالثاً: سورة النبأ

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « النون والباء والهمزة: قياسه الإتيان من مكان إلى مكان ... ومن هذا القياس: النبأ، لأنه يأتي من مكان إلى مكان »، وزاد الإمام الأصفهاني رحمه الله: « النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ... وحق الخبر الذي يقال فيه «نبأ» أن يتعرى عن الكذب، كالتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر النبي صلى الله عليه وسلم »[41]، وأما الدلالة السياقية فتعود إلى تساؤل المكذبين عن اليوم الآخر، مع بيان أنه نبأ من الله تعالى لا مجال لتكذيبه أو الشك فيه، وتسمية السورة «بالنبأ» يوحي كأنه ليس هناك نبأ غيره، فيوم القيامة هو النبأ الأعظم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة يدور حول حقيقة البعث بعد الموت، بذكر الأدلة على قدرة الخالق على ذلك، فيوم القيامة الذي كان المكذبون مُجمعين على نفيه، ثابت ثباتاً لا يحتمل الشك، لأن

---

(٤١) ابن فارس، **المقاييس**، ص ١٠١٠، بتصرف، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٧٨٨، بتصرف.

الذي خلقهم ودبر معيشتهم أحسن تدبير، من حكمته أن لا يترك عبيده يأكلون خيره، ويعبدون غيره، وعلى ذلك دل اسمها «النبأ» بما فيه من التفخيم [٤٢].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر من خلال بيان دلالة بعض مظاهر قدرته تعالى على الخلق والبعث في الدنيا، وبيان مصير المكذبين والمؤمنين في ذلك اليوم، ولعله لما كان في تسمية يوم القيامة بـ «النبأ» من التفخيم والتعظيم وكأنه لا نبأ غيره، سميت السورة به للدلالة على المحور المذكور، وتتميز هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة **أنها سورة تعظيم شأن يوم القيامة**.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تثبت حقيقة اليوم الآخر بعرض بعض مظاهر قدرة الله تعالى على ذلك في الدنيا، ثم عرض لمصير الطاغين المكذبين والمؤمنين المتقين في ذلك اليوم، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق [٤٣].

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان لقدرته تعالى على الخلق والبعث، من خلال عرض بعض مظاهر قدرته تعالى التي يراها الناس يومياً في الدنيا، وفي ذلك أبلغ رد على تساؤل المكذبين عن النبأ العظيم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، فسياق السورة يلفت نظر المكذبين بيوم القيامة إلى خلق الله للأرض التي يعيشون عليها وجعْلها مهاداً، وإلى نومهم واستيقاظهم المشابه للحياة بعد الموت، وإلى خلق السماوات وما فيها، وإخراج النبات بماء السماء، وكلها آيات تدل على قدرته تعالى على بعثهم ليوم النبأ العظيم كما لا يخفى.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض مصير الطاغين المكذبين والمؤمنين المتقين لزيادة التأكيد على أن يوم القيامة نبأ عظيم لا مرية فيه، وقد ابتدأ السياق بالمكذبين لأنهم الأولى بالترهيب: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ بيان أنهم كانوا لا يرجون حساباً لذلك اليوم، وقد دفعهم ذلك إلى التكذيب بآيات الله كذاباً، وهذا متفق تماماً مع تساؤلهم عن النبأ العظيم في المقدمة، وبيان أن الله أحصى كل شيء كتاباً فيه دلالة على قدرته على البعث والحساب العادل.

ثم انتقل السياق إلى عرض مصير المؤمنين، ليتكامل الترغيب مع الترهيب: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ، ولاحظ أن

---

(٤٢) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٨٣، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٢٩٤، ٢٩٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٠٠- ٣٨٠٣، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٦، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ١، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٤٣) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٦، وعرض مظاهر قدرة الله: ١٧- ٣٨، والخاتمة: ٣٩، ٤٠.

السياق يركز على عرض مظاهر عظمة ذلك اليوم، من خلال التفصيل في عرض مصير الفريقين، وذلك يؤيد وصف القيامة بالنبأ العظيم، وبيانُ أنه لا أحد يملك الكلام فضلاً عن التصرف في ذلك اليوم إلا بإذن الرحمن يؤيد ذلك.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فكما افتتحت السورة بتساؤل المكذبين عن النبأ العظيم، ختمت ببيان الله أنه هو اليوم الحق، وبالدعوة إلى إحسان العمل لأن الله سيجازي في ذلك اليوم كل امرئ بما قدمت يداه، وكفى بذلك دلالة على قدرته تعالى على البعث لذلك اليوم العظيم: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮊ، وبذلك يلتقي البدء والختام على المحور المذكور الذي دل عليه اسم السورة أعظم الدلالة وأفخمها شأناً.

رابعاً: سورة الغاشية

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس: « غشي: الغين والشين والحرف المعتل أصل صحيح يدل على تغطية شيء بشيء، والغاشية: القيامة، لأنها تغشى الخلائق بإفزاعها »، وقد أكد ذلك الإمام الأصفهاني بقوله: « الغاشية: كل ما يغطي الشيء، كغاشية السرج، وقوله: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ (يوسف: ١٠٧)، أي: نائبة تغشاهم وتجللهم، وقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ كناية عن القيامة»[٤٤]. وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى بيانها بعض ما يغشى الناس في ذلك اليوم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن سورة الغاشية سميت بذلك لما فيها من تأكيد الإنذار بتهويل يوم القيامة، فقد عرضت بعض أحداث يوم القيامة وآيات الله في خلقه الدالة على قدرته، كما وأن من مقاصد هذه السورة بيان تشويه حالة المكذبين الأشقياء يوم القيامة، وبيان نعومة حالة المؤمنين الأتقياء في ذلك اليوم [٤٥].

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: إثبات حقيقة يوم القيامة من خلال بيان مدى تأثير يوم القيامة على حالة الناس في ذلك اليوم، فمن كانت أعماله سيئة غشيته حالة البؤس، ومن أحسن العمل غشيته حالة الرضا، فوصف يوم القيامة بالغاشية يدل على المحور المذكور، وتتميز هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة بيان أثر غشيان يوم القيامة على وجوه الناس.**

---

(٤٤) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨١٦. والأصفهاني، **المفردات**، ص ٦٠٧.

(٤٥) المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٩٩، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٠٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٩٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٢٩٣. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الارتباط الوثيق بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تحوي السورة مقدمة جاءت بصيغة السؤال المفيد للتهويل، ثم بيان حالة الكافر والمؤمن يوم القيامة، ثم أدلة عقلية على إثبات حقيقة البعث، وخاتمة تبين أن ليس على الرسول إلا التذكرة وعلى الله الحساب (٤٦).

أولاً: جاء مفتتح السورة بالاستفهام الذي وصف يوم القيامة بالغاشية، وأضفى عليه صبغة التهويل، وقد بينتُ دلالات وصف يوم القيامة بهذا الاسم.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى بيان ما يغشى حالة الناس من أهوال ذلك اليوم، فابتدأت بالمكذبين، وبينتْ بعض ما يغشى حالتهم بسبب أعمالهم: ژ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڌ ڌ ژ، ويلاحظ أن السياق ابتدأ بذكر أثر غشيان حالتهم على الوجه كونه أكرم أعضاء الإنسان، وكونه أبرز ما يُظهر مدى غشيان تلك الحالة. ويؤكد ذلك التعبير: تصلى ناراً حامية، وتسقى من عين آنية، مع أن الصلي والسقي فعلان يعود أثرهما على كافة الجسد، فكان من الممكن أن يقال: يصلون ناراً حامية، ويسقون من عين آنية.

واللافت للنظر في حديث السورة عن فريق المكذبين أنك تجد السياق قد بين أن سبب غشيان حالة البؤس على وجوههم إنما هو أعمالهم السيئة، فانظر قوله تعالى: ژڤڤڤژ، وبالمناسبة لم تذكر كلمة «ناصبة»في سورة أخرى من القرآن، ولا يخفى مدى ارتباطها باسم السورة «الغاشية»، فهي تبين غشيان حالة النصب على وجوههم.

ثم انتقل السياق إلى بيان الحالة التي تغشى المؤمنين يوم القيامة: ژ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ک ک ک ژ، ولاحظ أولاً أن السورة لم تعطف بيان حالة وجوه المؤمنين على حالة وجوه الكافرين، فلم يقل: ووجوه يومئذ ناعمة، بل جعل لهم جملة تعطي خبراً مقطوعاً عما سبق، وذلك يؤكد الاهتمام ببيان مدى تأثير الحالة التي تغشى القسم الثاني من الناس يوم القيامة. ولاحظ ثانياً التركيز على الوجوه، فهي أكرم الأعضاء، وأبرز ما يُظهر الحالة التي تغشاها، ولاحظ ثالثاً نسبة الرضا عن السعي إلى الوجوه، فقد كان من الممكن أن يقال: لسعيهم راضون. كل ذلك يطلعك على مدى ارتباط دلالة اسم السورة «الغاشية» على وجوه هذين القسمين من الناس يوم القيامة: المؤمنين والكافرين.

ثالثاً: ثم انتقلت السورة إلى بعض الأدلة العقلية على قدرة الله على بعث الناس وحسابهم، وفي ذلك دعوة للإيمان والعمل الصالح فإن من خلق الإبل والسماء والجبال والأرض، ذلك قادر على بعث الناس ليوم الغاشية، ولاحظ قوله (أفلا ينظرون) الدال على أنه ينبغي استعمال النظر الذي يكون في الوجوه للوصول إلى الإيمان، فتكون هذه الوجوه ناعمة يوم القيامة، وأما الوجوه التي لا تستدل بالنظر في خلق الله على قدرته على البعث، فهي وجوه خاشعة عاملة ناصبة يوم القيامة.

---

(٤٦) جاء السؤال الذي يعتبر مقدمة للسورة في الآية الأولى، والحديث عن حالة الكافرين في الآيات: ٢ ـ ٧، وحالة المؤمنين: ٨ـ ١٦، والأدلة العقلية: ١٧ ـ ٢٠، والخاتمة: ٢١ ـ ٢٦.

رابعاً: ثم ختمت السورة ببيان أن ليس على النبي صلى الله عليه وسلم إلا التذكرة، فليس هو عليهم بمسيطر، بل المسيطر والمحاسب لهم إنما هو الله تعالى. واللافت للنظر أنك تجد في خاتمة السورة قوله تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ ، الذي يؤكد محور السورة، فإياب الخلائق كلها إلى الله وسيحاسبهم على أعمالهم في يوم الغاشية الذي تغشى فيه كل إنسان الحالة التي تناسب أعماله. وبذلك يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور الذي دل عليه اسمها أبلغ الدلالة.

أولاً: سورة التكوير

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس: « كور: الكاف والواو والراء أصل صحيح يدل على دورٍ وتجمُّع، ومن ذلك الكَوْر: الدَّور، يقال: كارَ يَكورُ إذا دار ومنه قوله تعالى: ژ ٱ ٻ ٻٻ ژ كأنها جمعت جمعاً »، ويؤكد ذلك الإمام الأصفهاني إذ يقول: « كورُ الشيء: إدارته وضم بعضه إلى بعض، ككوْرِ العمامة » [٤٧]. وأما الدلالة السياقية فتعود إلى حدث تكوير الشمس يوم القيامة« فتكوير الشمس: فساد جِرمها لتداخل ظاهرها في باطنها بحيث يختل تركيبها فيختل لاختلاله نظامُ سيرها » [٤٨]. فاسم السورة يدل على أن مَن جعل للشمس مداراً خاصاً بها في الدنيا، قادر على إفساد جرمها يوم القيامة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة التهديد بيوم الوعيد وإثبات حقيقة الوحي، واختير اسم «التكوير» لأنه يشير إلى أحد أعظم حوادث يوم القيامة المذكورة في السورة، أو لأن تكوير الشمس هو الحدث الأول، أو لأن الخراب إنما يبدأ من السقف، والشمس أبرز آيات السماء التي هي من فوقنا، والسورة فيها إيقاع عام أشبه بحركة جائحة تنطلق من عقالها فتقلب وتهز كل شيء [٤٩].

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر من خلال حدث تكوير الشمس، كونه أحد أحداث يوم القيامة الدالة على سرعة دمار الكون بعد أن كان منتظماً، واختير تكوير الشمس اسماً للسورة للدلالة على المشيئة الإلهية المنفردة في هذا الكون، فكما شاء أن يكون هذا الكون منتظماً على أحسن صورة، فهو قادر على تدميره يوم القيامة بمشيئته. ولأن الشمس أبرز الكواكب التي يعرفها الناس فهم يرونها كل يوم في حياتهم، فكان ذلك أوقع أثراً في نفوسهم، فاسم السورة دال على المحور المذكور، وتتميز هذه السورة عن السورة التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة **بأنها سورة بيان سرعة خضوع الظواهر الكونية لمشيئة الله تعالى بتدميرها بعد أن خلقها منتظمة في الدنيا.**

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تحوي السورة مقدمةً فيها ذِكر اثني عشر ظرفاً تدل على سرعة التدمير الحاصل يوم القيامة مع الخضوع والاستسلام التام لمشيئة الله رب العالمين، ثم قَسماً بعددٍ من الظواهر

---

(٤٧) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٩١٢، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٧٢٩.

(٤٨) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ١٤١.

(٤٩) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨ ، ص ٣٣٥، والمهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٩٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٣٦، و أ. د مسلم وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، ج ٩، ص ٤٨. والجابري، د. سيف راشد، **أسماء السور القرآنية دلالات وإشارات**، ط ٣، بدون دار نشر، ٢٠٠٣. ص ١٧١، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

الكونية المنتظمة على صدق الوحي وصدق النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خاتمةً تبين تفرد مشيئة الله في خلقه [٥٠].

أولاً: جاء في مقدمة السورة اثنا عشر ظرفاً تحوي دلالة على السرعة في حصول التدمير، وكلها تدل على الخضوع التام والاستسلام لمشيئة الله عز وجل، فانظر الظروف التالية: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ژ، ژ ٺ ٺ ٿ ٿ ژ، ژ ڃ ڃ ڃ چ ژ، تجــــد أن الأفعال التي اختيرت في التعبير كلها تدل على السرعة في الخروج عن الانتظام، ومع الخضوع لمشيئة الله: كما ترى في تكوير الشمس، وانكدار النجوم، وتسيير الجبال (مع التشديد)، وتسجير البحار (مع التشديد)، وكشط السماء، فكلها أفعال منسجمة مع دلالة اسم السورة من ناحيتين: السرعة في حصول التدمير، والخضوع التام للمشيئة الربانية. وقد دل على ذلك أنها جاءت بصيغة المبني للمجهول، مما يؤكد على وجود مشيئة إلهية متحكمة بها.

وانظر الظروف التالية الدالة على كمال الخضوع للمشيئة الإلهية: ژ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ژ، ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ، ژ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ژ، ولاحظ أيضاً مجيء هذه الأفعال بصيغة المبني للمجهول مما يدل على المشيئة الإلهية وراءها.

وقد كان الجواب الوحيد على كل تلك الظروف الاثني عشر: ژ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ، فقط، وهو جواب جامع للغاية المقصودة من اليوم الآخر، وقد اكتفى السياق بهذا الجواب لأنه ليس من المقصود التركيز على ما سيحصل للناس في ذلك اليوم، بل المقصود التركيز على كمال الخضوع للمشيئة الإلهية، مما يتناسب مع دلالة اسم السورة.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى القَسم بعددٍ من الظواهر الكونية التي يراها الناس بشكل يومي، والدالة على الانتظام التام والاستسلام للمشيئة الإلهية، ووجه الربط بين هذه الظواهر و بين ما جاء في أول السورة مما يدل على الدمار وسرعة الخروج عن الانتظام واضح، فإن الذي شاء أن يكون هذا الكون منتظماً لا مجال فيه للخطأ، هو الذي شاء أن يخرج هذا الكون عن انتظامه لبدء يوم القيامة، فالمشيئة الإلهية ظاهرة في سياق السورة كلها: ژژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ژ، ولاحظ أن القسم بآيَتَيْ الليل والنهار مترابط بشكل واضح مع الشمس، فدوران الأرض حول الشمس ينتج الليل والنهار، وكأن السياق يقول: هذه الآيات الدالة على كمال الانتظام والتي ترونها كل يوم ومن أبرزها الليل والنهار، وراءها مشيئة إلهية هي التي جعلَتْها بهذه الروعة، وهذه المشيئة ذاتها هي مشيئة الإله وحده القادر على جعل كل تلك الظواهر تخرج عن انتظامها معلنة بدء يوم الحساب. كل ذلك دل عليه اسم السورة «التكوير»، حقاً إنها سورة عجيبة!

أما جواب القسم فقد كان: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﯓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ژ، ويلاحظ في جواب القسم خضوع الوحي (جبريل عليه السلام)، والنبي صلى الله عليه وسلم للمشيئة الإلهية، ولاحظ قوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم)، وكأنه يقول: بعد أن بينّا لكم خضوع كل المخلوقات

---

(٥٠) المقدمة شملتها الآيات:١-١٤، والقسم على صدق الوحي وصدق النبي صلى الله عليه وسلم : ١٥ – ٢٥، والخاتمة: ٢٦ – ٢٩.

لمشيئتنا، وأقسمنا بذلك على صدق وَحْينا ورسولنا، فأنّى يكون للشياطين دور يجعلها تخرج عن مشيئتنا فتفتري علينا!

ثالثاً: بقيت الخاتمة وهي أيضاً تبرز المشيئة الإلهية وخضوع الكلِّ لها: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ قوله تعالى: فأين تذهبون؟ المتناسق مع ما بينته السورة من خضوع كل مخلوق لمشيئته تعالى، فهو القادر على بعثكم في اليوم الذي يكون فيه تكوير الشمس أحد الأمثلة على خروج الكون عن انتظامه معلناً اليوم الآخر.

ولاحظ ختام السورة: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، المشير إلى أن الذي جعل لهذا الكون نظاماً إلى أجل مسمى هو الله الذي شاء ذلك، والذي جعل لهذا الكون نهاية في أجل مسمى ـ وقد ذكر لكم بعض أحداث تلك النهاية وسمى السورة بأبرز تلك الأحداث إلى أبصاركم ـ هو الله الذي شاء ذلك، فأين مشيئتكم أنتم؟ فاسم السورة «التكوير» يدل على المحور الذي التقى عليه البدء والختام في هذه السورة.

بقي سؤالان: لمَ لمْ تسم السور ة بـ « تكوير الشمس » بل اختير المصدر فقط؟ أعتقد أن السبب في ذلك تركيز الاهتمام على قدرة المكوِّر سبحانه وتعالى، وليس على عظمة حجم ما سيقع عليه التكوير. والله أعلم.

والسؤال الآخر: لمَ لمْ تسم السورة سورة «الكشط» أخذاً من قوله تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ، فكشط السماء آيةٌ أعظم من تكوير الشمس؟ والجواب:إن دلالة تكوير الشمس الدالة على السرعة في الخروج عن الانتظام متسقة أكثر مع باقي الآيات الدالة على ذلك في السورة أكثر من كشط السماء، ثم أن الشمس آية أبرز عياناً للناظر من السماء، لأنها جِرم يستطيع الإنسان النظر إليه كجرم كامل، والسماء ليست كذلك، وثالثاً أن آيتي الليل والنهار المذكورتين في السورة والناتجتين عن الشمس متسقتان أكثر من كشط السماء. والله أعلم.

ثانياً: سورة الانفطار

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس: « فطر: الفاء والطاء والراء أصلٌ صحيح يدل على فَتْح شيء وإبرازه ». وزاد الإمام الأصفهاني: « أصل الفَطْر: الشق طولاً » (٥١). وأما الدلالة السياقية فتعود إلى وصف السماء بالانفطار مما يعطي دلالة بأنها ستنشقُّ شقاً عظيماً متزايداً يؤدي بالنهاية إلى دمارها. فاسم السورة يدل على كمال قدرة الله تعالى.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها موضوعاتها، فذكروا أن مقصودها التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة اغتراراً بإحسان الرب وكرمه، ونسياناً ليوم الدين الذي سيحاسب فيه على النقير والقطمير، ولا تغني نفس عن نفس شيئاً،

---

(٥١) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨٤٩، والأصفهاني، **المفردات**، ٦٤٠.

واسمها « الانفطار » أدل ما فيها على ذلك، لأنه يدل على الانقلاب الكوني الذي سيحدث يوم القيامة، وهي تحوي لمسات عتاب وإن كان في طياته وعيد، وبينت أن علة الجحود والإنكار هي: التكذيب بالدِّين، أي الحساب (٥٢).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر وأنه يوم عظيم الهول، من خلال حدث انفطار السماء التي هي أعظم آية عرفها الإنسان، وهو الحدث الأعظم من أحداث يوم القيامة المذكورة في السورة، ولما كان انفطار السماء دالاً على كمال قدرة الله، اختير ليكون اسماً للسورة دالاً على المحور المذكور، وتتميز هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها موضوع يوم القيامة بأنها **سورة تهويل شأن يوم الدين.**

ومن خلال تتبع موضوعات السورة تظهر العلاقة المترابطة بينها وبين دلالة اسم السورة «الانفطار» وبيان ذلك:

تحوي السورة مقدمة فيها أربعة ظروف تفيد تهويل شأن يوم القيامة، مع جواب هذه الظروف، ثم عتاباً للإنسان مع بيان سبب جحوده، ومصير المؤمن والمكذب يوم القيامة، ثم خاتمة لتأكيد التهويل المذكور أول السورة (٥٣).

أولاً: جاء في المقدمة أربعة ظروف تظهر التهويل الشديد ليوم القيامة: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ، ولا بد من مقارنة بعض الأمور المشتركة بين هذه السورة والتي سبقتها «التكوير» من أجل بيان مدى ترابط اسم السورة مع موضوعاتها في السورتَيْن، فمعلوم أن انفطار السماء أعظم آية من تكوير الشمس، فالسماء أعظم آية عرفها الإنسان، ولذلك لاحظ التهويل الزائد ليوم القيامة على ما جاء في التكوير، فلاحظ أولاً: وصف السماء بالانفطار بينما في التكوير كان الحديث عن تكوير الشمس، وهي ليست إلا جرماً صغيراً جداً يسبح في السماء، ثم لاحظ وصف الكواكب بالانتثار الناتج عن ذلك الانفطار، بينما في التكوير وصفت النجوم بالانكدار، وانتثار الكواكب أعظم آية من انكدار النجوم، ولاحظ ثالثاً أن البحار وصفت بالتفجير مما يتناسب مع دلالة الفطر، بينما في التكوير وصفت بالتسجير، والتفجير أعظم من التسجير، وكأن التسجير مرحلة تؤدي بالنهاية إلى التفجير، ثم لاحظ قوله تعالى: وإذا القبور بعثرت، وهو ملائم جداً لوصف السماء بالانفطار، فبعثرة القبور لا تحصل إلا إذا انفطرت الأرض لتخرج منها الأجساد.

ولاحظ جواب الظروف الأربعة: ژ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ژ ، بينما في التكوير قال تعالى: ژڌ ڎ ڎ ڎ ژ، تجد أن السياق زاد في الانفطار في التفصيل لإفادة مزيد التهويل لذلك اليوم. فأنت ترى أن دلالة اسم السورة «الانفطار» مترابطة مع مقدمة السورة الدالة على تهويل ذلك اليوم أكثر مما في التكوير.

---

(٥٢) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن،** ص ١٢٦، البقاعي، **نظم الدرر،** ج ٨، ص ٣٤٧. قطب، **في ظلال القرآن،** ج ٦، ص ٣٨٤٦. والجابري، **أسماء سور القرآن،** ص ١٧٩، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٥٣) المقدمة شملتها الآيات: ١-٥، والعتاب والمصير: ٦-١٦، والخاتمة: ١٧-١٩.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى توجيه عتاب إلى الإنسان مع بيان سبب جحوده: ژ ٹ ٹ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ چ ڇ چ چ ڇ ژ، وكـأن السـياق يقـول: مع كل هذا الإنعام الدال على قدرتنا علـى بعثكم كمـا خلقنـاكم أول مـرة بأحسن صـورة تكذبون بالحساب والجزاء يوم القيامة؟ فتهويل يـوم القيامـة الـذي فيـه الحسـاب مـا زال بـارزاً، ثـم لاحظ كلمة الردع والزجر: كلا، وحرف الإضراب: بل، اللذين يفيدان تهويل يوم الدين. ثم إنك لا تجد في سورة التكوير خطاباً موجهاً للإنسان بنفس القدر الـذي جـاء فـي الانفطـار، لأن التركيـز فـي التكوير كان على مشيئة الله تعالى بشكل أكبر من التركيز على هول يوم القيامة الـذي غفـل عنـه الإنسان كما في الانفطار. إن قلة مخاطبة البشر في التكوير مناسب لإبراز مشيئة الله، ومعاتبة الإنسان في الانفطار مناسب لبيان هول ذلك اليوم.

ثم انتقل السياق إلـى ذكـر الملائكـة الكَتَبـة الكـرام، وأرى أن تـرابط ذلـك مـع دلالات اسـم السورة يعود إلى أن يوم الدين مع أنه عظيم الهول كما دل على ذلك اسم السـورة «الانفطـار»، إلا أنه لا مجال فيه للظلم، بل كل يحاسب بما هو مكتوب في صحائفه، وذلك العدل المطلق.

ومما يفيد التهويل أيضاً لذلك اليوم العظيم التقرير فـي مصـير الأبـرار والفجـار بــ «إن» المفيدة للتوكيد ومزيد الاهتمام مرتَيْن، ولاحظ التهويل في مصير الفجار: ژ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ژ، فأنت ترى أن دلالات اسم السورة «الانفطـار» قـد أضـفى طابع التهويل على كل موضوعات السورة.

ثالثاً: بقيت الخاتمة، وتجد فيها السؤال التجهيلي المفيد للتهويل أيضـاً: ژ ﮓ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ژ، ولاحـظ تكـرار عبـارة (يـوم الـدين) مرتَيْن، ولفظة (يوم) العائدة على يوم الدين مرتَيْن أيضاً، كل ذلك يطلعك على مدى التهويل ليوم الدين المتناسق مع دلالات اسم السورة «الانفطار»، الدال علـى المحـور الـذي التقـى عليـه البـدء والختام في هذه السورة.

ثالثاً: سورة الانشقاق

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس: « شقّ: الشين والقـاف أصـل واحـد صـحيح يـدل علـى انصـداع فـي الشيء، ثم يحمل عليـه ويشتق منـه علـى معنـى الاستعارة، تقول: شققتُ الشـيء أشقُّه شـقاً، إذا صدعتُه». وأكد ذلك الإمـام الأصـفهاني بقولـه: « الشَّـقُّ: الخَـرمُ الواقـع فـي الشـيء» (٥٤). وأمـا الدلالة السياقية فتعود إلى وصف السماء بالانشقاق يوم القيامة، وهو يدل على تصدعها وتقطعها وَسَمْعها لربها وطاعتها له في أمره، فاسم السورة يدل على كمال قدرة الله تعالى. (٥٥).

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

---

(٥٤) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٥١٩، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٤٥٩.

(٥٥)وهناك قول آخر: أي تشققت السماء بالغمام لنزول الملائكة، أخذاً من قوله تعالى: (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً) (الفرقان: ٢٥). ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج ٤، ص ٧١٢.

ذكر بعض المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصودها بيان أن أولياء الله ينعمون، وأعداءه يعذبون، لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث ولا بالعرض على الملِك الذي أوجدهم فينقسمون حين ذلك إلى أهل ثواب وأهل عقاب، واسم السورة «الانشقاق» أدل دليل على ذلك بتأمل الظرف وجوابه . وقد أكدت السورة ذلك بعرضها مشاهد الانقلاب الكوني المتميزة بطابع الاستسلام لله، استسلام السماء والأرض في طواعية وخشوع ويُسْر، وذلك يناسب خطاب الإنسان بلهجة البصير المشفق الرحيم، خطوة خطوة، وفي راحة ويسر، ثم التعجيب من حال الذين لا يؤمنون بعد ذلك كله [٥٦].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر من خلال بيان كمال خضوع واستسلام السماء والأرض والإنسان لأمر الله تعالى في الآخرة، ولما كان انشقاق السماء يوم القيامة أدل آيات السورة على المحور المذكور، سميت السورة به ليدل على المحور، وهذه السورة تتميز عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة بيان خضوع واستسلام السماء والأرض والإنسان لأمر الله يوم القيامة.** والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينه وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وإليك بيان ذلك:

تحوي السورة مقدمة تتحدث عن حال السماء والأرض يوم القيامة، وبيان كمال خضوعهما واستسلامها لربهما، ثم مخاطبة للإنسان وبيان مع بيان مصير المؤمنين والمكذبين، وبيان خضوع الآيات الكونية لله تعالى في الدنيا، ثم خاتمة فيها عتاب ودعوة للإيمان [٥٧].

أولاً: تبتدئ السورة بذكر مشهد انشقاق السماء وخضوعها التام لأمر ربها جل وعلا، ثم خضوع الأرض لأمر ربها أن تُمَد وتلقي ما فيها فلا يبقى فيها شيء، ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ، ولاحظ تكرار عبارة: وأذنت لربها وحقت، الدال على كمال الخضوع والاستسلام، ثم إن هذه السورة هي الوحيدة التي جاءت فيها هذه اللفظة.

ومعلوم أن انشقاق السماء آية أقل تهويلاً من انفطار السماء كما في السورة السابقة، ولذلك لا بد من المقارنة بين الأمور المشتركة بين السورتَين لبيان مدى ارتباط موضوعاتهما بالاسم، فأول ما يلاحظ أن سورة الانشقاق لم تفصل في الأحداث الكونية على الوجه الذي تراه في سورة الانفطار، لأن مقصودها الدلالة على كمال الخضوع والاستسلام وليس التهويل كما في الانفطار، ويلاحظ ذكر خضوع الأرض واستسلامها في الانشقاق، ولا تجد ذكراً للأرض بشكل مباشر في الانفطار.

وقوله تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ متناسق مع الدلالة اللفظية للانشقاق، الدال على التصدع، وصيغة الماضي للأفعال، والفعل المبني للمجهول في قوله (مدت)، تؤكد كمال الخضوع، وكأنه أمر قد حصل وانتهى.

([٥٦]) البقاعي، الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن،** ص ١٢٧، **نظم الدرر،** ج ٨، ص ٣٦٧، وقطب، **في ظلال القرآن،** ج ٦، ص ٣٨٦٤، وطبّارة، **تفسير جزء عم،** ص ٧١، وطهماز، **من سورة الطور إلى سورة الناس،** ص ٤٠٥.. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.
([٥٧]) المقدمة شملتها الآيات: ١-٥، ومخاطبة الإنسان: ٦- ١٩، والخاتمة: ٢٠- ٢٥.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى دعوة الإنسان إلى الإيمان باليوم الآخر وبيان مصير المؤمن والكافر فيه، ويلاحظ هنا مزيد التفصيل في ذكر مصير الفريقين: المؤمنين والمكذبين على نحو لا تجده في الانفطار، فمزيد التفصيل في الانشقاق دال أيضاً على كمال الخضوع والاستسلام لله تعالى، ولاحظ قولَه تعالى: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ ، فقد أكد السياق ملاقاة الإنسان جزاء كدحه بالفاء، مما يدل على مزيد الخضوع والاستسلام. وقولَه تعالى: ﮋ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮊ الدال على خضوع الإنسان لأمر ربه بالبعث سواء شاء الإنسان ذلك أم أباه.

ثم انتقلت السورة إلى القسم ببعض المظاهر الكونية الدالة على الخضوع والاستسلام التام لرب العالمين في الدنيا: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ، ولا يخفى ارتباط هذه الآيات الكونية بالسماء التي أضيف إليها الانشقاق أول السورة، ولاحظ قوله تعالى: والقمر إذا اتسق، إذ إن اتساق القمر آية تكاد تكون عكس انشقاق السماء تماماً. وكأن السياق يقول: إن الذي خلق هذه الآيات على نحو تكون فيه كاملة الخضوع والاستسلام، هو القادر على بدء يوم القيامة بانشقاق السماء ومد الأرض أيضاً، وانظر جواب القسم الدال على خضوع البشر لأمر ربهم شاءوا أم أبوا: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ .

ثالثاً: وفي خاتمة السورة تجد التعجيب من حال الكافر الذي لا يؤمن باليوم الآخر بعد ذكر هذه الآيات وتبشيرهم بالعذاب الأليم الذي يستثنى منه المؤمنون الذين لهم أجر عند ربهم غير ممنون. واللافت للنظر أن السياق دعا خلال ذلك إلى السجود لرب العالمين حينما يذكرهم القرآن ببيان أن كل ما في الكون مستسلم خاضع لله عز وجل، كما قال تعالى في سورة الرعد: ﮋ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ وكذلك قوله تعالى في سورة النحل: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ.

فأنت ترى أن دلالات الخضوع والاستسلام التي دل عليها اسم السورة «الانشقاق» قد أضفى دلالاته على كل موضوعاتها، فهو لا شك دال على المحور المذكور والذي التقى عليه البدء والختام في هذه السورة.

أولاً: سورة الأعراف

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن منظور: « عُرف الديك والفرس والدابة وغيرها: منبت الشعر والريش من العنق، وأعْرَفَ الفرسُ: طال عرفُه، وعرف الأرض: ما ارتفع منها، والجمع أعراف، والأعراف في اللغة: جمع عُرف وهو كل عالٍ مرتفع، قال الزجاج: الأعراف: أعالي السور»[٥٨]. وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود على أرجح الأقوال إلى وصف حال من تساوت حسناتهم وسيئاتهم يوم القيامة، إذ يوقفون على أعالي سور بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته، فاسم السورة يدل على قدرة الله على البعث والحساب وجزاء المؤمن والكافر يوم القيامة [٥٩].

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجها لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصودها إنذار مَنْ أعرض عما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية ـ الأنعام ـ من التوحيد والاجتماع على الخير، وتحذيره بقوارع الدارين، وأدل ما فيها على هذا المقصد أمر الأعراف، فإن اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة والنار والوقوف على حقيقة ما فيهما، وهذا المحور متمثل في موضوعات السورة إذ تعرض مسيرة العقيدة في التاريخ البشري المتمثل في موكب الإيمان من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتبين موقف المؤمنين والمكذبين من الأقوام تجاهها، وعاقبة الفريقين في الدنيا والآخرة [٦٠].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان بآيات الله تعالى وتعظيمها من خلال عرض مسيرة العقيدة التي جاءت بها هذه الآيات عن طريق الرسل في التاريخ البشري، والتحذير من بأس الله في الدنيا والآخرة لمن كذّب بها واستكبر عنها. وقد اختير اسم «الأعراف» لهذه السورة لأن سياق ذكرهم أدل ما في السورة على حقيقة وقوع بأس الله في المكذبين والمستكبرين عن آيات الله التي جاء بها الرسل، ونجاة المؤمنين بالرسل والآيات وأمانهم من بأسه تعالى، ثم إن أهل الأعراف أكثر الناس خوفاً من بأس الله في ذلك الموقف العصيب، وهذه السورة تميزت عن باقي السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القيامة بأنها **سورة بيان المصير النهائي للمؤمنين والمكذبين بآيات الله التي عرضتها مسيرة العقيدة في التاريخ البشري في الدنيا.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وإليك بيان ذلك:

---

(٥٨) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٠، ص ١١٣.
(٥٩) من المفسرين الذين اعتمدوا هذا القول: الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط ٤، ١٠م، (ت: أحمد البكري وزملائه) دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٩. م ٥، ص ٣٥٢٢. والزمخشري، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ)، **تفسير الكشاف**، ط ٤، ٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦. ج ٢، ص ١٠٣، وابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط ٢، ٤ م، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٥. ج٢، ص ٢٩٨.
(٦٠) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن**، ص ٤٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٣، ص ٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٣، ص ١٢٤٤- ١٢٥٣، والصابوني، **صفوة التفاسير**، ج ١، ص ٤٠٢، ود. شحاتة، **أهداف كل سورة ومقاصدها**، ج ١، ص ٩١.

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولاً: مقدمة تدعو إلى الإيمان بهذا القرآن العظيم، ثانياً: عرض قصصي لمسيرة العقيدة التي جاء بها الرسل منذ آدم إلى موسى مع بني إسرائيل، ثالثاً: تعقيب بذكر أدلة عقلية على عقيدة التوحيد ومحذرة من الكفر والشرك، رابعاً: خاتمة مؤكدة لما سبق [٦١].

أولاً: جاءت مقدمة السورة داعية إلى الإيمان بالقرآن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم،ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ، ومحذرة من عقوبة من لم يؤمن بآيات الله يوم القيامة، واللافت للنظر أنك تجد قوله تعالى: ﮋ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ المحذر من بأس الله، وتجد فيها أيضاً أن سبب الخسران في يوم القيامة هو: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ وهذا يؤكد المحور المذكور، فأنه يحذر من بأس الله في المكذبين الذين سيبين مشهدُ الأعراف حقيقة وقوع بأس الله بهم.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض مسيرة عقيدة التوحيد، فابتدأ السياق بقصة آدم عليه السلام، وهي قصة منسجمة تماماً مع التحذير من العقوبة الأخروية، لأنه عليه السلام يمثل البداية للبشر، ويوم القيامة يمثل نهاية مطافهم، واللافت أنك تجد في القصة تركيزاً على تكبر إبليس عن الأمر الإلهي بتفصيل لا تجده في سورة أخرى من القرآن، ولاحظ قوله تعالى: ﮋ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﮊ، وذلك ملائم لمحور السورة، فإبليس أول المتكبرين، وهو أكبر داعٍ إلى التكبر عن آيات الله. وسيبين مشهد الأعراف مصير هؤلاء المتكبرين.

ولاحظ في التعقيب على القصة قوله تعالى المحذر من الاستكبار عن آيات الله: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □.. ﮊ، وفيه تصريح بالدعوة إلى الإيمان بآيات الله ورسله وعدم التكبر عنها.

ثم انتقل السياق إلى مشهد أخروي يبرز حقيقة وقوع بأس الله في المكذبين والمستكبرين عن آياته: ﮋ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ، وحقيقة أمان المؤمنين من بأس الله تعالى، وأن الذي نجاهم إيمانهم بآيات الله ورسله: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □□ ﯼ ﯽ ﯾ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ.

ويأتي مشهد الأعراف ليؤكد هذه الحقيقة بأجلى صورة، فلاحظ قوله تعالى عن المستكبرين والكافرين: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ، وكيف حاق بهم بأس الله تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □

---

(٦١) المقدمة شملتها الآيات: ١ – ١٠، والعرض القصصي لمسيرة التوحيد: ١١ ـ ١٧١، والتعقيب بذكر أدلة التوحيد: ١٧٢ ـ١٩٨، والخاتمة: ١٩٩ ـ ٢٠٦.

□ □ □ □ ى ى يي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، بينما نجى إيمان أهل الأعراف من بأس الله: ژے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﯓ ﯔﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ژ.

فإذاً، اسم السورة «الأعراف» ودلالاته يطلعنا على حقيقة وقوع بأس الله في المكذبين والمستكبرين عن آيات الله ورسله، ونجاة المؤمنين من ذلك البأس. فلننظر مدى الترابط بين ذلك وباقي موضوعات السورة.

ثم انتقل السياق إلى ذكر بعض الأدلة العقلية على التوحيد، فالله الذي يغشي الليلَ النهارَ، وسخر الشمس والقمر والنجوم، وأرسل الرياح بشراً، وأنزل من السماء ماء فأحيا به بلدة ميتاً، كذلك يخرج الموتى، وتتناسب هذه الأدلة مع دلالات اسم السورة من جهتَيْن: فالتوحيد هو الأصل الأعظم الذي تدعو إليه رسل الله وآياته، وقد بين مشهد الأعراف مصير من آمن وكذب بالآيات والرسل، ثم إن ذكر قدرة الله على إحياء الموتى يثبت حقيقة مشهد الأعراف الأخروي.

ثم انتقل سياق السورة إلى قصة نوح عليه السلام، فتجد فيها الدعوة إلى الإيمان برسالات الله: ژﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ژ، ثم لاحظ التركيز على موقف الملأ المتكبرين: ژ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ژ وتجد فيها التحذير من بأس الله الذي حاق بالمكذبين، ونجاة المؤمنين: ژ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ژ. وقد فصل مشهد الأعراف حقيقة وقوع بأس الله في المتكبرين يوم القيامة، ونجاة المؤمنين في ذلك اليوم.

ثم تأتي قصة هود عليه السلام، فتجد فيها الدعوة إلى الإيمان: ژ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □□ □□ □ □ □ □ ژ، وتجد فيها التركيز على موقف الملأ المتكبرين أيضاً: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ ، وتجد فيها أيضاً أن بأس الله قد حاق بالمكذبين، ونجاة المؤمنين: ژ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ژ.

ثم تأتي قصة صالح عليه السلام، فتجد فيها أيضاً بيان موقف المستكبرين عن آيات الله: ژ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ژ، وتجد بأس الله قد حاق بهم بسبب تكذيبهم: ژ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ژ.

ثم تأتي قصة لوط عليه السلام، فتجد فيها أيضاً عرض موقفهم المتكبر: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ژ، وتجد فيها نجاة المؤمنين، وبأس الله قد نزل بالمجرمين: ژ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ژ.

ثم تأتي قصة شعيب عليه السلام، فتجد فيها الدعوة إلى الإيمان بآيات الله: ژ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ... ژ، وتجد فيها موقف المستكبرين: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ژ وتجد فيها وتجد فيها بأس الله ومكره قد حاق بهم بسبب كفرهم برسالات الله: ژ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ

ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮭﮮ ﯖﯕ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ
  ﮊ.

فأنت تلاحظ أن كل هذه القصص حوت تركيزاً على الدعوة إلى الإيمان بآيات الله ورسالاته، وحوت تركيزاً على موقف المستكبرين والمكذبين وبيان كيف حاق بهم بأس الله، وتركيزاً على نجاة المؤمنين من ذلك البأس، وذلك متناسق أشد التناسق مع مشهد «الأعراف» الذي أكد كل ذلك في اليوم الآخر بالتفصيل.

ثم يأتي التعقيب الإلهي على هذه القصص محذراً من بأس الله ومكره لمن كذّب، ومُثْبتاً قانوناً ربانياً يقي المؤمن من ذلك: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ.

ثم تأتي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وقد امتازت قصته في هذه السورة بعدة أمورٍ تؤيد المحور الذي ذكرته، وتتلاءم مع اسم السورة «الأعراف» بدلالاته المذكورة:

فقد عرضت الموقف المستكبر لفرعون وملئه: ﮋ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ، ومن ذلك أنها فصلت في عرض الآيات التسع التي أيد الله بها موسى عليه السلام ولا تجد ذلك في سورة أخرى من القرآن، وعرضت الموقف المستكبر لفرعون وملأه منها: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ، وانظر ماذا كان سبب غرقهم: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ. فالتركيز على موقف المستكبرين والمكذبين مهيمن على سياق القصة.

أما فيما يتعلق بقصة موسى عليه السلام مع قومه من بني إسرائيل فتجد فيها أموراً قد انفردت هذه السورة بعرضها، وهي متناسقة مع المحور المذكور ودلالات اسم السورة، فمن ذلك: ذكر طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام آلهة يعبدونها بعدما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فكان هذا المشهد عرضاً لموقفهم من آيات الله مع فرعون وقومه التي رأوها بأم أعينهم، ثم كانت النتيجة أنهم أرادوا عبادة إلهٍ غيره! ولم يكد موسى عليه السلام يفارقهم حتى اتخذوا العجل إلهاً من بعده، وانظر كيف نزل بهم بأس الله: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ.

ومن ذلك طلب موسى عليه السلام رؤية الله عز وجل، واصطفاء موسى سبعين رجلاً لميقات الله فأخذتهم الرجفة ، وبمقارنة بسيطة بين هذه الأمرين نجد أن موسى عليه السلام قد قال حينما أفاق: ﮋ... ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ، وأما بنو إسرائيل فقد أصروا على الكفر حتى يروا الله جهرة، فأخذتهم الرجفة، فشتان بين مقولة موسى عليه السلام، بين موقف قومه.

ومن ذلك التركيز على أهمية الإيمان برسالات الله إلى موسى عليه السلام: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ

ﭼ ﭽ ﭾﮊ، ولاحظ قوله تعالى في المتكبرين والمكذبين بتلك الآيات: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮊ.

وفي سياق ذلك تأتي دعوة إلى الإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مؤكدة لمحور السورة المذكور: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ.

ومن ذلك التفصيل في مخالفتهم يوم السبت وإنكارهم على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فهذا أيضاً موقف مشين لبني إسرائيل من آيات الله تعالى، ثم تجد أن الله قد أنزل بهم بأسه فمسخهم قردة وخنازير. فأنت تجد أن السياق يركز على المواقف المشينة لبني إسرائيل بعدما رأوا من آيات الله ما رأوا، لكنهم أصروا على الاستكبار والكفر، وفي كل مرة ينالون قسطاً من بأس الله. ولا يخفى ترابط ذلك مع اسم السورة «الأعراف» ودلالاته المذكورة.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى التحذير العام لبني آدم من الشرك والدعوة إلى نبذه والالتزام بالتوحيد أصل الرسالات الإلهية، مع ذكر مصير أحد الذين أتبعوا هواهم وانسلخوا من آيات الله، فقد حاق به بأس الله: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ.

ثم عاد السياق إلى التأكيد على حقيقة الحساب الأخروي ،مع ذكر أدلة عقلية تثبت هذه الحقيقة، وتجد في سياق الحديث عن ذلك قوله تعالى المحذر من مكر الله وبأسه: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮊ.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التحذير من الشرك بالله عز وجل، باعتباره أكبر مظاهر التكذيب بآيات الله، والتذكير بالتحذير من الشيطان وأعوانه، وتختم السورة بتعظيم آيات الله وبيان أنه ليس للنبي صلى الله عليه وسلم أي دور فيها سوى التلقي عن الله عز وجل، والتحذير من التكذيب والاستكبار عن رسالته صلى الله عليه وسلم : ﮋﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ ﯫ ﯬﮊ.

هكذا تجد بعد التطواف في مواضيع السورة كلها أنها جاءت متضمنة لموضوعَيْن يمثلان محور السورة: تعظيم آيات الله التي فصلت في عرضها مسيرة العقيدة في التاريخ البشري، والدعوة إلى الإيمان بها وبيان نجاة مَن آمن، والتحذير من بأس الله لمن كذب بها واستكبر عنها. وهما موضوعان قد جلّاهما مشهد الأعراف الذي سميت السورة باسمه أيما تجلية. ولذلك سميت السورة به للدلالة على المحور المذكور.

ثانياً: سورة الزمر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس: « الزاء والميم والراء أصلان: أحدهما يدل على قلة الشيء، والآخر جنس من الأصوات، فالأول: الزَّمَرُ: قلة الشعر، والزَّمِر: قليل الشعر، والأصل الآخر: الزَّمر والزِّمار، صوت النعامة، وأما الزُّمرة: فالجماعة، وهي مشتقة من هذا، لأنها إذا اجتمعت كانت لها جلبةٌ وزمارٌ »، وقد أكد الإمام الأصفهاني ذلك فقال: « ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ جمع زُمرة، وهي الجماعة القليلة» [٦٢]. وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى وصف سوق المؤمنين إلى الجنة والكافرين إلى النار يوم القيامة، فمعنى « زمراً » في حق الكافرين: « جماعات أفواجاً متفرقة بعضها في أثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة»، وفي حق المؤمنين المتقين: « جماعات مرتبة حسب ترتب طبقاتهم في الفضل» [٦٣]، فاسم السورة يؤكد قدرة الله على البعث والحساب والجزاء يوم القيامة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن تسميتها بـ «الزمر» يشير إلى تفصيل الجزاء وإلزام الحجة وبطلان المعذرة، وأن مقصودها الدلالة على أنه سبحانه صادق الوعد، وغالب على كل شيء، وعلى ذلك دلت تسميتها بالزمر لأنها إشارة إلى أنه أَنزلَ كُلًّا من المحشورين داره المُعدّة له بعد الإعذار في الإنذار، بعد أن بينت أحوالاً شتى لأفواج متباينة من الخلق في الدنيا، قوبلت كل زمرة بأخرى، وبذلك تكون السورة تعالج قضية التوحيد وتطبعه في النفوس [٦٤].

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال عرض مقابلات بين بعض أحوال المؤمنين الموحدين في الدنيا، وبين بعض أحوال الكافرين المكذبين فيها، وبيان جزاء الفريقين في الآخرة. ولما كان مشهد الزمر الذي يبين الإهانة والتحقير للكافرين المتكبرين، والترحيب والتكريم للمتقين العاملين أدل ما في السورة على مصير كلا الفريقين، سميت السورة به ليدل على المحور المذكور، وتميزت هذه السورة عن غيرها من السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة بيان مصير المؤمنين الموحدين والكافرين المتكبرين في ذلك اليوم، بعد عرض مقابلات بين حال الفريقين في الدنيا.**

وبتأمل سياق السورة يبرز الترابط الوثيق بين اسم السورة «الزمر» ودلالاته، وبين مقدمة السورة وخاتمتها، وما بين المقدمة والخاتمة من المقابلات الثمان لأحوال المؤمنين والكافرين، وفيما يلي بيان ذلك [٦٥]:

---

(٦٢) ابن فارس، **المقاييس**، ٤٦٠، والأصفهاني، **المفردات**، ٣٨٣.

(٦٣) الآلوسي، محمود (ت ١٢٧٠ هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط ١، ١٦ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١. ج ١٢، ص ٢٨٦، ٢٨٧.

(٦٤) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج٢، ص ٢١٠، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ٤١٢، قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٣٠٣٣، ٣٠٣٤. والغزالي، محمد، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، ط ١٣، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣. ص ٣٥٦، وذكر أن في السورة ثلاث عشرة مقابلة، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٦٥) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١ -٧، والخاتمة في مشهد الزمر: ٦٧ - ٧٥.

أولاً: في مقدمة السورة تجد مقابلة بين النبي صلى الله عليه وسلم المأمور بالتوحيد الخالص لله، وبين حال المشركين: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ.

وفي المقدمة مقابلةٌ ثانية بين حال المؤمنين المأمورين بالشكر لله، وبين حال الكافرين الجاحدين: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ. وهاتان المقابلتان تبينان بعض أحوال زمر المؤمنين وبعض أحوال زمر الكافرين، الذين عرض مشهد «الزمر» مصيرَهما يوم القيامة.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عدد من المقابلات بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين، وغالباً ما كان يعقب على تلك المقابلات بذكر مصير الفريقين يوم القيامة، وذلك متناسق مع مشهد «الزمر» الذي يعرض حقيقة مصير الفريقين في ذلك اليوم ويؤكدها أشد التأكيد:

فالمقابلة الأولى بين الكافر الجاحد لنعمة ربه، وبين المؤمن العابد الراجي لرحمة ربه: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﯦ ﯧ □ ﮊ. ولاحظ قوله تعالى عن الكافر: إنك من أصحاب النار، وعن المؤمن: إنما يوفى الصابرون بغير حساب. فقد ذكرت هذه المقابلة مصير الفريقين يوم القيامة، وهي حقيقةٌ أكدها مشهد «الزمر» الذي سميت السورة به.

والمقابلة الثانية بين النبي صلى الله عليه وسلم المأمور بالتوحيد الخالص وأتباعه الموحِّدين المبشَّرين، وبين المشركين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ. وكما في المقابلة الأولى تجد التعقيب على المقابلة بذكر مصير الفريقين يوم القيامة: ﮋ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ.

والمقابلة الثالثة بين حال المؤمنين الذين شرح الله صدورهم للإسلام وللقرآن، وبين الكافرين القاسية قلوبهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ. ولاحظ التعقيب بذكر المصير الأخروي للكافرين: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ.

والمقابلة الرابعة في الـمَثل الذي يوضح حال الموحدين والمشركين: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ ﮊ.

والمقابلة الخامسة بين حال الكافرين المكذِّبين، وبين المؤمنين الصادقين المصدِّقين: ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ. ولاحظ التعبير في قوله تعالى عن مصير الكافرين: أليس في جهنم مثوى للكافرين، والتعبير عن مصير الكافرين في مشهد الزمر: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ، ولاحظ أيضاً التعبير في قوله تعالى عن المؤمنين المصدقين: لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين، والتعبير عنهم في مشهد الزمر: ﮋ□ ﮊ. فأنت ترى أن مشهد الزمر يؤكد كل ما في هذه المقابلات من خلال عرض مصير الفريقين يوم القيامة، فهو الاسم الأجدر للسورة.

والمقابلة السادسة بين المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، وبين النبي صلى الله عليه وسلم الموحِّد: ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ، ولاحظ أيضاً التعقيب بذكر مصير المشركين الظالمين يوم القيامة: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ □ □ ﮊ.

والمقابلة السابعة بين المؤمنين الراجين لرحمة ربهم والمتبعين ما أنزله إليهم قبل فوات الأوان: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ ﮊ، وبين الكافرين المستكبرين الذين فاتهم الأوان: ﮋ □ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ.

ولاحظ التعقيب بذكر مصير الفريقين يوم القيامة: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ. ولاحظ تكرار السؤال: أليس في جهنم مثوى للمتكبرين، وقد بينتُ تناسقه مع مشهد الزمر في المقابلة الخامسة، ولاحظ أيضاً قوله تعالى عن مصير المؤمنين: لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون، ولا يخفى تناسقه مع التعبير عن مصير المؤمنين في مشهد الزمر.

وأما المقابلة الثامنة فهي بين المشركين، وبين النبي صلى الله عليه وسلم المأمور بالتوحيد، وبذلك يلتقي آخر السورة بأولها: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ.

ثالثاً: الخاتمة، وهي تحوي المقابلة التاسعة في مشهد سَوْق الكافرين إلى جهنم زمراً، و سوق المتقين إلى الجنة زمراً: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ.

يقابله قوله تعالى: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ. وهو يحوي تأكيداً لكل تلك المقابلات التي ذكرها السياق بين بعض أحوال المؤمنين الموحدين العاملين الراجين

رحمة ربهم، وبين بعض أحوال الكافرين المكذبين المشركين المتكبرين في الدنيا، وما أعقب تلك المقابلات من ذكر مصير الفريقين يوم القيامة. فكونُ مشهد الزمر هو الأطول والأكثر تأكيداً لتلك الحقائق التي عبرت عنها المقابلات المذكورة في السورة بين أحوال الفريقين، فقد استحق بذلك أن تسمى السورة باسمه ليدل على المحور المذكور.

ثالثاً: سورة الدخان

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى حديثها عن تهديد المشركين بآية الدخان، وهي إما أن تكون آية ناتجة عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قريش بسنين عجاف، حتى أصبح أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجهد، وإما أن تكون لوناً من ألوان عذاب الكافرين يوم القيامة، وعلى كلا المعنيين تكون آية الدخان دالة على قدرة الله تعالى على إهلاك المكذبين والبعث والجزاء [٦٦].

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور السورة يدور حول تقرير حقيقة الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء، فهي تنذر بالهلاك لمن لم يقبل ما في القرآن من الخير والبركة والرحمة، وذلك بما فيها من وسائل لإيقاظ القلب البشري واستجاشته لاستقبال الإيمان، كالقصة ومشاهد القيامة ومصارع الغابرين ومشاهد الكون، وآية الدخان دالة على ذلك على كلا المعنيين [٦٧].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان بما يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن من كمال قدرة الله تعالى على إهلاك المكذبين والبعث ثم الحساب، ولما كانت آية الدخان (على المعنيين المذكورين) دالة على المحور المذكور، سميت السورة بها للتحذير من التكذيب. وقد تميزت هذه السورة عن السورة التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة التهديد بقدرة الله تعالى على إهلاك المكذبين في الدنيا (إذا اعتُمد ما ذُكر في سبب النزول)، أو سورة التهديد بأحد ألوان العذاب يوم البعث (على اعتبار أن الدخان من أحداث يوم القيامة).**

---

(٦٦) من المفسرين الذين رجحوا أن الدخان آية ناتجة عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قريش: الطبري، **جامع البيان**، ج ٩، ص ٧٣٤٠، والآلوسي، **روح المعاني**، ج ١٣، ص ١١٦، ١١٧، ومن المفسرين الذين ذكروا الوجهين دون ترجيح: الزمخشري، **الكشاف**، ج ٤، ٢٦٥، ٢٦٦، والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٢٧، ص ٢٤٣- ٢٤٥، ومن المفسرين الذين رجحوا القول الثاني: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ١٨٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ٣٢١٢. وقد اعتمد القائلون بالقول الأول على رواية في **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، برقم: ١٢٤٨، **وصحيح مسلم**، باب صفات المنافقين، برقم: ٢٧٩٨.

(٦٧) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٦٢، وقد ذكر المعنيين دون ترجيح، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ٣٢٠٦- ٣٢١٢، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٥، ص ٢٧٦- ٢٩٤، وقد رجح المعنى الأول، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ١٤٣، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يل بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تنذر المكذبين بآية الدخان كونها دالة على قدرته على العذاب يوم القيامة، ثم عرض قصصي يؤكد قدرة الله على إهلاك المكذبين، مع تعقيب يؤكد قدرته على البعث، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق (٦٨).

أولاً: جاء في مقدمة السورة دعوة إلى الإيمان بهذا القرآن وما فيه من الإخبار عن كمال قدرة الله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ، فالذي أنزل القرآن هو الله القادر على البعث.

وقد بينت المقدمة في المقابل موقف المكذبين: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ، وفي هذا إثبات لقدرته تعالى على إهلاك المكذبين أيضاً كما هو قادر على البعث، وبالإمكان إثبات ذلك سواء على المعنى الأول للدخان، فتكون استجابة الله لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم حتى أصبحوا يرون ما بينهم وبين السماء كهيئة الدخان من أثر الجهد والجوع، دليلاً على قدرته على الإهلاك بالبطشة الكبرى سواء في يوم بدر أو في يوم القيامة، بعد أن رفع عنهم آية الدخان هذه لعلهم يرجعون، أو أن يكون الدخان من علامات يوم القيامة، فهو دال على قدرته تعالى على الإهلاك والبعث، وهو عذاب مكشوف عنهم إلى ذلك اليوم، لعلهم يرجعون.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصصي يؤكد قدرة الله تعالى على إهلاك المكذبين: ﮋ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﮊ، ولاحظ ذكر دعاء موسى عليهم، وهو مشابه لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قريش ـ على المعنى الأول للدخان ـ وقد استجاب الله لموسى وبشره بالفرج وإهلاك المجرمين (٦٩).

وأعتقد أن اختيار قصة موسى عليه السلام للعرض في هذه السورة مشابه أيضاً لسبب النزول المذكور من ناحية ثانية، وهي أن القرآن قد أخبرنا في سورتي الأعراف والزخرف أن الله ابتلى فرعون وقومه بسبع آيات، إلى أن قال الله تعالى عنهم في سورة الأعراف: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ. والله أعلم.

ثم انتقل السياق إلى تعقيب يبين قدرة الله تعالى على البعث، بعد بيان قدرته على إهلاك المكذبين: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ □ ﯞ ﯟ ﯠ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ الرد عليهم ببيان مصارع المكذبين، وكما هو خالق السماوات

---

(٦٨) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٦، والعرض القصصي مع التعقيب: ١٧- ٣٩، والخاتمة: ٤٠- ٥٩.

(٦٩) قد أشار أ.د فضل عباس إلى التشابه بين سبب النزول المذكور ومشاهد قصة موسى هذه، واعتبر أن انتقام الله من المشركين بالبطشة الكبرى يوم بدر، مشابه لبطشه بإغراق فرعون وجنوده. ينظر: **قصص القرآن الكريم**، ص ٥٥٠.

والأرض بالحق، قادر على بعث الجميع يوم القيامة. فسياق السورة كما ترى يؤكد دلالة اسم السورة على قدرة الله على إهلاك المكذبين والبعث ليوم الحساب.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التأكيد على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء، ببيان مصير المكذبين في ذلك اليوم: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڃ ڃ ڃ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ. وببيان مصير المؤمنين المتقين: ژ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ژ.

وكما افتتحت السورة بالدعوة إلى الإيمان بما جاء في القرآن من بيان قدرة الله تعالى على إهلاك المكذبين والبعث ليوم القيامة، ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على دعوة الناس بهذا القرآن، وأمرته بارتقاب إهلاك المكذبين إن أصروا على تكذيبهم، أو بارتقاب ما سيصيرون إليه يوم القيامة: ژ ﭙ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ. وبذلك التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

رابعاً: سورة الجاثية

الدلالة اللغوية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن منظور: «جثا يجثو ويَجْثي جُثُواً وجُثِيّاً، على فعول فيهما: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها، والجاثي: القاعد، وفي التنزيل: ژ ڤ ڤ ڤ ۇژ (الجاثية: بعض الآية: ٢٨) قال مجاهد: مستوفِزين على الركب، قال أبو معاذ: المستوفِز: الذي رفع أَلْيَتَيْه ووضع ركبتيه» [٧٠]. وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى بيان حال الأمم يوم القيامة، إذ إنها ستجثو بين يدي ربها الجبار بكل خضوع واستسلام وخوف، وذلك يدل عل قدرة الله على البعث.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة الدلالة على أن الله الذي أنزل هذا الكتاب وشرع هذا الشرع الذي هو غاية الاستقامة، هو العزيز والمختص بالكبرياء، فهي تدعم البناء العقلي للإيمان من خلال النظر في ملكوت السماوات والأرض، فمن المكلفين من حكّم عقله فسمع وأطاع، ومنهم من تبع هواه فضلَّ، وقد اقتضت حكمة الله أن يجمع الخلق ليوم الفصل ويدين عباده، فالسورة تصور جانباً من استقبال المشركين للدعوة الإسلامية، وطريقتهم في مواجهتها، وكذلك تبين موقف أهل الكتاب، وفريق آخر لا يعرف حُكْماً يرجع إليه إلا هواه، وفريق ينكر الآخرة والبعث والحساب، ثم بينت حال أولائك كلهم يوم القيامة من خلال مشهد الجثو بين يدي الله [٧١].

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: بيان عظمة الله تعالى وحكمته المتجلية في الدنيا بآياته الكونية والقرآنية، وبيان موقف الأمم من تلك

---

(٧٠) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٣، ص ٧٧.

(٧١) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد سور القرآن**، ص ٩٧، والمهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٦٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧ ، ص ٨٨، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٣٢١٩ و ٣٢٢٠، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٣٨٧. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

الحقيقة في الدنيا، وبيان عظمة الله وحكمته في الآخرة من خلال مشهد جثو تلك الأمم بين يدي ربها ذي الكبرياء والعظمة، لتنال كل أمة جزاءها العادل، وإنما اختير من مشهد جثو الأمم يوم القيامة اسماً للسورة «الجاثية» لأن فيه أبلغ تعبير عن ذلك المحور. وقد تميزت هذه السورة عن غيرها من السورة التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة الحساب الإلهي الجماعي للأمم يوم القيامة**.

وفيما يلي بيان مدى الترابط بين اسم السورة «الجاثية» ودلالاته، مع موضوعات السورة:

تحوي السورة مقدمةً فيها أدلة عقلية على تعظيم الله وقدرته على البعث، ثم حديثاً عن خمسة أفرقة من الناس تجاه الإيمان بآيات الله، وهم: كل أفاك أثيم، وأهل الكتاب، والأمة الإسلامية متمثلة بالقيادة المحمدية، ثم كل من اتخذ إلهه هواه، والدهريون، ثم خاتمةً عُرض فيها مشهد جثو الأمم بين يدي ربها [٧٢].

أولاً: تأتي مقدمة السورة تحوي بعض الآيات الكونية والقرآنية الدالة على عظمته وحكمته في الدنيا: فذكرت أن منزل الكتاب هو الله العزيز الحكيم: ژ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ژ، وانظر قوله تعالى الذي فيه تعظيم الله من خلال الآيات القرآنية: ژ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ژ. أما الآيات الكونية التي تبين عظمة الله: ژ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ، فانظر كيف افتتحت السورة ببيان عظمة الله تعالى وحكمته الذي ستجثو الأمم بين يديه يوم القيامة لتنال منه جزاءها العادل.

ثانياً: ثم انتقل السياق لبيان حال الفريق الأول من الناس تجاه الإيمان بعظمة الله وحكمته، وهم كل أفّاك أثيم مستكبر عن آيات الله، وابتدأ السياق بهم لأنهم أكثر الأمم إثماً، وأعظمهم جرمــاً: ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۋ ۋ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ې ې ې ې ې ې ې ې ى ى ژ. ولاحظ أن السياق قد ذكر المصير الأخروي لهذا الفريق، ولا يخفى ترابط ذلك مع مشهد جثو الأمم يوم القيامة الذي سميت السورة به، فهذا الفريق هو أحد الأمم الجاثية في ذلك الموقف.

وقبل الانتقال للفريق الثاني أعاد السياق ذكر آيات كونية تدل على عظمته تعالى، ثم أمرت المؤمنين المستضعفين بالغفران والصبر على المكذبين: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤژ، والتناسق بين تلك الأدلة وأمر المؤمنين واسم السورة واضح، فهو سبحانه مع عظمته يمهل لكن لا يهمل، ويصبر المؤمنين بأن هؤلاء المكذبين سينالون جزاءهم في اليوم الذي سيجثون فيه بين يدي الله.

وانتقل السياق إلى الفريق الثاني وهم أهل الكتاب: ژ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چچ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ

(٧٢) المقدمة شملتها الآيات: ١ ــ ٦، والفريق الأول: ٧ ــ ١١، والفريق الثاني: ١٥، ١٦، والفريق الثالث: ١٧ ــ ١٩، والفريق الرابع: ٢٣، والفريق الخامس: ٢٤ -٢٦، والخاتمة: ٢٧ -٣٧.

ژ ڑ ک ڬ ڭ ڮ گ ڰ ڱ گ ڳ ژ، ولاحظ كيف ذكر سبحانه أنه سيقضي بينهم يوم القيامة، ولا يخفى ترابط ذلك مع اسم السورة ودلالاته، فأهل الكتاب أحد الأمم التي ستجثو بين يدي ربها يوم القيامة، لتنال جزاءها العادل.

أما الفريق الثالث فهم الأمة الإسلامية متمثلة بقيادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ژ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ھ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۏ ے ۓ ﮰ ﮱ ژ، ولاحظ أن السورة أمرت النبي صلى الله عليه وسلم باتّباع شرع الله تعالى، وبينت أن الله ولي المؤمنين المتقين، وذلك متناسق مع مشهد جثو الأمم يوم القيامة، فالأمة الإسلامية أحدى الأمم الجاثية في ذلك الموقف، ثم يدخل الله من آمن وعمل صالحاً منهم في رحمته، ذلك هو الفوز المبين.

ولاحظ التعقيب على ذكر تلك الأفرقة الثلاثة بما يؤكد حقيقة مشهد جثو الأمم يوم القيامة: ژ ۆ ۈ ۇ ۋ ۅ ۉ ې ې □ ى ي ي ژ.

ثم انتقل السياق إلى الفريق الرابع: ژ ٱ ٻ ٻ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ژ، فكل من أنكر خالقَه واتخذ من هواه إلهاً يحكُمُه داخلٌ تحت قوله تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، وترابط هذا الفريق مع اسم السورة يعود إلى كون هذا الفريق أحد الأمم الجاثية بين يدي ربها يوم القيامة لتنال منه جزاءها العادل.

بقي الفريق الخامس، وهم الدهريون المنكرون للحياة الآخرة: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ڪ ڪ گ ژ، ولاحظ تعظيم الله تعالى في الآيات القرآنية المتلوة على هؤلاء، وانظر كيف كان الرد عليهم متناسقاً مع اسم السورة ودلالاته: ژ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ژ.

ثالثاً: الخاتمة المؤكدة لما سبق، وفيها بيان حال تلك الأفرقة جميعاً يوم القيامة في مشهد الجثو بين يدي الله « ثم تنقسم الحشود الحاشدة والأمم المختلفة، على مدى الأجيال واختلاف الأجناس فريقين اثنَيْن، فريقين اثنين يجمعان كل هذه الحشود : الذين آمنوا، والذين كفروا، فهاتان هما الرايتان الوحيدتان عند الله، وهذان هما الحزبان: حزب الله وحزب الشيطان، وما عدا ذلك من الملل والنحل والأجناس والأمم فإليهما يعود» [٧٣]، ژ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮰ ﮱ ﮲ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۋ ۋ ژ، ثم يكون مصير فريق المؤمنين: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ي ي ژ، وأما مصير فريق الكافرين: ژ □ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ژ. فأنت ترى أن هذا

---

(٧٣) قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٣٢٣٣.

المشهد الذي سميت السورة باسمه، هو أدل ما في السورة على المصير العادل لتلك الأمم، من الله العزيز الحكيم ذي الكبرياء. فلا ريب أنه كان الاسم الأجدر لها.

ولاحظ ختام السورة الذي يصف الله تعالى بصفات متناسقة مع اسم السورة: ژ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ژ ژﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ژ. ولاحظ كيف وصف ربنا ذاته بلفظة «رب» ثلاث مرات في آية ولم يتكرر ذلك في آية أخرى من القرآن، فهذا ختام يبيّن عظمة الله تعالى وحكمته، وهكذا يلتقي ختام السورة مع مفتتحها الذي بين عظمة الله وحكمته، وفي ذلك أشد التناسق مع اسم السورة «الجاثية» ودلالاته، الدال على المحور المذكور.

خامساً: سورة المعارج

الدلالة اللفظية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس: « الأصل الثالث ـ للجذر عرج ـ :العروج، الارتقاء، يقال: عرج يعرج عروجاً ومَعْرَجاً، والمعْرَج: المصعد»، وأكد الإمام الأصفهاني ذلك فقال: « العروج: ذهاب في صعود، قال تعالى : ژﯦ ﯧ ﯨ ژ (المعارج: بعض الآية ٤) وقال: ژ ﭙ ﭚ ژ (الحجر: بعض الآية ١٤)، والمعارج: المصاعد » (٧٤). وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى وصف الله تعالى بـ «ذي المعارج» وقد فسَّرته الآية التالية له، فيكون المعنى: إن العذاب الذي سأل عنه السائل واقعٌ بالكافرين ولا دافع له، وهو سيقع بهم من الله ذي المعارج، أي « صاحب المعارج وخالقها، وهي المنازل التي ترتقي بها الملائكة، وقد جاء هذا الوصف ليكون تخلُّصاً إلى ذكر يوم الجزاء الذي يكون فيه العذاب الحق للكافرين، وهذا العروج كائنٌ يوم القيامة وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة. وهذه تقريبات لنهاية عظمة تلك المنازل وارتقاء أهل العالم الأشرف إليها وعظمة يوم وقوعها» (٧٥). فاسم السورة يدل على طول ذلك اليوم على الكافر، وقدرة الله تعالى على البعث وعذاب الكافرين في ذلك اليوم الذي يستبعدونه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور السورة يقوم على إثبات القيامة وتصوير عظمتها وطول يومها وأنه قد قَرُب، وإنذار من كفر بها وذكر بعض سماتهم، وسمات من آمن بها وشمر لها، وعلى هذا دلّ اسم «المعارج»، والتركيز في هذه السورة على الهول النفسي لما فيها من ذكر للجزاء وموازينه، أكثر من مشاهد الكون وحركاته، وقد ذكرت السورة بعض صفات ترتقي بأصحابها على باقي البشر وتعرج بهم إلى ربهم، وفي المقابل حقرت السورة شأن قسم آخر من الناس وهم الكافرون (٧٦).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر من خلال الرد على المكذبين المستبعدين لذلك اليوم المهول والغافلين عنه،

(٧٤) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٧٦٨، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٥٥٧.
(٧٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٩، ص ١٥٧.
(٧٦) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ١٤٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٦٩٣، و أ. د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، ج ٨، ص ٣٤٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم، ص٣٠٦، ٣٠٧.**

وبيان استعداد المؤمنين المصدقين لذلك اليوم، وإنما اختير اسم «المعارج» الدال على طول ذلك اليوم، لكونه أدل ما في السورة على كمال غفلة المكذب عنه، ومدى استعداد المؤمن المصدق له، فهو يدل على المحور المذكور. وتميزت هذه السورة عن غيرها من السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع يوم القيامة بأنها **سورة بيان طول يوم القيامة على الكافر الذي يستبعد مجيئه ولا يستعد له.**

وبتتبع موضوعات السورة يظهر ارتباط اسم السورة «المعارج» بموضوعاتها ارتباطاً وثيقاً، وفيما يلي بيان ذلك:

تحوي السورة مقدمة تبين استبعاد المكذب لوقوع عذاب الآخرة مع الرد عليه، ثم ذكراً لبعض المشاهد الأخروية مع بيان مصير المكذب بسبب غفلته، ثم بيان استعداد المؤمن ليوم القيامة ومصيره فيه، ثم خاتمة عن موقف المكذبين زمن النبي صلى الله عليه وسلم مع الرد عليهم [٧٧].

أولاً: تأتي المقدمة لترد على السائل المنكر أو المستبعد لوقوع العذاب على الكافرين يوم القيامة، وما ذاك إلا لتغافلهم عن تلك الحقيقة ليصنعوا في هذه الدنيا ما يشاؤون بلا حساب، فكانت الإجابة بأن الله قد جعل لهم يوماً تعرج فيه الملائكة لتدبير شؤون ومهام ذلك اليوم بمقدار خمسين ألف سنة، فكان وصف الله تعالى بأنه «ذو المعارج» وما بينته الآية التالية لهذا الوصف، دلالة على طول ذلك اليوم الذي يستبعده الكافر. وفيه دلالة أيضاً على قرب وقوعه حتى لو طال أمده في نظر البشر. فكم تساوي حياة البشر منذ بدئها على الأرض في مقابل طول ذلك اليوم؟

ولاحظ أيضاً قوله تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ الذي يؤكد هذه الحقيقة.

ثانياً: ثم تنتقل السورة إلى بيان موقف الكافرين في ذلك اليوم الطويل، فلا يسأل حميم حميماً، ومما يلاحظ هنا أن السورة قدمت ذكر مصير الكافرين يوم القيامة على ذكر بعض أعمالهم، لبيان مدى غفلتهم عن هذا اليوم: ژ ٱب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤژ، ويلاحظ أيضاً أن سياق السورة يركز على عرض الهول النفسي لهؤلاء المكذبين أكثر من بيان هول الأحداث الكونية لذلك اليوم، مما يؤكد مدى غفلة المكذب عن الحساب الطويل في ذلك اليوم.

ثم ذكرت من أعمالهم ما يدل على غفلتهم عن يوم المعارج وكأنهم يعيشون أبداً: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ژ.

ثالثاً: ثم انتقلت السورة إلى ذكر أعمال المؤمنين الذين يخافون ذلك اليوم ويعملون له، ويلاحظ هنا أن السورة قدمت ذكر أعمال المؤمنين على ذكر ثوابهم، لبيان مدى استعدادهم لذلك اليوم، فذكرت من أعمالهم: الدوام على الصلاة، وأداء الزكاة، والتصديق بيوم الدين والخوف

---

(٧٧) المقدمة شملتها الآيات: ١-٧، والحديث عن مصير المكذبين: ٨-٢١، والحديث عن المؤمنين: ٢٢- ٣٥، والخاتمة: ٣٦-٤٤.

من عذاب الله فيه، وحفظ الفروج والأمانة والعهد والشهادات، ومن اللطيف أن التعبير عن أدائهم الزكاة هنا جاء مؤكداً بأنه معلوم: ژ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ژ، بينما في سورة الذاريات: ژ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ژ (الذاريات: ١٩)، فزيادة كلمة (معلوم) في المعارج أفاد كمال استعدادهم لذلك اليوم الطويل، فهم يجعلون مقدار الزكاة أمراً واجباً وله حسابه الخاص، ولاحظ قوله تعالى: ژ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ژ الذي يؤكد كمال استعدادهم ليوم المعارج الطويل.

رابعاً: الخاتمة، وفيها انتقلت السورة إلى ذكر أحوال الكافرين في مواجهة الدعوة، ومما يلاحظ أن قوله تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ فيه بيان مدى غفلة الكافرين عن ذلك اليوم، « فإن قلت : من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث؟ قلت : من حيث أنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى ، كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل ، وذلك قوله : (خلقناهم مما يَعْلمون) أي من النُّطَف ، .. وقيل : معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ، ومن حُكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح» (٧٨).

ومن اللطيف أيضاً أن السياق لم يفصل في أصل نشأة الإنسان كما جاء في سورتَيْ الواقعة والقيامة، فانظر كيف عبر عن ذلك: ژ □□ □ □ □ □ □ □ ژ، وذلك للتأكيد على مدى قِصر حياة الإنسان في مقابل طول يوم المعارج (٧٩).

وختمت السورة بإعادة التذكير بهول ذلك اليوم الطويل والقريب، وبيان غفلة الكافرين عنه: ژ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ. والتقى البدء والختام في بيان مدى غفلة المكذب عن يوم المعارج الطويل، فأنت ترى أن دلالة اسم السورة «المعارج» قد عبر عن محور السورة وموضوعاتها بأبلغ صورة.

أولاً: سورة يونس

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة باسم «يونس» لورود الإشارة إلى قومه، وذلك في قوله تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ، ولا يخفى أن من دلالة هذه الآية بيان نجاة قوم يونس عليه السلام من العذاب بسبب إيمانهم قبل فوات الأوان، فاسم السورة يدعو إلى الإيمان قبل نزول العذاب.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

لقد اعتمد عدد من المفسرين والكاتبين على الآية التي ورد فيها ذكر سيدنا يونس عليه السلام في الربط بين دلالاتها وبين موضوعات السورة، فذكروا أنها مترابطة مع موضوعات السورة من أكثر من ناحية: أولها بيان غاية ما يفيده الإيمان من كشف العذاب، وبيان الضرر

---

(٧٨) الزمخشري، **الكشاف**، ج ٤، ص ٦٠١. بتصرف بسيط.
(٧٩) ينظر: الآيات من سورة الواقعة: ٥٨-٦٢، لوالآيات من سورة القيامة: ٣٧- ٣٩.

الناتج عن تأخيره، ومن ناحية أخرى فيها رد على اضطراب تصور الجاهليين لحقيقة العبودية والألوهية من خلال بيان دور الفطرة عند مواجهة الخطر، ومن ناحية ثالثة تملأ الآية المذكورة النفوس بالتوجس والتوقع لبأس الله في كل لحظة، ليخرجوا من الغفلة التي ينشئها الرخاء والنعمة، ومن ناحية رابعة فيها إثبات صدق القرآن، فإن مَن كَشَف العذاب عن قوم يونس لما آمنوا، هو الذي أنزل القرآن المتفرد بالبرهان المعجز الدال على صدقه (٨٠).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان بالله المنجي من عذابه في الدنيا والآخرة قبل فوات الوقت، والتحذير من التكذيب والتغافل والتلهي عنه، فإن الوقت إذا فات فقد عرض مَن لم يؤمن نفسه للعذاب الدنيوي والأخروي من الله عز وجل. ولا أدل على هذا المحور من دلالة الآية التي ذكر فيها إيمان قوم يونس عليه السلام قبل فوات الوقت، ولذلك سميت السورة باسمه . ولم تسمَّ السورة بـ (قوم يونس) لأنه لولا دعوته إياهم لما آمنوا، فهو الأجدر بالتسمية وإن لم تذكر قصته في السورة. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة التحذير من التلهي والتغافل عن الإيمان قبل فوات الأوان.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بينها وبين دلالات اسم السورة «يونس»، وفيما يلي بيان ذلك:

يمكن تقسيم هذه السورة إلى أربعة موضوعات كبيرة: المقدمة، وفيها دعوة إلى الإيمان قبل فوات الأوان، ثم محاجّة للكافرين والمشركين لعلهم يغتنمون الفرصة فيؤمنوا قبل فوات الأوان، ثم قصتان تثبتان محور السورة، أولهما لنوح وثانيهما لموسى عليهما السلام، وخاتمة تؤكد ما سبق (٨١).

أولاً: جاءت المقدمة داعية إلى الإيمان بالله من خلال بعض الأدلة العقلية على وجود الله سبحانه، كقوله تعالى: ژ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک کگ گ گ گ ژ وقوله: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى يژ، ثم بين السياق موقف الغافلين وجزاءهم، وموقف المؤمنين وجزاءهم: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ، ولاحظ وصف الكافرين بأنهم لا يرجون لقاء الله، وكيف كان سبب غفلتهم هو الاطمئنان إلى الحياة الدنيا، وكيف وصف المؤمنين بأنهم كانوا يعملون الصالحات، حتى دخلوا دار السلام بسبب إيمانهم واستعدادهم.

---

(٨٠) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٣١٩، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٣، ص ٤١١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٣، ص ١٧٤٥ -١٧٥٢، ورضا، **تفسير المنار**، ج ١١، ص ٤٢٣٣- ٤٢٤٧، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ١٥٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن، ص ١٠٢ -١٠٧.**

(٨١) المقدمة شملتها الآيات: ١-١٢، ومحاجة الكافرين والمشركين: ١٣ – ٧٠، والقصتان: ٧١- ٧٣ (قصة نوح عليه السلام)، و ٧٥ – ٩٣ (قصة موسى عليه السلام) ، والخاتمة: ٩٤ – ١٠٩.

فالمقدمة كما ترى تؤكد أهمية وجوب الإيمان وإدراك الوقت قبل فواته بالتغافل عنه بالحياة الدنيا.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى ذكر عدد من المحاجّات مع الكافرين والمشركين، تؤكد على أهمية تدارك الوقت فيؤمنوا قبل أن ينقضي الوقت فيتعرضوا للعذاب: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ، وانظر قوله تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ ىى ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ. فلاحظ تكرار عبارة (الذين لا يرجون لقاءنا) الدالة على كمال غفلتهم، ولاحظ التهديد بنزول العذاب إذا فات الوقت في عبارة (فانتظروا إني معكم من المنتظرين).

ثم عرض السياق إلى أهمية الإيمان الفطري الموجود بداخل نفوس البشر، فهم يتذكرونه وقت الشدة، ثم إذا زالت عنهم غفلوا عنه: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ۀ ہ ہ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ژ، ولاحظ أن السياق قد بين أن سبب تغافلهم عن الإيمان الفطري إنما هو متاع الحياة الدنيا.

وانظر إلى هذا المثل الذي يبين قصر الحياة الدنيا وهوانها على الله، فلا ينبغي التغافل بها عن الإيمان: ژ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ ى ى ې ې □ ژ.

وقد ذكر السياق أيضاً بعض الأدلة الدالة على وجود الله تعالى والتي يدركها الناس بفطرتهم، لكنهم يغفلون عنها: ژ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ ى ې ې ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ.

ومن الآيات التي تبين أن عذاب الله غير مأمون، فهو قد يقع بالكافرين في أية لحظة، فلا ينبغي التغافل عنه، لأنه لا فائدة من الإيمان إذا فات الوقت: ژ ۅ ۅ ۋ ۋ ۉ ۉ ې ې □ ى ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ ژ.

وفي المقابل عرض السياق موقف المؤمنين الذين حفظهم إيمانهم من عذاب الله، وحقق لهم السلامة في الدارَيْن: ژٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹٹ ٹ ڤ ڤ ڤڤ ڦ ڦ ڦ ڦژ.

فأنت ترى أن هذه المحاجات التي ذكرها السياق إنما يقصد منها الدعوة إلى ضرورة تدارك الوقت والإيمان، وعدم التغافل عنه قبل أن يقع العذاب، وهذا مترابط أشد الترابط مع الآية التي ذكرت تدارك قوم يونس للوقت فآمنوا قبل أن يقع عليهم العذاب.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصتَيْن تؤكدان هذه الحقيقة: فقصة نوح عليه السلام تبين تغافل قومه عن الإيمان بالرغم من طول مكثه بينهم، حتى نزل بهم العذاب فأغرقهم الله، هذا من حيث التناسب مع المحور العام، ومن ناحية أخرى تتناسق هذه القصة مع ذكر نجاة موسى عليه السلام وقومه من الغرق، وإغراق فرعون المكذب، وقد نجى الله يونس عليه السلام الذي سميت السورة باسمه من الغرق أيضاً. فاختيار القصص المعروضة في هذه السورة كان لحكمة بالغة.

ﮋ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ، لاحظ قوله تعالى (إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله) الذي يبين تغافل قومه عن الإيمان بالرغم من مكثه بينهم تسعمائة وخمسين عاماً. ولاحظ كيف تحدى نوح عليه السلام قومه جميعاً، وذلك لتيقنه بأن إيمانه سيحميه من بأسهم.

وانظر كيف حفظ إيمان نوح عليه السلام ومن معه من العذاب، وانظر عاقبة المكذبين الذين فاتهم الوقت ولم يؤمنوا: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ.

وقصة موسى عليه السلام تؤكد محور السورة أيضاً، فانظر كيف أنجى الله المؤمنين: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ، ومن اللطيف أن سياق القصة قد عرض أن الذي منع قوم فرعون من الإيمان هو تلهِّيهِم بالحياة الدنيا: ﮋ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ. وانظر كيف كان عاقبة فرعون الذي فاته الوقت ولم يؤمن: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ.

رابعاً: بقيت الخاتمة وهي تحوي تأكيداً لما سبق من سياق السورة، فلاحظ التعقيب على قصة موسى عليه السلام: ﮋ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ، هذا التعقيب يوحي بضرورة تدارك الوقت والإيمان قبل أن يقع العذاب، ولما كان قوم يونس هم المثال الوحيد للذين نفعهم إيمانُهم فرفع عنهم عذابَ الله، كان موقفهم هذا هو المحور الذي تدور عليه السورة، ولذلك اختير اسم «يونس» لهذه السورة الكريمة.

وقد ذكّرت الخاتمة بضرورة إيقاظ الإيمان الفطري في نفوس البشر قبل فوات الوقت حتى يكونوا من أهل النجاة، وإلا نزل بهم العذاب: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ.

وانظر كيف ختمت السورة بالدعوة إلى الإيمان وتدارك الوقت: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ

گ   ژ، وهكذا التقى ختام السورة مع مفتتحها على المحور الذي دل عليه اسم السورة أشد الدلالة.

ثانياً: سورة هود

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة باسم «هود» عليه السلام، لأن قصته المعروضة فيها تميزت عن القصص الأخرى بأنها أدل القصص صراحة على التوحيد، وهي الأكثر تناسقاً مع سياق السورة، ولأن دلالات الحزم والجزم والصرامة في الدعوة إلى التوحيد برزت فيها على نحو لا تجده في باقي القصص، وسيأتي بيان ذلك.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن قصة هود في هذه السورة امتازت بعدة أمور منها: التفصيل في البشارة والنذارة بالعاجل والآجل، والعناية الإلهية بكل دابة، وهذا أحد الأمور التي بينها هود لقومه، وهو دال على التوحيد والقدرة على البعث، فالسورة تحوي ثلاث قطاعات متميزة: الأول يتضمن حقائق العقيدة في مقدمة السورة، والثاني يتضمن حركة هذه الحقيقة في التاريخ، والثالث يتضمن التعقيب على هذه الحركة، ولا يخفى أن قصة عليه هود عليه السلام فيها الدعوة الخالدة إلى التوحيد، والعلاقة بين القيم الإيمانية وحقيقة الاتصال بطبيعة الكون كما هو مذكور في قصته، وموقف المفاصلة الأخير بينه وبين قومه حين تحداهم جميعاً بأن يكيدوه، متيقناً أن الله سينجيه من كيدهم [٨٢].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان بالله وبرسالاته وبيان موقف ومصير المكذبين بذلك. وإنما اختير اسم «هود» لهذه السورة دون غيره من الأنبياء المذكورين فيها لعدة أمور، أولاً: لأن قصته أدل ما في السورة صراحة على الحقيقة الأولى في الإيمان، ألا وهي التوحيد، وثانياً: لأن قصته في هذه السورة هي الأكثر تناسقاً مع سياق السورة، وثالثاً: لأن فيها إبراز الموقف الحازم الجازم في الفصل بين رابطة الأخوة ورابطة العقيدة، ورابعاً: لأن في سياقها بياناً لشدة اللهجة وحدة الخطاب الذي كان يخاطب به هود عليه السلام قومه، وذلك أوقع أثراً وهولاً في نفوس المكذبين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وقد تميزت هذه السورة عن غيرها من السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة الحزم والجزم والصرامة في الفصل بين رابطة الأخوة والعقيدة.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط بينها وبين الدلالات السياقية لقصة هود عليه السلام الذي سميت السورة باسمه، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(٨٢) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٣٣٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٣، ص ٤٩٨، وسيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ١٨٤٤، و ١٩٠١ -١٩٠٦، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٣، ص ٤٤٦، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٠٨- ١١٣.

يمكن تقسيم السورة إلى ثلاثة موضوعات رئيسية: مقدمة تعرض موقف المكذبين من قريش لدين الله عز وجل، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وقصصٍ يبين موقف الأقوام السابقة من هذه الحقيقة، وخاتمة مؤكدة لما سبق [٨٣].

أولاً: جاء في مقدمة السورة عرض لموقف المكذبين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، مع ردٍّ لشبهاتهم التي يتذرعون بها لكي لا يؤمنوا، فذكر السياق المقولة الموحدة للأنبياء جميعاً وبينت موقف هؤلاء المكذبين منها: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ، ومن الملاحظ أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاستغفار والتوبة وبيان آثارهما الحميدة، أمر مشترك مع دعوة هود لقومه حينما قال: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ ﮊ.

ثم انتقلت المقدمة إلى بيان موقف المكذبين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم من دعوته: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯩ ﯪ ﯫ □□ □ □ □ □ □ ﮊ.

وانتقل السياق إلى ذكر عدد من الأدلة العقلية على وجود الله تعالى مع بيان موقف المكذبين منها: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ، فالذي خلق السماوات والأرض قادر على بعث الأموات، ومن اللطيف أن قوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ..) قد جاء في دعوة هود لقومه أيضاً: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮊ.

ومن الأمور المذكورة في مقدمة السورة بيان مصير المكذبين يوم القيامة: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ﯩ ﯪ ﯫﮊ، ولاحظ التناسق بين هذه الآية وبين التعقيب على قصة هود عليه السلام: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ ﮊ.

فالمقدمة التي تعرض موقف المكذبين مع الرد عليهم متناسقة تماماً مع الدلالات السياقية لقصة هود عليه السلام الذي سميت السورة باسمه.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى عرض عدد من القصص تبين تكذيب الأقوام وما حلّ بهم من العذاب، فكانت أول قصة قصة نوح عليه السلام، لكن التركيز في عرض هذه القصة كان على إبراز مدى تكبر قوم نوح في تكذيبه دون أن يبرز مدى كفرهم وشركهم، فلم يلفت السياق إلى كفرهم إلا بآية واحدة: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، واللافت للنظر أن أسلوب نوح عليه السلام في دعوته في هذه القصة كان شديد

---

[٨٣] مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٢٤، والقصص: قصة نوح ٢٥- ٤٨، وقصة هود ٥٠-٦٠، وقصة صالح ٦١-٦٨، وقصة إبراهيم ولوط ٦٩-٨٣، وقصة شعيب ٨٤-٩٥، وإشارة إلى قصة موسى ٩٦-٩٩ عليهم السلام جميعاً، والخاتمة: ١٠٠-١٢٣.

التلطف، فانظر قوله عليه السلام: (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقوله: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ □ □ □ □ □ ژ، حتى في تهديده بنزول العذاب، جعل الأمر معلقاً بمشيئة الله: ژ ہ ہ ہ ۂ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ژ، وقد تكررت منه لفظة (يا قوم) في هذه القصة ثلاث مرات.

أما القسم الثاني من قصته عليه السلام فقد كان حول إبراز أن الرابطة العقدية أقوى من الرابطة النَّسَبية، وبالتالي تجب المفاصلة بين هاتين الرابطتين ولم ينفع ابنَ نوح نسبُه شيئاً: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ.

فهذه القصة متناسقة مع المحور العام للسورة من حيث إبراز مدى التكبر الذي دفع قومه إلى التكذيب، ومن حيث وجوب تفضيل الرابطة العقيدية على الرابطة النسبية. ولم تسم السورة باسم نوح عليه السلام لأن قصة هود التالية كانت هي الأكثر صراحة في إبراز الحقيقة الأولى في الدين، إلا وهي التوحيد، وإليك بيان ذلك:

ثم انتقل السياق إلى قصة هود عليه السلام، ويلاحظ في هذه القصة أولاً مدى شدة اللهجة التي كان يخاطب بها هود عليه السلام قومه: ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮋ ﮋ ﯓ ﯓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ٷ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فلاحظ قوله (إن أنتم إلا مفترون) وقوله (أفلا تعقلون)، ويلاحظ فيها ثانياً إبراز مدى شرك قومهم حتى اعتقدوا أن آلهتهم لها أثر في الوجود: ژ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ژ، ويلاحظ فيها ثالثاً الموقف الفاصل الحازم في التبرؤ من الشرك، والتوكل على الله وحده، فانظر قوله عليه السلام: (إني بريء مما تشركون)، وقوله: ژٺ ٿٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ژ، ويلاحظ فيها رابعاً التعقيب الإلهي المخيف والمهدد للمكذبين على هذه القصة: ژ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮋ ﮋ ﯓ ﯓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ □ □ □ ژ.

إن الصرامة والحزم في مواجهة هود عليه السلام لقومه المشركين المفترين، مع بيان قوة توكله ويقينه بالله حتى تحدى وحده قومه جميعاً ، والتعقيب الإلهي المهدد على هذه القصة، كل ذلك جعل هذه القصة هي الأجدر بتسمية السورة من أي قصة أخرى ذكرت فيها، وتسميتها بهذه القصة ذات الدلالات المذكورة أوقع أثراً وهولاً في نفوس المكذبين لدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم. ثم أعتقد أن ما جاء في قصة نوح عليه السلام من سؤاله ربَّه عز وجل حول موضوع هلاك ابنه، والرد الإلهي الجازم لذلك السؤال، قد أضفى على قصة نوح عليه السلام جو الملاطفة والعطف الفطري حول موضوع المفاصلة بين العقيدة والنسب، ولذلك كانت قصة هود ذات الدلالات الجازمة حول الفصل بين رابطة الأخوة ورابطة العقيدة هي الأجدر في تسمية السورة.

وانتقل السياق إلى قصة ثمود عليه السلام، ويلاحظ فيها التلطف في الدعوة، ولم يبرز السياق شركهم إلا في آية واحدة: ژ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □□ □□ □ □ □ □ ژ، ثم انتقل السياق إلى بيان أن الذي أنزل عليهم العذاب هو مخالفتهم أمر نبيهم في عدم التعرض للناقة: ژ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎڎ ژ، ولم يكن التعقيب الإلهي على قصته عليه السلام بذات الحدة والصرامة في التعقيب على قصة هود السابقة، بل اقتصر التعقيب على الدنيا دون التعرض للآخرة: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گگ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ژ. فهذه القصة متناسقة مع المحور العام للسورة، لكن ليس بالصراحة والصرامة الواردة في قصة هود عليه السلام.

أما قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام فيظهر فيها التلطف والعطف على القوم المكذبين أيضاً، فانظر قول إبراهيم عليه السلام: ژ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌڌ ڎ ڈ ڈ ژ ژژ ڑ ک ک ک کژ، ثم عرض السياق إهلاك قوم لوط عليه السلام من خلال تعقيب على القصة مهدد للمكذبين، ولكنه مقصور على الدنيا دون التعرض للآخرة: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ژ. فالقصة أيضاً متناسقة مع محور السورة، لكن ليس بالصراحة والصرامة الواردة في قصة هود عليه السلام.

وقصة شعيب عليه السلام كذلك ذكرت تصريح قومه بالشرك في آية واحدة فقط: ژ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ، ثم انتقل السياق إلى عرض تكبرهم الذي دعاهم إلى التكذيب: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڇ ڇ ڍڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ، واقتصر التعقيب الإلهي على القصة على العقوبة الدنيوية دون أن يتعرض للآخرة: ژ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ژ. ويظهر التلطف في دعوة شعيب عليه السلام لقومه في هذه القصة من خلال عباراته اللطيفة، وقد تكررت لفظة (يا قوم) ست مرات. فسياق هذه القصة أيضاً لم يكن بالحزم والفصل الجازم الذي تراه في قصة هود عليه السلام.

وانتقل السياق إلى إشارة إلى قصة موسى عليه السلام مع فرعون، واللافت أن التعقيب الإلهي على هذه القصة اقتصر على العقوبة الأخروية دون الدنيوية: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پپ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺٺ ٺ ٿ ٿ ٿژ. فهي متسقة مع المحور العام للسورة، دون إبراز النواحي التي امتازت بها قصة هود.

ثالثاً: وجاءت خاتمة السورة وهي تحوي تأكيد محور السورة مع تناسق واضح بينها وبين قصة هود عليه السلام، فانظر قوله تعالى الذي ينفي أي أثر في الوجود للآلهة المزعومة: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ژ، وذلك متسق مع زعم قوم هود عليه السلام أن آلهتهم قد اعترته بسوء، وانظر قوله تعالى المبين لشدة العقاب الإلهي: ژڑ ک ک ک ک گ گ گگ گ گ ڳ ڳ گ ژ، وهو متسق مع

وصف عذاب قوم هود بأنه عذاب غليظ، وانظر قوله تعالى: ﮊ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ ﮋ، المتسق مع قول هود عليه السلام لقومه: ﮊ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ ﯿ ﮋ، وانظر كيف ختمت السورة بقوله تعالى: ﮊ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮋ، المتسق مع قول هود عليه السلام: ﮊ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮋ. وهكذا التقت خاتمة السورة ومقدمتها على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثالثاً: سورة يوسف

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة بسورة «يوسف» لأنها حوت أطول قصة في القرآن عن شخصية واحدة ألا وهو يوسف عليه السلام في سورة واحدة، فكان التفصيل الوارد في سياق عرض هذه القصة دليلاً على أن القصص القرآني هو أحسن القصص، وذلك دال على كمال علم الله بأحداث الغيب.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أنها سميت باسمه لأنها حوت معظم قصته عليه السلام، ولم تتكرر ـ كقصة ـ في مكان آخر من القرآن، وأن من دلالات سياق قصته بيان تمام علم مُنْزل هذا القرآن بالغيب والشهادة، وشمول قدرته قولاً وفعلاً، وفيها دلالة على عناية الله بأحبابه وتهيئة الظروف لهم بالفرج بعد الشدة، وفيها دلالة التأكيد على توحيد الألوهية والربوبية والحاكمية لله تعالى، وكل ذلك فيه تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم مما كان يلاقيه في المرحلة المكية من شدة عناد قومه، وتصديق له بأنه لا يمكن له الإتيان بمثل هذه القصة التي تمثل أنموذجاً كاملاً لمنهج الإسلام في الأداء الفني القصصي إلا من طريق الوحي (٨٤).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه وتصديقه مما يلاقيه من قومه، من خلال عرض قصة يوسف التي أهم دلالاتها ـ فيما يرى الباحث ـ بيان علم الله التام بالغيب مع قدرته التامة على توجيه أحداثه حسب إرادته العليمة الحكيمة، وبذلك يتحقق أن القادر على توجيه أحداث الغيب حسب حكمته، قادر على تحقيق الوعد الغيبي بنصر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة**

---

(٨٤) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٣٥٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٤ ، ص ٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ١٩٤٩ ـ ١٩٦٨، و أ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٣، ص ٥٠٥، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ١١٤، وباجودة، د. حسن، **الوحدة الموضوعية في سورة يوسف**، ط ١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٥٨ ـ٧٢، ونوفل، د. أحمد، **سورة يوسف: دراسة تحليلية**، ط ٢، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩، ص ٢٨، و ٨٥ـ ١٢٥.

بيان تحقق الوعد الإلهي الغيبي بنصر النبي صلى الله عليه وسلم، كما حقق الفرج ليوسف عليه السلام في قصته من خلال توجيهه تعالى لأحداث الغيب فيها، وإليك بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة موضوعات رئيسية: مقدمة تبين فضل القرآن وأن القصص الذي حواه هو أحسن القصص، ثم عرض لقصة يوسف عليه السلام بالتفصيل، ثم خاتمة تحوي توجيهات خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم تبين موقفه من قومه، وموقف قومه منه صلى الله عليه وسلم [٨٥].

أولاً: جاء في مقدمة السورة ثلاث آيات تبين صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه عز وجل، فهو قد كان غافلاً عن الأحداث التي ستذكرها السورة بالتفصيل عن قصة يوسف عليه السلام، فثبت إذاً أن إخباره صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة إنما هو بوحي من رب العالمين: ژ ﮱ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ﮬ ﮬ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ژ، ولاحظ قوله تعالى (لعلكم تعقلون) أي إن هذا الكتاب « من شأنه أن ينبه عقل من قرأه، ولكن فريقاً من الناس لا ينتبهون ولا يعقلون، لا لأن القرآن لا يستطيع أن يوقظ العقل ويهديه، لا ولكن لأنهم هم عطلوا عقولهم ومَلَكاتهم ومواهبهم»[٨٦]، وقد كانت قصة يوسف التالية أدل مثال على أن القصص القرآني هو أحسن القصص حقاً، فهي أطول قصة في القرآن تدور أحداثها حول شخصية واحدة في سورة واحدة، وتبرز مدى العلم الإلهي بدقائق الغيب، وتحكمه المطلق بها وكمال قدرته على توجيهها حيث أراد، وفيما يلي بيان ذلك:

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصة يوسف بالتفصيل، والذي لفت نظري خلال قراءة أحداث هذه القصة، أن سياق القصة جميعه مبني على أحداث متعمقة في الغيب، أعني إنك خلال قراءتك للقصة يسجد قلبك تعظيماً لمن أحاط بكل شيء علماً وأخبرنا بهذه الأحداث المتعمقة في الغيب، فإن معظم أحداثها قد غاب حتى عن الشخصيات في القصة، وفيما يلي بيان لبعض ذلك:

تبدأ القصة برؤيا والرؤيا بحد ذاتها من عالم الغيب، وأي رؤيا؟ إنها رؤيا لطفل، مما يزيد الحدث تعمقاً في الغيب، لكن هذه الرؤيا كانت هي منشأ القصة ومحور أحداثها، وقد أخبر بها يوسف أباه فاستبشر له بالمستقبل المتألق. وهذا الحدث ـ إخبار يوسف لأبيه بالرؤيا ـ قد غاب عن إخوته.

وانتقل السياق إلى عرض تغيظ إخوة يوسف عليه لكونه أحب إلى أبيهم منهم، حتى اتفقوا على إلقائه في الجب، وهذا حدث قد غاب عن يوسف وأبيه.

ثم انتقل السياق إلى عرض إلحاح الإخوة على أبيهم لينفذّوا خطتهم، وحينما استطاعوا تنفيذها وألقوه في الجب قد أصبح يوسف بالنسبة إليهم من عالم الغيب، فلا يدرون ما حصل له، وقد أكد هذا قوله تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ژ.

---

(٨٥) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٣، وقصة يوسف عليه السلام: ٤ - ١٠١، والخاتمة: ١٠٢- ١١١.

(٨٦) د. نوفل، **تفسير سورة يوسف**، ص ٢٣٣، وقد ذكر أن الحروف المقطعة أول السورة (ألر) تشكل نصف حروف كلمة (الرؤيا) التي هي قلب موضوعات هذه السورة، ص ٢٢٤.

ولاحظ في قوله تعالى: ژ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۂ ۂ ہ ژ ، كيف وصف السيارة بلفظ النكرة المفيدة للعموم، فقدرة الله جاءت بهم من عالم الغيب.

واللطيف أن السياق قد أخبر حتى عن الثمن الذي بيع به يوسف، مما يؤكد تمام إحاطة الله بدقائق أحداث القصة الغيبية: ژہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ژ.

ثم انتقل السياق إلى عرض الحدث الذي حصل بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام، وهو حدث غاب عن كل الشخصيات في القصة ما عداهما، ومما يؤكد تعمق هذا الحدث في الغيب: تغليقها الأبواب، ومما يؤكد توجيه الله تعالى للأحداث حسب إرادته: عرض استباقهما الباب، وقدّها قميصَ يوسف، واستدلال الشاهد بهذا القميص على براءة يوسف عليه السلام. فأنت ترى أن عرض الحدث بكل هذه التفاصيل يطلعك على مدى علم الله التام بأحداث الغيب وتوجيهه لها حيث شاء بحكمته وعلمه.

ثم انتقل السياق إلى عرض مقولة النسوة في المدينة، وهو أمر قد غاب عن امرأة العزيز إلى أن انتشر فسمعت به، فهيأت لهن مكيدة قد غاب مغزى امرأة العزيز منها عن النسوة وعن يوسف أيضاً. وانظر كيف أطلعنا الله على هذا الكلام في نفس يوسف عليه السلام: ژ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ژ، فسبحان من سمع كلام قلب يوسف فأخبرنا به.

وانظر إلى معجزات يوسف عليه السلام التي حصلت معه داخل السجن، وهي تبرز الجانب الغيبي لأحداث القصة أيضا: ژ □ □ □ □ □ □ ى □ ى ې ې□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فهو يخبر عن الطعام الذي يأتيهم من الغيب.

وانظر كيف عبر لهما رؤييهما وهما من عالم الغيب أيضاً: ژ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۂ ۂ ہ ہ ہ ہ ھھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ژ.

ثم انتقل السياق إلى أمر غيبي آخر وهو رؤيا الملك وتعبير يوسف لها، فكان ذلك سبباً في إنقاذ مصر وأهلها من الهلاك: ژ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۂ ۂ ہ ہ ژ. واللافت للنظر أن السياق قد عرض تمنّع يوسف عليه السلام عن الخروج إلا بعد أن تثبت براءته أمام الجميع، ولاحظ قول امرأة العزيز المعترفة أمام الملك، وهو أمر قد غاب عن يوسف: ژ ۋ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ې ې ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ب ب ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ژ، فهي صدقت في غيبة يوسف بينما كذبت أمام زوجها وقد كان يوسف حاضراً. ثم إن هذا الحدث ـ كيد امرأة العزيز والنسوة ضد يوسف ـ أمر قد غاب من قبل عن الملك.

ثم انتقل السياق إلى عرض مشاهد من القصة وقد أصبح يوسف مسؤولاً على خزائن الأرض، ولاحظ قوله تعالى: ژ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ، فقد جاء بهم الله من

عالم الغيب، وقد غاب عنهم أن العزيز هو أخوهم يوسف، ولاحظ أيضاً قوله تعالى: ژ ٿ ٹ
ٹ ٹ ٹ ٺ ٺ ڤ ڦ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ژ
فقد غاب عنهم أن بضاعتهم ردت إليهم، إلى أن اكتشفوا ذلك حينما فتحوا متاعهم. ولما نجحوا في أخذ أخيهم في الرحلة الثانية أصبح أمره بالنسبة ليعقوب عليه السلام من عالم الغيب.

وحينما وصل الإخوة إلى مصر في المرة الثانية، آوى يوسف إليه أخاه وأخبره بحقيقة الأمر، وهذا أمر قد غاب عن الإخوة، ثم غاب عنهم أيضاً أنه جعل السقاية في رحل أخيه حتى يتسنى له أن يأخذه: ژ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ. فأنت ترى أن معظم أحداث القصة يجري بتقدير الله وعلى نحو يغيب حتى عن بعض شخصيات القصة، فسبحان العليم الحكيم الخبير.

وأخبرنا السياق عن مناجاةٍ بين الإخوة غابت عن يوسف وعن يعقوب عليهما السلام: ژ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٺ ٺ ٺ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ.

ولاحظ كيف أخبرنا السياق تولي يعقوب عليه السلام عن أبنائه حينما أخبروه ما حصل مع ابنه الصغير، وقال قولاً غاب عن أبنائه، وجعل شكواه أمراً بينه وبين ربه تعالى: ژ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۍ ۍ □ ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ ژ.

وانتقل السياق إلى الرحلة الثالثة لإخوة يوسف عليه السلام إلى مصر، وقد أخبرنا سياق هذه الرحلة عن معجزتين من عالم الغيب اختص بهما يوسف ويعقوب عليهما السلام: ژ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۍ ۍ □ ژ.

ثم ختمت القصة بعرض المشهد الذي تحققت فيه الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام من عالم الغيب، وقد أشار فيها يوسف عليه السلام إلى فضل الله إذ جعل جميع الأحداث الغيبية في هذه القصة تتجه نحو تحقيق الخير للجميع: ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۍ ۍ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ.

ثالثاً: ثم جاءت الخاتمة وهي تحوي تعقيبات على القصة متناسقة أشد التناسق معها، وفيها تثبيت وتصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه مما يلاقيه في دعوته من قومه، ولاحظ أول تعقيب على القصة: ژ □ □ □ □ □ □ ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، إنه يؤكد ما برز في سياق القصة من قدرة الله تعالى على توجيه الأمور الغيبية حسب حكمته، وأنّى للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعلم ذلك بالتفصيل الوارد في القصة إلا عن طريق الوحي؟

ثم أعقب السياق بذكر عدد من التوجيهات المسرّية عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يلاقيه من عناد قومه: ژ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ، وكأن السياق يقول: بعدما بيّنا للناس في قصة يوسف من علمنا الكامل بالغيب ولطف تقديرنا له، لم يبق لهم حجة لعدم الإيمان، فلا تلم نفسك على مَن لم يؤمن بعد ذلك. ثم انظر كم يتلاءم هذا التعقيب مع ما ورد في القصة من قول يوسف عليه السلام، والذي يبين أن الشرك أمر يقع فيه أكثر الناس: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ.

ولاحظ في قول يوسف عليه السلام السابق كيف حذر من الكفر بالآخرة، وهذا متسق مع قوله تعالى في الخاتمة: ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ.

أما قوله تعالى مثبّتاً النبي صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ □ □ □ ﮊ، فلا يخفى ترابطه مع ما جاء في سياق قصة يوسف عليه السلام من تحقق الفرج ليعقوب عليه السلام باجتماعه مع ابنه بعد طول غياب، ومع مصير يوسف إلى حكم مصر بعد أن ألقي في الجبّ.

وختمت السورة بقوله تعالى: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ □ □ □ □ ﮊ وهو متناسق أشد التناسق مع ما فصلته قصة يوسف من علم الله الكامل بأمور الغيب وتوجيهه لها حسبما أراد. وهكذا تلتقي الخاتمة مع المقدمة على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أجمل دلالة.

رابعاً: سورة إبراهيم

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة باسم «إبراهيم» لأنها تعرض جانباً من قصته عليه السلام يبرز فيه توحيده لله عز وجل، وتبرؤه من عبادة الأصنام، وموقفه الشاكر لله تعالى على أن أكرمه بإسماعيل وإسحق بالرغم من كبر سنه، ودعاؤه لله أن يتمثل شكره عملياً أيضاً بأن يجعله اللهُ وذريتَه مقيمين الصلاة، وفي ذلك رد على المشركين الذين يزعمون انتماءهم الديني له عليه السلام. فقد كان مؤمناً شاكراً، ولم يكن مشركاً كافراً.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة ومقصودها هو التوحيد، وأن قصة إبراهيم أدل ما فيها على ذلك، وذكروا أن ما جاء في سياق قصته عليه السلام في السورة من نبذ الشرك والأصنام، والدعاء بإقامة الصلاة وصلاح الذرية، وإظهار الشكر لله على نعمه، إنما هي معانٍ تناولتها السورة بشكل واضح. وتسمية السورة بأبي الأنبياء المبارك الشاكر الأواه المنيب «إبراهيم» عليه السلام، قد أضفى على السورة ظلالاً من هذه الصفات، وفي السورة حقيقتين متناسقتين مع هذه

الظلال: أولهما حقيقة وحدة الرسالة والرسل ووحدة دعوتهم وموقفهم في مواجهة الجاهلية المكذبة على مدى الأزمان، وثانيهما حقيقة نعمة الله على البشر ومقابلة الناس لها بالجحود والكفران بدل الشكر [٨٧].

ويمكن للباحث أن يلخص ما ذكره الأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد والشكر لله عز وجل، من خلال بيان أن دعوة الأنبياء جميعاً تقوم على التوحيد والشكر، ومن خلال بيان موقف الكافرين ومصيرهم في الدنيا والآخرة، وإنما اختير اسم «إبراهيم» لهذه السورة لأن قصته عليه السلام المذكورة فيها أدل ما في السورة على هذا المحور، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تجد في تسمية السورة بـ «إبراهيم» أبلغ رد على المشركين في قريش الذين كانوا يزعمون كذباً انتماءهم الديني له عليه السلام. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة الدعوة إلى الإيمان والشكر لله تعالى، التي هي دعوة الأنبياء جميعاً.**

والمتأمل في موضوعات السورة يجد الترابط الوثيق بينها وبين دلالات سياق قصة إبراهيم عليه السلام في هذه السورة التي سميت باسمه، وفيما يلي بيان ذلك:

يمكن تقسيم السورة إلى: مقدمة تدعو إلى توحيد الله عز وجل وشكره على نعمه، ثم بيان أن دعوة الأنبياء جميعاً تقوم على التوحيد والشكر وموقف الأمم من ذلك ومصيرهم الدنيوي والأخروي، ثم مثَلَيْن يبينان حال الموحدين والمشركين مع تعقيب يدعو إلى التوحيد والشكر، ثم قصة إبراهيم الموحِّد الشاكر، ثم خاتمة تؤكد ما سبق [٨٨].

أولاً: جاءت المقدمة داعية إلى توحيد الله عز وجل، وبيان وجوب شكره على نعمه التي من أجلّها إرسال الرسل ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور: ژ ٹٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چچ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ککک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ںں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈۈ ۋ ۋ ۉ ۉ ۊ ۊ ۋژ، فانظر أولاً كيف بيّن السياق أن معنى النور هو اتباع صراط الله مالك السماوات والأرض، وانظر ثانياً الأمر الموجَّه إلى موسى عليه السلام بإخراج قومه من الظلمات إلى النور، وهي نفس الغاية التي أنزل من أجلها الكتاب على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالغاية من دعوة الأنبياء واحدة.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى التأكيد على أن توحيد الله تعالى وشكره هو دعوة الأنبياء جميعاً، فانظر قول موسى عليه السلام لقومه: ژ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ژ، وانظر الدعوة الموحّدة للأنبياء في التاريخ: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ککگ گ گ گگ گ ڳ ڳ ڳ گگ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ

---

(٨٧) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٣٨٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٤، ص ١٦٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٠٧٧ -٢٠٨٢، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٤، ص ١-٥،والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ١٩٣، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ٢٩٥- ٢٩٨، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ١٢٨ - ١٣٣.

(٨٨) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٥، وبيان دعوة الأنبياء الواحدة: ٦- ٢٣، والـمَثَلان مع التعقيب: ٢٤- ٣٤، وقصة إبراهيم عليه السلام: ٣٥- ٤١، والخاتمة: ٤٢- ٥٢.

ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۋ ۋ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ژ.

وانظر كيف كانت عاقبة الكافرين في الدنيا: ژ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ژ، وكيف كانت عاقبتهم في الآخرة: ژ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ۃ ۃ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﯓ ﯓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ژ.

فأنت ترى أن التركيز في السياق على وحدة دعوة الأنبياء جميعاً مع بيان موقف الكافرين ومصيرهم، وفي ذلك تهديد لكفار قريش الذين يزعمون الانتماء الديني إلى إبراهيم عليه السلام.

ولقد كان من المناسب ذكر موقف ومصير العدو الأول للبشرية، الذي طالما أشركه الناس في طاعته مع الله تعالى: ژڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ۃ ۃ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﯓ ﯓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ژ.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى ذكر مَثَل كلمة التوحيد، ومثل كلمة الشرك والكفر: ژ ی ی ی ی ٱ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ، وفي ذلك دعوةٌ لالتزام منهج التوحيد فإن ثماره لا تأتي إلا بخير، ونبذ الشرك والكفر فإنهما لا يأتيان إلا بِشرّ.

ويؤكد ذلك التعقيب على هذَيْن المثلين بقوله تعالى: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ. ولاحظ التهديد في ذكر مصير من كفر بنعمة الله وجحدها: ژ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گژ. وانظر الأمر الموجَّه للفئة الأخرى من الناس وهم من التزموا بمنهج التوحيد: ژۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﯓ ﯓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈژ. وهو أمر متناسق مع ما سيأتي في قصة إبراهيم عليه السلام من الدعاء بالتزام عبادة الله تعالى وحده وإقامة الصلاة.

وذكر السياق عدداً من نعم الله تعالى على البشر، وهي نعم تستوجب الشكر، فالله هو الذي خلق السماوات والأرض، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات، وسخر الفلك في البحر وسخر الأنهار، وسخر الشمس والقمر وسخر الليل والنهار، وانظر هذه النعمة التي تجد صداها في قلب كل إنسان: ژٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ژ.

رابعاً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصة إبراهيم عليه السلام، الموحِّد الشاكر، وفي ذلك توجيه إلى وجوب اتخاذه عليه السلام قدوة للبشر، لا أن يكونوا ظلومين كفّارين كما جاء الوصف في الآية السابقة: ژ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ، ولاحظ كيف تبرأ عليه السلام ممن حاد عن درب التوحيد، وكيف بيّن أن من ينتسبون إليه حقيقة هم أهل التوحيد فقط.

وعرضت القصة شكر إبراهيم عليه السلام على نعم الله، ودعاءه بإقامة الصلاة، وهي الجانب العملي التطبيقي لعقيدة التوحيد والشكر: ژ ﯓ ﯓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ

ۋ ۋ ۍ ې ۑ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯓژ. وهي دعوة متناسقة مع ما سبق من سياق السورة من دعوة المؤمنين إلى التزام مبدء التوحيد والشكر، لا الجحود والكفر، ولاحظ دعوته بالمغفرة لكل من التزم الإيمان بالتوحيد إلى يوم القيامة، ألا فجزاه اللهُ ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خيراً عن كل فرد منهم.

خامساً: بقيت الخاتمة، وتجد فيها التأكيد على ما سبق من وجوب التزام التوحيد والشكر لله عز وجل، وذلك ببيان مصير الظالمين الذين قابلوا نعمة الله عليهم بالجحود والكفران: ژ □ □ □ □ □ □ ی ی ی □ □ □ □ □ ٱ ب ٻ ٻ پ پپ ڀ ڀژ.

وانظر كيف أكدت الخاتمة حقيقة انتصار الله لأهل التوحيد: ژ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮛ ﮛ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅۉ ۉ ې ې ۑژ ،وحقيقة انتصار الله لأهل التوحيد مذكورة أول السورة (٨٩).

وكما افتتحت السورة بالتوحيد، ختمت كذلك بالتوحيد أيضاً: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وهكذا التقت المقدمة والخاتمة على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

خامساً: سورة نوح

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة باسم «نوح» عليه السلام لأنها تبين خلاصة دعوته لقومه، وخلاصة موقفهم منها، فقد عرضت دعوة نوح لقومه بشتى الأساليب من إعلان وإسرار، ودعوتهم في الليل والنهار، ولفت نظرهم إلى آيات الله في كونه، وعرضت فرار قومه من دعوته، وعنادهم وإصرارهم على الكفر، فاسم السورة يحث على الاقتداء بالأنبياء في الدعوة إلى الله.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن من دلالات اسم السورة الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده وإفراده بالعبادة، ومن دلالاته بيان كمال القدرة الإلهية في الآفاق، وبيان تمام القدرة الإلهية على تحقيق دعوة نوح على قومه، وتبديلهم بغيرهم، وذكروا أن التركيز في السورة على محاولات نوح المكثفة لإنقاذ قومه، فالسورة تبين المعالم الرئيسية لدعوته التي يحتاجها كل داعية إلى الله، فالسورة تجعل من نوح عليه السلام قدوة مثالية لكل الدعاة على مر العصور، وذكروا أيضاً أن السورة تعرض صورة من العناد البشري للحق، وصورة من الرحمة الإلهية المتجلية برعاية الله للإنسان، فمن مقاصد السورة التسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الجماعة المؤمنة في مكة، وعن كل

---

(٨٩) ينظر الآيات: ١٣- ١٧.

داع إلى الله في الأرض، لأن السورة تعرض تقديم نوح حسابه الأخير بعد صبره على الدعوة المضنية ألف سنة إلا خمسين عاماً. وفي ذلك تهديد للمكذبين حينما رأوا مصير أسلافهم [٩٠].

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول أن محور السورة هو: عرض التقرير النهائي لنوح عليه السلام الذي يبرز عدم تقصيره في دعوته لقومه في أي جانب من جوانبها، وعرض إصرار قومه على الكفر بالرغم من من عدم تقصيره، فالسورة تثبت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مما يلاقوه من أذى في مكة. وقد تميزت هذه السورة عن غيرها من السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة بيان التقرير النهائي لنوح عليه السلام، والذي يعتبر منهجاً للدعاة من بعده.**

والمتأمل في موضوعات السورة يظهر له أن من أهم الدلالات السياقية لاسم السورة ـ فيما يرى الباحث ـ بيان عدم تقصيره عليه السلام دعوته بالرغم من طول مكثه فيهم، وفيما يلي بيان للترابط الشديد بين هذه الدلالة وبين موضوعات السورة:

تقسم السور إلى مقدمة تحوي خلاصة المقصد من دعوة نوح عليه السلام، ثم خطاب لنوح مع ربه عز وجل يَبرزُ فيه من جانب عدمُ تقصيره في دعوته لقومه، ومن جانب آخر يبرز موقف قومه من دعوته، ثم خاتمة على لسان نوح عليه السلام تبرز بغضه للكفر والكافرين الظالمين، ومودته وحرصه على المؤمنين إلى يوم الدين[٩١].

أولاً: جاءت المقدمة تحوي إقراراً موجزاً من الله تعالى عن دعوة نوح عليه السلام، يبرز فيه السياق عدم تقصيره في الدعوة: ژ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ےژ، فقد بين الله تعالى أن نوحاً عليه السلام دعا قومه إلى توحيد الله وتقواه، وبين لهم وجوب المسارعة إلى طاعته لأنه لا مفر لهم من الموت، وهذه خلاصة دعوة الأنبياء جميعاً. إن افتتاح السورة بهذا الإقرار من الله تعالى لما قام به نوح يبرز ـ فيما أعتقد ـ رضا الله التام عن الأداء غير المقصر لنوح عليه السلام.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض نوح عليه السلام تقريره الأخير لدعوته، ويبرز في ذلك أيضاً عدم تقصيره، فقد دعاهم دعوة متكررة على اختلاف الأزمنة: ژ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ ۋ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، واستخدم مختلف الأساليب، كالجهر والإسرار والترغيب والترهيب: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈژ، وقد كان من أساليبه أيضاً خطاب فطرتهم وعقولهم لعلهم يتيقظوا من غفلتهم: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک

---

(٩٠) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٦٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ١٦٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٧٠٦، ٣٧٠٧، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ٣٦٣، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ٣١٩- ٣٢٢، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣٠٨- ٣١١.

(٩١) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٤، وخطاب نوح مع ربه تعالى فيما يتعلق بعدم تقصيره في الدعوة: ٥- ٢٠، وفيما يتعلق ببيان موقف قومه من الدعوة: ٢١- ٢٥، والخاتمة: ٢٦- ٢٨، وقد كان السياق يفصل بين هذه الموضوعات بعبارة (وقال نوح رب).

ژ. إن ما جاء في تقرير نوح عليه السلام من تنوع أساليب الدعوة على اختلاف الأزمنة وتكرار الدعوة بدون ملل أو كلل، يبرز عدم تقصير نوح عليه السلام في أي جانب من الجوانب، بل لقد قام بمهمته على أتم وجه.

ثالثاً: وبعدما عرض نوح عليه السلام خلاصة دعوته لقومه، التي بين فيها عدم تقصيره، انتقل إلى عرض موقف قومه من كل ذلك الجهد: ژ گ گ گ گپ گہ گ گ ڳ ڱ گ گ گ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڽ ۀ ۀ ہ ۂ ۃ ۃ ۂ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ ې ې ۍ ۍ □ □ ژ، واللافت للنظر أن الآية الأخيرة: (مما خطيئاتهم أغرقوا..) التي هي تعقيب من الله عز وجل على عرض نوح عليه السلام موقف دعوته، كان من الممكن أن تكون الآية الأخيرة في السورة، لكن تقديمها كتعقيب إلهي على كلام نوح عليه السلام حول موقف قومه يؤكد أن نوحاً عليه السلام لم يقصر في الدعوة.

رابعاً: ثم ختمت السورة بدعاء ختامي لنوح عليه السلام يظهر فيه بغضه للكفر والكافرين الظالمين، وحرصه ومودته للمؤمنين، وبيان وِحدة دعوة الدين إلى يوم الدين: ژ □ ى ى ي ي □ ژ.

فأنت ترى أن تسمية السورة بـ «نوح» عليه السلام يعطي أفضل أنموذج للدعاة، فهو لم يقصر في دعوته لقومه بالرغم من مكثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وفي هذا تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين المستضعفين، ولكل داعية إلى الحق حتى يوم الدين، وهذا هو المحور الذي التقت عليه مقدمة هذه السورة وخاتمتها، ودل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

أولاً: سورة آل عمران

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة باسم «آل عمران» لورود ذكر اصطفائهم على العالمين فيها: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ، وقد فصّل السياق في ذكر قصة آل عمران من البداية على نحو لا تجده في سورة أخرى، ليكون في ذلك أبلغ رد وأوضح حجة على أهل الكتاب المغالين في شأن عيسى وأمه عليهما السلام، فاسم السورة دال على اصطفاء الله لأهل التوحيد والصلاح.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن المقصد الأول لهذه السورة هو إثبات الوحدانية لله عز وجل، وقد سميت بآل عمران لأن فيها ذكر اصطفاء آل عمران على نحو لم ينزل في سورة غيرها مثله، وقد جعل الله هذا الاصطفاء دليلاً على اصطفاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كشفت السورة عما التبس على أهل الكتابَيْن في شأن عيسى عليه السلام، فالسورة تبين معالم الاصطفاء ومعارجه وهي: البذل والعطاء لله والاستسلام له، وتلقي كل ما يأتي منه بالقبول والطاعة، والتبتل والدعاء له، والتوحيد والإخلاص له سبحانه، وقد ذكرت أيضاً أموراً مُعينة على هذا الاصطفاء، مثل: العلم، وموالاة المؤمنين والتحذير من موالاة غيرهم والتهوين من شأن الكافرين مع هذا التحذير، وحب الآخرة، وهذه كلها أمور مبثوثة في السورة بشكل واضح(٩٢).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: بيان اصطفاء الله لأمة التوحيد الخالص من خلال بيان اصطفاء الله لآل عمران، ومعالجة ما نتج عن موقف الناس تجاه اصطفاء أمة التوحيد من حقد، إنْ كان على صعيد أهل الكتاب، أو على صعيد المشركين. وإنما اختير اسم «آل عمران» لأن في بيان اصطفائهم على العالمين تبرئة لأكثر شخصية أثيرت حولها شبهة الشرك، أعني عيسى بن مريم عليه السلام. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة الاصطفاء الإلهي الخاص لآل عمران، والاصطفاء الإلهي العام لأمة التوحيد.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بينها وبين دلالات اسم السورة «آل عمران» وفيما يلي بيان ذلك:

---

(٩٢) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد سور القرآن**، ص ٣٩، المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ١٠١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٢، ص ٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ١، ص ٣٥٧، ٣٥٨، ورضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، ١٢م، ط ١، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٧. ج ٣، ص ١٠٨، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٢٧، ووادي، ومهنا، من **دلالات أسماء السور في القرآن**، ص ٣٥-٤٧.

يمكن تقسيم السورة إلى أربعة موضوعات كبيرة: مقدمة تبين اصطفاء أمة التوحيد وموقف الكافرين من ذلك، ثم معالجة معركة أمة التوحيد المصطفاة مع أهل الكتاب، ثم معالجة معركة أمة التوحيد المصطفاة مع المشركين، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق (٩٣).

أولاً: جاءت المقدمة تقرر وحدانية الله عز وجل وتبين اصطفاء الأمة الإسلامية الموحدة، وهو خير افتتاح لأنه يبرز الحقيقة التي من أجلها اصطفى الله أمة التوحيد: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ژ، وأعتقد أن ذِكْر قدرة الله عز وجل بعد ذلك على تصوير الناس في الأرحام كيف يشاء، ملائم لما بينته السورة حين الكلام عن آل عمران من خلق عيسى عليه السلام في رحم أمه بلا أب، واستجابة دعوة زكريا عليه السلام حينما رزقه الله بيحيى وقد كان قد بلغ من الكبر عتياً، وامرأته عاقر.

ولاحظ اصطفاء أمة النبي صلى الله عليه وسلم الموحِّدة بالكتاب، واصطفاء أهل العلم الراسخين منهم: ژ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ژ.

وقد بينت المقدمة موقف الكافرين من أمة التوحيد المصطفاة وهوّنت من شأنهم، من خلال الإشارة إلى موقعة بدر الكبرى التي أيد الله بها المؤمنين بنصره: ژ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ژ.

ثم انتقل السياق إلى بيان أن الاصطفاء في ميزان الله مختلف عن ميزان البشر، فليس للشهوات المختلفة من النساء وحب البنين والمال اعتبار عند الله، إنما الاصطفاء في ميزانه تعالى يكون بالتقوى: ژ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ژ.

ولاحظ كيف قرر السياق حقيقة التوحيد بأبلغ العبارات وأكثرها صدى: ژ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ژ.

فأنت تلاحظ أن السياق في المقدمة يركز على بيان اصطفاء الأمة الإسلامية الموحدة بقيادة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وموقف الكافرين الحاقدين من ذلك، مع تحديد أسباب ذلك الاصطفاء، وفي ذلك إعدادٌ للمؤمنين الموحدين لبدء المعركة العقدية مع أهل الكتاب.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى بيان موقف أهل الكتاب من أمة التوحيد المصطفاة، فبيَّنت حسدهم وحقدهم، وخروجهم من ظل الاصطفاء الرباني بعدما كفروا بآيات الله: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ

(٩٣) مقدمة السورة شملتها الأيات: ١ -١٧، ومعركة أمة التوحيد مع أهل الكتاب: ١٨ -١١٥، والمعركة مع المشركين: ١١٦ – ١٧٨، والخاتمة: ١٧٩ – ٢٠٠.

ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯾ ﭼ. ولاحظ كيف أعاد السياق تقرير حقيقة أن الدين المصطفى عند الله هو الإسلام وحده فقط، وأن ما دفع أهل الكتاب لأخذ موقف معادٍ من أمة التوحيد إنما هو حسدهم وحقدهم.

ثم انتقل السياق إلى بيان أن الاصطفاء أمر بيد الله وحده، بعدما بين في المقدمة أسباب الاصطفاء في ميزانه تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ، وذلك ملائم لتوجيه عدد من التوجيهات للأمة المصطفاة عند الله، فقد حذرتهم من موالاة الكافرين وبيان أن ليس بيدهم من الأمر شيء: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﮊ.

وأمرتهم بطاعة القائد المصطفى صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮊ. وذلك تهيئة لما سيذكره السياق من استئصال شبهة الشرك والتحريف العَقَدي عند أهل الكتاب من الجذور.

ثم ابتدأ السياق بعرض قصة عيسى عليه السلام من أصلها، ليكون في ذلك أشد البيان والوضوح على سبب اصطفاء آل عمران على العالمين، ومن ناحية أخرى في ذلك أبلغ رد على أهل الكتاب المغالين في عقيدتهم: فبين السياق أن أم مريم (امرأة عمران) كانت مؤمنة بالله، متبتِّلة إليه أن يحفظ ذريتها من الشيطان الرجيم، فاستجاب الله دعاءها وبين أنها جديرة بالاصطفاء الرباني بسبب إيمانها وتبتُّلها، وكافأها بأن كَفَّل ابنتَها نبياً كريماً: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ ﮊ.

وقد كان من الملائم جداً ذكر اصطفاء زكريا وابنه يحيى عليه السلام، وذلك للتشابه الواضح بين خلق عيسى عليه السلام بلا أب، وإكرام زكريا عليه السلام بيحيى مع كونه كبيراً في السن وامرأته عاقر: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮊ.

ثم انتقل السياق إلى بيان اصطفاء مريم عليها السلام بمعجزة عظيمة من الله، وقد أمرها الله بما يؤهلها لذلك الاصطفاء: ﮋ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ ﮊ، فلاحظ أولاً كيف قرر السياق أن مريم عليها السلام كانت طاهرة صالحة عابدة قانتة لربها عز وجل، وفي ذلك رد لأي شبهة قد تخطر في البال حول ما سيأتي عن ذكر عيسى عليه السلام، ولاحظ ثانياً بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن حاضراً وقتئذٍ وأن ذلك من أنباء الغيب يوحيها الله إليه، ليكون في ذلك تلقين لأمة التوحيد المصطفاة حجة الدفاع عن مبدأ التوحيد المستفاد من هذه القصة.

ثم انتقل السياق إلى عرض أهم حدث في القصة، وهو ما يتعلق بعيسى عليه السلام، وبيان أنه ليس إلا عبداً من عباد الله، اصطفاه الله وعلمه الكتاب والحكمة، وجعله رسولاً إلى بني إسرائيل: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ ﮊ، وتتمة لما يتعلق بموضوع عيسى وتبرئته من فرية الشرك، عرض السياق كيف أنجاه الله من كيد الماكرين: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ، ولا يخفى ما في ذلك من رد لأي فرية حول عيسى عليه السلام فيما يتعلق بموضوع قتله أو صَلْبه.

وبعد أن فصَّل السياق في الأسباب الحقيقية لاصطفاء آل عمران، عاد السياق لتلقين الحجة لأمة التوحيد المصطفاة ضد شبهات أهل الكتاب: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وانظر قوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ، فالسورة تدعوهم إلى الدخول في مظلة الاصطفاء الرباني، فيكونوا من أهل التوحيد، ولكنهم تولوا، وأمة التوحيد أعلنت استسلامها لله عز وجل.

وردَّ السياق شبهات كثيرة من أهل الكتاب تجاه أمة التوحيد، كالشبهات المتعلقة بإبراهيم عليه السلام، فبين السياق أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين، وأن أولى الناس به إنما هم أمة التوحيد بقيادة المصطفى صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﮊ، وبين السياق سبب خروج أهل الكتاب من مظلة الاصطفاء الرباني: فهم يكفرون بآيات الله، ويلبسون الحق بالباطل، ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، ويلوون ألسنتهم بالكتاب، وانظر إلى قوله تعالى الذي حكم منذ الأزل باصطفاء النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام، وبين موقف الناس من ذلك: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وانظر قوله تعالى المؤكد لهذه الحقيقة: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ.

وقبل الانتقال إلى الجبهة الأخرى من المعركة، أعني موقف المشركين تجاه أمة التوحيد، أمرت السورة المؤمنين بعدد من الأوامر لتهيئتهم لخوض تلك المعركة: فأمرتهم بالنفقة في سبيل الله، وأداء العبادات كالحج، وتحريم موالاة الكافرين من أهل الكتاب، وتقوى الله حق تقاته، والاعتصام بدينه الذي اصطفاه لهم وعدم التفرق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان خطورة المنافقين، كل ذلك مصحوب بتهوين شأن الكافرين وبيان أسباب خروجهم عن مظلة الاصطفاء الرباني، وانظر هذه الآية: ﮋ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ (٩٤). فأنت تلاحظ أن دلالات اسم السورة «آل عمران» وما

---

(٩٤) ينظر الآيات: ٨٦ -١٢٠.

يعبر عنه من بيان الأسباب التي اصطفاهم بها على العالمين، مترابط أشد الترابط مع بيان صفات الأمة الموحدة المصطفاة، ومع التحذير من موقف أهل الكتاب المغالين في عقيدتهم مغالاةً أخرجتهم من مظلة الاصطفاء الرباني.

ثالثاً: ثم انتقلت السورة إلى بيان موقف المشركين من أمة التوحيد المصطفاة، وذلك من خلال عرض مواقف من غزوة أحد، مع التعقيب عليها بتوجيهات تبقي المؤمنين في مظلة الاصطفاء الرباني، وأول توجيه تراه أن السياق سمى الانسحاب من المعركة فشلاً: ژ □ □
□ □ ى □ ى ى يي □ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پڀ ڀ ڀ ڀژ، ومن ذلك أيضاً بيان معية الله في المعركة للمتقين الصابرين: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ
ڃ ڃ ڃڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک
گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ. ومن العجيب أن السورة في سياق الحديث عن المعركة ذكرت تحريم الربا: ژ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ ى ى ي ي □ ژ، وتناسب ذلك فيما أرى واضح، فكيف ينتصر في المعركة من يأكل الربا وقد أعلن الله الحرب على آكل الربا في سورة البقرة: ژۀ ہ ہ ہ ہ ھ
ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮫ ﮬ ﮬ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې
ژ (البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩).

ومن التوجيهات المذكورة لأمة التوحيد المصطفاة أيضاً: الإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ والعفو عن الناس، والتوبة من الذنوب وعدم الإصرار عليها.

ولاحظ كيف يرفع السياق الروح المعنوية والنفسية لدى المؤمنين، بعدما ما أصابهم من القرح في معركة أحد، مُثَبِّتاً أن الله ناصرهم إذا تحقق فيهم الإيمان: ژ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ
ﮫ ﮬ ﮬ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ □□ □ □ □
□ □ □ ژ.

ولاحظ أيضاً كيف ذكر السياق أن الابتلاء سُنة الاصطفاء: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ
ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦژ. ولاحظ أيضاً كيف يثبت السياق المؤمنين ببيان حال الذين اصطفاهم الله في الأمم السابقة: ژ ھ
ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮫ ﮬ ﮬ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې
ى □
ى ي ي□ □ □ □ □ژ.

ومن التوجيهات المذكورة في سياق الحديث عن معركة أحد أيضاً التحذير من موالاة الكافرين: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺٺ ٺ ٿ ٿ ژ، والتحذير من كيد المنافقين: ژ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ ى ى يي □ □ □ □ □ □
ژ، والثقة بنصر الله والثقة بالقائد المصطفى صلى الله عليه وسلم: ژ چ چ چ چ چ ڇڇ ڍ
ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گگ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ گں
ں ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہژ، والتحذير من كيد الشيطان: ژ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ

ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ. وغير ذلك من التوجيهات الكثيرة التي تبقي المؤمنين في ظل الاصطفاء الرباني، كما اصطفى آل عمران الذين سميت السورة باسمهم.

رابعاً: بقيت الخاتمة وفيها تلخيص لكل ما سبق، فقررت أن الابتلاء لأجل الاصطفاء سُنة إلهية ماضية إلى يوم الدين: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وانظر قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ.

وأعادت التحذير من الموقف المعادي لأهل الكتاب، الذين أخرجهم كفرُهم ومغالاتهم العقدية من مظلة الاصطفاء الرباني: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ، وانظر قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﮊ.

وأكدت أن الابتلاء سنة الاصطفاء: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ.

وهونت من شأن الكافرين المعادين: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ. وخُتمت السورة بآية جامعة تبقي مَن يلتزم بما فيها تحت مظلة الاصطفاء الرباني: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة، كونه أدل ما في السورة على سنة الله في اصطفاء أهل التوحيد والدفاع عنهم ضد المعادين والمغالين، فكان بحق قميناً وحقيقاً بأن تسمى السورة به.

ثانياً: سورة مريم

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة باسم «مريم» لذكر قصتها عليها السلام فيها، ويبرز من سياق هذه القصة كمال رحمة الله على مريم وابنها عليهما السلام، وكمال علم الله تعالى وقدرته المطلقة، فهو الإله الوحيد المتفرد في هذا الوجود، وهو سبحانه منزه عن الصاحبة والولد.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور السورة يقوم على التوحيد، وأن من الموضوعات البارزة فيها: الرحمة الظاهرة من إفاضة النعم على البشر، وبيان قدرة الله تعالى على البعث وهي قضية ناتجة عن محور التوحيد، واستدلوا على أن تسمية السورة باسم «مريم» هو الأجدر بسبب ما جاء في قصتها من مظاهر تمام قدرة الله وشمول علمه عز وجل، واسم السورة جعل جوها مَعرَضاً

للانفعالات النفسية، وقصة مريم خاصة تظهر هذه الانفعالات بشكل لافت، كما وأن ظلال الرحمة والرضا والاتصال بالله مهيمنة على السورة، ومما يدل على ذلك فاصلة الألف في معظم آيها [٩٥].

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد وما يترتب عليه من وجوب الإيمان باليوم الآخر، من خلال عرض بعض مظاهر كمال رحمة الله تعالى وكمال قدرته وشمول علمه في سياق القصص القرآني المذكور في السورة، وهي مظاهر دالة على توحيد الله تعالى فلا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له تعالى، وهو وحده القادر على بعث الناس للحساب، وإنما اختير اسم «مريم» لهذه السورة لأن قصتها الواردة فيها أدل ما في السورة على المحور المذكور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة توحيد الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد، بل هو الخالق الواهب.**

والمتأمل في موضوعات السورة يجد فيها كلها دلالات كمال رحمة الله، وشمول علمه وكمال قدرته، مما يوجب توحيده والإيمان بيوم الحساب الناتج عن هذا التوحيد، وفيما يلي بيان بعض أوجه الربط بين الدلالات السياقية لاسم السورة «مريم» وبين موضوعاتها:

يمكن تقسيم السورة إلى أربعة أقسام: أولاً: مقدمة تعرِضُ قصةَ زكريا عليه السلام، وثانياً: قصص قرآني يشمل كلاً من: مريم مع تعقيب على قصتها، وإبراهيم، وإشارات إلى موسى وهارون وإسماعيل وإدريس علهم السلام جميعاً، ثالثاً: تعقيب على هذا القصص، ورابعاً: خاتمة تؤكد ما سبق [٩٦].

أولاً: افتتحت السورة بذكر قصة زكريا عليه السلام، ويبرز فيها جلياً مظاهر كمال العلم الرحمة والقدرة الإلهية، فقد سمع الله قول زكريا عليه السلام الخفي: ژ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀژ، ولاحظ لفظة (رحمت) بالتاء المفتوحة لا المغلقة، وهي تدل على اتساع تلك الرحمة وانتشارها، ومما يدل على كمال قدرة الله عز وجل أن الله استجاب دعاءه ووهبه يحيى عليه السلام بالرغم من كبر زكريا في السن وامرأته عاقر: ژ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ژ، ولاحظ قوله تعالى الدال على قدرته على البعث: (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً).

فمظاهر الرحمة وكمال القدرة هذه دعت زكريا عليه السلام إلى أن يأمر قومه بتسبيح الله القادر على كل شيء: ژ ۈ ۈ ۋ ۋ ې ې ې ې   ژ، وقد تكررت الإشارة إلى قدرة الله تعالى على البعث أيضاً في سياق ذكر يحيى عليه السلام: ژ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چژ.

([٩٥]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٤ ، ص٥١٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٢٩٩- ٢٣٠١، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ١٤٥- ١٤٨، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٤، ص ٤٠٦- ٤٠٨. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

([٩٦]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٥، وقصة مريم: ١٦- ٣٣، والتعقيب عليها: ٣٤- ٤٠، وقصة إبراهيم: ٤١- ٥٠، والإشارات إلى الأنبياء: ٥١- ٥٨، والتعقيب على القصص: ٥٩- ٨٧، الخاتمة: ٨٨- ٩٨.

فأنت ترى أن السياق يركز في قصة زكريا عليه السلام على كمال رحمة الله تعالى وكمال قدرته على الخلق والبعث، مما يوجب توحيده كونه الوحيد القادر على ذلك، والإيمان باليوم الآخر الذي فيه الحساب. وفيما يلي بيان تناسق ذلك مع دلالات قصة مريم عليها السلام:

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصص لعدد من الشخصيات، يظهر فيها كلها كمال الرحمة والقدرة الإلهية، وقد كانت قصة مريم أولى هذه القصص، ويدل على كمال علم الله تعالى وقدرته ورحمته في هذه القصة عدة أمور، أولاً : أن السياق أخبر عن مكان وقوع أحداث القصة، إذ كانت مريم قد انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، واتخذت من دونهم حجاباً، وقد كان من الممكن أن تبدأ القصة بقول جبريل حين تمثل لها رجلاً سوياً: إنما أنا رسول ربك..، فالإخبار عن موقع مريم المنتبذ عن أهلها مع تحديد جهته بالشرق، يدل على كمال علم الله تعالى.

وثانياً: يدل على كمال قدرته تعالى أن جعل مريم تحمل بعيسى من غير أب: ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ، ولاحظ العبارة المكررة في القصتَيْن: (كذلك قال ربك هو علي هين)، وهي دالة على كمال قدرة الله على الخلق والبعث.

وثالثاً ورابعاً: إكرام الله تعالى مريمَ بكرامتَيْن خاصتين بها تدلان على قدرة الله ورحمته: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ...ﮊ.

وخامساً: أنطق الله تعالى عيسى ابن مريم وهو في المهد بقولٍ يوجب توحيد الله كونه القادر على كل شيء، ويوجب تنزيهه عن الشريك والزوجة والولد: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ، ولاحظ أول كلمة قالها: (إني عبد الله آتاني الكتاب) فما هو إلا عبد لله أكرمه بالرسالة وجعله نبياً، ولاحظ ذكر كونه باراً بوالدته، فكيف يكون إلهاً مَن كانت له أم؟ ولاحظ تكرار عبارة (ويوم أبعث حياً) في قصته وقصة يحيى عليه السلام، الدالة على كمال قدرة الله تعالى على البعث. ومن ناحية أخرى تنفي هذه العبارة الإلهية عن عيسى عليه السلام، لأن الإله لا يموت.

ثم جاء تعقيب إلهي على هذه القصة يقرر حقيقة توحيد الله عز وجل القادر على كل شيء، ومِن ذلك بعث الناس للحساب، ويقرِّع هذا التعقيب مَن اختلف في هذه الحقيقة فغيّر وبدّل: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ. واللافت للنظر أن الفاصلة تبدلت من الألف إلى النون، وذلك للفت الانتباه إلى تبرئة عيسى عليه السلام مما دار حوله وحول أمه من الفريات الباطلة (٩٧).

---

(٩٧) قد أشار سيد قطب رحمه الله لذلك: **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٣٠٠.

فأنت ترى أن قصة مريم بدلالاتها المتعددةِ على كمال رحمة الله وقدرته وعلمه، الداعيةِ إلى توحيد الله والإيمان بالبعث، هي الأجدر بتسمية السورة باسمها.

ثم انتقل السياق إلى عرض قصة إبراهيم عليه السلام، وتجد فيها دعوته أباه للتوحيد: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﭼ، ولاحظ تكرار لفظة (يا أبت) أربع مرات، وتكرار لفظة (الرحمن) مرتَيْن، وذلك منسجم مع جو الرحمة في السورة، وتجد في القصة كذلك بعض مظاهر كمال رحمة الله تعالى وقدرته: ﭽ   ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ   ﭼ، فالقصة منسجمة تماماً مع محور القصة ودلالات السياقية لاسمها «مريم».

ثم انتقل السياق إلى ذكر إشارات إلى بعض الأنبياء، هم موسى وهارون: ﭽ   ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ، وذكر موسى عليه السلام وهارون عليهما السلام متلائم ـ فيما أرى ـ مع الدعوة إلى التوحيد، بالإضافة إلى إبراز مظاهر رحمة الله تعالى، فموسى وهارون أُرسلا إلى من قال: أنا ربكم الأعلى، أعني فرعون، وذكر هارون أيضاً يذكِّرنا بعبادة بني إسرائيل للعجل، حينما استخلفه أخوه موسى عليهم. فالإشارة إليهما منسجمة مع محور السورة.

أما الإشارة إلى إسماعيل عليه السلام: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭼ، فهي تبرز بعض مظاهر رحمة الله تعالى، ومن ناحية أخرى هي منسجمة مع محور السورة كذلك، لأن الصلاة والزكاة هي الجانب العملي التطبيقي للتوحيد الله وشكره.

وأما الإشارة إلى إدريس عليه السلام فقد جاءت منسجمة أيضاً مع جو الرحمة في السورة، واللافت للنظر أن الإشارات إلى الأنبياء ختمت بذكر أن الأنبياء الذين أنعم الله عليهم جميعاً ومن اجتبى من ذرياتهم كانوا جميعاً موحدين شاكرين لله عز وجل على نعمه ورحمته وكمال قدرته: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ. وأعتقد أن ذكر السجدة في هذه السورة متلائم مع ذكر الساجدين شكراً لله على نعمه ورحمته، وكأن الساجد حينئذ يكون في معية الساجدين قبله من الأنبياء والصالحين من ذرياتهم.

ثالثاً: ثم جاء تعقيب إلهي على ذلك القصص مقرر لحقيقة التوحيد وبيان كمال قدرة الله تعالى وشمول علمه رحمته، ومهدد للكافرين والمشركين الذين حادوا عن جادّة الأنبياء الموحدين: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ، ولا يغفل السياق بيان قدرة الله تعالى على البعث والحساب: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ. وانظر إلى قوله تعالى المهدد للكافرين، والمؤكد قدرة الله على البعث والحساب، والمبين شمول رحمته تعالى للمتقين: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ، وقد أكد هذه الحقيقة أيضاً قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ

ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ژ. فالسياق يدعو إلى وجوب توحيد الله والإيمان بالبعث في اليوم الذي سيرحم الله فيه عباده المؤمنين، ويهدد المشركين والكافرين ببيان العذاب الذي سيحيق بهم في ذلك اليوم. وقد دل سياق قصة مريم التي سميت السورة باسمها على هذه الحقائق أشد الدلالة.

رابعاً: وختمت السورة بذكر أعظم فرية افتراها الإنسان على ربه عز وجل، وقد ردها السياق من خلال بيان القدرة الكاملة لله عز وجل: ژ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ ژ، وذِكْر هذه الشبهة متسق تماماً مع قصة مريم التي بينت براءتها وابنها من أي شبهة تدور حول إشراكهما في الألوهية. فكما بيّن السياق في تلك القصة كمال قدرة الله وشمول رحمته وعلمه، وهي أمور لا يملك منها عيسى وأمه شيئاً، ثبت أنه تعالى هو الوحيد المستحق للعبادة بلا شراكة من زوجة أو ولد، وكذلك هنا في ختام السورة جاء الرد على هذه الشبهة بنفس الأسلوب.

وكما افتتحت السورة بذكر رحمة الله وكمال قدرته، ختمت كذلك بذكر رحمة الله وكمال قدرته: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ژ. وهكذا التقى افتتاح هذه السورة مع ختامها على حقيقة التوحيد، الذي دلت عليه قصة «مريم» التي سميت السورة باسمها أبلغ الدلالة.

ثالثاً: سورة لقمان

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة باسم «لقمان» لذكر قصته فيها، التي يدعو فيها ابنه إلى أن يكون شاكراً لله، ويحذره فيها من الشرك، ويأمره فيها بمحاسن الأخلاق، وينهاه عن سيئها، مبرهناً له على وصاياه بأدلة كمال علم الله وحكمته المطلقة، فاسم السورة يشير إلى ضرورة الاقتداء به وتنفيذ وصاياه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن قصته تضمنت فضيلة الحكمة، وذم الشرك، والأمر بالأخلاق الحميدة، والنهي عن الأخلاق الذميمة، فدلالة هذه القصة على حكمة القرآن وحكمة مُنزِله سبحانه ظاهرة، فالسورة بمجملها تهدف إلى تعريف المسلم بما يوصله للحكمة كالتوحيد والاستقامة والتفكر في الخلق، وتعرفه أيضاً بموانع الاستقامة كاتباع الشيطان والاغترار بالدنيا والاعوجاج الأخلاقي. فمقصود هذه السورة مخاطبة الفطرة البشرية وإيقاظها من الغفلة، من خلال التفكر في الكون الكبير بسمائه وأرضه وليله ونهاره..، وما فيه من آيات دالة على الله، وقد كانت شخصية لقمان أحد أساليب السورة لإيقاظ الفطرة [٩٨].

---

(٩٨) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ١٤٣، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ٢٧٨٠- ٢٧٨٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ص ٢١، والعريض، د. علي حسن، **فتح الرحمن في**

ويمكن للباحث أن يلخص ما ذكره الأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى اتخاذ القرار الحكيم بالإيمان والشكر لله عز وجل، من خلال بيان بعض آثار حكمته تعالى في كونه، وأن مَن كفر وحرم نفسه من اتخاذ قرار الإيمان الحكيم، فقد ظلم نفسه وعرضها للعذاب، وإنما اختير اسم «لقمان» لهذه السورة لأن الدلالات السياقية لقصته في هذه السورة أدل ما فيها على هذا المحور. فاسم السورة يشير إلى المحور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة الدعوة إلى اتخاذ قرار الإيمان الحكيم، من خلال عرض مظاهر حكمة الله المطلقة.**

والمتأمل في موضوعات السورة يظهر له الترابط الوثيق بينها وبين دلالات قصة لقمان، فالحكمة بارزة في سياق السورة من أولها إلى آخرها، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم هذه السورة إلى مقدمة تبيّن موقف المؤمنين والمستكبرين من بعض مظاهر حكمة الله في كونه، ثم قصة لقمان التي يوصي فيها ابنه بوصايا حكيمة أهمها التوحيد والشكر، ثم تعقيب على القصة ببيان موقف الناس من آثار حكمة الله في الكون، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق [(٩٩)].

أولاً: جاء في المقدمة وصف القرآن بأنه الكتاب الحكيم، وبينت موقف الناس من هذا القرآن، فمنهم من اتخذ قراره الحكيم فآمن: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ. ومنهم من حرم نفسه من هذا القرار الحكيم فاستكبر، واستغنى عن القرآن الحكيم بلهو الحديث: ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ. وقبل الانتقال إلى ذكر بعض آثار حكمة الله في كونه قرر السياق مفازة المؤمنين من لدن الله العزيز الحكيم: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ.

ثم انتقل السياق إلى عرض بعض آثار حكمة الله في كونه، مع دعوة إلى الإيمان بيان أن من أعرض فهو ظالم لنفسه لأنه حرمها من اتخاذ قرار الإيمان الحكيم: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﮊ. فأنت ترى أن المقدمة تدعو إلى وجوب الإيمان من خلال بيان بعض آثار حكمة الله في خلق الكون، وتحذر من الاستكبار عن الإيمان، وهذا متسق مع قصة لقمان التالية.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصة لقمان التي يوصي فيها ابنه، فانظر ماذا كانت أول هذه الوصايا: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ، لقد أمره بالشكر والتوحيد لله عز وجل، وهذا لبُّ الحكمة وأساسها، وهي وصية متناسقة مع آثار حكمة الله في المقدمة، وقد حذره من أن يحرم نفسه من الحكمة ويظلمها حينما بيّن له أن الشرك لظلم عظيم، وعلى عادة القرآن ربط لقمان عبادة الله مع طاعة الوالدَيْن، ولم تخل الوصية من اتخاذ الحكمة في معاملتهما حتى لو كانا

تفسير سورتي الفاتحة ولقمان، ب ط، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٨١. ص ٦١، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢١٧ - ٢٢٣.

(٩٩) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١١، وقصة لقمان: ١٢- ١٩، والتعقيب عليها: ٢٠- ٣٢، الخاتمة: ٣٣و ٣٤.

مشركَيْن: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ه ھ
ژ.

ثم بين لقمان لابنه علم الله التام بتفاصيل ودقائق هذا الكون، والعلم والحكمة مترابطان: ژ ۀ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯓ ﯔ ﯔ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﯛ ﯛ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ژ، وبعد أن عرّف لقمان ابنه بالجانب النظري لقرار الإيمان الحكيم، أمره بالجانب العملي التطبيقي له: ژ ې ې ى ى □ ى ى ي □ □ □ □ □ ژ، فعبادة الله، ومكارم الأخلاق التي أمره بها، والنهي عن سيئها من تمام الحكمة. ولاحظ أنه حذره من التكبر، وهذا متناسق مع ما ذكرته المقدمة من موقف المستكبرين. فقصة لقمان بدلالاتها المتسقة مع محور السورة هي الأجدر بالتسمية لأنها تحوي أنموذجاً واقعياً على اتخاذ قرار الإيمان الحكيم، والتحذير من حرمان النفس منه [١٠٠].

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى تعقيب على قصة لقمان يعيد فيها ذكر بعض آثار حكمة الله تعالى في الخلق، مع بيان موقف الناس من ذلك: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎژ، فهؤلاء فريق ولّوا الشيطانَ زمامَ عقولهم، فجادلوا في الإيمان بالله بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير، وحرموا أنفسهم من اتخاذ قرار الإيمان الحكيم. وانظر الفريق الثاني الذين كان موقفهم غايةً في الحكمة: ژ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ژ.

وانظر قوله تعالى المعبر عن بعض حكمة الله: ژ □ ى ى ي ژ.

وقبل الختام أعاد السياق ذكر موقف آخر للناس من مظاهر حكمة الله تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ه ھ ژ، فقد نجّى الله هؤلاء إلى البر لحكمة بالغة، وهي إظهار موقف الناس من تلك النعمة، فمنهم من التزم الحكمة وكان مقتصداً ثابتاً على إيمانه في البر كما كان في البحر، ومنهم غدّار كفور حرم نفسه من الحكمة وعاد إلى كفره وشركه بعد أن كان مخلِصاً لله وحده في دعائه في البحر.

رابعاً: بقيت الخاتمة وهي تدعو إلى رأس الحكمة: تقوى الله، والاستعداد ليوم الحساب، والتحذير من الاغترار بالدنيا ومن الشيطان: ژ ۀ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯓ ﯔ ﯔ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﯛ ﯛ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ □ □ □ ژ، وكما افتتحت السورة بذكر بعض مظاهر علم الله وحكمته، ختمت كذلك بذكر بعض مظاهر علم الله وحكمته، والعلم والحكمة مترابطان: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

---

(١٠٠) يقول الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنّا: «ولم تسمَّ السورة بالحكمة، ولكن سميت بـ «لقمان» وهو رمز الحكمة، وذلك للدلالة على أهمية الحكمة المتمثلة بالإنسان أكثر من الحكمة المجردة الموجودة في بطون الكتب». **من دلالات أسماء السور**، ص ٢١٧. وهو كلام لطيف.

ىى ي ي □ □ □ □□ □ □ □ □ ژ، وأعتقد أن قوله تعالى (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت) داعٍ إلى اتخاذ قرار الإيمان الحكيم قبل فوات الأوان. إذ كان من الممكن أن تكون العبارة هكذا (ويعلم ما تكسب الأنفس غداً، ويعلم بأي أرض تموت الأنفس). وهكذا التقى ختام السورة مع ختمها حول بيان أن الحكيم من آمن وشكر، والمحروم من أشرك وكفر، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أحكم الدلالة.

أولاً: سورة البقرة

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة بـ «البقرة» لذكر قصة البقرة التي أُمر بنو إسرائيل بذبحها، حينما قُتلت منهم نفسٌ ولم يعلموا القاتل، فأمرهم الله بضرب القتيل ببعض البقرة المذبوحة فيحيى ويخبر عن قاتله، ومن أبرز دلالات القصة بيان تنطع وتلكؤ وتردد بني إسرائيل في تنفيذ هذا الأمر، بالإضافة إلى بيان قدرة الله تعالى على بعث الموتى.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن من مقاصد السورة الدعوة إلى الإيمان بالغيب، وبقدرة الله على البعث ليوم الحساب، ومن مقاصدها إقامة الدليل على أن القرآن هدى يجب أن يُتَّبع في كل ما جاء به، وذكروا أن الخطاب في السورة يمكن أن يقسم لقسمَيْن: خطاب لبني إسرائيل أو متحدث عنهم يبين موقفهم من استقبال الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، وخطاب للأمة المسلمة ذات النشأة الجديدة، يحوي أحكاماً يُعدِّها لحمل أمانة الخلافة في الأرض، وهما قسمان يجمعهما محور واحد: بيان منهج خلافة الله في الأرض بين مَن أضاعوه ومَن أقاموه. وذكروا أن قصة البقرة هي أدل ما في السورة على هذا المحور (١٠١).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: تربية الأمة الإسلامية وإعدادها لحمل أمانة الخلافة في الأرض، وبيان استحقاقها لهذا الشرف لالتزامها بالصفات التي ارتضاها الله لخلفائه في الأرض، والتي من أهمها: الاستسلام لأوامره تعالى والمسارعة إلى طاعته، والذي يدعوهم لذلك إيمانهم بالغيب وبقدرة الله على البعث للحساب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بيان زوال شرف الخلافة عن بني إسرائيل بعدما تخلوا عن الصفات التي تؤهِّلهم لذلك، وإنما اختير اسم «البقرة» لهذه السورة لأن سياق قصة البقرة مع التعقيب الإلهي عليها أدل ما في السورة على هذا المحور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها باسمها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة بيان استحقاق أمة التوحيد لشرف الخلافة الإلهية في الأرض بعد نكول بني إسرائيل عن هذا الشرف.**

وبتأمل موضوعات السورة يظهر الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالات اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

يمكن تقسيم السورة إلى ستة موضوعات: أولاً: مقدمة تبين صفات الأمة الإسلامية المؤهلة للخلافة في الأرض، وثانياً: بيان للعدو الخارجي الظاهر لأمة الإسلام وهم الكافرون، وللعدو الداخلي الخفي المخادع وهم المنافقون، وثالثاً: دعوة للناس للقيام بالمهمة التي خلقوا من

---

(١٠١) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٣١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج١، ص٢٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ١، ص ٢٨- ٣٥ و ٧٧- ٨٠، ورضا، **تفسير المنار**، ج ١، ص ٨٠- ٩٢، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ١، ص ١٩- ٣٣، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ١١- ١٣، ودراز، د.محمد عبد الله، **النبأ العظيم**، ب ط، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥. ص ١٦٣- ٢١١، وسبحاني، د. محمد عناية الله، **البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران**، ط ١، دار عمار، عمَان، ٢٠٠٥. ص ٤٣٠- ٤٣٧، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ص ٧٣- ٧٥، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢٠- ٣٨.

أجلها ألا وهي الخلافة في الأرض، وتأكيد ذلك بقصة آدم عليه السلام، ورابعاً: بيانٌ لأسباب زوال شرف الخلافة عن بني إسرائيل مع تحذير للأمة الإسلامية من الوقوع بتلك الأسباب، وخامساً: توجيهات وأحكام للأمة الإسلامية تؤهلهم للخلافة في الأرض مع التحذير من التهاون بها، وسادساً: خاتمة تحوي تأكيداً لما سبق (١٠٢).

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان للصفات التي ارتضاها الله عز وجل لخلفائه في الأرض، وهي صفات اختص بها المؤمنون، وسنرى أن هذه الصفات ذاتها أُمر بها بنو إسرائيل ولم يلتزموا، فزال عنهم شرف الخلافة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ، فقد حدد السياق صفات المؤهلين للخلافة وهي: تقوى الله، والإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والنفقة في سبيل الله، والإيمان بالكتب الإلهية جميعها، واليقين بالآخرة. هؤلاء هم المهتدون المفلحون. فأنت ترى أن هذه الأمور الجليلة التي أمر بها المؤمنون يدعوهم تقوى الله إلى الأخذ بها على محمل الجد والهمة، وسترى في قصة البقرة كيف كاد بنو إسرائيل ينكلون عن أمر إلهي بسيط وهو ذبح بقرة، فلم يكن في قلوبهم شيء من التقوى يدعوهم للمبادرة بتنفيذه، بل على العكس ظنوا أن نبيهم عليه السلام يهزأ بهم، وتنطعوا في الأمر أي تنطع. ولا يخفى الترابط بين إحياء الله للقتيل في تلك القصة وبين الدعوة إلى الإيمان بالغيب واليقين بالآخرة في هذه المقدمة.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى أمر خطير في تربية الأمة الإسلامية الناشئة وإعدادها، ألا وهو تحديد أعداء هذه الأمة وكشفهم وفضحهم لأخذ الحذر منهم، فالعدو الأول ظاهر مجاهر بالعداوة وهم الكافرون: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ، فبعد هذه المفاصلة العقدية بيننا وبينهم، أصبح على الأمة الإسلامية إذاً أخذ الحيطة والحذر منهم.

وأما العدو الثاني فهو عدو داخلي خطير ماكر مخادع: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ، ولاحظ كيف بين السياق أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فما الذي يحملهم على الأخذ بصفات المؤهلين للخلافة إذاً ؟ بل هم هجروا تلك الصفات واتبعوا سبيل الإفساد والضلال فوجب على الأمة الإسلامية أخذ الحيطة والحذر منهم.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى دعوة الناس للقيام بالواجب الذي خلقوا من أجله، ألا وهو الخلافة في الأرض، وقد عرض السياق بعض الآيات الكونية الدعية إلى الالتزام بهذا الأمر، ثم أكد ذلك بقصة أبيهم آدم عليه السلام: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ، فالواجب عليهم إذاً الإيمان

(١٠٢) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٥، وبيان العدو الخارجي والداخلي للأمة الإسلامية: ٦- ٢٠، ودعوة الناس للقيام بواجب الخلافة: ٢١- ٢٩، وقصة آدم عليه السلام المؤكدة لهذا الواجب: ٣٠- ٣٩، وبيان أسباب زوال استحقاق الخلافة عن بني إسرائيل: ٤٠- ١٤١، والتوجيهات والأحكام للأمة الإسلامية مع التحذير من التهاون بها: ١٤٢- ٢٨٢، والخاتمة: ٢٨٣- ٢٨٦.

بالله وتقواه، ولاحظ كيف بين السياق أن الله خلق المدعوين وأسلافهم، وفي ذلك بيان لقدرته على بعثهم للحساب كما خلقهم أول مرة.

وقد عرض السياق أمراً تربوياً آخر للمؤمنين، وهو أنهم يأخذون ما يأتيهم من ربهم مستلمين للحكمة الإلهية فيه، ولا يدعوهم خفاء الحكمة من ذلك إلى الاستهزاء كما يفعل الكافرون: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ. فالمؤمن يتلقى الأمر الإلهي بالتسليم والتنفيذ، والكافر يدعوه استهزاؤه بهذا الأمر إلى ترك الطاعة واتباع سبيل الإفساد.

وانظر إلى قوله تعالى الداعي إلى الإيمان باليوم الآخر: ﮋ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ. وذكر اليوم الآخر متلائم مع قصة آدم عليه السلام، فآدم عليه السلام يمثل بداية خلق البشر، واليوم الآخر يمثل نهاية مصير البشر.

ويظهر في قصة آدم عليه السلام مع التعقيب عليها الصفات المؤهلة للخلافة في الأرض، فقد ركز السياق في هذه القصة على ميزة آدم على الملائكة بالعلم الذي علمه الله إياه، مع التحذير من العداوة الأزلية لإبليس: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ، فقد حظي آدم عليه السلام بالعلم الذي يؤهله للخلافة في الأرض، ولاحظ التحذير من العدو الأول للبشرية: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﮊ، فقد كانت هذه بداية قصة استخلاف البشر على الأرض، ولاحظ كيف جاء التعقيب داعياً إلى تلقي هدى الله بالتسليم التام، ومبيناً قدرة الله على البعث والحساب: ﮋ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ. فأنت ترى أن السياق يدعو الأمة الإسلامية إلى التسليم لأوامر الله والمبادرة إلى تنفيذها، لأن هذا ما يبقيهم مؤهلين للخلافة، وسيأتي كيف زال هذا الشرف عن بني إسرائيل لتنطعهم وترددهم في أوامر الله، وقد كانت قصة البقرة أدل ما في السورة على ذلك.

رابعاً: ثم انتقل السياق إلى بيان أسباب زوال شرف الخلافة في الأرض عن بني إسرائيل، وأبرز هذه الأسباب هو عدم أخذهم الأوامر الإلهية على محمل الجد، واللافت للنظر أن السياق ابتدأ بفضحهم من الأصل، منذ زمن موسى عليه السلام، وكلما كان السياق يذكر نعمة أنعمها الله عليهم، كان يعقبها بذكر موقفٍ مخزٍ لهم إزاء هذه النعمة، وستجد أن عِصيَّ التأديب الإلهي ما زالت تضرب ظهورهم منذ ذلك الوقت إلى زمن النبي.

ابتدأ الحديث عن بني إسرائيل بأمرهم بذات الصفات المذكورة أول السورة، وهي الصفات المؤهلة للخلافة، لكنهم لم يلتزموا بها: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ، فقد أمرهم السياق بالإيمان بجميع الكتب وبجميع الرسل

الذين ختموا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإحسان إلى الناس، والإيمان باليوم الآخر. وقد ذكر السياق هذه الصفات لبيان نكول بني إسرائيل عنها، فقد كانوا أول كافر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن في المدينة المنورة.

ثم انتقل السياق إلى عرض نعم الله على أسلافهم، كيف كان موقفهم من هذه النعم، فقد كانت أول وأكبر نعمة عليهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ، وقد أعقبها السياق بذكر أكبر معصية لهم: ﮋ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ.

وهذه نعمة أخرى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ، وفتح لهم باب التوبة من عبادة العجل فأمرهم بقتل أنفسهم وهو أحد أساليب التأديب الإلهي، وفي المقابل انظر إلى هذا الموقف: ﮋ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ، ولاحظ ذكر قدرة الله على الإحياء بعد الإماتة.

وبعد أن ذكر السياق نعمة تظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى، عرض السياق موقفهم المخزي إزاء أمر الله لهم بدخول القرية: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ، ولاحظ ذكر التأديب الإلهي حينما أنزل عليهم الرجز.

وبعدما عرض السياق نعمة تفجر الماء من الحجر باستسقاء موسى عليه السلام، عرض موقفهم المشين حينما فضلوا على نعمة المن والسلوى التي تأتيهم من الغيب، فضلوا قائمةً من الأطعمة يريدون رؤيتها تخرج من الأرض بأعينهم. وانظر إلى هذا الأمر الإلهي بأخذ أوامر الله على محمل الجد الحزم: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ، وانظر ماذا كان موقفهم: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، وذكرهم السياق بأحد أساليب التأديب الإلهي حينما خالفوا أمره في يوم السبت: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ.

وانتقل السياق إلى قصة البقرة، وفي نظر الباحث أنها تحوي أحد عجائب الأسلوب المعجز للقصص القرآني، فقد قدم السياق ذكر أمرهم بذبح البقرة على موضوع القتيل، واللافت للنظر أن السياق ابتدأ القصة بهذه العبارة: (وإذ قال موسى لقومه أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وأعتقد أن المقصود من تصدير القصة بهذه العبارة بيان بساطة ويسر هذا الأمر الذي أمروا به، فكل ما هو مطلوب ذبح بقرة، ثم عرض السياق كيفية تنطعهم وترددهم في الأمر البسيط، وكأن السياق يقول: إذا كان بنو إسرائيل ترددوا وتنطعوا وأعادوا سؤال نبيهم حول هذا الأمر اليسير ثلاث مرات، كيف سيكونون مؤهلين لشرف الخلافة الكبرى في الأرض وما تستلزمه هذه الخلافة من الصفات الجليلة، وفي رأيي أن هذا الملحظ كان أحد أسباب تسمية السورة بهذه القصة:

ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ

ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ، ولاحظ أولاً: كيف ظنوا بنبيهم سوءاً فقالوا بوقاحة: أتتخذنا هزوا؟ ولاحظ ثانياً: سؤالهم الوقح ثلاث مرات: ادع لنا ربك؟ وكأن الله تعالى رب موسى عليه السلام فقط وهم لا يعترفون به، ولاحظ ثالثاً: التمادي في التنطع والتلكؤ والتردد فقد سألوا عن صفاتها ولونها أيضاً، ولاحظ رابعاً: قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون)...

إن هذا القسم من القصة يؤكد ما سبق من أخذهم الأوامر الإلهية حتى لو كانت يسيرة على محمل الهزء والاستخفاف، وفي ذلك تربية للأمة الإسلامية المأمورة بالتسليم لهدي الله والمبادرة إلى تنفيذه، حتى لو خفيت عليهم الحكمة منه كما مر عند آية (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها..).

أما القسم الثاني المتمم للقصة، فنجد فيه بيان قدرة الله على إحياء هذا القتيل، وفي ذلك إشارة لقدرته تعالى على البعث والحساب: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، إن عرض قدرة الله تعالى على الإحياء أمام أعينهم فيه أجلُّ موعظة لهم، لأنهم لو كانوا يوقنون باليوم الآخر وما فيه من الحساب لما توانوا عن تنفيذ أوامر الله تعالى، وفي ذلك تربية للمؤمنين الذين يدفعهم إيمانهم بالآخرة إلى المبادرة إلى تنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه.

ولقد عقب السياق على القصة ببيان قساوة قلوب بني إسرائيل التي تزيد على قساوة الحجارة، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم إن لم يكن قد انعدم.

وبعد هذه القصة التي خُتم بها فضحُ أسلافهم، انتقل السياق إلى فضح بني إسرائيل المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، ولبيان أنهم ما زالوا على نفس العقيدة والشاكلة، فكان لا بد من التحذير منهم: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﮊ، فهم يمتنعون عن الإيمان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم مع علمهم بصدقه حسداً من عند أنفسهم.

وقد عرض السياق جهل عوامهم، وكذب وافتراء علمائهم بتحريفهم الكتاب، وانظر ضعف إيمانهم وجهلهم: ﮋﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮊ.

وهم ما زالوا يعرضون عن أوامر الله بدل الالتزام بها: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﮊ.

وانظر كيف يمتنعون عن الإيمان بالقرآن مع علمهم بصدقه: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﮊ فهم يدعون ظاهراً الإيمان بكتاب موسى والحقيقة إن أعمالهم تدل على غير ذلك، فهل تأمرهم التوراة بقتل الأنبياء وعبادة العجل؟

ولقد بين السياق السبب الأكبر لتصرفاتهم هذه، وهو أنهم قوم ماديون وإيمانهم بالآخرة قليل أو منعدم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ.

ومن تصرفاتهم المخزية التي حدثنا السياق بها: عداوتهم للملائكة وخصوصاً جبريل عليه السلام، وتفضيلهم اتباع ما تتلوه الشياطين من السحر والكذب على كتاب ربهم، وقلة أدبهم مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى أُمر المؤمنون بالحذر من الوقوع بذلك: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ.

وفي خلال سياق فضح هؤلاء اليهود المعاصرين تجد السياق يذكر المؤمنين بالصفات المذكرة أول السورة ويدعوهم للالتزام بها، وأن لا يقعوا بما وقع به هؤلاء، فقد أمرهم بالتسليم للحكمة المرادة من النسخ، وأن لا يكون ذلك باباً للشك: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ، وانظر هذا التحذير: ﮋ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، وانظر الأمر بالصفات المذكورة أول السورة: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ.

ولم يقتصر السياق على التحذير من اليهود فقط، بل حذر أيضاً من النصارى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ ، وانظر قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ، فموقف اليهود والنصارى من الأمة الإسلامية المؤهلة للخلافة في الأرض واحد.

فأنت ترى أن السياق يركز على بيان أسباب زوال شرف الخلافة عن أهل الكتاب بعدما غيروا وبدلوا، ويأمر المؤمنين بالثبات على الصفات التي ارتضاها الله لخلفائه في الأرض، وهذا محور قد دلت عليه قصة البقرة مع التعقيب الإلهي عليها أشد الدلالة.

ثم انتقل السياق إلى عرض قصة إبراهيم عليه السلام، وتجد فيها استسلامه التام لأوامر الله تعالى، وأن من يستحقون الانتساب إليه هم فقط من التزم بالصفات المؤهلة للخلافة: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ، وانظر هذا القول لسيدنا إبراهيم: ﮋ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ ﮊ ولاحظ قوله: من آمن بالله واليوم الآخر، وهذا متناسب مع الصفات المذكورة أول السورة، وانظر هذه الدعوة منه عليه السلام الدالة على اختصاص الأمة الإسلامية بالانتماء له: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ، وانظر كيف كان إبراهيم عليه السلام مستسلما لأمر ربه، وموصياً أولاده بذلك: ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ. فالسياق يعرض هذه القصة ليبين للمؤمنين أن الاستسلام لأوامر الله هي صفة الأنبياء، فعليهم الالتزام بها ولا ينكلوا عنها كما صنع بنو إسرائيل.

ثم عقب السياق بالرد على اليهود والنصارى الزاعمين زوراً وكذباً انتماءهم الديني لإبراهيم عليه السلام، ومبيناً أن الأمة الإسلامية هم فقط من نال هذا الشرف: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ڪ ڪ گ گ گ ڳ ڳ ڳژ، وانظر قوله تعالى: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ.

خامساً: وبعد أن فضحت السورة بني إسرائيل وبينت أن من أهم أسباب زوال شرف الخلافة عنهم إنما هو عدم استسلامهم لأوامر الله، انتقل السياق إلى ذكر عدد من الأوامر والتوجيهات للأمة الإسلامية آمراً إياهم بالالتزام بها وأخذها على محمل التسليم والجد والهمة، فكان أول أمر الالتزام بتحويل القبلة إلى البيت الحرام، وعدم الالتفات إلى عدم تسليم السفهاء لهذا الأمر الإلهي حتى يعلموا الحكمة المرادة منه: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڌڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ک کک ک ک گ گ گگ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱڱژ، فقد امتازت الأمة الإسلامية بقبلتها التي ارتضاها الله لها، بينما أراد اليهود أن يبقى المسلمون تابعين لهم في استقبال بيت المقدس.

وأعاد السياق تذكير المؤمنين بالصفات التي ارتضاها لهم، من ضمنها اليقين باليوم الآخر: ژ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇڇ ڇ ڍ ڍ ژ، وهذه الآيات تبين أن الابتلاء سنة الاصطفاء، وتربي المؤمنين على الصبر والثبات، وأن لا يهنوا ولا يضعفوا، فهم على الحق.

ومن الأوامر والتوجيهات للأمة الإسلامية أيضاً: عدم التحرج من السعي بين الصفا والمروة، والتحذير من الشرك، ومن اتباع خطوات العدو الأزلي للبشرية، والتزام ما أحل الله من الطعام، واجتناب ما حرمه، ومن الأوامر التي تحفظ المجتمع أيضاً القصاص في القتل: ژ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ، وحفظ الوصية، وبيان أحكام الصيام: ژ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ژ، ومقاتلة أعداء الله: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ی ی ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿٿ ٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڦ ڦژ، والتفصيل في أحكام الحج والعمرة: ژ ۓ ڭ ڭ ڭڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۅ ۉ ېې ې □□ □ □ □ □ □ ی ی ی □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□□ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ. وتحريم الزواج من المشركات، واعتزال النساء في المحيض، وحفظ الأيمان، والتفصيل في أحكام الطلاق، وأحكام الرضاعة، والإنفاق في سبيل الله، وترك الربا، والتفصيل في أحكام الدَّين، فهذه جملة من الأحكام التي تميز المجتمع الإسلامي وتحفظه على الصعيد الداخلي والخارجي.

واللافت للنظر أنك تجد في ثنايا عرض هذه الأحكام تحذيراً ممن تهاونوا بأوامر الله حتى زال عنهم شرف الخلافة: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ.

وقد أسهم القصص القرآني أيضاً في بيان أهم أسباب زوال الخلافة عن بني إسرائيل، فمن ذلك خوفهم من الموت لقلة إيمانهم بالآخرة وعدم استعداهم لها: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ، وانظر هذه القصة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، وهم مع ذلك جادلوا نبيهم في أن يكون طالوت ملكاً عليهم، وخالفوا أمره وشربوا من النهر، وجبنوا عن القتال إلا فئة قليلة منهم.. وفي ذلك تربية لأمة الإسلام على التسليم لأوامر الله والأخذ بها على محمل الجد والهمة والعزيمة.

وقد بين السياق للمؤمنين عظمة الله عز وجل الذي ارتضاهم خلفاء في الأرض، وذلك يدعوهم إلى الالتزام بأوامره: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ، ولاحظ وصف الله عز وجل بالحي القيوم، فهو لا يموت وقائم على أعمال العباد وقادر على بعثهم يوم القيامة لمجازاتهم عليها، وهذا متناسق مع جو السياق الدال على قدرة الله على ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى متناسق مع أمر المؤمنين باليقين بالآخرة في أول السورة.

وليكتمل التناسق عرض السياق قصصاً أخرى دالة على قدرة الله على البعث والحساب، فانظر إلى قصة إبراهيم الأولى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ، وانظر هذه القصة: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ...ﮊ (بعض الآية: ٢٥٩)، وانظر إلى القصة الثانية لإبراهيم عليه السلام: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ.

وبعد ذلك كله انظر إلى هذا الأمر للأمة الإسلامية في أواخر السورة: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ. فأنت ترى أن سياق السورة يربي المؤمنين على الالتزام بأوامر الله والثبات على الصفات التي ارتضاها لهم والتي أهمها: اليقين بالآخرة، وذلك متناسق مع قصة البقرة مع التعقيب عليها الذان أفادا زوال هذه الصفات عن بني إسرائيل مع رؤيتهم قدرة الله على البعث عياناً.

سادساً: بقيت الخاتمة التي تجد فيها إعادة التذكير بعظمة الله تعالى الذي ارتضى الأمة الإسلامية خلفاء في الأرض، وأعاد تذكيرهم بالصفات التي تبقيهم مؤهلين للخلافة: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ

ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ □ □ □ □□ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □□ □ □ □ □□ □
□ □ □ □ □ﮊ والمتأمل في هذه الآيات يظهر له جلياً تناسقها مع مفتتح السورة الذي أمر المؤمنين بنفس الصفات، فهكذا يلتقي الختام مع البدء في دعوة المؤمنين بالتزام الصفات التي ارتضاها الله لهم، والتحذير من التهاون بها والتردد في اتباع أحكامه تعالى، ويحذرهم من التهاون والتردد بذلك، وإلا زال عنهم شرف الخلافة كما زال عن بني إسرائيل، وهذا هو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثانياً: سورة المائدة

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة باسم «المائدة» لذكر قصة المائدة التي طلبها الحواريون من سيدنا عيسى عليه السلام، لتكون معجزة مادية محسوسة دالة على صدقه في نبوته، فاستجاب الله لهم وأنزل المائدة وتوعّد من يكفر بعد ذلك بالعذاب الأليم، فاسم السورة يحذر من الكفر بعد الإيمان.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين موضوعات السورة ومحورها واسمها، فذكروا أن من مقاصد السورة الوفاء بما دل عليه ميثاق العقل من توحيد لله شكراً على نعمه ودفعاً لنقمه، والأمر بالتزام التشريع الإلهي الذي يهدف لإقامة المجتمع المسلم مع بيان دوره في الأرض وموقفه تجاه أعدائه، وإبطال الجاهلية بمختلف صورها، وذكروا أن قصة المائدة بدلالتها على التوحيد وإبطال العقائد الزائغة حول عيسى عليه السلام، وبدلالتها على أن من خالف الأمر الإلهي بعدما رأى المعجزة فقد عرض نفسه للعذاب، ولمناسبتها لموضوع الأطعمة، كانت هي الأجدر لتسمية السورة (١٠٣).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة: أمر الأمة الإسلامية بالالتزام بالعقود التي ألزمهم الله بها، والتي أجلُّها التزام عقيدة التوحيد، والتحذير من التهاون بهذه العقود أو إضاعتها كما حصل من اليهود والنصارى، وإنما اختير اسم «المائدة» لهذه السورة لأن أبرز دلالات قصة المائدة مع التعقيب عليها بيان أن إجابة طلب قوم عيسى عليه السلام لمعجزة مادية دالة على صدقه، كانت بمثابة عقد موثّق بين الله وبينهم على عدم الكفر بعدها، ولكن منهم عاد إلى الكفر والشرك بعد ذلك كما بين التعقيب. فهذه القصة مع التعقيب الإلهي عليها أدل ما في السورة على التحذير من الوقوع بنقض العقود مع الله والتي

---

(١٠٣) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ١٧٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٢، ص ٣٨٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٢، ص ٨٢٥- ٨٣٠، ورضا، **تفسير المنار**، ج ٧، ص ٢٠٠- ٢٠٥، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٢، ص ٢٨٧، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٧١- ٧٦، وحجازي، **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**، ص ١١٥- ١٣١، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ص ٨٣- ٨٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٥٧- ٦٨.

أجلّها التزام عقيدة التوحيد، وقد تميزت هذه السورة عن السورة التي تشاركها بأسمائها بأنها **سورة دعوة أمة الإسلام بالالتزام بعقودهم مع الله، وأهمها عقد التوحيد.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بينها وبين دلالات قصة المائدة التي سميت السورة باسمها، فمعظم السياق في السورة يخاطب المؤمنين بأوامر ونواهٍ يعتبر كل منها بمثابة عقد بينهم وبين الله، فواجبٌ عليهم الوفاء بها، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن تقسيم السورة إلى ثلاثة أقسام رئيسية: مقدمة تأمر المؤمنين بالوفاء بالعقود التي بينهم وبين الله والمتمثلة بجملة من الأحكام والتوجيهات الربانية لهم، ثم بيان لوجوب المفاصلة العقدية بين الأمة الإسلامية المأمورة بالتزامها لعقودها مع الله، وبين أهل الكتاب وأهل الجاهلية الذين نقضوا هذه العقود ولم يلتزموا بها، وخاتمة مؤكدة لما سبق [١٠٤].

أولاً: المقدمة، وقد افتتحت بنداء للمؤمنين يأمرهم بالالتزام بالعقود التي ألزمهم الله بها، ثم عرض السياق بعضاً من هذه الأوامر والنواهي التي يعتبر كل منها بمثابة عقد بين المؤمنين وربهم: ﮋ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮊ، ولاحظ أن النداء بيا أيها الذين آمنوا يعطي دلالة التزامهم بعقد التوحيد، فالتوحيد أساس الإيمان، ومما يلفت النظر أن معظم الأوامر والنواهي في المقدمة مما يتعلق بالطعام، وهذا متلائم مع اسم السورة «المائدة»، بالإضافة إلى كونها عقوداً يجب الوفاء بها. ومن الأوامر والنواهي المذكورة في المقدمة: حفظ شعائر الله، وتحريم القتال في الشهر الحرام، وتحريم الصيد على المحرِم، وبيان المحرَّمات من اللحوم، وتحليل الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب، والتفصيل في أحكام الوضوء والتيمم، وحفظ الشهادات، وانظر قوله تعالى الآمر بالتزام هذه الأحكام: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮊ، فكل هذه الأوامر والنواهي بمثابة عقود بين المؤمنين وبين ربهم يجب عليهم الوفاء بها. ولا يخفى أن هذه العقود أساسها التوحيد، فإذا انعدم التوحيد لم يعد لها فائدة، وهذا وجه الترابط ـ فيما أرى ـ بين دلالة قصة المائدة على نقض بني إسرائيل عقدهم مع الله بالتزام التوحيد، وبين هذه المقدمة الداعية لالتزام العقود مع الله، والتي أساسها التوحيد.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان وجوب المفاصلة العقدية بين الأمة الإسلامية المأمورة بالتزام عقودها مع الله، وبين اليهود والنصارى والجاهليين الذين نقضوا هذه العقود،فابتدأ السياق باليهود: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﮊ، وثنّى بالنصارى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ، فموقف هاتين الأمتين من عقودهما مع الله واحد، وهو النقض والترك والإهمال.

---

(١٠٤) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١١، والمفاصلة بين أمة الإسلام وأهل الكتاب والجاهليين: ١٢- ١٠٨، والخاتمة: ١٠٩- ١٢٠. ويجب أن أنوه إلى أن لفظة «العقود» الواردة في السورة تعني: « كل ضوابط الحياة التي قررها الله »، قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص ٨٣٥، فهي تشمل الجانب العقدي بدءً من التوحيد، وانتهاءً بالجانب العملي وما يحتويه من أوامر ونواه.

وفي خلال عرض مواقف اليهود والنصارى من عقودهم مع الله، يدعوهم السياق إلى ترك باطلهم واتباع الهدى الي أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چچ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ژ، وانظر قوله تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎڈ ڈ ژ ژ ژڑ ک ک ک ک گ گ ژ. وقد عرض السياق موقف اليهود والنصارى من العقد الأكبر بينهم وبين الله، أعني عقد التوحيد: ژ ڳ ڳ گ گ گ گ گں ں ڻ ڻڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈۋ ۋ ۋ ۅۅ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ٱ ٻ ٻ ٻ پ پپ پ پ پ ٺٺ ٺ ٺ ٿ ٿٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦڦ ڄ ڄ ژ.

ثم انتقل السياق إلى جانب من العرض القصصي لموقف مخزٍ لبني إسرائيل تجاه عقدٍ بينهم وبين ربهم يتعلق بالقتال: ژ گ گ گ گ ڳ ڳ گ گ گ گں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □ □ ژ فقد أحجموا عن القتال حينما أمرهم ربهم به: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پپ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ژ، فكان جزاء نقضهم لهذا العقد أن حرّم الله عليهم تلك الأرض المقدسة.

وأعقب السياق قصة بني إسرائيل بعرض قصة ابنَيْ آدم، وفيها نقضٌ لعقد تحريم القتل بغير حق، فقد أقدم القاتل على قتل أخيه حينما كان مأموراً بالإحجام عن ذلك، وبذلك تكتمل الصورة التناسقية بين القصتَيْن: ژ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گگ ڳ ڳ گ گ گ گں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ ژ.

وانظر كيف عقب السياق مخاطباً بني إسرائيل الذين كانوا كثيراً ما يقدمون على قتل أنبياءهم، وهم مأمورون بالإحجام عن ذلك: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ ژ.

وقد ذكر السياق أمراً للمؤمنين متعلق بموضوع القتل، وهو بيان حد المحاربة، وأعقبه بحد السرقة وهي قد تكون دافعاً للقتل إذا فوجئ السارق. وأمر المؤمنين بالتزام بحفظ هذه العقود والتزام التقوى.

وانتقل السياق إلى ذكر موقف المنافقين من عقد الإيمان بالله، فهم يسارعون في الكفر، وإلى ذكر من موقف اليهود من حفظ عقود الله في التوراة، فهم سمّاعون للكذب، ويحرفون الكلم عن مواضعه، وأكّالون للسحت، ولا يقبلون بحكم التوراة فكيف يقبلون بحكم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ثم انتقل السياق إلى عرض موقف النصارى من حفظ عقود الله في الإنجيل، وبين أن مَن لم يحكم بما أنزل الله فهو الكافر والظالم والفاسق.

ثم أعقب ذلك بأمر المؤمنين بالتزام عقود الله في القرآن: ژ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژژ ژ ڑ ک ک ککگ گ گ گ گ ڳ ڳڳ گ گ گ گں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھھ ھ ھے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ژ.

وقد حذر السياق أكثر من مرة من موالاة اليهود والنصارى بعدما بيّن نقضهم لعقودهم مع الله، وبيّن لهم الموالاة الحقيقية: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ   ﯽ ﯾ ﮊ، وقد ذكر السياق بعض مواقف أهل الكتاب من التزام المؤمنين بالعقود، فهم يتخذون الصلاة هزواً ولعباً، ويظهرون الإيمان ويخفون الكفر، ويسارعون في الإثم والعدوان وأكل السحت، ويقولون عن الله أقوالاً تظهر كفرهم، كقولهم يد الله مغلولة، ويشركون بالله: ﮋ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ. ولا يخفى الترابط بين هاتين الآيتين وبين قصة المائدة مع التعقيب الإلهي عليها من تبرئة عيسى وأمه عليهما السلام من فرية الشرك.

وبعد أن قرر السياق وجوب المفاصلة العقدية بين أمة الإسلام وبين أهل الكتاب، ذكر عدداً من الأوامر والنواهي والتوجيهات للأمة الإسلامية آمراً إياهم بحفظها والالتزام بها، فأعاد التذكير بأكل الحلال من الطيبات، وحفظ الأَيمان وبيان كفارتها، والأمر باجتناب عادات الجاهليين، فحرم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وأعاد التذكير بتحريم صيد البر على المحرِم، وأحل صيد البحر، وعظم من شأن الكعبة وشعائر الله، وحذر من عقائد الجاهليين الباطلة: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ   ﯽ ﯾ ﯿ   ﮊ. وأمر بحفظ شهادة الوصية وغلّظ على من كتمها أو حرّفها.

فأنت ترى أن معظم سياق السورة يركز على أمر الأمة الإسلامية بحفظ عقودها مع الله تعالى بدءً من التوحيد وانتهاءً بالأحكام العملية التعبدية، مع التحذير مما وقع به أهل الكتاب والجاهليون من نقض هذه العقود التي أمرهم الله بها، والتي أجلّها عقد التوحيد. وذلك متناسق مع قصة المائدة التالية والتي أهم دلالاتها بيان نقض بني إسرائيل لعقد التوحيد وهو أهم عقد مع الله.

ثالثاً: بقيت الخاتمة وهي عبارة عن مشهد أخروي يعرض جانباً من نِعم الله تعالى على سيدنا عيسى عليه السلام، ويركز السياق في هذه الخاتمة على إبطال دعوى بني إسرائيل بألوهية عيسى وأمه عليهما السلام، وهم بذلك نقضوا أهم عقد بين الله والبشر، أعني عقد التوحيد: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ، فهذه المعجزات أيد الله بها عبده ورسوله عيسى عليه السلام، ولولا أن أكرمه الله بها لما كان له أن يأتي بأحدها.

وقد أسهم العرض القصصي أيضاً في بيان نقض بني إسرائيل لعقد التوحيد، فعرضت قصة المائدة طلب بني إسرائيل لمعجزة مادية محسوسة يرونها بأعينهم، حتى تطمئن قلوبهم للإيمان: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ

ۋ ۋ ې ې ۑ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ىژ، ولاحظ أن الذي طلب هذه المعجزة المادية هم الحواريون، وهم خلاصة بني إسرائيل وصفوتهم، فكان طلبهم هذا بمثابة عقد بينهم وبين الله تعالى على الإيمان والتصديق، ولقد أجاب الله طلبهم ورتّب على من يكفر بعده عقوبة شديدة: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چژ، وهكذا اكتمل العقد بين الله تعالى وبني إسرائيل، ونزّل عليهم مائدة رأوها بأعينهم ولم يعد لهم حجة.

لكن هل التزموا بالوفاء بهذا العقد؟ إن التعقيب الإلهي على هذه القصة يجيب على هذا السؤال: ژ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﮮ ﮮ ﮯ ﮯ ﮰ ﮰ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ٻ □ ژ، فهم قد خانوا عقد الإيمان والتوحيد وأشركوا عيسى وأمه عليهما السلام مع الله تعالى، وقد برّأ الله عبده ورسوله من هذه الخيانة، إذ إنها حصلت بعد رفعه من بينهم. فالدلالة السياقية لهذه القصة مع التعقيب الإلهي عليها يبرز لنا عدم وفاء بني إسرائيل لأهم عقد بينهم وبين الله تعالى، وهو عقد التوحيد الذي ينبني عليه ما سواه من العقود بين الله والبشر، ولذلك اختص هذه القصة بتسمية السورة بها.

ثم ختمت السورة بتعقيب إلهي على قول عيسى عليه السلام يبشر من التزم بعقوده مع الله تعالى ووفى بها، ومقرراً لمبدأ التوحيد إذ إن الله وحده سبحانه مالك السماوات والأرض وما فيهن: ژ ى ى ي ي □ ژ، فهذا الختام المبين لعظمة الله تعالى والداعي للالتزام بعقوده يتلاءم مع مفتتح السورة الذي أمر المؤمنين بوفاء عقودهم مع الله. فالتقى الختام والبدء على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثالثاً: سورة النمل

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة بسورة «النمل» لذكر قصة سليمان عليه السلام حينما سار بجنوده ومرَّ على وادي النمل، فخافت نملة أي يحطم سليمان عليه السلام وجنوده النمل وهم لا يشعرون، فحذرت النمل وأمرتهم بدخول مساكنهم، فسمع سليمان عليه السلام كلامها وشكر الله على أن أشهده إعجازه في أحد آيات خلقه. فالقصة تدل على إعجاز الله في آيةٍ من آيات الخلق، وتعرض أنموذج شكرٍ لله واعتراف بنعمته مقابل هذه الآية.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً في الربط بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن من مقاصد هذه السورة إظهار العلم والحكمة التي ألهمها الله لمخلوقاته فكانت آياتٍ تبرز وحدانيته في الخلق، وذكروا أن من مقاصدها أيضاً الاهتمام بنواحي

العقيدة من توحيد العبادة لله، والإيمان بالآخرة، وأن الغيب لله لا يعلمه سواه، والدعوة إلى شكر أنْعُم الله على البشر، وذكروا أن قصة النمل تحوي دلالات تؤكد هذه المقاصد، فهي تبرز هداية الله التي أودعها في مخلوقاته التي تجلت في قول النملة من حسن التدبير وصحة السياسة وحسن التعبير وبلاغة التأدية عن ذلك القصد، وتعرض موقف سليمان عليه السلام الشاكر لله على نعمه [١٠٥].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان بآيات الله القرآنية والكونية، من خلال عرض نماذج إيمان وشكر، ونماذج جحود وكفر لهذه الآيات مع ذكر مصير نماذج الكافرين، وإنما اختير اسم «النمل» لهذه السورة لأن دلالات قصة النمل السياقية فيها أدل ما في السورة على إعجاز الله حتى في أحد أضعف مخلوقاته، فكانت آية دالة عليه، و لأن من دلالاتها عرض موقف الإيمان والشكر إزاء هذه الآية، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها باسمها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة عرض نماذج من ممالك الجحود والكفر ونماذج الإيمان والشكر تجاه آيات الله في خلقه، وأهمها مملكة النمل.**

والمتأمل في موضوعات السورة يظهر له الترابط الوثيق بينها وبين الدلالات السياقية لاسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن تقسيم السورة إلى أربعة موضوعات رئيسية: مقدمة داعية إلى الإيمان بآيات الله القرآنية وما تحويه من أصول الإيمان، ثم عرض قصصي لنماذج إيمان وشكر ونماذج جحود وكفر إزاء آيات الله، ثم تعقيب إلهي على هذه القصص يدعو إلى الإيمان من خلال ذكر بعض الآيات الكونية، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق [١٠٦].

أولاً: جاءت المقدمة مبينة فضل القرآن العظيم، وما تدعو إليه آياته من أصول الإيمان: ژ ٱب ب ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ژ، فآيات الله القرآنية تحوي هدى وتبشيراً للمؤمنين، وتدعوهم إلى الإيمان بالآخرة والقيام بما ينبني على الإيمان من صلاة وزكاة. ولاحظ قوله تعالى: (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم)، الذي يدل على أن مصدر الآيات المنزلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الله تعالى، وهو ذاته من أرسل موسى عليه السلام بآيات بينات إلى فرعون كما سيأتي، وهو ذاته من ألهم النملة الهدى والحكمة حينما أنقذت قومها، فكما أن الآيات القرآنية تدعو إلى الإيمان به، كذلك تدعو آيات الله في خلقه والتي أكثرها دلالة على إعجازه في هذه السورة آية النمل التي سميت السورة باسمها.

---

(١٠٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٩٩، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ٤٠٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٦٢٤- ٢٦٣٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٥، ص ٤١٧ و ٤١٨، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ١٩٢- ١٩٦.

(١٠٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٦، والعرض القصصي شمل كلاً من الأنبياء التالين: موسى: ٧- ١٤، سليمان بن داود: ١٥- ٤٤، صالح: ٤٥- ٥٣، لوط: ٥٤- ٥٨ عليهم السلام جميعاً، والتعقيب الإلهي على هذه القصص: ٥٩- ٨١، والخاتمة: ٨٢- ٩٣.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرضٍ قصصي متنوع يعرض نماذج مختلفة لمواقف البشر إزاء آيات الله تعالى، فكان أولها فرعون وقومه الذين رأوا تسع آيات باهرات لكنهم جحدوا بها وقد استيقنتها أنفسهم: ژ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ژ،

فهذا المشهد القصصي فصّل في عرض آيتَيْ العصا واليد اللتَيْن أيد الله بهما رسوله، لأنهما أول آيتين سيراهما فرعون، ويفهم منه أن فرعون لن يكتفي بآيتين فبين السياق أن مجموع الآيات سيكون تسع آيات خلال الفترة التي سيمكث فيها موسى عليه السلام يدعو قومه إلى الإيمان في مصر.

وانظر ماذا كان موقف فرعون وقومه من هذه الآيات: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ژ، ولاحظ أولاً وصف الآيات بأنها مبصرة، أي لا مجال للشك في دلالتها على الله تعالى الذي أيد رسوله بها، ولاحظ ثانياً كيف كان موقفهم الجحود والكفر بدلاً من الإيمان والشكر، مع أن نفوسهم مستيقنة من دلالة تلك الآيات على الله، ولاحظ ثالثاً الدعوة إلى النظر في عاقبتهم، وفي ذلك رسالة تهديد لكفار قريش الذين لم يؤمنوا بآيات الله.

ثم انتقل السياق إلى عرض أنموذجٍ ذي موقف مختلف تماماً إزاء آيات الله في خلقه، وهو يتمثل في موقف داود وسليمان الشاكرين لله على نعمه: ژ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ژ، ثم انتقل السياق إلى عرض موقف سليمان عليه السلام حينما رأى آيةً من إعجاز الله في خلق النمل: ژ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ژ، ولاحظ أولاً: التناسق في وصف حشر الجن والإنس والطير لسليمان عليه السلام بقوله: فهم يوزعون، الدال على كمال الانضباط والترتيب بالرغم من الكثرة، ولا يخفى تناسق ذلك مع ما في مملكة النمل من الانضباط والترتيب، ولاحظ قوله تعالى أواخر السورة: ژ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ژ، فهم سيوقفون منضبطين مرتبين.

ولاحظ ثانياً: قول النملة الدال على أن خالقها قد ألهمها الهدى والحكمة وحسن السياسة، فهي قد أنقذت قومها حين حذرتهم من الخطر بأبلغ تعبير، فكانت بتصرفها الملهَم هذا آيةً دالة على إعجاز الله في خلقه، ولاحظ ثالثاً: موقف سليمان عليه السلام المبادر لشكر ربه عز وجل حينما أطلعه على هذه الآية العجيبة، وأما العبارة (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه) فلم ترد إلا في هذه السورة وفي سورة الأحقاف، وذلك في سياق عرض موقف الشاكرين من البشر. إذاً فقد كان هذا موقف الشكر الأول من سليمان عليه السلام، وهو مقابل لموقف الجحود والكفر بآيات الله الذي المتمثل في فرعون في القصة السابقة.

ثم انتقل السياق إلى عرض موقف شكر آخر لسليمان عليه السلام إزاء آية أخرى من آيات الله في خلقه، وذلك حينما أنبأه الهدهد بنبأ ملكة سبأ: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ژ، فهذه آية أخرى من آيات الله في خلقه، فقد أنكر هذا الهدهد فعل قوم سبأ المشركين بفطرته المؤمنة التي فطره الله عليها، وأدرك أيضاً أن سبب إغوائهم هو الشيطان، وأدرك أيضاً أن الله يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما يخفي الناس وما يعلنون، فانظر ماذا كان موقف سليمان من هذه الآية: ژ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ، ولا يخفى أن موقفه هذا دال على شكر الله أيضاً، فقد بادر بدعوتهم إلى الإيمان والتوحيد. فهذا موقف شكر ثان لسليمان عليه السلام في هذه السورة إزاء آيات الله في خلقه.

وقد يسأل سائل: لمَ لمْ تسمَّ السورة باسم «الهدهد» مع أن قول الهدهد دال على التوحيد بالألفاظ الصريحة، بينما قول النملة كان فقط تحذيراً لقومها؟ أعتقد ـ من وجهة نظر الباحث ـ أن النمل آية دالة على إعجاز الله في خلقه أكثر من آية الهدهد، ويظهر ذلك من عدة أمور أولها: أن النملة التي حذرت قومها غير معرفة بـ (أل) التعريف، فهذا دليل صريح على أن كل فرد في مملكة النمل قد أُلْهم في فطرته الحكمة والهدى من الله للحفاظ على حياته، بينما لا تجد دلالة ذلك في سياق حديث السورة عن الهدهد، لأن قول سليمان عليه السلام: ما لي لا أرى الهدهد؟ أفاد أن هذا الهدهد معروف تحديداً لديه بدليل (أل) التعريف. ولا أقصد أن الهداهد غير ملهمة الحكمة والهدى من الله في فطرتها، لكن السياق لم يذكر ذلك صراحة كما ذكره في آية النمل.

وثانياً: النمل أضعف وأصغر حجماً من الهدهد، فدلالة إعجاز الله في خلق النمل أغربُ وأعجب، وثالثاً: تجد في موقف سليمان عليه السلام المبادرة إلى الشكر لله في إطلاعه على هذه الآية، بدليل فاء التعقيب في قوله: (فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك..)، بينما قال بعدما سمع كلام الهدهد: (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين)، فموقفه من قول النملة أكثر دلالة على الشكر، ورابعاً: لقد أخبرنا السياق في بداية الحديث عن قصة سليمان أنه قد عُلِّم منطق الطير (يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير)، بينما لم يخبرنا عن أنه قد عُلم منطق النمل أيضاً، فكانت آية النمل لدى القارئ أكثر عجباً، هذا ما ظهر لي والله أعلم.

أما فيما يتعلق بموقف سليمان عليه السلام من آية الهدهد، فقد برز موقفه الشاكر من خلال المسارعة إلى دعوة سبأ إلى الإيمان، وبرز أيضاً في افتتاح كتابه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)، وبرز أيضاً برده لهدية ملكة سبأ مع بيانه أن ما آتاهُ اللهُ خير من هديتهم، وانظر قوله حينما أتاه الذي عنده علم من الكتاب بالعرش: ژ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ۇ ژ ، فسياق القصة يعرض شكر سليمان على آيات الله في خلقه التي أراهُ إياها من أول القصة لآخرها، ويبرز شكره عليه السلام أيضاً في آخر القصة من خلال قول الملكة بعد أن آمنت بآيات الله التي رأتها بأعينها: ژ □ ژ. وهكذا كانت قصة سليمان عليه السلام في هذه السورة تعرض أنموذج الإيمان بآيات الله

والشكر له في مقابل أنموذج فرعون وقومه المكذبين قبلها، وفي مقابل أنموذج قوم ثمود وقوم لوط المكذبين بعدها. وقد كان أدل ما في قصته على موقف الشكر آية النمل التي سميت السورة باسمها.

ثم انتقل السياق إلى بيان موقف ثمود، الذين آثروا الغدر والمكر على الإيمان والشكر، فانظر ماذا كان موقفهم من نبيهم صالح عليه السلام الذي أيده الله بآية الناقة: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ.

وعرض السياق موقف قوم لوط أيضاً الذين آثروا شهوة الرجال المخالفة لفطرتهم على شهوة النساء التي أباحها الله وجعلها نعمة منسجمة مع فطرة البشر: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ، فانظر ماذا كان موقفهم من هذه النعمة، وماذا كان مصيرهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ. فهاتان القصتان تعرضان أنموذجين من الجحود والكفر إزاء آيات الله في خلقه، في مقابل أنموذج الإيمان والشكر في المواقف المتعددة في قصة سليمان عليه السلام.

ثالثاً: ثم عقب السياق على القصص المذكورة بذكر بعض الآيات الكونية الدالة على الله، والداعية إلى الإيمان بها وشكر الله عليها: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ، ولاحظ افتتاح هذا التعقيب بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بحمد الله تعالى، ولاحظ ثانياً: تكرار الاستفهام التقريري (أمّن ..) خمس مرات، ولاحظ ثالثاً: تكرار السؤال التقريري (أإله مع الله) خمس مرات أيضاً.

فلا شك في أن السياق يدعو إلى الإيمان بهذه الآيات واتخاذ موقف الشكر لله منها ، وانظر قوله تعالى المؤكد لذلك: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ. ولاحظ التناسق في المقابلة بين موقف أكثر الناس، وبين موقف سليمان عليه الشاكر لله على أن أطلعه على عدد من آياته في خلقه كان أكثرها دلالة آية النمل التي سميت السورة باسمها.

رابعاً: بقيت الخاتمة وهي تحوي تأكيداً لكل ما سبق من سياق السورة، وقد ابتدأت هذه الخاتمة بذكر آية من آيات الله تدعو إلى اليقين بآياته تعالى، وهي متناسقة مع ما ذكر في قصة سليمان عليه السلام من سماع كلام النملة والهدهد: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ، ولم تخل الخاتمة كذلك من التذكير ببعض آيات الله في خلقه الداعية إلى الإيمان والشكر: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ

□ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ژ، وكما افتتحت السورة بالدعوة إلى الإيمان بآيات الله القرآنية، ودعت في سياقها إلى اتخاذ موقف الإيمان والشكر من آيات الله الكونية، ختمت كذلك بنفس الدعوة: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڨ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄڄ ڃ ڃ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇڇ ڍ ڍ ڎ ڎ ڎڎ ڈ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ، وهكذا التأم شمل مفتتح السورة وختامها على محور الدعوة إلى الإيمان بآيات الله والشكر عليها، وهو المحور الذي دلت عليه آية النمل التي سميت السورة باسمها أشد الدلالة.

رابعاً: سورة القصص

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام، وبين والد المرأتين اللتين سقى لهما أغنامهما، إذ قصّ موسى عليه القصص التي حدثت معه حين مكّن الله له العيش والترعرع في بيت فرعون مع أنه أحد الإسرائيليين، وحين قتل من الأقباط نفساً، فنصحه أحد الناس بالخروج من مصر، وحين قابل المرأتين وسقى لهما، وحين جمعه بأبيهما، إلى أن طمأن والد المرأتين موسى وزوّجه إحدى ابنتيه. فاسم السورة يدل على مدى اللطف الذي أحاط اللهُ به عبده موسى في أحداث هذه القصص، وهو لطف يدل على أن الله بيده الملك والتدبير.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، فقررت أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله الحق، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون هي قيمة الإيمان، فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له، فهي تبرز الصراع بين قوة الحق وقوة الباطل المتوهمة، وتبين أن العاقبة لأهل الحق والخير، لأن قوة الله معهم، والقصص هو أفضل وسيلة لإبراز هذا الصراع، كما وأن السورة بالإضافة إلى القصص تلفت الأنظار إلى آيات الله في كونه، وفي مصارع الغابرين، وفي مشاهد القيامة، لتؤكد سنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل، وهي أن قوة الله هي الغالبة (١٠٧).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان بعض مظاهر لطف الله تعالى وتدبيره وحكم في الدنيا والآخرة، مما يثبت أنه هو الخالق وأن له الحكم، ولما كانت المشاهد القصصية المعروضة من قصة موسى عليه السلام في هذه السورة هي أدل ما فيها على المحور المذكور، جُعل منها اسمٌ للسورة

---

(١٠٧) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ١١١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ٤٦٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٦٧٣- ٢٦٧٥، و أ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٥، ص ٥٠٨، و د. نوفل، **تفسير سورة القصص: دراسة تحليلية موضوعية**، ص ٤٠- ٥١، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٩٧- ٢٠٥.

للدلالة عليه، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها في أسمائها بموضوع القصص القرآني بأنها **سورة عرض بعض مظاهر لطف الله وحكمته في تدبيره في الدنيا والآخرة، فهو الخالق وله الحكم في الدارين.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام: مقدمة تعرض موجزاً لقصة موسى ببيان الظروف التي كانت سائدة في مصر قبل ولادته، ثم عرض قصصي تفصيلي لقصته يبين تدبير الله لتحقيق حكمه بجعل المستضعفين أئمة، وإلحاق الهلاك بفرعون وهامان وجنودهما، ثم تعقيب بدعوة المكذبين إلى الإيمان من خلال بيان أن مصدر رسالة موسى ومحمد عليهما السلام واحد، هو الله الخالق المدبر، مع بيان مصير المكذبين يوم القيامة، وعرض قصة قارون التي تؤكد ذلك، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق (١٠٨).

أولاً: جاء في مقدمة السورة موجز مشوق لبداية القصة، إذ بينت الواقع المرير الذي فرضه فرعون على مصر: ﮋﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﮊ، ولاحظ التأكيد على أن منزل هذه القصص في القرآن هو الله الذي أرسل موسى عليه السلام، فمصدر رسالتهما واحد، ولاحظ بيان إرادة الله أن يجعل المستضعفين أئمة، ويري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون من الهلاك، إن الإفصاح عن نتيجة القصة منذ بدايتها يدل أعظم الدلالة على أن الله هو الخالق المالك المدبر، فبيده مقاليد الأمور، وهو المحور الذي تدور عليه أحداث هذه القصص كما سيأتي.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض تفصيلي لتحقق إرادة الله، وهو عرض يثبت أن الله يخلق ما يشاء ويختار، ولا يعجل لعجلة أحد، فابتدأ عرض الأحداث منذ ولادة موسى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ، ولاحظ التأكيد على أن الله سيرده إليها، فالسياق يعطي النتيجة مرة أخرى قبل التفصيل، ثم فصل في كيفية وصول موسى إلى بيت فرعون، إذ هيأ الله امرأة فرعون لتطلب أن يكون قرة عين لها وله، وهيأ أخت موسى التي قصت أثره حتى أقنعت أهل بيت فرعون بأهل بيت يكفلونه لهم بعد أن حرم الله عليه المراضع.

ثم انتقل السياق إلى عرض حدث آخر، وهو قتل موسى رجلاً قبطياً بدون عمد: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ، وفصل السياق أيضاً في كيفية خروجه هارباً إل مدين، فقد هيأ الله له رجلاً ينصحه بالخروج بعد أن علم أن الملأ من قوم فرعون يأتمرون به ليقتلوه.

---

(١٠٨) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٦، وعرض قصة موسى بالتفصيل: ٧- ٤٣، والتعقيب: ٤٤- ٨٢، والخاتمة: ٨٣- ٨٨.

وفي مدين فصل السياق بأحداث أخرى تؤكد مدى اللطف والرعاية التي أحاط الله بها عبده موسى، وذلك يؤكد أنه الخالق المدبر وبيده الحكم، فقد سقى للمرأتين أغنامهما، وكان هذا سبباً في دعوة أبيهما إياه ليجزيه أجره، وكان هذا سبباً في زواجه من إحداهما، على أن يأجره ثماني حجج: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﮊ.

ثم انتقل السياق إلى مرحلة النبوة، فلما آنس من جانب الطور ناراً، نودي منها بوحي الله إليه بالذهاب إلى فرعون، وهو ذو الخطر الأكبر عليه، ولكن الله بحكمته سيهيئ له من أسباب الحفظ واللطف ما يحقق على يديه إرادته كما ذكر في المقدمة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ ، ثم بين السياق أن فرعون استكبر هو وجنوده في الأرض، حتى أخذهم الله فنبذهم في اليم، فقد كان اليم مرة سبباً لتحقيق إرادة الله بنجاة موسى، وكان مرة أخرى سبباً بتحقيق إرادته في إهلاك فرعون، وهذا كله يؤكد المحور المذكور.

ومن اللافت للنظر أن السياق ركز في عرض هلاك فرعون وجنوده على المصير الأخروي: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ، فإذا كانت الأحداق التفصيلية في القصص السابقة تؤكد أن الله له الحكم والتدبير في الدنيا، فهذه الخاتمة تؤكد أن له الحكم والتدبير في الآخرة.

ثالثاً: وبعد هذا العرض القصصي التفصيلي، انتقل السياق إلى دعوة المكذبين إلى الإيمان من خلال بيان أن الذي أرسل موسى الذي قُصّت عليهم قصصه، هو الذي أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، وهو الله الخالق المدبر: ﮋ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ.

ومن الشبهات التي أثاروها إدعاؤهم أنهم إذا آمنوا سيتخطفون من أرضهم، وكأن الأحداث القصصية السابقة الدالة على أن الله بيده الأمر والحكم لم تكفهم، فرد الله عليهم بأنه قد مكّن لهم حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء، رزقاً من لدنه تعالى، وفي ذلك أبلغ دعوة لهم للإيمان بالخالق الرازق، ولكي يكمل الترهيب مع الترغيب، عرض السياق مصير المكذبين يوم القيامة، وهو عرض يؤكد أن الله بيده الحكم والأمر في الدارين: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ. فلن تنفعهم آلهتهم شيئاً يوم القيامة، إذا أصروا على الشرك والتكذيب، كما لن ينفع فرعون قومَه شيئاً في ذلك اليوم، إذ أصروا على الشرك والتكذيب.

ثم انتقل السياق إلى عرض بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى، ليدعوهم إلى الإيمان والتوحيد، فذكرهم بأنه لا إله سيأتيهم بضياء إن جعل الله عليهم الليل سرمداً إلى يوم القيامة، كما أنه لا إله سيأتيهم بليل إن جعل الله عليهم النهار سرمداً إلى يوم القيامة، فالله وحده إذاً هو المستحق للعبادة، فهو الخالق المدبر الحكيم.

ثم انتقل السياق إلى عرض قصة قارون، وهي قصة متعلقة بالطغيان الاقتصادي في مقابل الطغيان السياسي لقصة فرعون، فكما استكبر فرعون عن الإيمان بالله الخالق المدبر معتمداً على ملكه وجنوده، كذلك استكبر قارون معتمداً على ماله: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولكن جوابه كان أنه أوتي هذا المال بعلمه وذكائه، وغفل عن الخالق الرازق، حتى استحق أن يخسف الله به وبداره الأرض.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التذكير بأن الله هو الخالق المدبر الحكيم في الدنيا والآخرة: ﮋ ﯩ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ.

وقد أعادت أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر عل دعوته، مع بيان أن الله سيردّه إلى بلده التي أخرج منها، كما ردّ موسى لأمه من قبل: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ.

وكما افتتحت ببيان أن الله بيده الخلق والأمر والحكم من خلال التفصيل في عرض قصص موسى مع فرعون، ختمت بالتأكيد على أنه بيده الخلق والأمر والحكم في الآخرة أيضاً، فلا إله غيره مستحق للعبادة: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ. وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

أولاً: سورة الحِجْر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس: « الحاء والجيم والراء أصل مطّرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء»، وبناءً على ذلك يكون من أهم الدلالات اللغوية لوصف ثمود بأنهم أصحاب الحِجْر: المبالغة في الحفظ والمنعة والأمان، وكأنهم ظنوا أن بيوتهم التي نحتوها في الجبال ستحفظهم وتمنعهم وتكون أماناً لهم من عذاب الله.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً من الربط بين اسم سورة «الحجر» ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن من مقاصد هذه السورة وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للآيات الواضحة الدالة على الله، وقصة الحجر تدل على ذلك، فقد أتتهم آيات واضحة فأعرضوا عنها حتى حاق بهم العذاب، وذكروا أن من مقاصد هذه السورة أيضاً إبراز طبيعة المكذبين بهذا الدين، ودوافعهم الأصيلة للتكذيب، وتصوير المصير المخوف الذي ينتظرهم، واستدلوا على ذلك بما تحويه السورة من صور متعددة لإهلاك المكذبين، بالإضافة إلى ما فيها من إنذار ملفَّعٍ بظل من التهويل يزيد جوها رهبة وتوقعاً للمصير، وبما تحويه من آيات كونية تبرز عظمة الله تعالى وقدرته، وبما فيها من عرض بعض مشاهد يوم القيامة، و قصة الحجر تمثل أنموذجاً من المصير المخوف الذي ينتظر الكافرين المكذبين (١٠٩).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: بيان أنه لا حافظ ولا مؤمِّن للكافرين والمكذبين من بأس الله تعالى، وإنما الحفظ والأمان في الدنيا والآخرة يكون لأوليائه تعالى الذين التزموا بمنهجه المحفوظ، وإنما سميت هذه السورة بـ «الحجر» لأن الدلالات اللفظية والسياقية لهذه القصة مع التعقيب الإلهي عليها أدل ما في السورة على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة بيان أن لا حافظ من بأس الله لمن أعرض عنه**.

وبتأمل موضوعات السورة يظهر أوجه العلاقة الشديدة بينها وبين دلالات اسم السورة، وذلك بأنك تجد دلالة موضوع الحفظ بصوره المختلفة من أول السورة إلى آخرها، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن تقسيم السورة إلى ثلاثة أقسام رئيسية: مقدمة تهدد المكذبين ببيان أن لا حافظ لهم من بأس الله، وأن الحفظ والأمان باتباع منهجه، ثم عرض قصصي متنوع يبرز حفظ الله

---

(١٠٩) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٣٩٤، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٤، ص ١٩٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢١٢١- ٢١٢٤، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٤، ص ٩٥ و ٩٦. والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ص ٣٣٣- ٣٣٥، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

لأوليائه الملتزمين بمنهجه، مع بيان وقوع العذاب بالمكذبين الذين لم يحفظهم منه شيء، وخاتمة مؤكدة لما سبق ([١١٠]).

أولاً: جاء في المقدمة بيان مهدد للكافرين يثبت أنه لن يحفظهم من بأس الله شيء، إلا إذا تابوا وآمنوا والتزموا منهج الله تعالى المتمثل في القرآن: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ، ولاحظ تحسُّر الكافرين على عدم إسلامهم، إذ لو أسلموا لدخلوا في حفظ الله، ولاحظ أيضاً الآيتين الأخيرتين، اللتين تشيران إلى أنه لا حافظ للكافر من بأس الله، وتشيران إلى علم الله الحفيظ.

ثم انتقل السياق إلى عرض شبهة لكفار قريش تبرز أنهم ظنوا أنفسهم في حفظ من عذاب الله، وذلك يتلاءم مع ظن أصحاب الحجر أنهم ستحفظهم بيوتهم المنيعة من بأس الله: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ، فهم طلبوا نزول الملائكة لتعذبهم، فكان الرد الإلهي بيان أن الملائكة إنما هي تتنزل بأمر ربها، ولو أمرها بإنزال العذاب عليهم فلن يجد الكافرون من عذابه حافظاً، ولن تكون لهم مهلة، ولاحظ أيضاً بيان أن الله تعالى قد حفظ كتابه، وفي ذلك ـ فيما أرى ـ دلالتان: أولهما أن الحفظ من بأس الله إنما يكون بالتزام بما جاء في هذا الكتاب المحفوظ، والثانية الإشارة إلى أن القادر على حفظ كتابه، قادر على إنزال العذاب على الكافرين ولن يجدوا من دونه حافظاً.

ثم أشارت المقدمة إلى بعض مظاهر قدرة الله في الكون، وهي أيضاً تدل على علم الله الحفيظ: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﮊ، فهذه إشارة إلى حفظ السماء الدنيا من الإنس والشياطين، وانظر الإشارة إلى علم الله الحفيظ في الأرض وفي الرزق: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، وانظر الإشارة إلى علم الله الحفيظ في خلق البشر وبعثهم: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ.

فأنت ترى أن المقدمة بإشاراتها المتعددة إلى علم الله الحفيظ في السماء والأرض والبشر والرزق والقرآن، تعطي دلالةً بأن الحفظ إنما يكون بالتزام منهجه تعالى، وأن من حاد عنه فكفر وكذب لا حافظ له من بأس الله، وذلك متسق تمام الاتساق مع دلالات قصة أصحاب الحجر المكذبين بآيات الله فلم يكن لهم حافظٌ يحفظهم من بأسه.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى عرض قصصي يثبت حفظ الله لأوليائه، ويثبت أن لا حافظ لمن كفر وكذب، فكانت أول قصة قصة أبي البشر آدم عليه السلام، وذلك لأن فيها تحذيراً من كيد الشيطان الذي يريد أن يترك الناس منهج الله فيخرجوا من حفظه، واللطيف أن ذكر خلقه من

([١١٠]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٢٥، والعرض القصصي شمل كلاً مما يلي: قصة آدم مع تعقيب: ٢٦- ٥٠، وقصة إبراهيم ولوط: ٥١- ٧٧ عليهم السلام جميعاً، وإشارة إلى أصحاب الأيكة: ٧٨ و٧٩، وإشارة إلى أصحاب الحجر: ٨٠ – ٨٤، والخاتمة: ٨٥- ٩٩.

صلصال من حمأٍ مسنون قد تكرر ثلاث مرات، وأعتقد أن ذلك إشارة إلى ضعف التكوين الجسمي للإنسان، وهو مع ذلك إذا التزم بمنهج الله حفظه من أي سوء، فكان ذلك أدل على حفظ الله لهذا المخلوق الضعيف، والله أعلم.

ولاحظ حفظ الله لأوليائه الملتزمين بمنهجه من عدوهم الأول: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ.

ولاحظ التعقيب على القصة الدال على علم الله الحفيظ أيضاً: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وأعتقد أن التفصيل في عدة أبواب جهنم، مع بيان أن لكل منها جزءاً مقسوماً محدداً، لزيادة الدلالة على علم الله، ولاحظ حفظ المؤمنين في الجنات، فهم آمنون سالمون لا يتعبون ولا يخرجون منها. فقصة آدم مع التعقيب عليها مترابطة تماماً مع محور السورة ودلالات اسمها.

ثم انتقل السياق إلى قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام، ولم تخل القصة من دلالات الحفظ أيضاً: ﮋ□ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﮊ، فلاحظ قول الملائكة: سلاماً، أي أنت محفوظ من أن يمسك منا سوء، وقد أكدوا ذلك بقولهم: لا توجل. أما البشارة بالغلام العليم فأعتقد أنها تدل على حفظ الله أيضاً، فالله سيحفظ هذا الجنين الذي سيكون في رحم أمه حتى لو كانت عجوزاً وبعلها شيخ كبير.

ثم انتقل السياق إلى قصة لوط عليه السلام مع قومه، وهي تحوي أحد أوجه الإعجاز الفني في القصص القرآني، وذلك أن السياق قدّم إخبار الملائكة لوطاً عليه السلام بمهمتهم التي جاءوا من أجلها على مجيء قومه: ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﮊ، وقد كان ذلك التقديم متلائماً مع محور السورة الدال على أنه لا حافظ للكافرين والمكذبين من بأس الله، هذا أولاً، وثانياً: إن هذا التقديم متناسب مع ما جاء في مقدمة السورة من طلب المشركين إنزال الملائكة بالعذاب، فكان تقديم ذكر مهمة الملائكة في قصة لوط أدلُّ على قدرة الله على إنزال الملائكة بالعذاب، وفي ذلك تهويل أشد للمشركين، فهذا التقديم يطلعنا على أحد قواعد المنهج القرآني في عرض القصصي وهو أنه يقدم في العرض القصصي الحدث الأنسب للسياق ولمحور السورة.

ثم لاحظ أيضاً قول الملائكة للوط عليه السلام حينما أنكرهم : بل جئناك بما كانوا يمترون، وهو يحوي إشارة إلى حفظه من المخاوف أيضاً، وحتى في إهلاك القوم آية على علم الله الحفيظ: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ، فآثار قريتهم المهلكة في طريق ثابت يسلكه الناس، وكأنها محفوظة من أن تندرس حتى تبقى آية للمؤمنين.

ثم انتقل السياق إلى إشارة إلى أصحاب الأيكة، وهم قوم شعيب عليه السلام: ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ، وأعتقد أن السياق ذكر هذه الإشارة ليدلنا على أن أصحاب الأيكة

ظنوا أنهم محفوظون في رغد عيشهم وما فيه من شجر كثير مجتمع، لكن ذلك لم يحفظهم من بأس الله، وقد كانت آثارهم وآثار قرية قوم لوط عليه السلام في طريق يؤمها الناس في سفرهم.

وأما الإشارة إلى أصحاب الحِجر، فقد كانت أدل ما في السورة على محورها الذي يبين أنه لا حافظ من بأس الله، وذلك أنهم ظنوا أن بيوتهم المنحوتة في الصخر ستحفظهم: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﮊ، ولاحظ قوله تعالى: وآتيناهم آياتنا، فقد كان صالح عليه السلام يدعوهم إلى منهج الله مؤيداً بمعجزة الناقة التي خرجت من الصخر، وهي معجزة متلائمة مع ما حذقوه من نحت الصخور والجبال، لكنهم أعرضوا عنها فلك يكن لهم حافظ من بأس الله.

فأنت تلاحظ أن القصص المذكور في هذه السورة يبرز جانبين اثنين: أولهما حفظ الله لأوليائه الملتزمين بمنهجه، وثانيهما بيان أن لا حافظ للمكذبين والكافرين من بأس الله، وذلك يتلاءم تماماً مع الدلالات السياقية واللغوية لاسم السورة.

ثالثاً: وأما الخاتمة فهي تحوي تلخيصاً لما سبق، فأعادت التذكير ببعض مظاهر علم الله الحفيظ في السماوات والأرض، وحفظ القرآن: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ، وأعادت التذكير بأن التزام منهج الله يحفظ المؤمنين، وأن من حاد عنه لا حفظ له: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ □ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﮊ، وكما افتتحت السورة ببيان حفظ الرسالة المتمثلة بالقرآن، ختمت السورة ببيان حفظ صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم:ﮋ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ. وهكذا التقى الختام والبدء على المحور الذي دل عليه اسم السورة بدلالاته اللغوية والسياقية أبلغ الدلالة.

ثانياً: سورة الكهف

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس: «الكهف: الغار في الجبل، وجمعه كهوف»، وزاد الإمام ابن منظور: «الكهف كالمغارة في الجبل، إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار .. ويقال: فلان كهف فلان: أي ملجأ .. ويقال: فلان كهف أهل الرِّيَب إذا كانوا يلوذون به فيكون وَزَرَاً وملجأً لهم» (١١١)، فالدلالة اللفظية للكهف تفيد بأنه مكان يجد فيه الإنسان الحماية من المخاوف، وقد أكدت الدلالة السياقية لاسم السورة ذلك، حين لجأ الفتية إلى الله جزعين إليه، فألهمهم اللجوء إلى الكهف فكان ملجأ وأماناً لهم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

---

(١١١) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٩١٢، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٣، ص ١٢٥. بتصرف.

ذكر عدد من المفسرين والباحثين أوجهاً من الربط بين اسم سورة «الكهف» ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن قصة أصحاب الكهف دليل على أحدى فوائد الإيمان وهي الأمن الكلي من المخاوف، وهذا دليل على أن القرآن جدير بأن يوصف بأنه قيّم، لأنه يقص قصص أخبار قوم قد فُضِّلوا في زمانهم، وتأمين الله وحمايته لأهل الكهف مترابط مع محور السورة الذي يدور حول العواصم من الفتن المختلفة كالدنيا والشيطان، بالإضافة إلى أن موضوع تحقيق الأمان والحماية مبني على موالاة الله تعالى والاعتصام بكتابه، وهذا أمر مشترك بين موضوعات السورة، وقد زاد سيد قطب رحمه الله بأن محور السورة يدور حول تصحيح العقيدة ومنهج النظر والفكر والقيم بميزان العقيدة، وهو أمر يظهر من خلال بيان حقيقة الدنيا، وقصة صاحب الجنتين، وبيان أخسر الخلق أعمالاً آخر السورة (١١٢).

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: بيان أن من لجأ إلى الله واعتمد عليه واتبع منهجه، هداهُ الله وحماه وحفظه من شتى أنواع الفتن والمخاوف، وحقق له الأمن في الدنيا والآخرة، عَلِم ذلك أم لم يعلم، لأن لطف الله وحسن تدبيره لا يتوقف على اللطف الظاهر فحسب، بل هناك لطف وتدبير خفي أيضاً، وإنما سميت هذه السورة باسم «الكهف» لأن هذا الاسم بدلالاته اللغوية والسياقية أدل ما في السورة على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة بيان أن من لجأ إلى الله فله الحفظ والأمان من شتى المخاوف.**

وبتأمل موضوعات السورة يظهر الترابط التام بينها وبين دلالات اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى ثلاثة موضوعات رئيسية: مقدمة داعية إلى التزام منهج الله المتمثل في القرآن مع بيان مصير المؤمن وتهديد الكافر، ثم عرض قصصي يظهر بعض مظاهر اللطف والتدبير الإلهي في الظاهر والباطن لمن التجأ إليه واتبع منهجه، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق (١١٣).

أولاً: جاء في المقدمة بيان فضل القرآن العظيم ووصفه بالقيم وغير ذي عوج، وبينت مصير المؤمنين وهددت الكافرين: ژ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فهذا القرآن يمثل المنهج الرباني، فمن اتبعه نال الأمن والسعادة الدائمَيْن يوم القيامة، وقد هددت المقدمة الكافرين المشركين، والشرك أعظم مظاهر الخروج عن منهج الله: ژ ى ى ي ي □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ژ، فمن ادعى أن لله ولداً فقد أقحم نفسه في الجهل، وارتكب كذباً عظيماً، وأعتقد أن تهديد هؤلاء ببيان أن الله سيجعل ما على

---

(١١٢) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٤٣٩، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٤، ص ٤٤١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٢٥٧ و ٢٢٥٨، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٤، ٢٨٣- ٢٨٨، وطهماز، **العواصم من الفتن في سورة الكهف**، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧. ص ٣٥- ٤٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ١٤٧- ١٥٣.

(١١٣) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٨، والعرض القصصي شمل كلاً مما يلي: قصة أصحاب الكهف مع التعقيب: ٩- ٣١، وقصة صاحب الجنتين مع تعقيب مشير إلى قصة آدم عليه السلام مع إبليس: ٣٢- ٩٥، وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح: ٦٠- ٨٢، وقصة ذي القرنين: ٨٣- ٩٨، والخاتمة: ٩٩- ١١٠.

الأرض صعيداً جرزاً متلائم مع اسم السورة ومحورها، فهم لن يجدوا إي ملجأ يحميهم من بأس الله يوم القيامة، فقد قررت المقدمة أن المؤمن المتبع لمنهج الله مُبشَّر بالأمن من الله، وأن الكافر لا مأمن له.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى عرض قصصي متنوع لبيان أوجه من لطف الله في تأمين أوليائه ومَن لزم منهجه من كل المخاوف، فكانت أول قصة قصة أصحاب الكهف، وقد سبق العرض التفصيلي للقصة تلخيص مشوق[١١٤]:ژ ڍ ڌ ڎ ڈ ڏ ڐ ژ ژ ڑ ڑ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ گ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ھ ڿ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ژ، وهذا التلخيص المشوق يؤكد محور السورة، فهم ملتزمون بمنهج الله وقد لجأوا إليه، فحماهم وكفاهم المخاوف وأمّنهم في الكهف، وقصتهم دالة على قدرة الله على البعث للحساب.

ثم ابتدأ العرض التفصيلي للقصة: ژ ۓ ۔ ۀ ۂ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۋ ۋ ۅ ۆ ۋ ۋ ۍ ێ ۏ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ی ی ی ٿ ٿ ٹ ٹ ٺ ژ، ولاحظ كيف أن التزامهم بمنهج الله زادهم هدى، وقد كان إلهامهم بدخول الكهف لطفاً إلهياً ظاهراً بهم، وأما اللطف الإلهي الذي خفي عنهم خلال مدة نومهم، فيبرز من خلال بيان السياق بأن الشمس تزاور عن كهفهم إذا طلعت، وتقرضهم ذات الشمال إذا غربت، وأنت تحسبهم أيقاظاً لو اطلعت عليهم وهم في الحقيقة رقود، فهذه بعض أوجه لطف الله الخفي بهم وهم لا يعلمون به.

ثم انتقل السياق إلى أمر آخر غاية في الأهمية، وهو الدلالة على قدرته تعالى على البعث: ژ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ی ې ۑ ے ۓ ۀ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۋ ۅ ۆ ۋ ۋ ې ې ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فهذه الآية أحدى المواضع التي تدل على ضآلة علم الإنسان، فهم غفلوا عن مدة لبثهم الطويلة، وأعتقد أن أمرهم الرسولَ بالتلطف متلائم مع ما بينته القصة من آثار لطف الله بهم.

ثم انتقل السياق إلى تعقيب إلهي يبرز قلة علم البشر أيضاً، ويبرز كمال علم الله المطلق: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ژ، وعرض التعقيب كذلك مدى اختلاف البشر في عدد أصحاب الكهف، وفي مدة لبثهم، وبين للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يحدث شيء في الكون إلا بمشيئة الله، وأمره بذكر الله حال النسيان، وأن يلجأ إليه دائما: ژ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۃ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ژ، وبين أن علم الله مطلق: ژۋ ۅ ۋ ۋې ې ې ې □ ژ، ولاحظ الدعوة إلى عدم موالاة أحد سوى الله تعالى، لأنه وحده القادر على تأمين من يلوذ به لكمال علمه وقدرته سبحانه وتعالى ولطفه الظاهر والباطن، ولا شريك له.

(١١٤) أشار لذلك سيد قطب رحمه الله في: **التصوير الفني في القرآن**، ط ١١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٤٨.

ثم أمر السياق النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوة وتبليغ القرآن الذي هو منهج الله للبشر: ﮋ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وبين السياق مصير موقف الناس من اتباع هذا المنهج أو عدمه، فالكافرون في نار جهنم، والمؤمنون قد حفظ الله لهم أعمالهم وحقق لهم الأمان والسعادة الدائمين يوم القيامة: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ، وأعتقد أن وصف حال الكافرين في النار وقد أحاط بهم سرادقها، متلائم مع الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة، فالكهف الضيق الذي لجأ إليه المؤمنون قد أصبح رحباً برحمة الله، بينما النار الهائلة الحجم تحيط بالكافرين وتضيِّق عليهم بعذاب الله.

فأنت ترى أن قصة الكهف مع التعقيب الإلهي عليها تدل أشد الدلالة على أن من لزم منهج الله واعتمد عليه ولجأ إليه، فسيحميه الله من كل المخاوف دنيا وأخرى، فإن علم الله مطلق ولطفه ظاهر وخفي وقدرته مطلقة، بينما الكافر الذي حاد عن منهج الله لا أمان له لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ثم انتقل السياق إلى قصة صاحب الجنتَيْن، وهي تبرز لنا أنه قد فُتِن بجنتيه حتى حاد عن منهج الله، فكاد أن ينكر الآخرة، بل لقد وصل به الأمر إلى الشرك بالله كما بين السياق، ولم يجد له ملجأ ينصره من بأس الله الذي أحاط بجنتيه، بينما صاحبه الذي التزم بمنهج الله حفظه الله من أي سوء: ﮋ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ ﯾ ﯿ □ □ ﯽ ﯼ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ، ولاحظ كثرة ضمير الجمع بنون العظمة العائد على الله، فهو ذو القدرة المطلقة، لكن صاحب الجنتين افتتن بهما حتى أنستاه المنعِم، بينما صاحبه المؤمن التزم بمنهج ربه: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ فهو يدعو صاحبه إلى الرجوع إلى منهج ربه الذي أنعم عليه، وحذره من تولي المال والولد بدلاً من الله عز وجل، وانظر ماذا كانت نتيجة اعتماده على الدنيا وغفلته عن ربه عز وجل: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ ﯽ ﯼ ﮊ، وقد حفظ الله المؤمن من أي سوء.

ثم عقب السياق ببيان حقيقة الدنيا وهوانها على الله، وحذر من الافتتان بالمال والولد، فقصة صاحب الجنتين مع التعقيب الإلهي عليها يحذران من اللجوء والاعتماد على أي وليٍّ من دون الله تعالى، لأنه لا يحمي من بأس الله شيء. وبذلك يكتمل التناسق بين قصة أصحاب الكهف التي تعطي أنموذجاً للجوء إلى الله، مع بيان العاقبة الحسنى له، وبين قصة ذي الجنتين التي تعطي أنموذجا للتولي عنه، مع بيان العاقبة السوأى له.

وانتقل السياق إلى عرض مشهد أخروي يبرز تمام قدرة الله وتمام علمه المطلق: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ژ، فالخلق سيعرضون على الله ولن يجد أحد منهم ملجأ من دونه، ولاحظ تمام علم الله حين بين السياق أن الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ويؤكد ذلك تقديم الصغيرة على الكبيرة، كل ذلك يتلاءم مع محور السورة الداعي إلى اللجوء إلى الله ذي القدرة والعلم المطلق والاعتماد عليه.

وعلى عادة السياق في أكثر من موضع، ربط بين ذكر الآخرة وبين قصة آدم عليه السلام، لأن قصته عليه السلام تمثل بداية البشر، واليوم الآخر يمثل النهاية، واللافت للنظر أن السياق حذر من تولي الشيطان وذريته من دون الله: ژ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ژ، ولاحظ بيان مدى حمق من اعتمد على شريك جاهل عديم القدرة، من دون الله العليم القدير: ژ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ژ، فهم لن يجدوا ملجأ يصرف عنهم عذاب الله.

ثم عاد السياق إلى التذكير بالتزام منهج الله المتمثل في القرآن، مع بيان أن لا ملجأ يحمي من حاد عنه: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ژ، ولاحظ قوله تعالى: ژ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ژ، فهذا التعقيب متلائم تماماً مع محور السورة ومع الدلالات السياقية واللفظية لاسم السورة.

ثم انتقل السياق إلى قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، ومن وجهة نظر الباحث أرى أنها تتلاءم مع محور السورة ومع دلالات اسمها من أكثر من ناحية، فهي أولاً: تبرز قصور علم البشر حتى لو كان نبياً، كما سيظهر من نسيان موسى عليه السلام وعده أكثر من مرة، ومن رد الأمور التي قام بها الصالح إلى أمر الله آخر القصة، وهي ثانياً: تبين لبني إسرائيل الذين زعموا جهلاً وكذباً أن لله ولداً كما جاء في أول السورة، تبين لهم أن أعلم أنبيائهم يتعلم على يدي عبد صالح من عباد الله لم يُذكر اسمُه، فكيف يخوضون فيما ليس لهم به علم ولا لآبائهم؟ وهي ثالثاً: تمثل أحد أوجه لطف الله الخفي فيمن احتمى به ولزم منهجه، وهي رابعاً: تبرز تمام القدرة والعلم الإلهي..

تبدأ القصة بذكر نسيان موسى عليه السلام وفتاه للحوت، وذلك يشير إلى قصور علم البشر: ژ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ژ، وتؤكد القصة ذلك ببيان العبد الصالح لموسى عليه السلام أنه لن يصبر على ما لم يحط به خبراً: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ژ، ولاحظ ضمير العظمة العائد على الله، وكذلك نسبة العلم والتعليم والرحمة إليه، ولاحظ أن التزام هذا العبد بمنهج الله قد أوصله إلى مرحلة جعلته سبباً من أسباب لطف الله الخفي.

وأما أحداث القصة، فيبرز من خرق العبد للسفينة لطفُ الله الخفي بالمساكين، فهم لم يعلموا بذلك، ويبرز من قتله الغلامَ لطفُ الله الخفي بوالدَيْ الغلام المؤمنَيْن، ويبرز من إقامته الجدارَ لطفُ الله بالغلامَين اليتيمين الذين كان أبوهما صالحاً، وهذه الأحداث تبرز قصور علم

موسى عليه السلام عن الحكمة منها إلى أن أنبأه العبد الصالح بها، واللافت للنظر أن العبد الصالح نسب أفعاله إلى الله: ژ .. □ □ □ □□ □ □ □ ى ى ﯾ ﯿ □ ژ (بعض الآية: ٨٢)، ولم يفتتن بعلمه كما افتتن صاحب الجنتين بجنتيه.

فأنت ترى أن هذه القصة بأحداثها تبرز كمال علم الله وقدرته، وتبرز بعض مظاهر لطف الله الخفي وحسن تدبيره لحماية مَن التزم بمنهجه من شتى المخاوف والفتن.

بقيت قصة ذي القرنين، وهي أيضاً تتلاءم مع محور السورة ودلالات اسمها من أكثر من جانب، فهي تبرز بعض مظاهر كمال علم الله وقدرته، وتبرز بعض مظاهر لطف الله الظاهر بمن التجأ إليه، وذلك يتمثل بما قام به ذو القرنين من الأعمال، وتبرز قصور علم البشر عن تفاصيل هذه القصة حتى أعلمهم الله بها: ژ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گژ، ولاحظ أولاً: كثرة ضمير العظمة العائد على الله، ولاحظ ثانياً: نسبة تمكين ذي القرنين في الأرض وإيتاءه أسباب الملك إلى الله تعالى، وما ذلك إلا لكونه التزم بمنهج الله وبلغ درجة من الصلاح أهّلَتْه لذلك، ولاحظ ثالثاً: كيف جعله الله سبباً من أسباب لطفه الظاهر بمن آمن من ذلك القوم، فقد سلطه الله على الظالمين، وجعله فرجاً للمؤمنين.

أما الحدث الثاني المتعلق بمروره على قوم لم يكن لهم من دون الشمس ستر، فأعتقد أنه مسوق لبيان تمام القدرة الإلهية، وذلك يتجلى من ربط هذا الحدث مع ما جاء في قصة أصحاب الكهف، حيث بينت قدرة الله في جعل الشمس تزّاور عن كهفهم إذا طلعت، وجعلها تقرضهم ذات الشمال إذا غربت وذلك طيلة مدة لبثهم، وليكتمل التناسق في عرض بعض مظاهر قدرة الله، بيّن هذا الحدث في قصة ذي القرنين قدرة الله في أنه لم يجعل لهؤلاء القوم من دون الشمس ستراً، فكما هو قادر على حفظ الفتية المؤمنين من الشمس، فهو قادر أيضاً على أن لا يجعل لهؤلاء القوم ما يحفظهم منها، ولاحظ تمام علم المطلق في قوله: ژ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ژ.

والحدث الثالث فقد كان أيضاً من مظاهر لطف الله بالبشر، فقد كان الردم الذي بناه ذو القرنين بين يأجوج ومأجوج وبين هؤلاء القوم حماية من شرهم وإفسادهم حتى يحين وعد الله، واللافت للنظر أن ذا القرنين لم يكتف ببناء سد، بل رأى أن الردم هو الأنسب لزيادة الحماية فالردم أكبر من السد، فكان ذلك أظهر للطف الله عز وجل وحمايته للضعفاء، واللافت للنظر أيضاً أن ذا القرنين نسب ذلك الفعل لربه عز وجل، ولم يفتتن في ملكه وسلطانه كما افتتن صاحب الجنتين: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ پ پ ڀ ڀڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ژ. فقصة ذي القرنين مترابطة أشد الترابط بالدلالات اللغوية والسياقية لاسم السورة ومحورها.

ثالثاً: أما الخاتمة فهي تحوي تلخيصاً لكل ما سبق، فهي تؤكد قدرة الله تعالى التامة على البعث ومجازاة من حاد عن المنهج: ژ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چژ، وهي تؤكد حفظ الله وحمايته لأوليائه الملتزمين بمنهجه: ژ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وكما افتتحت السورة ببيان فضل القرآن القيم الغير ذي عوج والذي يمثل منهج الله للبشر، ختمت

السورة ببيان كمال علم منزل هذا القرآن والدعوة إلى التزام منهجه والالتجاء إليه وحده لهم الأمن والأمان في الدنيا والآخرة: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وهكذا
التقى مفتتح السورة وختمها على المحور الذي دلت عليه أبلغ الدلالة قصة الكهف بدلالاتها اللغوية والسياقية والتي سميت السورة باسمها.

ثالثاً: سورة سبأ

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة باسم «سبأ» لذكر قصة سبأ فيها، والتي من أهم دلالاتها أنهم أعرضوا عن شكر المنعم عز وجل حين جعل لهم جنتَيْن عن يمين وشمال، فكان نتيجة إعراضهم أن أبدلهم الله جنتين ذواتَيْ أكل خمط، وكذلك أعرضوا عن شكر المنعم عز وجل حينما قرب مسافات سفرهم وجعلها آمنة، وطلبوا أن يباعد الله بين أسفارهم، فكان نتيجة إعراضهم أن مزقهم الله في الأرض كل ممزق. فاسم السورة يدل على أن جحود نعم المنعِم والكفر بها أمر يؤدي إلى زوالها.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر بعض المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن من مقاصد هذه السورة إثبات حقيقة البعث والجزاء، وذلك بذكر آيات عدة من أوجه قدرة الله وإحاطة وشمول علمه، وقد كانت قصة سبأ المذكورة في السورة مع التعقيب عليها دليلاً واضحاً على قدرة الله تعالى من قلب المنحة إلى محنة، وذلك لعدم شكرهم ولكفرهم، وبيان أن من أسباب زوال النعمة عنهم أيضاً أن اتباعهم للشيطان قد أوصلهم إلى الشك بالآخرة، ففي عرض قصتهم تصحيح لبعض القيم المتعلقة بهذا الموضوع والتي أهمها: بيان أن الإيمان والعمل الصالح هما قوام الحكم والجزاء عند الله، وليس الأموال والأولاد، وقد كانت قصتهم أنموذج جحود وكفر في مقابل قصة آل داود التي تمثل الإيمان والشكر [١١٥].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: بيان أن الإعراض عن المنعِم عز وجل وجحود نعمته أمر موجب لزوال تلك النعم، وذلك لأن الله بيده مقاليد السماوات والأرض والرزق، فينبغي أن يكون موقف الناس من المنعِم سبحانه موقف الإيمان والتوحيد والحمد والشكر، لا موقف الإعراض والجحود والشرك والكفر، وليكتمل هذا المحور حذرت السورة من الأمور المؤدية إلى الإعراض عن المنعم وهي: الترف، الاستكبار، اتباع الشيطان، وكل ذلك يؤدي في النهاية إلى إنكار الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب. وإنما سميت هذه السورة باسم «سبأ» لأن الدلالات السياقية لقصتهم مع التعقيب عليها أدل ما في

---

(١١٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ١٦٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ١٤٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٨٨٨- ٢٩٠٢، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ص ١٦٧ و١٦٨، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٣٣٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢٣٨- ٢٤١.

السورة على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها باسمها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة بيان جزاء الإعراض عن المنعِم تعالى وجحود نعمته.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز له التناسق التام بينها وبين دلالات اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولها: مقدمة تبين أن مقاليد السماوات والأرض والرزق بيد الله،مع تهديد للكافرين بذلك وللمنكرين للآخرة، وثانيها: عرض قصصي يعطي أنموذجَيْن متقابلَيْن إزاء نعم الله، فكانت قصة آل داود تمثل أنموذج الإيمان والشكر، وقصة سبأ تمثل أنموذج الجحود والكفر، وثالثها: تعقيب إلهي على القصتين يؤكد ما جاء في المقدمة، ورابعها: خاتمة مؤكدة لما سبق (١١٦).

أولاً: جاءت المقدمة مبينة أن الله عز وجل مالك مقاليد السماوات والأرض والرزق، فينبغي أن يكون موقف الإنسان من ذلك موقف الحمد والشكر له عز وجل: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ، وقد بين السياق أن لكمال قدرة الله عز وجل ولكمال علمه، قد جعل يوم القيامة ليحاسب فيه المحسن والمسيء، وهو يوم ينكره الكافرون ليتبطروا بنِعم الله في الدنيا بلا رقيب ولا حسيب: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ.

ولاحظ هذه الشبهة الساخرة من الكافرين التي تحاكي ما حصل مع سبأ حينما بطروا نعمة ربهم: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ، وقد كان الجواب على شبهتهم بالدعوة إلى النظر إلى مظاهر كمال قدرة الله وعلمه، مما يوجب أن يكون موقفهم موقف الحمد والشكر، لا الجحود والكفر: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ. فأنت تلاحظ أن المقدمة تدعو إلى أن يكون موقف الإنسان من ربه المنعم ذي القدرة التامة والعلم المطلق موقف الحمد والشكر، لا أن يكون جاحداً منكراً. وبذلك تظهر العلاقة بين المقدمة وبين دلالات قصة سبأ التي دلت على مصير الجاحدين المنكرين.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى عرض قصصي لأنموذجين متقابلين إزاء نعم الله تعالى، وكان أولهما أنموذج آل داود الذي يمثل موقف الشكر: ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ والعمل الصالح الذي كان يقوم به داود عليه السلام يمثل الجانب التطبيقي للشكر، وكذلك موقف ابنه سليمان عليه السلام: ﮋ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

(١١٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٩، والعرض القصصي لأنموذج الإيمان والشكر: ١٠- ١٤، ولأنموذج الجحود والكفر: ١٥-٢١، والتعقيب: ٢٢- ٤٥، والخاتمة: ٤٦- ٥٤.

□ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ ژ، لاحظ كيف سخر سليمان عليه السلام جنوده للأعمال الصالحة التي تعتبر جانباً تطبيقياً لشكر المنعِم عز وجل، ولاحظ قوله تعالى: وقليل من عبادي الشكور، الممهد لقصة سبأ الذين يعتبرون أنموذجاً على الكثيرين الذين جحدوا النعم، وأعتقد أن ذكر الهيئة التي مات عليه سليمان عليه السلام يعطي ثلاث دلالات منسجمة مع محور السورة ودلالات اسمها، فأولاً: جانب غفلة الجن يمثل قصور علمهم، وهو مناسب لكثير من آيات السورة التي تمثل كمال علم الله المطلق، فهو وحده قادر على منح النعم لمن يشاء، وثانياً: قصور علم الجن مع تسخيرهم التام لسليمان حتى آخر لحظة متناسب تماماً مع قول الملائكة أواخر السورة الذي ينعى على مَنْ عبد الجن من البشر: ژ ڀ ڀ ٹ ٺ ٺ ٺٹ ٹ ٿ ٿ ٹٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ وثالثاً: يدل موت سليمان على أن مقاليد الأمور بيد الله وحده.

وأما الأنموذج الثاني الذي يمثل موقف الجحود والكفر، فهم سبأ الذين سميت السورة باسمهم، ليكون في ذلك عبرة للمؤمنين تدعوهم إلى الشكر: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ پ پ پپ پ ٺ ٺ ٺ ٺٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چچ چ چ چ ڇ ژ، ولاحظ أن قصة آل داود السابقة عرضت موقفَيْن، الأول لداود والثاني لسليمان عليهما السلام، وهنا عرضت السورة موقفَيْن سبأ، كان هذا أولهما، إذ بطروا نعمة الجنتين اللتين أنعم الله بهما عليهما، وأعرضوا عن شكر المنعم وعن الاستغفار، فكانت العاقبة أن أُبدلت جنتيهما بجنتين ذواتي أكل خمط، ولا ريب أن تسميتهما على هذه الحالة جنتين إنما هو للسخرية، ولاحظ أن السياق قد ذكر أن السبب في ذلك هو كفر المنعم سبحانه، سواء كان المقصود بالكفر المعنى اللغوي أو الاصطلاحي.

وأما الموقف الثاني لهم فهو يدل على الجحود أيضاً: ژ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ہ ھ ژ، فهم قد بطروا نعمة الأمن التي أنعمها الله عليهم حينما قرب مسافات سفرهم، وطلبوا تطويل المسافات في السفر حتى كانت النتيجة أنهم قد مزقوا كل ممزق، ولاحظ قوله تعالى: إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور، الدال ـ فيما أرى ـ على أن موقف الإنسان ينبغي أن يكون صباراً حال الضراء، وشكوراً حال السراء.

وجاء في التعقيب ذكر بقية الأسباب التي دعتهم إلى بطر النعمة وجحودها: ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى□ □ □ □
□ □ ژ، فقد زين لهم إبليس بطر النعمة فأطاعوه، حتى وصل الأمر بهم إلى الشك بحقيقة الآخرة، وإنكار الآخرة أمر مشترك بين المتبطرين كما لا يخفى، وذلك لأنهم يريدون التبطر في النعم وكأنه لا رقيب ولا حسيب عليهم. ولاحظ ذكر فريق من المؤمنين، مما يدل على الباقين كانوا كافرين.

إذا فالأسباب التي تدعو إلى بطر وجحود النعمة المستنبطة من هذه القصة مع التعقيب هي: الإعراض والاستكبار عن المنعِم سبحانه، والترف وبطر النعمة، وتزيين إبليس، ثم بالنهاية إنكار الآخرة والكفر، ولذلك اختير من هذه القصة اسماً للسورة، لأنها أدل ما في السورة على محورها الدال على أن الجحود للمنعِم الذي بيده مقاليد كل شيء أمر مؤدٍ إلى زوال النعم.

ثالثاً: ثم ذكرت السورة تعقيباً إلهياً على هذا العرض القصصي، يعيد التذكير بأن الله تعالى وحده بيده مقاليد كل شيء في الدنيا كما في الآخرة، فينبغي أن يكون موقف الإنسان تجاه ذلك موقف الإيمان والتوحيد والحمد والشكر: ژ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ پ پ ٻٻ ٻ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي □ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿٿ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦڦ ڄ ڄڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ژ.

وانظر قوله تعالى الدال على كمال القدرة الإلهية في يوم القيامة الذي ينكره المستكبرون المتبطرون: ژ ٻ ٻ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي □ □ □ □ □ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ژ، ولاحظ أن التلاوم بين المستكبرين والمستضعفين يذكرنا بدور إبليس في إغواء سبأ، ولاحظ أنهم تكبروا عن أعظم نعمة من نعم المنعِم عز وجل عليهم، إلا وهي نعمة الهدى المتمثلة بالقرآن والكتب السماوية، ولاحظ أن تكبرهم قادهم إلى المكر بالليل والنهار ليكفروا بالمنعم عز وجل ويشركوا به.

رابعاً: بقيت الخاتمة وهي تحوي تأكيداً لكل ما سبق، فقد دعت إلى أن يكون موقف الإنسان من المنعم سبحانه موقف الإيمان والشكر: ژ ۆ ۆ ۈ ۈ ٻ ٻ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ ى ى ژ، وبينت كمال القدرة الإلهية في الآخرة التي ينكرها المتبطرون: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ، فقد انتبهوا بعد فوات الأوان إلى الموقف الذي كان يجب أن يتخذوه من المنعم عز وجل.

وكما افتتحت السورة ببيان أن موقف الإنسان ينبغي أن يكون موقف الإيمان والتوحيد والحمد والشكر للمنعِم عز وجل لأنه بيده مقاليد كل شيء، ختمت السورة ببيان مصير من اتخذ بدلاً من ذلك موقف الجحود والكفر: ژک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ں ژ، وهو ختام يذكرنا بما حصل مع سبأ الذين سميت السورة باسمهم، والذين دلت قصتهم على محور السورة أشد الدلالة، وتناسقت مع موضوعاتها أتم التناسق.

رابعاً: سورة الأحقاف

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس: «الحاء والقاف والفاء: أصل واحد يدل على ميل الشيء وعوجه، .. ولهذا قيل للرمل المنحني: حِقْف، والجمع أحقاف»، وقال الإمام ابن منظور: « الحِقف من الرمل: المعوجُّ، .. والأحقاف ديار عاد، واحدها: حِقْف، وهو المستطيل المشرف، وهي رمال بظاهر بلاد اليمن كانت عاد تنزل بها» (١١٧). وقد ذكر سياق هذه السورة الكريمة أن هوداً عليه

---

(١١٧) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٢٧٧، بتصرف، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٤، ص ١٧٥. بتصرف.

السلام دعا قومه الذين كانوا يقطنون في الجزيرة العربية قرب اليمن إلى الإيمان والتوحيد، ولكنهم آثروا الكفر والشرك حتى أهلكتهم الريح ودمرت مساكنهم، فالملاحظ من الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة أن في ذكر موقع مساكنهم التي يعرفها العرب جيداً، مزيداً من التهديد والترهيب لهم لأنهم مشركون أيضاً، فهم معرضون للعقوبة مثلهم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين محور هذه السورة وموضوعاتها وبين اسمها، فذكروا أن من مقاصد هذه السورة معالجة قضية الإيمان بوحدانية الله وربوبيته المطلقة لهذا الوجود بكل ما فيه، والدعوة إلى الإيمان بالوحي وبالرسالة، وأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول سبقته الرسل، أوحي إليه القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتب، وفي عرض قصة عاد الذين سكنوا بالأحقاف إشعار بأن إنذارات القرآن متحققة، وذلك يفيد التهديد لكفار قريش، كما أن في قصتهم دلالة على صدق قيام الساعة أيضاً، فإن القادر على إهلاكهم، قادر على بعثهم للحساب، وفي قصتهم دلالة على أن سيدنا هوداً عليه السلام نبي مبلغ عن الله كما أن سيدنا محمداً عليه السلام مبلغ عن الله أيضاً (١١٨).

ويمكن للباحث أن يلخص ما ذكره الأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم كونه أحد الرسل الذين أرسلهم الله للعالمين مبشرين ومنذرين، فليس بدعاً من الرسل، وإنما سميت هذه السورة بـ «الأحقاف» لأن قصتهم المذكورة فيها مع التعقيب عليها، أدل ما في السورة على المحور المذكور، فهي تبين أن هوداً عليه السلام أحد الأنبياء الذين أرسلهم الله، وفيها أبلغ إنذار للكفار المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم الذين يعلمون جيداً ما حصل مع أهل الأحقاف القريبين منهم. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل، وكذلك ماينذر به من وقوع العذاب بمن كفر.**

وبتأمل موضوعات السورة تبرز أوجه الترابط الوثيقة بينها وبين الدلالات اللفظية والسياقية لاسم السورة، فيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام رئيسية: مقدمة تبرز بعض مظاهر حكمة الله تعالى وكمال قدرته المتفردة في الكون، مع النعي على المشركين، وثانياً: تصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وتصديق لرسالته، وثانياً: عرض موقفَيْن متقابلين من قضية التوحيد، أولهما: موقف أهل الأحقاف الذين كذبوا نبيهم عليه السلام وأصروا على الشرك، وثانيهما: موقف النفر من الجن الذين آمنوا وولوا إلى قومهم منذرين، ورابعاً: الخاتمة المؤكدة لما سبق (١١٩).

أولاً: جاء في المقدمة ذكر حكمة مُنزل الكتاب سبحانه، وذكر بعض مظاهر الآيات الكونية الدالة على عظمته سبحانه، مع بيان باطل المشركين: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ

---

(١١٨) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن**، ص ٩٨، والمهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٧٠، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ١١٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٢٥٢ و ٣٢٦٦. وشحاتة، **أهداف كل سورة**، ج ٢، ص ٢٠- ٣٢، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(١١٩) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٦، وتصديق النبي ^ : ٧- ٢٠، وقصة الأحقاف: ٢١- ٢٨، والنفر من الجن: ٢٩- ٣٢، والخاتمة: ٣٣- ٣٥.

ڳ ڳ ڱ ڱ ڳ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ڼ ہ ہ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ہ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ
ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ۋ ې ې ې ۍ ۍ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
ى ژ، فمن عبد إلهاً فليخبرنا ماذا خلق من هذا □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
الكون العظيم؟ فافتتاح السورة بإثبات التوحيد لله عز وجل ودحض الشرك، أمر متلائم مع دلالات قصة الأحقاف الذين شابهوا مشركي قريش في الشرك، حتى نزل بهم العذاب.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم وتصديق رسالته المتمثلة بالقرآن الحكيم: ژ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ
ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ
ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گگ گ ڳ ڳ ڳ گ ڳ گ گ ں ں ڻ ژ،
ولاحظ قول الله تعالى (قل ما كنت بدعاً من الرسل)، فهو صلى الله عليه وسلم أحد الأنبياء الذين أرسلهم الله، كما أن هوداً عليه السلام الذي أرسل إلى الأحقاف أحد هؤلاء الأنبياء كذلك، وفي سياق تصديق النبي صلى الله عليه وسلم الداعي إلى التوحيد وما يترتب عليه من الإيمان بالآخرة، عرض السياق موقفَيْن متقابلين للبشر من هاتين القضيتين، فكان أولهما موقف المؤمن الشاكر: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ
ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ژ، وانظر ماذا كان مصيره: ژ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ژ،
ولاحظ قوله (وعد الصدق) فنعيم المؤمنين محقق، كما أن عقاب المنكرين محقق كذلك.

والموقف الآخر هو موقف الكافر بالله تعالى وبالآخرة: ژ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڳ ڱ ں ں
ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ژ، وانظر ماذا كان مصيره: ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ژ، ولاحظ قوله تعالى (حق عليهم القول) المتلائم مع قوله سابقاً (وعد الصدق)، وانظر قوله تعالى (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس)، وهو من ناحية فيه رد على من زعم أن الأمم الخالية لا بعث لها ولا حساب، وهو من ناحية أخرى منسجم مع محور السورة الذي يدعو المشركين إلى النظر فيمن أُهلِك من الكافرين قريباً منهم، وقد كان أهل الأحقاف أحد هؤلاء، ومن ناحية ثالثة يتلاءم ذكر الجن هنا مع ما سيأتي من ذكر موقف النفر المؤمنين من الجن آخر السورة.

فأنت ترى أن السياق يدعو الكفار والمشركين إلى النظر في عواقب الأمم المكذبة السابقة قبلهم، وهم يعلمون عدداً من هذه الأمم، وذلك منسجم مع ما سيأتي من عرض قصة الأحقاف مع التعقيب عليها.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصة الأحقاف، وهي تمثل أنموذجاً تحذيرياً للمشركين، لأنها تبرز ماذا كان عاقبة كفرهم وشركهم: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ ٻ ٻ ٺ
ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ
ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ژ، وأول ما يفاجئك أن اسم النبي (هود) عليه السلام لم يذكر، وأعتقد أن سبب ذلك هو أن المقصود من عرض هذه القصة تحذير كفار قريش من أن يوصلهم كفرُهم وشركهم إلى ما وصلت إليه الأمم السابقة وهم يعلمون أمثلة متعددة على ذلك، فلذلك سميت السورة باسم مكان معيشة إحدى هذه الأمم التي يعرفونها، بينما

في سورة هود التي سميت باسمه عليه السلام، ذكر اسمه لأن دلالات أقواله المذكورة في تلك القصة هي الأدل على حقيقة التوحيد صراحة وحزماً وجزماً.

ومما يزيد ذلك تأكيداً قوله تعالى في سورة الأحقاف (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) فهو أيضاً ليس بدعاً من الرسل، فقد كانت الأقوام تعلم أن سنة الله هي إرسال الأنبياء قبل وقوع العقاب.

وانظر ماذا كان مصير أهل الأحقاف المكذبين: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮌ، وأعتقد أن إهلاكهم بالريح متلائم مع الدلالة اللفظية لاسم السورة، فكما أن الله جعل في الرياح قدرة على تحريك الكثبان الرملية من أماكنها، فقد جعل لها القدرة على إهلاك من كان يعيش بين هذه الكثبان، ولاحظ الإشارة إلى مساكنهم التي بقيت آية لغيرهم، وفي ذلك تحذير لكفار قريش الذين يعلمون حقيقة ما حصل في الأحقاف.

وقد كان التعقيب الإلهي على القصة أيضاً محذراً للكفار من أن يؤول أمرهم إلى ما آلت إليه الأمم المكذبة: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮌ، ولاحظ قوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الذي يؤكد المحور المذكور للسورة، فإذاً قصة الأحقاف المذكورة في هذه السورة هي أدل ما فيها على أخذ العبرة والاتعاظ بما حل بالأمم المكذبة السابقة، ولذلك سميت السورة باسم مكان معيشتهم وليس باسم نبيهم هود عليه السلام، ولا حتى بالاسم الذي اشتهروا به (عاد).

ثم انتقل السياق إلى ذكر موقف النفر من الجن، الذين آمنوا حين سماعهم قراءة القرآن، فكان ذكرهم بمثابة أنموذج الإيمان المقابل لأنموذج الكفر المتمثل بأهل الأحقاف: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮌ، ولاحظ أنهم استشهدوا على صدق القرآن بصدق كتاب موسى عليه السلام، وهذا يؤكد محور السورة الدال على أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل، ولاحظ أيضاً أنهم لم يكتفوا بمجرد الإيمان، بل ولّوا إلى قومهم داعين إياهم إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن. فذكر هذه الحادثة متلائم مع قصة الأحقاف التي سميت السورة بها، كونها تعطي صورة مقابلة لها.

رابعاً: بقيت الخاتمة وهي تحوي تأكيداً لكل ما سبق، فهي قد أعادت التذكير ببعض مظاهر قدرة الله في الخلق، الدالة على قدرته على البعث: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮌ، وأعادت التحذير للكفار ببيان المصير الأخروي لهم إن هم أصروا على كفرهم: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ ﮌ، وكما افتتحت السورة بدحض باطل المشركين وحذرتهم من الإصرار عليه، ختمت كذلك بذات التحذير: ﮋ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮌ،

وهكذا يلتقي البدء والختام كما هي العادة في هذا القرآن المعجز على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

أولاً: سورة الأنفال

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « النون والفاء واللام: أصل صحيح يدل على عطاء وإعطاء، منه النافلة: عطية الطوع من حيث لا تجب، ومنه نافلة الصلاة... ومن الباب: النَّفَل: الغُنْم، والجمع أنفال، وذلك أن الإمام يُنفِّل المحاربين، أي يعطيهم ما غنموه»، فوصف الغنائم بالأنفال يدل على أنها عطية وزيادة من الله للمسلمين، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فمن المعلوم أن هذه السورة نزلت تعقيباً على غزوة بدر التي كان من أحداثها أن غنِمَ المسلمون بعض الغنائم من المشركين، وقد ذكر الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة أن تسمية الغنائم بالأنفال فيه إشارة إلى أن الهدف الحقيقي من قتال الأعداء إنما هو لرفع كلمة الله، فإذا حدث أن غنم المسلمون شيئاً بعد أن يحققوا هذا الهدف، فإن هذه الغنائم زيادة رزقهم الله إياها (١٢٠).

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين موضوعات هذه السورة ومحورها واسمها، فذكروا أن بدء هذه السورة بالأنفال التي هي نتيجة معركة بدر، فيه تربية نفسية للمؤمنين بأن المبدأ أهم من العرض الدنيوي الزائل، فاسم السورة يحذر من أن يتحول قتال المسلم من إعلاء كلمة الله إلى طلب المغانم الرخيصة، ومن جهة أخرى تطمئن السورة المؤمنين إلى أن القتال الخالص لله سيؤدي في النهاية إلى الأنفال التي هي الزيادة، فالاهتمام بالأصول يؤدي إلى تحصيل الفروع، ومن مقاصد هذه السورة أنها تعطي مبررات تقرير ألوهية الله في الأرض وتحقيق منهجه في حياة الناس، فحديث السورة عن غزوة بدر الكبرى التي جعلها الله فرقاناً في مجرى التاريخ البشري، لا يجوز معه الاختلاف على الغنائم القليلة في تلك الوقعة، فسياق السورة يسجل أن هذه المعركة بجملتها من صنع الله وتدبيره، بقيادته وتوجيهه، بعونه ومدده، بفعله وقدره، له وفي سبيله، ومن ثم تجريد المسلمين من الأنفال، وتقرير أنها لله وللرسول، حتى إذا ردها عليهم كان ذلك منّا منه وفضلاً (١٢١).

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: تربية المؤمنين على التعبئة النفسية والمادية للجهاد في سبيل الله وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبأن تكون النية في ذلك صادقة لوجه الله تعالى فقط، وذلك لأن مقاليد الأمور كلها بيده تعالى يقلبها كيف يشاء، وإنما سميت السورة بالأنفال لأن الدلالات اللفظية والسياقية لهذه الكلمة

---

(١٢٠) ابن فارس، **المقاييس**، ص ١٠٣٩، وأبو عودة، أ.د عودة، **شواهد في الإعجاز القرآني**، ص ٩٤- ٩٧.

(١٢١) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٢٧٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٣، ص ١٨١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٣، ص ١٤٤٠- ١٤٦٩، ورضا، **تفسير المنار**، ج ١٠، ص ٩٢- ١١٧، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٣، ص ١٣٢، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ص ٤٨٥- ٤٨٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٨٦- ٩٢، ونوفل، د. أحمد، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، ط١، دار الفرقان، عمّان ، ٢٠٠٤، ص ٩٢- ١٠١.

مِنْ جعلها لله وللرسول، ثم ردها على المؤمنين امتناناً من الله، أدل ما في السورة على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة التعبئة النفسية والمادية للجهاد المبنية على النية الصادقة المخلصة لله تعالى.**

وبتأمل موضوعات السورة يظهر الترابط الوثيق بينها وبين دلالات اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام رئيسية: أولها: مقدمة تحوي توجيهاً للمؤمنين فيما يتعلق بموضوع الأنفال مع بيان الصفات التي يجب أن يتحلوا بها، وثانيها: التربية على التعبئة النفسية والمادية للجهاد من خلال بيان بعض منن الله تعالى على المؤمنين في معركة بدر الدالة على كمال قدرته المطلقة، وثالثها: خاتمة مؤكدة لما سبق [١٢٢].

أولاً: جاء في المقدمة سؤال يحوي عتاباً وتوجيهاً للمؤمنين حول موضوع الأنفال، إذ لم يكن من المفترض منهم أن يقاتلوا مع رسول الله من أجل هذه الأنفال، ولذلك رفعها الله من أيديهم وجعلها في يد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ، ولاحظ أن السياق بعد أن رفع حكم الأنفال إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قد أمرهم بتقوى الله وإصلاح ذات البين، وطاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك بمثابة تعبئة نفسية للمؤمنين، فما ينبغي للمؤمن أن يسأل عن العرض الزائل، بل ينبغي له أن يتحلى بهذا الصفات ويكِلُ أمرَه إلى مولاه ذي القدرة المطلقة، ولاحظ الأمر بالإنفاق الذي هو بمثابة تعبئة مادية للجهاد، فما من حرب إلا وهي بحاجة لأموال من أجل تجهيز الجيش، ولاحظ أيضاً وعدهم بالرزق الكريم من لدن الله تعالى، فالمنفق إنما ينفق ابتغاء الأجر والثواب من الله فقط، ولا يلتفت إلى عرض الدنيا.

فأنت تلاحظ إذاً أن هذه المقدمة قد أوجزت الحديث عن محور السورة الذي دل عليه اسم الأنفال.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى زيادة البيان في تربية المؤمنين على التعبئة النفسية والمادية للجهاد في سبيل الله، وبشرط أن تكون النية خالصة له تعالى، وقد كان أول توجيه لهم معاتبتهم على كراهية بعضهم القتال في المعركة، وتفضيلهم لغنيمة قافلة أبي سفيان: ﮋ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ، ولاحظ التحذير من تفضيل عرض الدنيا على القتال، فالله تعالى بحكمته أراد أن تتحول الظروف من غنيمة القافلة إلى المواجهة العسكرية لقريش، فلا ينبغي للمؤمن الجدال في ذلك، علماً بأن الله قد وعدهم بالنصر. وكل ذلك كما ترى تعبئة نفسية للجهاد.

ثم انتقل السياق إلى بيان بعض ما امتنّ الله به على المؤمنين في تلك المعركة، فقد استجاب الله لاستغاثتهم وأمدهم بألف من الملائكة، وغشّاهم النعاسَ وجعلهم أمنة من لدنه،

([١٢٢]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٤، والتعبئة النفسية والمادية للجهاد: ٥- ٦٣، والخاتمة: ٦٤- ٧٥.

وأنزل عليهم من السماء ماء ليطهرهم به، وأذهب عنهم رجز الشيطان، وربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم وأمدهم بالنصر، فالمعركة إذاً «بجملتها من صنع الله وتدبيره، بقيادته وتوجيهه، بعونه ومدده، بفعله وقدره، له وفي سبيله» [١٢٣]، وإذ كان الأمر كذلك فلم تسألون عن الأنفال إذاً ؟

ومن الأوامر التي تعبئ المؤمنين نفسياً للقتال تحريم الهروب من المعركة: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ .

ومن الأمور التي تصب في تعبئة المؤمنين للقتال نفسياً أيضاً تهوين كيد الكافرين: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، ولاحظ ذكر معية الله للمؤمنين، التي تملأ نفوسهم اطمئنانًا لأن الله ذا القدرة المطلقة معهم.

وانظر إلى هذا الأمر الخاص بالمؤمنين: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وانظر إلى هذا الامتنان الإلهي عليهم الذي يبين كمال قدرة الله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ، ولاحظ ذكر رزقهم الطيبات، ولاحظ التحذير من أن يوقع حب المال والدنيا في الخيانة، ولاحظ التحذير من فتنة الأموال والأولاد، ألا يرتبط ذلك مع التحذير من الانشغال بالأنفال عن أن تكون النية خالصة لوجه الله تعالى؟

وانظر إلى هذا التهوين من كيد الكافرين والمتعلق بالأموال أيضاً: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮊ، فهم يعتمدون على أموالهم في نيتهم السيئة وهي الصد عن سبيل الله، ولاحظ كمال القدرة الإلهية في تصيير هذه الأموال وبالاً وحسرة عليهم، ولاحظ كمال قدرته تعالى في حشرهم إلى جهنم يوم القيامة، إن هذا كله يحذر المؤمنين من الركون إلى الأموال والعرض الزائل، ومن أن تكون النية لأي شيء سوى وجه الله، بالإضافة إلى ما فيه من تعبئة نفسية ومادية تحثهم على الجهاد والإنفاق في سبيله.

والآن بعد هذه الأوامر المعبئة لنفسية المؤمنين مادياً ومعنوياً، انتقل السياق إلى التفصيل في حكم الأنفال الذي رفعه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أول السورة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﮊ، فبعد أن رجعت النية إلى مسارها الصحيح، وأصبحت نفسية المؤمنين معبأة تعبئة صحيحة، امتن الله برد الأنفال عليهم، ولاحظ إعادة التذكير بالإيمان وبطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا ينبغي أن تكون هذه الأنفال هدفاً لكم، إنما هي مجرد جزاء عاجل بسيط لا يعدل شيئاً أمام الجزاء الأخروي الآجل لمن آمن وصَلُحت نيته.

([١٢٣]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٣، ص ١٤٦٤.

ومن الأمور التي تبين كمال القدرة الإلهية في تسيير الأمور والظروف حسب مشيئته تعالى، أن أرى اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم جيشَ العدو في منامه قليلاً، فبشر أصحابه بذلك ورفع معنوياتهم، وقد أرى اللهُ المؤمنين عدوَّهم قليلا أيضاً في بداية المعركة، وانظر إلى هذا الأمر الذي يرفع معنوية الجندي المؤمن عالياً في السماء: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ، فذكر المؤمن لربه في تلك الموقف العصيبة يجعله مطمئناً بأن الله ذا القوة والقدرة المطلقة معه، ولاحظ التحذير من التنازع المؤدي للفشل، والأمر بالطاعة التامة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

وقبل الانتقال للخاتمة بين السياق أن الكافرين قد جعلوا من الشيطان ولياً لهم، فكانت النتيجة أنه نكص على عقبيه وتبرأ منهم، وحذر السياق من المنافقين ذوي القلوب المريضة، وأمر المؤمنين بعدم الالتفات إليهم، والتوكل على الله، وذكر السياق شيئاً من أحكام السَّلْم، فللمؤمنين أن يجنحوا للسلم شريطة أن يكون العدو هو من يطلب ذلك.

وانظر إلى هذا الأمر الإلهي المعبر عن محور السورة ودلالات اسمها بأبلغ صورة: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ ژ.

فأنت ترى أن هذا القسم الأكبر من السورة يحوي عرضاً مفصلاً لمحور السورة من عدة جوانب، فهو يعبئ المؤمنين نفسياً ومادياً، ويبرز لهم كمال القدرة الإلهية في توجيه الأمور والظروف حسب إرادته الحكيمة، وبالتالي يجب الاعتماد عليه وحده، دون الالتفات إلى عرضٍ زائلٍ يغير النية كالأنفال، كما وأنه يهون من كيد الكافرين. وكل ذلك مترابط أشد الترابط مع دلالات اسم السورة.

ثالثاً: بقيت الخاتمة التي تحوي تأكيداً لكل ما سبق، فقد أعادت التذكير بالتعبئة النفسية والمادية للجهاد: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﮮ ﮮ ۇ ۇ ۆ ژ، وحذرت من الركون إلى شيء من عرض الدنيا مما قد يغير النية فلا يجعلها خالصة لوجه الله: ژ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وانظر إلى هذا الامتنان الإلهي على المؤمنين المتقين: ژی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فقد أعاد لهم الأنفال التي اختلفوا عليها، لكن بعد أن صحت نياتهم، وكملت تعبئتهم النفسية والمادية.

وكما افتتحت السورة ببيان صفات المؤمنين بعد أن عاتبتهم على طلبهم الأنفال، ختمت السورة أيضاً بذكر صفات المؤمنين، « ولاحظ أن آخر السورة الكريمة عاد للحديث عن صفات المؤمنين، ولكنه جعل للإيمان علامات ومؤشرات أخرى أرقى من هذه في الرتبة وأشد في التطبيق: ژ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وكأن السورة الكريمة تلفتنا إلى أن التربية قد آتت ثمراتها وأكلها الطيب، فهاهم المؤمنون قد علت درجاتهم من مجرد إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله، إلى الهجرة والجهاد والإيواء والنصرة،

ولاحظ كيف تناغم وتناسق أول السورة مع آخرها» (١٢٤). وهكذا التقى البدء والختام على محور التعبئة النفسية والمادية للجهاد في سبيل الله دون التفات إلى عرض الدنيا، وهو ما دل عليه اسم السورة، وتناسق معه أكمل التناسق.

ثانياً: سورة التوبة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه، أي رجع عنه »، وقد أكد الإمام ابن منظور رحمه الله ذلك حيث قال: « التوبة: الرجوع من الذنب.. وتاب إلى الله يتوب توباً وتوبة ومتاباً: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة.. وتاب الله عليه: وفقه لها » (١٢٥)، وأما أهم الدلالات السياقية لاسم السورة فهي دعوة المؤمنين إلى التوبة من المخالفات التي حصلت من بعضهم في غزوتَيْ حُنين وتبوك.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تتناول موضوع التوبة من جميع جوانبه ولكافة الأطراف، فقد تضمنت توبة الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار، وجاء فيها دعوةٌ للمقصرين بالتوبة والرجوع عن التقصير، وفتحت مجالاً للتوبة لغير المؤمنين لعلهم يتركون مخالفاتهم، كما وإن هذه السورة قد تضمنت أحكاماً نهائية في العلاقات بين الأمة الإسلامية وسائر الأمم في الأرض، وتضمنت تصنيفاً ووصفاً دقيقاً للمجتمع المسلم يبرز ما وقع منهم من أعمال غير منسجمة مع المنهج الرباني، وكل ذلك دل عليه اسم السورة «التوبة» (١٢٦).

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: تربية الأمة الإسلامية على اعتمادِ الجهادِ سبيلاً للحفاظ على الدين ونشره في الأرض، وذلك من خلال بيان بعض مخالفات المسلمين التي تستوجب التوبة في معركتَيْ حُنين وتبوك، وبيان مخالفات تستوجب التوبة حصلت من المحسوبين عليهم من المنافقين والأعراب، والتحذير من أعمال تستوجب التوبة حصلت من المشركين وأهل الكتاب. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة الدعوة إلى التوبة من المخالفات المتعلقة بموضوع الجهاد كونه السبيل لنشر الدين وحفظه.**

والمتأمل في موضوعات السورة يظهر له الترابط الوثيق بينها وبين الدلالات اللفظية والسياقية لاسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١٢٤) نوفل، د. أحمد، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، ص ٩٣.
(١٢٥) ابن فارس، **المقاييس**، ص ١٧٥، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٢، ص ٢٤٤. بتصرف.
(١٢٦) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٢٩٢، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٣، ص ٢٥٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٣، ص ١٥٦٤ - ١٥٧٠، ورضا، **تفسير المنار**، ج ١١، ص ٧٢- ١٠٥، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٣، ص ١٩٠ و ١٩١، والجابري، **أسماء السور القرآنية، ٥١٥- ٥١٧**، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٩٤ - ١٠٠.

من الممكن تقسيم السورة إلى خمسة موضوعات رئيسية، أولها: مقدمة تدعو إلى المفاصلة العقيدية بين الأمة المسلمة والمشركين، مع التحذير من أعمالهم التي تستوجب التوبة، وثانيها: توجيهات تربوية للأمة المسلمة مع ذكر بعض مخالفات تستوجب التوبة في غزوة حنين، وثالثها: التحذير من أعمال تستوجب التوبة لأهل الكتاب والمشركين، ورابعها: توجيهات تربوية للأمة الإسلامية مع ذكر بعض مخالفاتهم ومخالفات المحسوبين عليهم من المنافقين والأعراب في غزوة تبوك، وخامسها: خاتمة مؤكدة لما سبق [١٢٧].

أولاً: جاء في مقدمة السورة توجيهات عدة للأمة المسلمة تدعوها إلى المفاصلة العقيدية بينها وبين المشركين، وتدعو المشركين إلى التوبة والإيمان بالله، وإلا فإن الحرب معلنة من المسلمين عليهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ، فالمقدمة تربي الأمة الإسلامية على مبدأ جهاد أعداء الله إذا أصروا على كفرهم ولم يتوبوا إلى خالقهم، وقد بينت المقدمة كذلك بعض الأسباب الداعية إلى المفاصلة بين المسلمين والمشركين وضرورة قتالهم إن أصروا على كفرهم: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ، فهم إذا كانوا لا يقيمون اعتباراً لآيات الله تعالى، فكيف سيكون عندهم احترام لمعاهداتهم مع المؤمنين؟ ولاحظ دعوتهم إلى التوبة وإقامة الصلاة، التي تجعلهم إخواننا في الدين إن التزموا بها.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى توجيهات تربوية للأمة الإسلامية، تبرز لهم أن دينهم وحده هو الحق، وأن السبيل للدفاع عنه ونشره هو الجهاد، وتدعوهم إلى التوبة من المخالفات التي وقعت من بعضهم في غزوة حُنين: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ، فعمارة مساجد الله إنما تكون حسب المنهج الذي ارتضاه، وأين سدانة البيت وسقاية الحجيج التي كان يقوم بها المشركون من الإيمان بالله والجهاد في سبيله: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ.

وقبل الانتقال إلى ذكر مخالفات بعض المسلمين في غزوة حنين، ذكر السياق توجيهات تربوية عدة متعلقة بموضوع الجهاد أيضاً، فقد بين السياق أن مَن آمن وهاجر وجاهد في سبيل الله هم أصحاب الدرجة العظمى عند الله، وحذر من موالاة الكفار حتى لو كانوا من الآباء أو الإخوان، وحذر أيضاً من تفضيل الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر والأموال على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله، وهذه توجيهات بمثابة تهيئة لذكر مخالفات غزوة حنين.

ثم انتقل السياق إلى ما يتعلق بغزوة حنين: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ

---

(١٢٧) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٤، والتوجيهات للأمة المسلمة مع ذكر مخالفات يوم حنين: ١٥- ٢٨، والتحذير من أهل الكتاب والمشركين: ٢٩- ٣٧، والتوجيهات التربوية للأمة المسلمة مع ذكر مخالفات غزوة تبوك: ٣٨- ١١٦، والخاتمة: ١١١- ١٢٩.

ژ، فهذه المخالفة المذكورة تقع في صميم العقيدة، وهي متسقة مع التوجيهات المذكورة قبلها، وذلك أنه قد حصل اعتماد على الكثرة من دون الله، وكادت أن تؤدي للهزيمة لولا لطف الله، ولكن باب التوبة مازال مفتوحاً: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ.

فأنت تلاحظ أن هذه التوجيهات تربي المؤمنين على اعتماد الجهاد في سبيل الله سبيلاً للدفاع عن الدين ونشره في الأرض، وتدعوهم إلى التوبة من المخالفات التي وقعت منهم فيما يتعلق بهذا الموضوع، وذلك متلائم مع دلالات اسم السورة كما لا يخفى.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى أمر آخر خطير فيما يتعلق بموضوع التربية، وهو بيان المخالفات التي وقعت من أهل الكتاب وبعض المشركين تستوجب عليهم التوبة إلى الله، فيجب على المؤمنين الحذر منها، مع بيان وجوب جهادهم إن هم أصروا على كفرهم: ژ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ ژ، فالدفاع عن دين الله ونشره إنما يكون بجهاد هؤلاء حتى تكون الكلمة العليا لدين الله، فإما أن يتوب أهل الكتاب إلى الله ويؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

أما الأعمال والمعتقدات الباطلة التي وقع فيها أهل الكتاب، فهي أنهم أولاً زعموا أن عزيراً وعيسى بن مريم أبناء لله تعالى، وثانياً: أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله يطيعونهم في الباطل طاعة عمياء، وثالثاً: أنهم يريدون إطفاء نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ورابعاً: أن كثيراً من أحبارهم ورهبانهم ـ وهم الصفوة ـ يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، ويكنزون الذهب والفضة ولا يؤدون حق الله فيها، ولاحظ أن هذه المخالفات متسقة مع التوجيهات السابقة للمؤمنين إذ حذرتهم من تفضيل القرابة والأموال على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيله.

وأما العمل الذي ذكره السياق وحذر المؤمنين منه فيما يتعلق بالمشركين، فهو أنهم يتلاعبون في تقديم وتأخير الأشهر الحرم ليبيحوا لأنفسهم القتال، وذلك ظلم يجب الحذر منه: ژ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﯓ ﯓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ژ، ولاحظ الدعوة إلى قتالهم كافة كما يقاتلون هم المؤمنين كافة، وهذا متسق مع محور السورة الداعي إلى الجهاد للحفاظ على الدين ونشره.

رابعاً: ثم انتقل السياق إلى الموضوع الأكثر خطورة فيما يتعلق بموضوع التربية على الجهاد، وهو بيان بعض مخالفات المسلمين في غزوة تبوك، وبيان مخالفات المحسوبين عليهم من المنافقين والأعراب، ويلاحظ أن هذا الموضوع قد أخذ الحجم الأكبر من السورة، وذلك لتعدد مخالفات المسلمين في تلك الغزوة ذات الظروف العسيرة، ولتعدد وخطورة مخالفات المنافقين والأعراب فيها، ولا يخفى أن المنافقين بمثابة عدو داخلي يجب التحذير منه.

وقد قدم السياق ذكر المخالفة الأولى للمؤمنين اهتماماً بشأنهم، وهي تثاقل بعضهم عن النهوض للقتال في غزوة العسرة: ژ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ ژ، ولاحظ إعادة التذكير بعدم تفضيل الدنيا على الجهاد، وانظر قوله تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ژ.

ثم شرع السياق بعرض تفصيلي لمخالفات المحسوبين على المسلمين من المنافقين والأعراب، وقد ابتدأ ذلك بعتاب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على قبول أعذارهم الكاذبة، فقد كانت أولى مخالفاتهم هي تذرعهم بالأعذار الكاذبة حتى لا يخرجوا إلى القتال، وقد بيتوا نية السوء تجاه النبي صلى الله عليه وسلم : ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ، وكرهوا تقديم النفقات لتجهيز الجيش، وكانوا يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، وتلفظوا بألفاظ في حق النبي صلى الله عليه وسلم تنمُّ عن عدم إيمانهم: ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ، وهم على استعداد أن يحلفوا بالله كاذبين ليرضوا الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والله أحق أن يرضوه، وهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وقد حذر السياق من موالاتهم، وأمر بأن تكون الموالاة للمؤمنين فقط: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ.

وانظر إلى هذا الأمر المنسجم مع محور السورة: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ، ومن الأوامر الداعية إلى المفاصلة بين المؤمنين وبين هؤلاء المنافقين النهي عن الاستغفار لهم: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ، ولم يكن الأعراب بأقل سوءاً من المنافقين: ﭽﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ، فهم أيضاً يكرهون الخروج للقتال ويؤثرون راحة الحياة الدنيا، وانظر قوله تعالى: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ، ولم يغفِل السياقُ إنصافَ الأعراب المؤمنين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويتخذون ما ينفقون قربة عند الله وصلوات الرسول صلى الله عليه وسلم.

فأنت ترى أن هذا القسم الأكبر من السورة يدعو المؤمنين إلى التوبة من المخالفات التي وقعت منهم في غزوة تبوك، ويحذرهم من الأعمال التي قام بها المنافقون والأعراب، وهذا منسجم مع محور السورة ودلالات اسمها كما لا يخفى.

خامساً: بقيت الخاتمة التي تحوي تأكيداً لما سبق، فقد أعادت التذكير بمحور السورة الداعي إلى التزام منهج الجهاد للحفاظ على دين الله ونشره: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡﭼ، ولاحظ أن أول صفة للمؤمنين هي وصفهم بالتائبين، لينسجم ذلك مع دلالات اسم السورة، ولاحظ أيضاً أن صفاتهم المذكورة تقابل بصورة عكسية ما قام به المنافقون والأعراب من المخالفات.

وقد أعادت الخاتمة التذكير بالمفاصلة العقيدية بين المؤمنين والمشركين، ونهت عن الاستغفار لهم حتى لو كانوا أولي قربى، وجاء في ختام السورة امتنان من الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين الذين وقع من بعضهم مخالفات في غزوة تبوك تستوجب التوبة: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ

ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﮊ، وأعادت التذكير بأخذ الحيطة والحذر من المنافقين والأعراب المتنصلين من الجهاد في سبيل الله.

وكما افتتحت السورة بتبرؤِ اللهِ ورسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين الحائدين عن منهج الله، وأمرِ المؤمنين بالتزام منهج الجهاد للحفاظ على الدين، ختمت كذلك بالتحذير من المنافقين والأعراب المتنصلين من الجهاد في سبيل الله، وأمرت المؤمنين بموالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والالتزام بالمنهج الرباني: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦﯧ ﯨ ﯩ   ﮊ، وهكذا التقى البدء والختام على محور السورة الداعي إلى التزام الجهاد في سبيل الله والتوبة من المخالفات المتعلقة به، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

أولاً: سورة الأحزاب

الدلالة اللغوية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الحاء والزاء والباء أصل واحد وهو تجمع الشيء، فمن ذلك الحزب: الجماعة من الناس»، وقد أكد كلامه الإمام الأصفهاني رحمه الله حينما قال: « الحزب: جماعة في غِلَظ ـ كثرة ـ، وقوله تعالى: ژ □ □ □ □ □ ژ (بعض الآية ٢٢): عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم »، وزاد الإمام ابن منظور رحمه الله «حزب الرجل: أصحابه وجنده الذين على رأيه ... وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب » (١٢٨)، فوصف جيش العدو بالأحزاب يدل على كثرة عدده واتحاد هدفه، أما الدلالات السياقية لاسم السورة فلا يخفى أنها تدل على تجمع جنود قريش وغطفان من جهة، ويهود بني قريظة من جهة أخرى، على المدينة المنورة لاستئصال شأفة المسلمين، وقد كانت هذه الغزوة أشد غزوة وأخطرها على المؤمنين.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين محور هذه السورة وموضوعاتها ودلالات اسمها، فذكروا أن من مقاصد هذه السورة الحث على الصدق والإخلاص في التوجه إلى الخالق عز وجل، دون التفات للخلائق، ومن مقاصدها كذلك ربط ما ذكر فيها من أحداث بالأصل الكبير ألا وهو العقيدة في الله والاستسلام لقدره، وفي السورة إعادة لتنظيم المجتمع المسلم حسب المنهج الإلهي، وفيها ترسيخ لمكانة النبي صلى الله عليه وسلم كمصدر تشريع وكأسوة للمؤمنين، وفيها تنبيه على خطر المنافقين والمتخاذلين، وأدل ما في السورة على هذه الموضوعات الرئيسية غزوة الأحزاب مع التعقيب الإلهي عليها، ولذلك سميت السورة باسم هذه الغزوة (١٢٩).

ويمكن للباحث أن يبني على أقوال الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: تربية المؤمنين على الطاعة التامة والثقة المطلقة بالنبي القائد صلى الله عليه وسلم، من خلال بيان فضله وبعض حقوقه صلى الله عليه وسلم على المؤمنين، إن كان في الرخاء أو الشدة، وإن كان بين المجتمع المسلم عموماً أو فيما يخص أهل بيته صلى الله عليه وسلم. وإنما اختير اسم الأحزاب لهذه السورة لأنها مع التعقيب الإلهي عليها تعبر عن أهم حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على المؤمنين، وهو الطاعة والثقة في أشد الظروف وأحلكها، فكانت هذه التسمية تعبيراً عن الامتحان العسير الذي أبرز صدق الصادقين من المؤمنين، وتخاذل المنافقين المتنصلين. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة الثبات على الصدق مع القائد صلى الله عليه وسلم ولزوم طاعته في الظروف الحالكة، فضلاً عن الظروف الاعتيادية.**

---

(١٢٨) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٢٦١، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٢٦١، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٤، ص ١٠٢. بتصرف.

(١٢٩) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ١٥٢، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج٦، ٦٧، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٨١٧- ٢٨٢٤، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ص ٦٤- ٦٦، وطهماز، عبد الحميد، **النبي ^ وأزواجه في سورة الأحزاب**، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦، ص ٦- ١٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢٣٠- ٢٣٧.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز التناسق والترابط الشديد بينها وبين دلالات اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم هذه السورة إلى أربعة موضوعات رئيسية، أولها: مقدمة تحوي توجيهات للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من ورائه، وتبرز فضله صلى الله عليه وسلم وبعض حقوقه، وثانيها: تربية للمجتمع المسلم على الطاعة والثقة بالنبي القائد صلى الله عليه وسلم في الظروف القتالية الصعبة، مع بيان تخاذل المنافقين وذلك في الحديث عن غزوة الأحزاب، وثالثها:توجيهات لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وللمجتمع المسلم للقيام بواجباتهم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم في الظروف العادية، ورابعها: خاتمة مؤكدة لما سبق (١٣٠).

أولاً: جاءت المقدمة تحوي توجيهات للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من خلفه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ، ولا يخفى أن تقوى الله والمفاصلة بين المؤمنين وبين الكافرين والمنافقين، واتباع التوجيه الرباني، والتوكل على الله، هي أسباب النصر مهما تعسرت الظروف، فهذه المقدمة بتوجيهاتها السامية تدعو المؤمنين وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الالتزام بها حتى يتحقق لهم النصر، كما تحقق يوم الأحزاب.

وقد بين السياق السبب في ضرورة المفاصلة بين المؤمنين وبين الكافرين والمنافقين حينما بين أن الله ما جعل لرجل من قلبين في جوفه، فـ « الإنسان لا يملك أن يتجه إلى أكثر من أفق واحد، ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد» (١٣١)، وأعتقد أن هذا البيان متعلق أيضاً بما لحقه من بيان أن الزوجة المظاهر منها غير الأم، وأن الأدعياء غير الأبناء، فالمعتقد والزوجة، والأم، والأدعياء، والأبناء، كلها أمور فردية لا مثنوية بينها، فلا يمكن أن يكون الرجل مؤمناً ومنافقاً أو كافراً في ذات الوقت، ولا يمكن أن تكون الزوجة والأم شيئاً واحداً، وكذلك الأدعياء والأبناء.

ولذلك ينسب الأدعياء إلى آبائهم الحقيقيين، فإن لم يُعلم آباؤهم فهم إخواننا في الدين ومواليناً، وذكر هذه التوجيهات في مقدمة السورة متلائم مع ما سيأتي من الحقوق الأسرية الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ثم انتقل السياق إلى بيان فضل النبي صلى الله عليه وسلم على المؤمنين، وما نتج عن ذلك من تفضيل أزاوجه عليهم أيضاً: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ، إن ذكر هذا الفضل للنبي صلى الله عليه وسلم، والدعوة إلى الإيمان الصادق به، يبرز لنا بعض حقوقه صلى الله عليه وسلم على المجتمع المؤمن، وفي ذلك تهيئة لذكر أهم هذه الحقوق، وهو الثبات على صدق الإيمان والثقة به في أعسر الظروف كما سيأتي في غزوة الأحزاب، ولاحظ أن التقرير في هذه المقدمة قد جاء على نحو حازم جازم وكأنه بيان عسكري، فانظر الأوامر التالية: اتق الله، اتبع ما يوحى،

---

(١٣٠) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٧، وتربية المؤمنين في الظروف القتالية الصعبة: ٨ – ٢٧، والتوجيهات لأهل بيته ٨ وللمجتمع المسلم في الظروف العادية: ٢٨- ٥٩، والخاتمة: ٦٠- ٧٣.

(١٣١) قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ٢٨١٩.

توكل على الله، ادعوهم لآبائهم، ولاحظ أسلوب التقرير مع التوكيد: إن الله كان عليماً حكيماً، إن الله كان بما تعملون خبيراً، النبي أولى بالمؤمنين .. وأعتقد أن هذا الحزم والجزم متلائم مع شدة ظروف غزوة الأحزاب وحالك أحوالها. فدلالة اسم السورة منسجمة مع أسلوب التعبير أيضاً.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى الموضوع الأهم في السورة، وهو تربية المؤمنين على الثبات في صدق الإيمان والثقة بالنبي القائد صلى الله عليه وسلم، فقد كانت غزوة الأحزاب التي سميت هذه السورة باسمها أصعب ابتلاء تعرض له المؤمنون، فظهر فيه صدق الصادقين، وتخاذل المنافقين، وقد ابتدأ السياق عرض أحداث هذه الغزوة من نتيجتها النهائية، فكان في ذلك مزيد امتنان من الله على المؤمنين: ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ژ، ولاحظ وصف حال المؤمنين في تلك الموقعة، فقد بلغت القلوب الحناجر، ودخل الظن إلى القلوب، وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، كل ذلك يطلعنا على هول هذه الموقعة وشدة ظروفها.

وقد عرض السياق موقف المنافقين: ژ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ېژ، فهم يكذبون الله ورسولهصلى الله عليه وسلم، ويتنصلون من القتال معتذرين بالأعذار الكاذبة، وقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، وكان عهد الله مسؤولاً، وهم جبناء إذا جاء الخوف، وإذا ذهب الخوف أعملوا في المؤمنين ألسنتهم السليطة، وهم يتمنون في تلك الموقعة لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عما حصل للمؤمنين.

وانظر ماذا كانت نتيجة أعمالهم القبيحة ونياتهم السيئة: ژ... ہ ہ ہ ھ ھ ھھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ژ (بعض الآية ١٩)، إن عرض موقف المنافقين هذا يبرز لنا من ناحية مدى شدة تلك الغزوة، ومن ناحية أخرى يربي المؤمنين على الثقة والصدق في الإيمان، وأن لا يكونوا مثل هؤلاء.

ثم عرض السياق موقف المؤمنين: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ی □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃژ، ولاحظ ابتداء الكلام عنهم ببيان فضل النبي القائد صلى الله عليه وسلم، ولاحظ أن الظنون لم تتمكن من قلوب المؤمنين، فسرعان ما أبطل اليقين في قلوبهم هذا الظن، وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وما زادتهم شدة الغزوة إلا إيماناً وتسليماً وما بدلوا تبديلاً. فأنت ترى أن السياق يركز على تربية المؤمنين على أداء أهم حق من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ألا وهو الثبات على الثقة والإيمان الصادق به صلى الله عليه وسلم حتى في أحلك الظروف، وهذا أعظم مقصد في السورة، ولذلك سميت السورة باسم هذه الغزوة المعبرة عنه.

ثم عرض السياق نتيجة الموقعة، فقد رد الله الكافرين ولم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، أما فيما يتعلق بيهود بني قريظة الناقضين للعهد، فقد بين السياق مصير غدرتهم، فقد مكّن الله المؤمنين منهم، فقتلوا فريقاً منهم وأسروا فريقاً، وقد أورث الله المؤمنين ديار يهود بني

قريظة وأموالهم، وهذا متعلق بما سيجيء من تربية نساء النبي صلى الله عليه وسلم على عدم الإثقال عليه من طلب زيادة النفقة من الأموال التي غنمها المسلمون بعد القضاء على بني قريظة.

ثالثاً: وبعد أن انتهى الكلام عن حقوق النبي القائد صلى الله عليه وسلم في الظروف العسيرة، انتقل إلى بيان حقوقه صلى الله عليه وسلم في الظروف العادية، وكان أولها توجيه لأمهات المؤمنين: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ، فنساء النبي صلى الله عليه وسلم مأمورات بعدم تفضيل شيء من متاع الدنيا على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم بين السياق أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم بزواجهن من أشرف الخلق قد جعل الله لهن ميزة على باقي النساء، وذلك يستلزم منهن مزيد الطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد بين السياق أن من يأت منهن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب، وفي المقابل من يقنت منهن لله وتعمل صالحاً يؤتها الله أجرها مرتين، وانظر إلى هذه الأوامر الإلهية لهن فيما يتعلق بحقوق النبي صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ، ولاحظ أن المقصود من هذه الأوامر حفظ عِرض النبي صلى الله عليه وسلم من أن يمس بأدنى شبهة سوء، فهن مأمورات بعدم الخضوع بالقول، وأُمِرْنَ بالقول المعروف، والقرار في البيوت وعدم التبرج، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، كل ذلك يؤهلهن لأن يُذهب الله عنهن الرجس ويطهرهن تطهيراً.

وقد بين السياق أن كل فرد في المجتمع الإسلامي ذكراً كان أو أنثى، مأمور بفضائل الأخلاق وقد أعد الله لمن التزم بذلك مغفرة وأجراً عظيماً، ومن الأخلاق الفاضلة الطاعة التامة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولذلك جاء هذا الأمر فيما يتعلق ببعض حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على المؤمنين: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ، وهذا الأمر ممهد لعدم المجادلة فيما يتعلق بأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالزواج من مطلقة زيد بن حارثة، الذي كان قد تبناه النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أراد الله إبطال حكم التبني، وقد اختص رسوله صلى الله عليه وسلم بالقيام بهذه المهمة، فأمره بالزواج من مطلقة زيد، وحينئذ لن يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وطلقوهنّ.

فأنت ترى أن السياق يركز على تعريف المؤمنين وتربيتهم على القيام بحقوق نبيهم صلى الله عليه وسلم عليهم، ولذلك بين السياق بعض مزايا هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعظيم فضله عند الله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ، ولاحظ تكرار الأمر بعدم طاعة الكافرين والمنافقين، والتوكل على الله، وهو أمر قد ذكر أول السورة، وتكرار هذا الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من خلفه فيه مزيد حث لهم على القيام به.

وبمناسبة الحديث عن العلاقات الأسرية الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، بين السياق أن لا عدة للنساء المطلقات قبل الدخول، وأتبَعَ ذلك ببيان ما يحل للنبي صلى الله عليه وسلم من

النساء، وهن اللاتي آتاهن أجورهن ـ أزواجه التسع ـ وما ملكت يمينه، وبنات أعمامه وعماته، وبنات أخواله وخالاته، وأي امرأة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم إن أراد أن يستنكحها بلا ولي، وهذا أمر خاص به صلى الله عليه وسلم فقط من دون المؤمنين، وقد جعل الله له مطلق الحرية في اللواتي يعرضن أنفسهن له صلى الله عليه وسلم، فإن شاء ضم إليه، وإن شاء أبى، وإن أراد أن يضم إليه امرأة قد أباها سابقاً فله ذلك، ثم حرم الله عليه استبدال أحد أزواجه بأخرى ولو أعجبه حسنها، وذلك لأن أزواجه صلى الله عليه وسلم قد استحققن أن ينلن شرف الزواج منه صلى الله عليه وسلم، وأن يكن أمهات المؤمنين، فلا يزول عنهن هذا الشرف أبداً.

ثم انتقل السياق إلى أمر توجيهي آخر للمؤمنين يتعلق بحقوق النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد نهى القرآن المؤمنين عن دخول بيوت النبي صلى الله عليه وسلم بلا إذن، وإذا أُذن لهم فلا يثقلوا عليه صلى الله عليه وسلم بانتظار نضج الطعام، أو الاستئناس بالحديث بعد الطعام، ولكن إذا طعموا فلينتشروا، وقد حرم القرآن على المؤمنين أن يسألوا إحدى نساء النبي شيئاً من متاع الدنيا إلا من وراء حجاب، واستثنى السياق من ذلك المحارم من الرجال، وانظر إلى هذا التوجيه: ﮋ... □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □□ □ ی ی ي ي □ ﮊ (بعض الآية: ٥٣). ولاحظ المنهجية في القرآن في عرض الأوامر، إذ قد أخر السياق الأمر الذي كان قد حدث في أحد بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن بين بعض الأحكام الخاصة بأهل بيته صلى الله عليه وسلم، وقد أمر السياق أيضاً نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين بأمر مشترك، وهو أن يدنين عليهن من جلابيبهن فلا يؤذين من ذي قلب مريض.

وانظر إلى هذا الأمر الذي ختمت به هذه التوجيهات، والمبين لفضل النبي المصطفى وعظم منزلته عند الله: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ. فأنت تلاحظ إذاً أن سياق السورة متعلق ببيان حقوق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم على المؤمنين، في الرخاء والشدة، والتي كان أهمها الثبات على الثقة وصدق الإيمان به في أشد الأحوال، وهو ما عبر عنه اسم السورة أشد الدلالة.

رابعاً: بقيت الخاتمة وهي تحوي تأكيداً لكل ما سبق ذكره، فقد أعادت التحذير من تخاذل المنافقين المؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □□ □□ □ □ □ □ □ ﮊ، وأعادت التحذير من الكافرين المكذبين بالساعة، مع بيان تحسرهم على عدم طاعة الله ورسوله في يوم القيامة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، وفي ذلك تربية للمؤمنين بلزوم طاعة الله ورسوله .

وأعادت تنبيه المؤمنين وتحذيرهم من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر بطاعته طاعة تامة: ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ، وأعتقد أن ذكر بني إسرائيل الذين آذوا موسى عليه السلام، متلائم مع ما ذكرته السورة عن غزوة الأحزاب التي ألّب فيها يهودُ بني قريظة قريشاً وغطفانَ على إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه.

وقبل الختام بينت السورة تكريم الإنسان بأمانة العقل التي أشفق منها السماوات والأرض، وهي أمانة تقتضي منه أن يكون موالياً ومطيعاً كل الطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، لا أن يظلم نفسه ويكون مع الذين يحادون ويتآمرون على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكما افتتحت السورة بأخذ الحيطة والحذر وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، وأمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ختمت ببيان مصير كلا الفريقين: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ىي ي □ □ □ □ □ ژ، وهكذا التقى البدء والختام كما هي العادة في هذا القرآن العظيم، على محور تربية المؤمنين على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى في أحلك الظروف وأعسرها، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ دلالة.

ثانياً: سورة الحشر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الحاء والشين والراء هو السَّوق والبعث والانبعاث، .. وأهل اللغة يقولون: الحشر: الجمع مع سَوْق »، وقد أكد كلامه الإمام الأصفهاني رحمه الله بقوله: « الحشر: إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها » (١٣٢)، ولا يخفى أن الحشر المقصود في السورة متعلق بيهود بني النضير الذين نقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ قد حاولوا قتله، وتآمروا أيضاً مع قريش ضده صلى الله عليه وسلم، فحاصر النبي صلى الله عليه وسلم حصونهم المنيعة حتى ألقى الله في قلوبهم الرعب وهزمهم، وأمكن المؤمنين منهم، فكان ذلك الحشر أول الإخراج لهم من أرض الجزيرة العربية.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن من مقاصدها وصف ما جرى في يوم حشر بني النضير، وبيان كيف وقع، ولماذا وقع، وما كان في أعقابه من تنظيمات في المجتمع المسلم، وتربية النفوس في ربط أحداث ذاك اليوم بالخالق سبحانه، فالسورة تعرفنا على بعض صفات الله تعالى وعظيم قدرته، وقد كان أدل ما في السورة على عظيم قدرة الله تعالى حشر بني النضير ذوي الحصون المنيعة وهزيمتهم، ولذلك سميت السورة باسمه (١٣٣).

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول: إن بيان سياق السورة لعظيم قدرة الله وتمام علمه لم يقتصر على ظاهر الأمور فحسب، بل بينت كذلك بعض مظاهر قدرة الله وتمام علمه بباطن الأمور أيضاً، فالباحث يرى أن محور السورة هو: بيان انتصار الله على من شاقّه إن كان على الصعيد الظاهر، أو على الصعيد النفسي في الباطن، وذلك لكمال قدرة الله وتمام علمه بما يختص بعالَم الغيب أو عالم الشهادة، ولما كان حشرُ اللهِ ليهود بني النضير أدل ما في السورة على انتصاره تعالى على أعدائه من اليهود وإخوانهم من المنافقين في الظاهر ونفسياً في الباطن، سميت السورة باسمه. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها

---

(١٣٢) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٢٦٦. بتصرف، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٢٣٧.

(١٣٣) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ٣٣٠، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٥٠٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٥١٨- ٣٥٢١، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص٥٧. والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٤٤٩- ٤٥١، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة بيان انتصار الله على من شاقّه سواء في الظاهر والباطن.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بينها وبين المحور المذكور ودلالات اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولاً: مقدمة تبرز بعض مظاهر قدرة الله تعالى المطلقة في انتصاره على من شاقّه، وثانياً: بيان فضل الله تعالى على المؤمنين الناتج عن انتصاره على بني النضير، وثالثاً: بيان الهزيمة النفسية لأهل الكتاب وإخوانهم من المنافقين، ورابعاً: خاتمة مؤكدة لما سبق (١٣٤).

أولاً: جاء في المقدمة بيان لكمال قدرة الله تعالى في انتصاره على يهود بني النضير الذين شاقّوه، ولم يكن انتصار الله عليهم عسكرياً ظاهراً فحسب، بل وصل مداه إلى هزيمتهم نفسياً أيضاً: ﮋ ﮊ ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄﮃ ﮂ ﮁ ﮀ ﭿ ﭾ ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵ ﭴ ﭳ ﭲ ﭱ ﭰ ﭯ ﭮ ﭭ ﭬ ﭫ ﭪ ﭩ ﭨ ﭧ ﭦ ﭥ ﭤ ﭣ ﭢ ﭡ ﭠ ﭟ ﭞ ﭝ ﭜ ﭛ ﭚ ﭙ ﭘ ﭗ ﭖ ﭕ ﭔ ﭓ ﭒ ﭑ ﭐ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﭏ פֿ כֿ בֿ וֹ תּ שּ רּ קּ צּ ﭅ פּ ףּ ﭂ סּ נּ ﬿ ﮌ، ولاحظ أولاً افتتاح السورة بالتسبيح الدال على تنزيه الله تعالى لكمال قدرته وشمول علمه ظاهراً وباطناً، ولاحظ ثانياً ذكر الضمير «هو» العائد عليه سبحانه، مما يزيد جو السورة مهابة وإجلالاً مناسباً لذلك النصر المبين، ولاحظ ثالثاً بيان أن الله وحده هو الذي أخرجهم من ديارهم لأول الحشر، وقد كانت نفوس المؤمنين تستبعد ذلك لحصانة حصونهم وهذا يدل على تمام علم الله بعالم الغيب، فهو يعلم ما في القلوب، فهذا الانتصار العسكري الظاهر، أما الانتصار النفسي فقد كان بقذف الرعب في قلوبهم وهو يدل على علم الله بما في القلوب أيضاً، ولاحظ رابعاً بيان كمال انتصار الله عليهم حتى في الآخرة، ولاحظ أخيراً أن سبب ذلك كله أنهم شاقوا الله ورسوله، والله شديد العقاب، وقد برز أحد مظاهر شدة عذابه في إخراج هؤلاء.

فهذه المقدمة تحوي تلخصياً يؤكد محور السورة الدال على انتصار الله على من شاقه انتصاراً ظاهراً ونفسياً باطناً، وذلك لكمال علمه بما في الظاهر والباطن، وقد برز ذلك في يوم حشر يهود بني النضير الذي سميت السورة باسمه.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى بيان بعض مظاهر فضل الله على المؤمنين التي برزت من هذا الحشر : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ، ولاحظ أن السياق قد ذكر أن المؤمنين لم يكن لهم دور ملحوظ في هذا الحشر إلا فيما يتعلق بقطع شجرهم وتخريب بيوتهم، فقد بين السياق أنهم لم يوجفوا خيلاً ولا ركاباً للحصول على هذا الفيء، وذلك يؤكد المحور المذكور من أن الله تعالى هو الذي تولى الانتصار عليهم.

---

(١٣٤) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٤، وبيان فضل الله على المؤمنين: ٥- ١٠، والهزيمة النفسية لأهل الكتاب والمنافقين: ١١-١٧، والخاتمة: ١٨- ٢٤.

وقد بين السياق كيفية توزيع هذا الفيء على ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والفقراء من المهاجرين، ثم انتقل السياق إلى أمر آخر يبرز تمام علم الله بما نفوس الخلق، وذلك أنه شهد للأنصار بعدم وجود بغضاء في قلوبهم تجاه المهاجرين الذين اختصوا ببعض هذا الفيء دونهم: ﮋ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮯ ﯓ ﯔ □ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ، وأعتقد أن ذكر ذلك متلائم مع ما ذُكر من قذف الرعب في قلوب بني النضير، فالمؤمن يعلم أن الله تعالى قادر على أن لا يجعل في قلبه غلاً لأخيه المؤمن، كما هو قادر على قذف الرعب في قلوب أعدائه، ومن ناحية أخرى فيه دلالة على علم الله بعالم الغيب الباطن أيضاً.

إذاً فذكر هذا الفضل الإلهي على المؤمنين الناتج عن هذا الحشر قد أسهم في الدلالة على المحور المذكور من كمال قدرة الله وتمام علمه بعالمي الغيب والشهادة.

ثالثاً: ثم انتقلت السورة إلى أمر خطير آخر يبرز تمام علم الله بعالم الغيب، فقد علم سبحانه بما دار بين المنافقين وإخوانهم الكافرين من أهل الكتاب حول التآمر على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين، ولم يقتصر البيان الإلهي على ذلك فحسب، بل بين أن تآمرهم لن يفضي إلى نتيجة فعلية وأنهم كاذبون: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ، ولاحظ أيضاً بيان علمه تعالى بما في قلوبهم من رهبتهم المؤمنين أكثر من الله، ولم يقتصر السياق على بيان علم الله تعالى بما في قلوب المنافقين فحسب، بل بين كمال علمه تعالى بما انطوت عليه نفسيات اليهود أيضاً: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ، وقد بين السياق أن حال المنافقين مع اليهود كحال الشيطان مع الإنسان، إذ تبرأ منه لما أغواه، فأنت تلاحظ أن السياق ببيانه تمام علم الله بعالمي الغيب والشهادة يؤكد المحور المذكور للسورة، والذي كان حشر بني النضير أدل ما في السورة عليه فسميت باسمه.

رابعاً: ثم جاءت الخاتمة وهي تحوي تأكيداً لكل ما سبق، فقد أمرت المؤمنين بتقوى الله تعالى لأنه ذو العلم المطلق والقدرة التامة، وهو وحده بيده النصر: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ، ولاحظ إعادة الأمر بتقوى الله في الآية الأولى، مما يتناسب مع ما بينه السياق من تمام علم الله بما يختص بعالم الغيب والشهادة، ولاحظ ذكر كونه تعالى خبيراً بما يعلمون، أما الأمر بأن لا يكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فهم متلائم مع ذكر المنافقين وإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب، الذين نسوا الله واعتمدوا على حصونهم وقوتهم، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وهزمهم في الظاهر والباطن.

ولما كان جو السورة كما لاحظتَ مفعماً ببيان بعض مظاهر علم الله التام وكمال قدرته، ناسب ذكر عظمة قرآنه العظيم: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ، فعظمة هذا القرآن إنما هي من عظمة منزله سبحانه وتعالى، ولذلك كان واجباً على الناس الإيمان به والعمل بما جاء فيه.

ولذلك أردف السياق ذكر القرآن بذكر بعض الأسماء الحسنى لله عز وجل وصفته العليا: ژ ﮔ ں ں ڻ ڻ ڼ ڽ ۀ ہ ﮬ ﮭ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ژ، ولاحظ أن أول صفة لله الواحد هي كونه عالماً بالغيب والشهادة، وذلك يتناسب مع الجو العام للسورة، وذكر «الرحمن الرحيم» متلائم مع ما بينته السورة من رحمة الله في توزيع الفيء على الجهات الضعيفة في المجتمع، ومن تراحم الأنصار والمهاجرين ومن جاء بعدهم من المؤمنين، أما «الملك» فمتلائم مع قدرته على إزالة ملك يهود بني النضير وجعله فيئاً للمؤمنين، و «القدوس السلام» متلائمان مع تنزيه الله تعالى وسلامته من صفات النقص المذكور أول السورة وآخرها، و «المؤمن» متلائم مع وهْبِهِ الأمنَ للمهاجرين والفئات المستضعفة في المجتمع، ومع وهبه الجنة للمؤمنين يكونون فيها آمنين يوم القيامة، وأما «المهيمن العزيز الجبار المتكبر» فلا يخفى تناسبها مع هيمنته تعالى على يهود بني النضير وانتصاره عليهم، وعلى إذلاله لهم بعد العزة، وعلى كسر شوكتهم بعد تجمعهم، وعلى إذلالهم بعد تكبرهم، يضاف لذلك تخاذل المنافقين عن نصرتهم، فهو تعالى وحده المهيمن العزيز الجبار المتكبر، وكما أطلعتنا السورة على بعض مظاهر علم الله التام بما في قلوب البشر، سواء كانوا مؤمنين، أو يهوداً أو منافقين، ناسب ذكر «الخالق البارئ المصور»، وهي أسماء تدل على كمال علمه تعالى بما في نفوس البشر، وتدل على إحكام صنعته في خَلْقهم. فهي أسماء تدل على كمال علم الله في هذا الإنسان إن كان في ظاهره من حيث الجسم، أو في باطنه من حيث ما يدور في خلده من الخواطر.

وكما افتتحت السورة بتسبيح الله تعالى وبيان كمال قدرته وشمول علمه، ختمت بذات المقصد: ژ ۋ ۑ ۑ ﭒ ﭓ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وهكذا التقى البدء والختام على محور بيان انتصار الله تعالى على من شاقّه انتصاراً في الظاهر والباطن، لكونه تعالى ذا الكمال التام، والقدرة المطلقة والعلم الشامل، وهو المحور الذي دل عليه حشر الله تعالى لبني النضير أبلغ الدلالة، ولذلك سميت السورة باسمه.

أولاً: سورة الإسراء

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

ذكر الإمام ابن فارس ووافقه الأصفهاني وابن منظور رحمهم الله جميعاً أن السُّرى هو السير ليلاً، فاسم السورة يشير إلى رحلة الإسراء ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى التي أكرم الله تعالى بها عبده محمداً صلى الله عليه وسلم، وجعلها ميزة له ولأمته على سائر الأمم (١٣٥).

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن من مقاصد هذه السورة ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية، كالبعث والجزاء، وتأييد النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الكافية الدالة على صدقه، بالإضافة إلى أنها تضم موضوعات حول قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه، وقد برزت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم كمحور جامع لكل ما ذكر، مع بيان موقف قومه منه وموقفهم من القرآن الكريم، وذكروا أن هذه السورة بموضوعاتها ودلالات اسمها يمكن أن تكون توجيهاً تفصيلياً للمؤمنين لإخراجهم من الظلم الذي وقع عليهم من العلو الإسرائيلي في الأرض المباركة، فكما أن فيها طمأنة للنبي صلى الله عليه وسلم بأن قومه إذا استفزوه من الأرض فإن هلاكهم قد حل، كذلك فيها طمأنة للمؤمنين بأن استفزاز بني إسرائيل للمؤمنين من أرضهم المباركة سيهلكهم (١٣٦).

وبمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: تربية أمة نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم والقرآن على اتباع الدستور الإلهي الذي سيمكنهم من الانتصار على أمة إسرائيل، ولما كانت أمة نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم والقرآن أكثر الأمم إيماناً بآيات الله تعالى، وأكثرها التزاماً بالدستور الإلهي، ولما كانت أمة إسرائيل أكثر الأمم تكذيباً لهذه الآيات، وأكثرها خروجاً عن الدستور الإلهي، سميت السورة باسم معجزة الإسراء إلى المسجد الأقصى المبارك، كونها أحد الآيات التي يؤمن بها المؤمنون وكونها أكثرها ارتباطاً بنصرهم على أمة إسرائيل (١٣٧). وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة بيان نصر أمة نبي الإسراء على أمة إسرائيل.**

والمتأمل في موضوعات السورة يجد الترابط الوثيق بينها وبين المحور المذكور للسورة وبين دلالات اسمها، فيما يلي بيان ذلك:

---

(١٣٥) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٥١٣، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٤٠٨، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٧، ص ١٧٩.

(١٣٦) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٤٢٣، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٤، ص ٣٢٧، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٢٠٨، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٢١٧، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ص ٩٥-٩٨، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٤، ص ٢١٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ١٣٩-١٤٦.

(١٣٧) هذا خلاصة رأي الدكتور أحمد نوفل في هذه السورة، ينظر: نوفل، د. أحمد، **تفسير سورة الإسراء: دراسة تحليلية موضوعية**، ط ١، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ٢٠١٤. ص ١٦٥ و ١٦٦.

من الممكن أن تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: أولها: مقدمة تبين فضل نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم وبيان القضاء الإلهي بنصر أمته صلى الله عليه وسلم على أمة إسرائيل، وثانيها: بيان موقف قوم نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم منه، ومن القرآن العظيم، ومن حقائق الدين الإلهي، يتخللها الدستور الأخلاقي لأمة نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم، وثالثها: الخاتمة المؤكدة لما سبق (١٣٨).

أولاً: افتتحت المقدمة بتسبيح الله تعالى الذي أسرى بعبده صلى الله عليه وسلم وأكرمه بهذه الرحلة العجيبة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﮊ، وافتتاح هذه السورة بذكر هذه الرحلة إلى المسجد الأقصى متلائم تماماً مع المحور المذكور للسورة، فهي تدل على فضله صلى الله عليه وسلم ومكانته عند ربه عز وجل حتى خصّه بهذه الرحلة، وأيضاً فيها ذكر الأقصى وهو قلب الأرض المباركة التي سيتم فيها الانتصار لأمته صلى الله عليه وسلم على أمة إسرائيل إن شاء الله.

ثم بينت المقدمة القضاء الإلهي بانتصار أمة نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم على أمة إسرائيل، وذلك لعلمه تعالى بأن الصراع بين الأمتين كائن لا محالة: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﮊ، ولاحظ ذكر النبي موسى وهو أعظم أنبيائهم، مما يتلاءم مع ذكر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، ولاحظ أيضاً ذكر إيتاء موسى عليه السلام الكتاب، والذي كان أهم أحكامه لبني إسرائيل إلا يتخذوا من دون الله وكيلاً، ولكنهم اتخذوا كل شيء وكيلاً من دون الله تعالى. ولم يقيموا لكتابهم اعتباراً فحرفوه، ولاحظ ذكر أن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً، مما يفيد تقريعاً لأمة إسرائيل المستكبرين عن عبادة الله تعالى كما أمر، وهم أجحد الخلق لنعم الله تعالى عليهم.

ثم انتقلت المقدمة لبيان أن أمة إسرائيل ستفسد في الأرض مرتين، وفي كل مرة سيسلط الله عليهم عباداً له أولي بأس شديد يسومونهم سوء العذاب، وهؤلاء العباد من أمة نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم على الرأي الأرجح والذي ينبغي أن يُعتمد: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﮊ، فالمرة الأولى كانت في الأرض التي ابتدأت منها رحلة الإسراء، وهي الجزيرة العربية، وإفسادهم فيها كان تجاه نبينا صلى الله عليه وسلم وأمته، فقد كانوا أول كافر به، وكانوا يتآمرون مع المشركين ضد النبيصلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وهل حادثة الأحزاب إلا من تأليبهم المشركين على المدينة؟ ومعلوم ما حصل من تأديب المؤمنين لبني النضير وبني قريظة وخيبر، فقد أمكنهم الله من أراضيهم، وقد أمكنهم من رقاب بني قريظة فقتلوا المحاربين منهم، وسبوا النساء والأطفال، وأجلى الله يهود خيبر عن أرض الجزيرة.

أما الإفساد الثاني فهو ما نراه اليوم، فما من إفساد في العالم إلا واليهود من ورائه، ولا يخفى على أحد أن مبدأ فسادهم في هذا الزمن كان باحتلال الأرض التي أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إليها، وهي الأرض التي سيدخلها العباد أولو البأس الشديد من أمة نبي الإسراء صلى

---

(١٣٨) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٨ ، وبيان موقف قومه ٨ : ٩- ٩٨، والدستور الأخلاقي للمؤمنين: ٢٣- ٣٩، والخاتمة: ٩٩- ١١١.

الله عليه وسلم ويسوءوا فيها وجوه المحتلين، ويحرروا المسجد الأقصى من دنسهم، ونسأل الله أن يكون هذا اليوم قريباً، وأن نكون من هؤلاء العباد [١٣٩]. ثم دعاهم السياق إلى العودة إلى الإيمان والالتزام بالدستور الإلهي، ولكنهم لن يعودوا، وقد جعل الله جهنم للكافرين حصيراً.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان موقف قوم نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم منه، ومن القرآن العظيم، ومن حقائق الدين الإلهي، وقد تخلل ذلك ذكر الدستور الأخلاقي لأمة نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم، والذي إذا التزموا به سيتحقق لهم النصر على أمة إسرائيل، وأعتقد ـ فيما أرى ـ أن ذكر موقف قوم النبي صلى الله عليه وسلم من هذه القضايا مشابه لموقف بني إسرائيل منها، وفي ذلك تربية لأمة نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم بالحذر من الوقوع بما وقع من أمة بني إسرائيل، ولعل سائلاً يسأل: إن السورة تعرض موقف قوم النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تذكر موقف بني إسرائيل صراحة، فلم تحمل موقف قومه صلى الله عليه وسلم على موقف بني إسرائيل؟ والجواب أن منهج القرآن أعظم من ذلك، فقد أخبرنا في أول السورة بوعده بنصر أمة الإسلام على أمة اليهود، وأعاد ذكر ذلك آخر السورة، وقد عرض فيما بين المقدمة والخاتمة موقف كفار قريش، وترك لك أن تدرك علاقة بني إسرائيل المذكورين أول السورة وآخرها بموقف قوم النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك يكون المنهج القرآني قد حقق هدفين بأسلوب واحد.

كانت أول القضايا التي عرض السياق موقف قوم النبي صلى الله عليه وسلم منها هي الآخرة: ژ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ چژ، ولاحظ افتتاح عرض موقفهم ببيان فضل القرآن، الذي جعله الله هدى للمؤمنين، وهذا يتلاءم مع ما جاء في مقدمة السورة عن كتاب موسى عليه السلام الذي نبذه قومه وحرفوه، فالتزام أمة القرآن بما جاء فيه سيحقق لهم النصر على أمة التوراة التي لم تلتزم بما جاء فيها، أما كون الآخرة أول القضايا المعروضة فلا يخفى أن أمة إسرائيل لا تقيم للآخرة اعتباراً، وإن آمنوا بها فهم يعتقدون أن لهم عند الله الحسنى. وإن عذبهم في النار فسيكون عذابهم أياماً معدودات، وبم تفسر تهافتهم على حب الدنيا حتى يود أحدهم أن يعمر ألف سنة؟

وقد استدل السياق على إثبات حقيقة الآخرة بآيتي الليل والنهار، فإن الذي جعلهما آيتين قادر على خلق اليوم الآخر ليحاسب فيه الناس، وتقديم ذكر الليل متلائم مع الإسراء الذي كان قد حصل ليلاً.

وقد استدل السياق على إثبات حقيقة اليوم الآخر أيضاً بقدرة الله تعالى على إهلاك المفسدين، ثم بعثهم للحساب: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ژ، ولا يخفى على أحد أن اليهود اليوم يسخّرون المترفين في العالم لغايات الفسق، وذكر تدمير الفاسقين المفسدين متلائم مع التدمير الذي سيحصل لليهود المذكور في المقدمة.

ثم انتقل السياق إلى ذكر أوامر وتوجيهات متعددة لأمة نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم تعتبر دستوراً أخلاقياً إلهياً، إذا التزموا به تحقق لهم النصر على أمة إسرائيل، وستجد أن هذه

([١٣٩]) ينظر للتوسع: نوفل، د. أحمد، **تفسير سورة الإسراء**، ص ١٥٣- ١٩٧.

الأخلاق كان بنو إسرائيل قد أمروا بها لكنهم لم يلتزموا بها، بل على العكس التزموا بترك ما فيها من أوامر، وارتكاب ما فيها من نواهٍ، وفيما يلي بيان ذلك:

كان أول أمر للمؤمنين أن لا يجعلوا مع الله إلهاً آخر، وأن لا يعبدوا إلا الله، والإحسان إلى الوالدين، ومعلوم أن أول طلب طلبه بنو إسرائيل بعد أن أنجاهم من فرعون كان أن يجعل لهم موسى آلهة يعبدونها، ولا يخفى أنه لما غاب عنهم عبدوا العجل، ومعلوم كذلك ما صنعه أخوة يوسف بوالدهم يعقوب. فلاحظ التناسق بين أول أمر للمؤمنين وأول جريمة لبني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون، ولاحظ التناسق أيضاً بين أول أمر وبين ما صنعه أخوة يوسف وهم الأصل الأول لبني إسرائيل.

والأمر الثاني كان بإيتاء ذي القربى والمساكين وابن السبيل حقوقهم من الصدقات، وقد خالف أحبار اليهود ورهبان النصارى ذلك ـ كما أخبرتنا سورة التوبة ـ وأكلوا أموال الناس بالباطل وكنزوا الذهب والفضة وما أنفقوها في سبيل الله. وفي سياق ما يتعلق بالأموال حذرت السورة من التبذير والبخل، فقد نُهي المؤمن عن أن يجعل يده مغلولة إلى عنقه، وقد وصفَ اليهودُ لفرط بخلهم إلههم وخالقهم والذي امتن عليهم بنعم عظيمة جليلة، وصفوه بأن يده مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا.

والأمر الثالث كان بتحريم قتل الأولاد خشية الفقر، وقد أخبرتنا سورة البقرة أن الله عهد إلى بني إسرائيل أن لا يسفكوا دماءهم، وأن لا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، وقد خالفوا ذلك فقتلوا فريقاً منهم، وأخرجوا فريقاً من ديارهم.

وحذر السياق من الزنا، وأكل مال اليتيم، والوزن بالقسطاس المستقيم، وعقب على ذلك بقوله: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ ژ، وما نشاهده اليوم من وقوف اليهود وراء شبكات الدعارة في العالم، وما نشاهده اليوم من تكبرهم في الأرض، وما نشاهده من بخسهم الناسَ حقوقَهم، يطلعنا على مدى مخالفتهم لأوامر الله تعالى.

فأنت تلاحظ أن السياق يربي أمة نبي الإسراء صلى الله عليه وسلم على الالتزام بالدستور الأخلاقي الإلهي الذي كان قد أمر أمة إسرائيل به فلم يلتزموا، فمتى التزمت أمة الإسراء بهذا الدستور وحافظت عليه وتمثلته في حياتها، عاد لها النصر على تلك الأمة.

ثم عاد السياق إلى بيان موقف قوم النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن العظيم، الذي كان بنو إسرائيل أول كافر به: ژ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﯓ ﯓ ﯔ ﯔ ﯕ ﯕ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ ى ى ې ې ژ، وأعاد ذكر موقفهم من حقيقة اليوم الآخر: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄژ.

وفي سياق الحديث عن الآخرة ناسب ذكر قصة آدم عليه السلام مع إبليس، وفيها يبرز تكبر إبليس على الأمر الإلهي له بالسجود لآدم: ژ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک

ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □
□□ □ □ □ﮊ، ولاحظ أن السياق قد ذكر من أساليب الشيطان في إغواء بني آدم استخدام الأموال والأولاد، مما يتلاءم مع قوله تعالى عن أمة إسرائيل أول السورة: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ، فالشيطان وهذه الأمة مشتركان في منهج الإضلال والخروج عن الدستور الإلهي.

وانظر إلى هذه المواقف من قوم النبي صلى الله عليه وسلم تجاهه: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ □□ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ، ولاحظ أن محاولة المشركين لفتنة النبي صلى الله عليه وسلم عما أوحي إليه، ومحاولتهم إخراجه من أرضه صلى الله عليه وسلم تشابه موقف بني إسرائيل من أنبيائهم، فهم معروفون بتكذيبهم الأنبياء آناً وبقتلهم آناً آخر كما أخبرت بذلك سورة البقرة.

فلم يبق من شك في أن السياق حينما أبرز موقف قوم النبي صلى الله عليه وسلم منه ومن القرآن الكريم ومن حقائق الدين التي يدعو إليها، أكد بذلك أيضاً موقف أمة إسرائيل من أنبيائهم ومن كتابهم ومن حقائق دينهم، وفي ذلك تربية لأمة نبي الإسراء على الالتزام بالدستور الإلهي، ليتحقق لهم النصر على أمة بني إسرائيل.

ثالثاً: بقيت الخاتمة التي تحوي تأكيداً لكل ما سبق، فقد أعادت التذكير بإثبات حقيقة التوحيد وما يترتب عليها من الإيمان باليوم الآخر، وهذه أهم قاعدة في الدستور الإلهي: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ، ولاحظ أن ذكر قتر الإنسان مناسب لما هو معلوم عن طبيعة البخل التي وُسِم بها اليهود.

وأعادت الخاتمة كذلك ذكر بيان القضاء الإلهي بنصر أمة الإسراء على أمة إسرائيل: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وأعتقد أن ذكر الآيات التسع، ثم التعقيب بسؤال بني إسرائيل عنها متلائم مع محور السورة تماماً، فهو يبرز مدى خروج هؤلاء عن الدستور الإلهي بعدما رأوا من آيات الله ما رأوا، والتي كان أعظمها فضلاً عليهم إنجاؤهم من فرعون، ولا يخفى الترابط بين ذكر وعد الآخرة التي فيها النصر لأمة الإسراء عليهم مع ما ذكر في مقدمة السورة.

وأعادت التذكير بالالتزام بمنهج الله المتمثل بالقرآن،وأنه هو سبيل النصر: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ، ولاحظ أن ذكر الإيمان بآيات الله، والسجود له تعالى والبكاء والخشوع له تعالى، يحوي تقريعاً لأمة إسرائيل الذين أخبرت سور القرآن عنهم بتمردهم على أمر الله لهم بالإيمان بآياته، وبتكبرهم

عن السجود له والتذلل والخشوع له سبحانه، ولاحظ إعادة ذكر وعد الله بنصر أمة الإسراء على أمة إسرائيل متناسب مع الوعد المذكور أول السورة.

وكما افتتحت السورة بذكر تسبيح الله تعالى وذكر عبودية النبي صلى الله عليه وسلم ، ختمت بذكر الصلاة التي هي مظهر عبودية الإنسان لربه، وختمت بحمد الله تعالى، وكأن النصر المذكور أول السورة لأمة الإسراء قد تحقق، وها هم يحمدون الله تعالى عليه: ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ککک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ۂ ۃ ۃ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ژ، « ألا ما أروع هذه الآية وتاليتها لتكون ختاماً لهذه السورة الجليلة المباركة المليئة الزاخرة الحاشدة، المستشرفة مستقبل الأمة والعالم، وأن تردَّكَ آيتا الختام إلى مقام العبودية في أروع تجلياته: الصلاة... ثم التوسط المنسجم مع ما مر من التوسط في موضوع الإنفاق، فالتوسط روح هذا الدين وروح هذه الأمة ... ألا ما أجمل اصطفاف هذه الأرقام ١١١ وكأنها جند في جيش فتح بيت المقدس.. ألا ما أجمل أن تقر في كل الأرض كلمة التوحيد، وتندحر كلمة الشرك والكفر التي كان يريد نشرها هؤلاء المفسدون.. . ألا ما أروع التكبير قبل النصر للتعبئة، وبعد النصر للعيد الكبير، الذي من شعائره التكبير» (١٤٠). وهكذا التقى البدء والختام على محور نصر أمة الإسراء على أمة إسرائيل، وهو ما دل عليه اسم السورة «الإسراء» أبلغ دلالة وتناسق معه أجمل تناسق، وبشر بالنصر الكبير الذي يملأ قلوب المؤمنين فرحاً بنصر الله قريباً إن شاء الله.

ثانياً: سورة القمر

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى حديثها عن معجزة انشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم حينما طلب منه قومه ذلك، فكان انشقاقه آية دالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات من ربه، بعد أن لم تكف قومَه معجزةُ القرآن الكريم لحملهم على الإيمان.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور السورة هو بيان تحقق الساعة وشدة قربها، وبيان مصير المكذبين بها، فهي بمثابة حملة مفزعة لقلوب المكذبين بالنذر، بقدر ما هي طمأنينة لقلوب المؤمنين، فقصص السابقين المذكورين فيها تؤكد قدرة الله تعالى على تعذيب المكذبين وإهلاكهم، وختمها بمشهد من يوم القيامة يؤكد قدرته على البعث. ومعجزة انشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم آية دالة على قدرة الله على إهلاك المكذبين بعد معاينتهم الآيات (١٤١).

---

(١٤٠) نوفل، د. أحمد، **تفسير سورة الإسراء**، ص ٤٧٣- ٤٧٨. بتصرف.

(١٤١) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٠٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٣٣٩، ٣٤٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٤٢٤- ٣٤٢٨، وهو يثبت حادث انشقاق القمر، ولكنه يتوقف في تعليله بأنه معجزة كما جاء في الروايات، بل يعتبره آية من آيات الله، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٧، ص ١٦٦- ١٧٢، وأ.د مسلم، زملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٥١٢. وطهماز، **من سورة الطور إلى سورة الناس**، ص ٣٥، وانظر الروايات التي

ويمكن للباحث إن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان بآيات الله التي أيد بها نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكف المكذبين معجزة القرآن وما فيه من الذكر، مع تهديدهم ببيان مصير المكذبين السابقين بآيات الله ورسله، ولما كانت معجزة انشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم أدل ما في السورة على المحور المذكور، سميت السورة بها للدلالة عليه. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة التهديد بالعذاب بعد التكذيب بالمعجزات.**

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تحوي تهديداً بالعذاب الأخروي بعد أن لم تكف المكذبين آيات الله المعجزات في الدنيا، ثم عرض قصصي يبرز مصير الأقوام لما كذبوا بما بآيات الله التي أيد بها رسله، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق [١٤٢].

أولاً: جاء في مقدمة السورة تهديد للمكذبين بمعجزة انشقاق القمر، الذين يعتبرونها وكل آية يرونها من آيات الله سحراً مستمراً، بالعذاب الأخروي من الله بعد أن لم تكفهم آياته في الدنيا: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ﮊ، فهم لم تكفهم آيات القرآن، ولا حتى انشقاق القمر لحملهم على الإيمان، فاستحقوا العذاب في ذلك اليوم العسر.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصصي يؤكد إهلاك الله للمكذبين السابقين بآيات الله، وقد ابتدأ السياق بقصة نوح، إذ لم يكف قومه تسعمائة وخمسون عاماً من الدعوة: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ، ثم عرض السياق إهلاك عاد بعد أن كذبوا هوداً، وإهلاك ثمود بعد كذبوا صالحاً، وعقروا الناقة، وهي معجزة مشابهة لمعجزة انشقاق القمر، فأهلكهم الله، وعرض إهلاك قوم لوط بعد أن أعرضوا عن نعمة الله عليهم بالنساء، وختم بإهلاك فرعون وقومه الذين كذبوا بآيات الله كلها، وبعد كل قصة كان يكرر العبارة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر).

إن عرض هذه القصص مع التعقيب على كل واحدة منها بهذا السؤال، ليؤكد المحور المذكور من الدعوة إلى الإيمان بالمعجزات التي أيد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكف المكذبين معجزة القرآن.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التهديد بالعذاب الأخروي لمن كذب بآيات الله المعجزات في هذه الدنيا: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ □ ﮊ.

ذكرت أنها معجزة للنبي ^: **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، برقم: ٤٤٨٦، **وصحيح مسلم**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم: ٥٠١٤. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

([١٤٢]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٨، والعرض القصصي: ٩- ٤٢، والخاتمة: ٤٣- ٥٥.

وكما افتتحت بتهديد المكذبين بمعجزة انشقاق القمر بعد أن تكفهم معجزة القرآن الكريم، ختمت ببيان مصير المؤمنين بآيات الله المعجزات يوم القيامة: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ. وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، كون انشقاق القمر من آيات الله المعجزات التي أيد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: سورة الشرح

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام الأصفهاني رحمه الله: « أصل الشرح: بسط اللحم ونحوه، يقال: شرحتُ اللحم وشرَّحته، ومنه شرح الصدر: أي بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه »، وزاد الإمام ابن منظور رحمه الله: «وشرحَ الله صدره لقبول الخير فانشرح: وسَّعه لقبول الحق فاتسع »، فالدلالة اللفظية تفيد بسط النفس وإزالة الشدة في قلبه صلى الله عليه وسلم من تحمل أعباء الرسالة، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فمن الممكن أن تعود لأمرين اثنين: أحدهما حسي يعود على حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم حين كان غلاماً وإخراج حظ الشيطان منه، والثاني معنوي مجازي بالمعنى اللغوي المذكور (١٤٣).

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً من الربط بين دلالة اسم هذه السورة ومحورها، فذكروا أنها جاءت كتكملة لسورة الضحى التي سبقتها، فالتحديث بنعمة الله المذكور في سورة الضحى يكون بالنَّصَب في عبادة الله والنصب إليه، والرغبة إليه بتذكر إحسانه وعظيم رحمته، كما وفيها ظل العطف الندي، وفيها روح المناجاة الحبيب، وفيها استحضار مظاهر العناية، واستعراض مواقع الرعاية، والبشرى باليسر والفرج، وكل ذلك يدل عليه اسم السورة دلالة واضحة (١٤٤).

ويمكن للباحث إن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته على دعوته إلى ربه، من خلال بيان أن الله تعالى قد أعانه على حمل أمانة الدعوة وخفف عنه قبل البعثة وبعدها، فالتيسير من الله حليفه صلى الله عليه وسلم. والدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة «الشرح» أدل ما في السورة على هذا المحور، ولذلك سميت به. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة بيان التخفيف والتيسير الإلهي عن النبي صلى الله عليه وسلم في مشاقِّ دعوته.**

وبتأمل السورة يبرز الترابط التام بين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وبين آياتها، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١٤٣) ينظر: الأصفهاني، **المفردات**، ص ٤٤٩، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٨، ص ٥٠، وحادثة شق الصدر للنبي ^ أخرجها الإمام مسلم رحمه الله في **الصحيح**، كتاب الإيمان، برقم: ٢٣٦.

(١٤٤) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن**، ١٣٤، والمهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤٠٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٦٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٢٩، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٢١٩. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ
ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ، ولاحظ فعل الشرح المضارع، وهو يفيد الاستمرارية، وهو أبلغ من لو قيل: (أما شرحنا لك صدرك) مثلاً، وأعتقد أنه بدلالة هذا الفعل المضارع يكمن الجمع بين حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم حينما كان غلاماً، وقد نزع منه حظ الشيطان، وهو الشرح الحسي، وقد استمر أثر ذلك الشرح إلى أن بعثه الله نبياً، وشرح صدره بالإسلام، وهو الشرح المعنوي، بينما وضع الوزر جاء بالفعل الماضي وهو يؤكد أن الوزر كان من أيام الجاهلية على اعتبار أن الوزر بمعنى الإثم، ولكني أرى أن الأرجح أن يكون الوزر بالمعنى اللغوي وهو الثقل، فقد وضع الله عن نبيه ثقل الدعوة منذ البداية وخفف أمرها عليه صلى الله عليه وسلم، ويؤكد ذلك ـ فيما أرى ـ قوله (الذي أنقض ظهرك)، وهو فيه مزيد من التمنن عليه صلى الله عليه وسلم، فقد كاد ثقل الدعوة أن ينقض ظهر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ولاحظ تكرار الضمير العائد على الله تعالى بصيغة الجمع، وهو أبلغ في الدلالة على التخفيف عنه صلى الله عليه وسلم.

ولم يقتصر الفضل الإلهي على نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يتعلق بالدعوة وأثقالها فقط، بل رفع الله ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين، فلا يُعتبر الإنسان مؤمناً إلا بعبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ولاحظ استخدام أسلوب التوكيد بحرف (الفاء) و (إن) لإثبات حقيقة أن اليسر يغلب العسر، بالإضافة إلى أن العسر جاء معرفاً بـ (أل) التعريف، فالدلالة واحدة للكلمتين، بينما اليسر لم يعرف بـ (أل) وجاء منكّراً، فالكلمتان تعطيان دلالات مختلفة.

ولما حصل له صلى الله عليه وسلم التخفيف من ربه عز وجل، وبين له أن التيسير حليفه، فعليه أن ينصب إذاً بهمة ونشاط في دعوته، ويرغب إلى ربه تعالى الذي تكرم عليه بشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر واليسر.

فأنت تلاحظ إذاً أن السورة بسياقها تدور حول محور التخفيف عن النبي صلى الله عليه وسلم أثقال الدعوة، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة «الشرح» ألطف وأجمل دلالة.

أولاً: سورة الفتح

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: «الفاء والتاء والحاء: أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق، ... والفتح: النصر والإظفار» . فخلاصة المعنى اللغوي لاسم السورة يدور حول النصر والظفر، أما فيما يتعلق بالدلالة السياقية لاسم السورة، فالذي ترجح لي أن «الفتح» دال على صلح الحديبية، ولذلك لعدة اعتبارات أولها: ما ذكره الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة من أن دلالة الفتح في القرآن هي انتشار الإسلام ودخول الناس أفواجاً في دين الله، فهو بذلك يكون ملازماً للنصر، أما دلالة النصر في القرآن فهي الغلبة على الأعداء بعد القتال الفعلي، وقد دخل كثير من الناس في الدين بعد الصلح، وثانيها: ما رواه البخاري عن سؤال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم حينما نزلت هذه السورة إثر الصلح، وقد كان راجعه أكثر من مرة في بنوده، فقال: يا رسول الله أَوَفتحٌ هو؟ قال : «نعم»، وثالثها: إن القول بأن «الفتح» هو فتح مكة ـ كما قال بعض المفسرين ـ يُبعده قولُه تعالى: ژﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪژ لأنه يحوي بشارة في هذه السورة لذلك الفتح، فدلالة اسم السورة لا تدل عليه بل تبشر به، ورابعها: المتأمل في سياق السورة يجد معظمه حول أحداث ذلك الصلح (١٤٥).

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين محور السورة وموضوعاتها واسمها، فذكروا أن محور السورة يدور حول التعريف بصلح الحديبية من حيث بيان صفات المؤمنين فيه، والتي أهمها استواء الحالة النفسية والإيمانية لديهم على المنهج الرباني، مع إدراك ونضج عميقين، والإيحاء بتكريم المبايعين تحت الشجرة، وتعظيم شأن تلك البيعة التي كانت أحد أحداث ذلك الصلح، ومن حيث تصوير نتائجه التي أهمها بيان حال المؤمنين وما حولهم إبان هذا الصلح، فقد كان فتحاً في الدعوة، وفتحاً في الأرض إذ تم التخلص من يهود خيبر بعده بقليل، وفتحاً لموقف المسلمين الذي ازداد قوة في جزيرة العرب (١٤٦).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: بيان أن الثبات على صدق الإيمان والثقة بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم يورث رضى الله وتهيئة النصر، ولما كان صلح الحديبية هو أدل ما في السورة على ثبات المؤمنين وصدق إيمانهم وثقتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، سميت السورة باسم «الفتح» الذي يدل على هذا الصلح. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة بيان ثمرات الثبات على صدق الإيمان والثقة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.**

---

(١٤٥) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨٣٤، بتصرف، وأبو عودة، **شواهد في الإعجاز القرآني**، ص ٢٨٧، والبخاري، **صحيح البخاري**، باب إثم من عاهد ثم غدر، رقم ٢٩٤٥.

(١٤٦) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن**، ص ١٠٠، والمهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٨١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ١٨٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٣٠٦ _ ٣٣١٧، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٢٨٢- ٢٨٤، ووادي ، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ص ٣٨٣- ٣٨٥، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢٥٣- ٢٥٧.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بينها وبين الدلالات اللفظية والسياقية لاسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام، أولاً: مقدمة تحوي امتناناً من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين، إذ ثبتهم على الإيمان في ذلك الصلح، وثانياً: بيان موقف المخلفين عن الصلح وحرمانهم من خيراته، وثالثاً: بيان بعض خيرات هذا الصلح على المؤمنين، ورابعاً: خاتمة مؤكدة لما سبق [147].

أولاً: جاء في مقدمة السورة امتنان من الله تعالى على رسولهصلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين الذين ثبتوا معه في ذلك الصلح، فأنزل الله السكينة عليهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ، ولاحظ وصف الصلح بأنه فتح مبين، فقد كان أحد أسباب النصر على المشركين في مكة، ولاحظ أن ثبات المؤمنين الصادق مع نبيهم حينها قد أورثهم إنزال السكينة من الله تعالى وزيادة الإيمان في القلوب، ولاحظ ذكر جنود السماوات والأرض التي تملأ قلب المؤمن استبشاراً بالنصر القريب. فهذه الآية تعبر عن المحور المذكور للسورة بأبلغ صورة.

ولم يقتصر الامتنان الإلهي على المؤمنين في حال الدنيا فقط، بل امتد الامتنان إلى الآخرة أيضاً: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ.

وبينت المقدمة أيضاً الصورة المقابلة للمؤمنين الصادقين من الناس، وهم المنافقون والكافرون: ﮋ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ، ولاحظ إعادة ذكر جنود السماوات والأرض، ولاحظ ذكر الاسم الجليل «عليماً» عند الحديث عن المؤمنين، لأن الله علم صدق قلوبهم فأنزل السكينة عليهم، أما الكافرون والمنافقون الذين يحادون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيناسبهم الاسم الجليل «عزيزاً».

وقد امتدحت المقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينت الموقف السليم الذي يجب أن يكون عليه المؤمنون تجاهه صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ □ ﮊ، وقد كان من تعزير المؤمنين لنبيهم وتوقيرهم له صلى الله عليه وسلم أنهم ثبتوا معه حين عقد الصلح ولم يستمروا في جداله فيه بسبب بعض البنود المجحفة للمؤمنين فيه.

ثم عاد السياق ليؤكد أن صدق الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم والثقة به يورث الأجر العظيم من الله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ.

فأنت ترى أن التركيز في هذه المقدمة حول الأثر الإيجابي لصدق إيمان المؤمنين وثقتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، الذي سماه الله فتحاً وجعله اسماً للسورة.

---

(147) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٠، وبيان موقف المخلفين: ١١- ١٧، وبيان خيرات الصلح على المؤمنين: ١٨- ٢٦، والخاتمة: ٢٧- ٢٩.

ثانياً: وبعد بيان موقف المؤمنين الصادقين في إيمانهم وثقتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، انتقل السياق إلى بيان موقف المخلفين من الأعراب، الذين منعهم عدم ثقتهم وإيمانهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم من الخروج معه صلى الله عليه وسلم إلى أداء العمرة، ومن تحصيل ما ترتب على صلح الحديبية من رضا الله وتهيئة نصره: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ، وبين السياق إنهم جبناء إذا علموا قتالاً، ومبادرون إذا علموا وجود غنائم، يريدون أن يبدلوا كلام الله الذي حكم بأن لا يخرج لقتال يهود خيبر وأخذ غنائمهم إلا من خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان معه في الصلح.

ولكن السياق أعطاهم فرصة أخرى ليثوبوا إلى رشدهم وإيمانهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ، ولاحظ أن السياق رتب على الطاعة ـ الدالة على صدق الإيمان والثقة ـ الأجر الحسن من الله، والعذاب الأليم لمن تولى منهم، وبين السياق أيضاً أنّ الحكم على المخلفين لا ينسحب على أصحاب الأعذار كالأعمى والأعرج والمريض.

إذاً فالحديث عن موقف المخلفين أكمل الصورة في بيان فضائل الثبات على صدق الإيمان والثقة بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، فمن كان صادق الإيمان فله الرضى والنصر من الله، ومن تولى وجبن بلا عذر فله الحرمان من النصر والغنائم، وفوق ذلك العذاب في الآخرة.

ثالثاً: ثم عاد السياق إلى بيان خيرات هذا الصلح الذي أبرز صدق المؤمنين في إيمانهم وثقتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم: ﮋﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ أن أول فضيلة للصلح كانت نيل الرضى من الله تعالى، ثم إنزال السكينة عليهم، ثم تهيئة أسباب النصر، ويرى الباحث أن كلمة «الفتح» التي تكررت في هذه السورة ثلاث مرات، كلها تعود إلى صلح الحديبية، ومن أسباب النصر التي هيأها الله فتح خيبر الذي غَنِم منه المسلمون غنائم عظيمة، أما الأخرى التي لم يقدر عليها المسلمون وقد أحاط الله بها فهي فتح مكة، وفي ذلك بشارة عظيمة أخرى للمؤمنين الصادقين في إيمانهم وثقتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد بين السياق هوان الكفار وجبنهم، فهم لو قاتلوا المؤمنين لولوا الأدبار، ومن خيرات هذا الصلح أيضاً أن الله قد كفى المؤمنين القتال بعد أن أظفرهم بطليعةٍ من أربعين رجلاً من الكفار، ومن خيرات هذا الصلح أيضاً أنه لما مُنع المؤمنون من الهجوم على مكة، كان في ذلك حماية لمن كان قد آمن فيها ولم يُميَّز من الكافرين، فقد كان احتمال قتل أناس بالخطأ من هؤلاء المؤمنين وارداً. فهذه هي الخيرات العظيمة التي أكرم الله بها المؤمنين الصادقين يوم صلح الحديبية، بالإضافة إلى نيل رضاه.

رابعاً: وجاء في الخاتمة تأكيد لكل ما سبق، فأعادت ذكر فضائل هذا الصلح: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وكما افتتحت السورة ببيان فضل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين

الصادقين في إيمانهم وثقتهم، وكيفية تهيئة أسباب النصر لهم، اختتمت السورة بنفس المقصد: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ ى ې ۑ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٺ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڑ ڑ ڑ ژ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي يبين أن صدق الإيمان والثقة بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم يورث الرضى من الله وتهيئة أسباب النصر، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة بدلالاته اللفظية والسياقية أجمل دلالة وأبلغها بشارةً للمؤمنين.

ثانياً: سورة التحريم

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: «الحاء والراء والميم أصل واحد، وهو المنع والتشديد»، وزاد الإمام الأصفهاني : «الحرام: الممنوع منه إما بتسخير إلهي، وإما بمنع بشري، وإما بمنع قهري ..»، وزاد الإمام ابن منظور: «التحريم: خلاف التحليل»، فالدلالة اللفظية لاسم السورة تعود إلى معنى منع النفس من شيء معين، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى حادثة تآمر عائشة وحفصة رضي الله عنهما على زينب بنت جحش غيرة منها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عندها يشرب عسلاً، فتواصتا أن أَيَّتَهُما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك رائحة مغافير ـ صمغ حلو ذو رائحة كريهة ـ فلما دخل على إحداهما وقالت له ذلك، قال لها: «لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش، فلن أعود له، وقد حلفتُ لا تخبري بذلك أحداً »، فلما أدت هذه المؤامرة إلى أن حرم النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه شرب العسل، اشتق من ذلك اسم للسورة لدعوة نسائه إلى عدم التآمر عليه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى، وأن يكفر النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه (١٤٨).

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين موضوعات هذه السورة ومحورها واسمها، فذكروا أن هذه السورة تعرض صفحة من الحياة البيتية للرسول صلى الله عليه وسلم، وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نسائه، وبينهن وبينه، وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته صلى الله عليه وسلم وحياة المسلمين كذلك، فالسورة تدعو إلى التخلق بالخلق الشرعي وحسن الأدب مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم، واسمها «التحريم» بما دل عليه يعبر عن ذلك (١٤٩).

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: تربية المؤمنين والمؤمنات على موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والتحذير من أن التظاهر عليه صلى الله عليه وسلم يعد خروجاً من هذه الموالاة. ولما كانت حادثة عائشة وحفصة رضي الله

---

(١٤٨) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٢٥٦، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٢٢٩، بتصرف، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٤، ص ٩٧، والرواية المذكورة هي رواية الإمام البخاري: **الجامع الصحيح**، كتاب التفسير، برقم: ٤٩١٢.

(١٤٩) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٥١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٦١٠، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٤٦٨- ٤٧٠، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ٥٠٥، ٥٠٦، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

عنهما مع النبي صلى الله عليه وسلم أدل ما في السورة على المحور المذكور، ومحذرة من العودة إلى التظاهر عليه صلى الله عليه وسلم، اشتق منها اسم للسورة. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة التحذير من الخروج عن موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط والوثيق بينها وبين محورها ودلالات اسمها، وإليكم بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: الأول: مقدمة تدعو إلى موالاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والتوبة من التظاهر عليه الذي يؤدي إلى الخروج عن هذه الموالاة، والثاني:بيان مصير من والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومصير الكافرين المعرضين عن هذه الموالاة، والثالث: الخاتمة المؤكدة لما سبق [١٥٠].

أولاً: ابتدأت السورة بذكر حادثة حفصة وعائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ، ولاحظ عبارة «والله مولاكم» المترابطة مع محور السورة ودلالات اسمها، ولاحظ بيان أن ما قامت به حفصة وعائشة أمر يستوجب التوبة، وقد أدى أن صغت قلوبهما، ولاحظ التحذير من أن التظاهر عليه مرة أخرى أمر يخرجهما عن الموالاة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، مع بيان أن الله هو مولاه وجبريل والملائكة وصالح المؤمنين.

وقد بينت المقدمة أيضاً أن التظاهر عليه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى قد يؤدي إلى أن يطلقهن النبي صلى الله عليه وسلم ويبدله الله خيراً منهن مسلمات مؤمنات قانتات ..، فالمقدمة إذاً من خلال هذه الحادثة تربي المؤمنين والمؤمنات على لزوم موالاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وعدم القيام بعمل قد يؤدي إلى الخروج عن هذه الموالاة، وهذا متلائم تماماً مع دلالات اسم السورة.

ثانياً: وبمناسبة الحديث عن وجوب لزوم موالاته صلى الله عليه وسلم، عقبت السورة على تلك الحادثة ببيان أن الإعراض عن موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أمر يؤدي إلى النار: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ لفظة «وأهليكم» المتلائمة مع ما قامت به حفصة وعائشة وهما من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ولاحظ بيان أن ملائكة النار لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهو متناسب أيضاً مع اعتبار ما قامتا به معصية تستوجب التوبة.

ثم عرض السياق مصير المؤمنين الموالين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ومصير الكافرين المعرضين عن هذه الموالاة: ﮋ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ

---

(١٥٠) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٥، وبيان مصير المؤمنين الموالين ومصير الكافرين: ٦- ٩، والخاتمة: ١٠- ١٢.

ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ، ولاحظ بيان أن الله تعالى لا يخزي يوم القيامة النبيَّ صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه، وفي ذلك تربية للمؤمنين على موالاته صلى الله عليه وسلم، وبما أن الكفار قد اختاروا الإعراض عن موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد وجب جهادهم حتى يكون الدين لله.

فسياق السورة يدعو إذاً إلى موالاة الله ورسوله ليتحقق للمؤمنين الفلاح في الدنيا والآخرة، وهذا أمر متناسق مع دلالات اسم السورة كما لا يخفى.

ثالثاً: جاء في الخاتمة ذكر موقفين متقابلين متعلقين بموالاة الله ورسله، فالأول منهما موقف امرأة نوح وامرأة لوط اللتين أعرضتا عن موالاة أنبياء الله حتى استحقتا دخول النار: ﮋ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮋ، ولاحظ أن إعراضهما عن موالاة الأنبياء كان بمثابة خيانة أدت بهما إلى دخول النار، ولاحظ عبارة «ادخلا النار مع الداخلين» المتناسقة مع ما سبقها من بيان أن النار مصير الكافرين المعرضين عن موالاة الله ورسله.

وكما افتتحت السورة بذكر حادثة حفصة وعائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم وبيان أنها أمر يستوجب التوبة حتى لا تخرجا عن دائرة الموالاة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ختمت السورة بذكر موقف امرأتين مؤمنتين كان ولاؤهما لله تعالى: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮋ، وهكذا التقى البدء والختام على محور التربية على موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعدم القيام بما يخرج عن هذه الموالاة، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أشد الدلالة.

ثالثاً: سورة الجن

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى حادثة استماع نفر من الجن إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فلما سمعوه آمنوا به، فهذه السورة تبرز إقرارهم بالإيمان وصحة الاعتقاد، وبيانهم زيف الباطل الذي كان قد أناطه الإنس بهم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين موضوعات هذه السورة ومحورها واسمها، فذكروا أن هذه السورة بمثابة شهادة من بعض عالم الجن بكثير من القضايا العقيدية التي كان المشركون يجحدونها ويجادلون فيها، كادعائهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يتلقى بعض معلوماته عن الجن، وهي كذلك تحوي تصحيحاً للأوهام التي أثيرت حول عالم الجن كادعاء أنهم يعلمون الغيب، وادعاء أن بينهم وبين الله تعالى نسباً، وهي كذلك تحوي رداً على من ينكر وجود عالم الجن ويعتبره من قبيل الخرافات، وهي تسهم في إنشاء التصور الإسلامي عن حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية، وما من شك أنها تظهر أيضاً شرف النبي صلى الله عليه

وسلم إذ ليّن الله له قلوب الإنس والجن، وهي تظهر شرف هذا القرآن العظيم الذي آمن به الجن بمجرد استماعه (١٥١).

ويمكن للباحث أن يلخص ما ذكره الأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: دعوة الإنس إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحة الاعتقاد، من خلال ما بينه هؤلاء النفر المؤمن من الجن من صدق الإيمان وصحة الاعتقاد وكشف الباطل المتوهم حول عالم الجن. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة بيان الصفات الحقيقية للجن وإزالة الباطل المتوهم حولهم.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز التناسق التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: أولاً: مقدمة متحدثة عن حادثة استماع النفر من الجن إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع بيان صحة اعتقادهم فيما يتعلق بالله تعالى، وثانياً: بيان صحة اعتقادهم في قضايا عقيدية أخرى، وثالثاً: خاتمة مؤكدة لما سبق(١٥٢).

أولاً: جاء في المقدمة ذكر هذه الحادثة وإقرار الجن بصحة اعتقادهم فيما يتعلق بالله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ ، فهم مؤمنون بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي أنزله عليه، وهم لا يشركون به أحداً، وينفون عنه الصاحبة والولد، وفي ذلك دحض للباطل الذي ألحقه الإنس بالجن من ادعاء أن بينهم وبين الله تعالى نسباً.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض صحة اعتقاد هؤلاء النفر من الجن فيما يتعلق بقضايا عقيدية أخرى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ، فهم ينفون قدرتهم على حماية الإنس من الأذى، وهم مؤمنون بالآخرة، وقد أيقنوا أنهم قد مُنعوا من أخبار السماء، وهم لا يعلمون بالغيب، وكل ذلك ينفي ـ كما لا يخفى ـ ما كان يزعمه الإنس حول الجن، وقد بين السياق أن الجن متفاوتون في قضية الإيمان، فمنهم مؤمن صالح، ومنهم كافر، وهم موقنون بعدم إعجاز الله تعالى هرباً.

ثالثاً: جاء في الخاتمة دعوة الإنس إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم بعدما عرضت السورة موقف هؤلاء النفر من الجن، فبينت مصير الكافر المعرض عن الإيمان: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ، ودعت إلى توحيد الله تعالى والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم كما آمن أولئك النفر: ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ

(١٥١) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٦٨، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ١٨٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٧٢٠- ٣٧٢٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ٣٩٢، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ٢٠٩، ٢١٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣١٣.

(١٥٢) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٥، وبيان صحة اعتقادهم في القضايا العقيدية: ٦- ١٤، والخاتمة: ١٥- ٢٨.

ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۂ

ۀ ہ ہ ﮨ ژ، وقد بين السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو رسول لا يعلم الغيب، كما أقروا بعدم علمهم الغيب أيضاً.

وكما افتتحت السورة ببيان إيمان ذلك النفر بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وإقرارهم عدم معرفتهم بالغيب، ختمت السورة بدعوة الإنس إلى الإيمان بذات القضايا التي آمن بها أولئك النفر: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ی ی □ ژ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أشد الدلالة.

رابعاً:سورة المزمل

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن منظور رحمه الله: « المزمِّل: أصله المتزمل، والتاء تدغم في الزاي لقربها منها، يقال: تزمَّل فلان، إذا تلفّف بثيابه »، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى وصف حالة النبي صلى الله عليه وسلم في فترة الوحي أول البعثة، حينما رأى جبريل عليه السلام بين السماء والأرض، فأسرع إلى بيته صلى الله عليه وسلم ودخل على خديجة رضي الله عنها قائلاً: «زملوني زملوني فدثروني». فاسم السورة يدل على أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الخوف الذي يدعوه إلى التزمل، والاستعانة على أداء واجبات الدعوة بصلاة قيام الليل (١٥٣).

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن تسمية هذه السورة بـ «المزمل» يدل على أن تكليف حمل أمانة الدعوة ثقيل، ويحتاج لجهاد طويل، فلم يعد هناك نوم، ومما يعين على حمل أمانة هذه الدعوة قيام الليل والتوجه الخالص إلى الله تعالى، لأن الاجتهاد في خدمة الله دال على غاية المحبة(١٥٤).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: تهيئة النبي صلى الله عليه وسلم لتحمل أعباء الدعوة بالكد والاجتهاد وترك الراحة والاستعانة على ذلك بصلاة قيام الليل، مع بيان مصير الكافرين الذين آثروا راحة الدنيا ودَعَتها على تحمل تكاليف الإيمان، فاسم السورة يدل على هذا المحور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة الدعوة إلى الاستعانة بقيام الليل للقيام بمهام الدعوة.**

---

(١٥٣) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٧، ص ٥٨، والحادثة المذكورة أخرجها الإمام البخاري رحمه الله في **الصحيح**، كتاب تفسير القرآن، ومسلم في **الصحيح**، كتاب بدء الوحي.

(١٥٤) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٧١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٢٠٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٧٤٢، ٣٧٤٣، وأ.د مسلم، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ٤٢٥، ٤٢٦، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣١٤- ٣١٦.

وبتأمل موضوعات السورة يظهر الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تحوي تهيئة للنبي صلى الله عليه وسلم لتحمل أعباء الدعوة والاستعانة بصلاة الليل، ثم بيان لمصير الكافرين الذين آثروا راحة الدنيا على تحمل تكاليف الإيمان، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق [١٥٥].

أولاً: جاء في مقدمة السورة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم التزمل الذي يدعوه إليه الخوف في بداية الوحي من القيام بمهمة الدعوة، ويأمره بالاستعانة بقيام الليل والتوكل على الله ليعينه على أداء مهمته صلى الله عليه وسلم: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ، ولاحظ اختصاص قيام الليل بالذكر، وهو متلائم مع ترك التزمل والاجتهاد في الطاعة، ولاحظ أن الأمر في المقدمة كان بقيام الليل كله إلا قليلاً، لأن في ذلك زيادة في التناسق مع دلالة اسم السورة، وسيأتي في الخاتمة تخفيف هذا الأمر، ولاحظ ذكر الإكثار من ذكر الله والتبتل إليه والتوكل عليه وحده، وهي أوامر كما ترى متلائمة مع المحور الدال على تهيئة النبي صلى الله عليه وسلم لأداء تكاليف رسالته، ومتلائمة مع دلالة اسم السورة.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى بيان مصير الكافرين الذين آثروا راحة الدنيا على القيام بتكاليف الإيمان: ژگ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۆ ۆ ۈ ۈ ۈ ۈ ۋ ۋ ژ، ولاحظ وصف الكافرين بأولي النعمة، وهو وصف دال على إيثارهم الراحة، وما من شك أن التخويف بذكر يوم القيامة متناسق مع الدعوة إلى القيام بتكاليف الدعوة، حتى لا يقع المؤمن في عذاب ذلك اليوم، ولاحظ ذكر فرعون الذي ادعى الألوهية، وهو في الوقت ذاته آثر راحة الدنيا ودَعَتها على الإيمان بموسى عليه السلام، فأخذه الله أخذاً وبيلاً، ثم أعاد السياق ذكر التخويف بيوم القيامة وأهواله، ليكون ذلك أدعى في حث الناس على القيام بتكاليف الإيمان، لئلا يقعوا في عذاب ذلك اليوم الشاق.

إذاً فالتخويف بعذاب يوم القيامة، وعرض مصير فرعون، متلائمان مع دلالة اسم السورة الداعي إلى الاجتهاد في القيام بتكاليف الإيمان، وبيان مصير من آثر الراحة على تكاليف الإيمان.

ثالثاً: ثم جاء في الخاتمة التخفيف على النبيصلى الله عليه وسلم ومن آمن معه فيما يتعلق بقيام الليل، فأمرهم بقراءة ما تيسر من القرآن في قيام الليل، وذلك لعلمه سبحانه بأصحاب الأعذار من المرضى ومن يضرب في الأرض ابتغاء الرزق ومقاتلين في سبيل الله، وكما افتتحت السورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بترك الراحة، وأمرته بقيام الليل والاجتهاد في القيام بتكاليف الدعوة، وذكر ربه والتوكل عليه، ختمت أيضاً بأمر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه بالاستعانة بقيام الليل والاجتهاد بالقيام بتكاليف الإيمان من صلاة وزكاة

---

(١٥٥) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٠، وبيان مصير الكافرين: ١١- ١٩، والخاتمة: ٢٠.

واستغفار: ﮋ... ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮊ (بعض الآية: ٢٠)، وهكذا التقى البدء والختام على محور الاجتهاد في القيام بتكاليف الإيمان والاستعانة بصلاة قيام الليل، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

خامساً: سورة المدثر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن منظور رحمه الله: « الدثار: الثوب الذي يستدفأ به .. يقال: تدثّر فلان بالدثار تدثراً وادّثر ادثاراً، فهو مدثر، والأصل: متدثر، أدغمت التاء في الدال وشددت »، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود أيضاً إلى وصف حالة النبي صلى الله عليه وسلم في فترة الوحي أول البعثة، حينما رأى جبريل عليه السلام بين السماء والأرض، فأسرع إلى بيته وقال لخديجة رضي الله عنها « زملوني زملوني فدثروني »، فاسم السورة يدل على أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الخوف الذي يدعوه إلى التدثر، والنهوض إلى القيام بمهمته وإنذار قومه [١٥٦].

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن من مقاصد هذه السورة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجد والاجتهاد والتشمير وحمل النفس على النهوض بالتبعة الكبرى، ومواجهة قريش بالدعوة والإنذار جهاراً وكافة، وهو أمر سيترتب عليه مشاقٌ كثيرة متنوعة بحاجة إلى استعداد كاف [١٥٧].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: تهيئة النبي صلى الله عليه وسلم للاجتهاد والاستعداد لإنذار قومه بالقرآن وما فيه من الترهيب بالآخرة وأهوالها، مع بيان مصير المكذبين بالقرآن وبيوم القيامة، فاسم السورة يدل على هذا المحور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة الدعوة إلى الجد والاجتهاد في الدعوة إلى الله.**

وبتأمل موضوعات السورة يظهر الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

([١٥٦]) ينظر: ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٥، ص ٢١٦، بتصرف، والحادثة المذكورة أخرجها الإمام البخاري في: **الجامع الصحيح** ، كتاب بدء الوحي، برقم: ٣، والإمام مسلم في: **المسند الصحيح**، كتاب بدء الوحي، برقم: ٣٢٢.

([١٥٧]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٧٣، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٢٢٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٧٥٢، ٣٧٥٤، وأ.د مسلم، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ٤٥٠ ، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣١٧- ٣٢٠.

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تدعو النبي صلى الله عليه وسلم إلى إنذار قومه والصبر على ذلك، ثم بيان مصير المكذبين بالقرآن العظيم يوم القيامة، وخاتمة مؤكدة لما سبق [١٥٨].

أولاً: جاء في مقدمة السورة أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالقيام والاجتهاد في إنذار قومه، والاستعداد لما يتطلبه ذلك من تطهير النفس وتزكيتها، والصبر على القوم: ژ ﮪ ﮬ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ژ، فهو صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يصدع بدعوة التوحيد واتخاذ الله الكبير إلهاً فقط، فليس دونه آلهة سبحانه، ولاحظ قوله تعالى (وثيابك فطهر) وهو إما أن يدل كناية عن تطهير النفس وتزكيتها، أو أن يدل حقيقة على تطهير الثياب للصلاة، وعلى الاعتبارين فهو متناسق مع دلالة اسم السورة، وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بترك ما يستقبح من عادات الجاهليين الباطلة، وأن يترك أجر دعوته على الله تعالى فيجازيه كيف يشاء من فضله، وأن يصبر ابتغاء وجه ربه سبحانه، فأنت تلاحظ أن المقدمة تهيئ النبي صلى الله عليه وسلم للاستعداد التام لإنذار قومه بما أوحاه الله إليه، ولا يخفى تناسق ذلك مع دلالة اسم السورة.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان مصير المكذبين بالقرآن العظيم وبالآخرة: ژ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ التعبير عن النفخ في الصور بالنقر في الناقور، وهو متناسق مع الأمر «قم»، ولاحظ أن السياق خصص عرض مصير الكافر بآيات الله في ذلك اليوم ليكتمل التناسق مع المحور المذكر ودلالة اسم السورة: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ژ، ولاحظ التفصيل في عرض موقفه من القرآن، فهو متردد في اتخاذ وصفٍ له، وبمناسبة الحديث عن الإنذار بما في الآخرة من عذاب لأمثال هذا الكافر بآيات الله، فصّل السياق في وصف سقر وعدتها من الملائكة، ولاحظ أيضاً اختيار اسم «سقر» المتناسق مع الأمر «قم». وما من ريب أن حرف الاستعلاء (القاف) أبلغ في الإنذار في الألفاظ المستخدمة لهذا الغرض.

ثم عاد السياق إلى بيان أن هذا القرآن بما يحويه من الترهيب بالآخرة وعذاب النار، إنما هو بمثابة نذير للبشر: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ ژ، ولاحظ التعبير بإدبار الليل وإسفار النهار، المتناسق مع دلالة اسم السورة، فكأن السياق يبين للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة أن مهمته إنذار قومه بهذا القرآن في النهار، بينما في سورة المزمل كان الأمر بعبادة الله تعالى مخلصاً في الليل، ثم فصل السياق في مصير المكذبين بآيات الله تعالى وما فيها من الإنذار والأمر بطاعة الله تعالى: ژ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ژ، ولاحظ ذكر الصلاة أولاً باعتبارها أبرز مظاهر العبودية لله تعالى، ولاحظ عرض موقفهم

---

(١٥٨) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٧، وبيان مصير المكذبين: ٨- ٤٨، والخاتمة: ٤٩- ٥٦.

من القرآن وما ينذر به من حقائق الآخرة، فقد كانوا يخوضون مع أهل الباطل في الصد عنه واتخاذ موقف المعادي له، وكانوا يكذبون بالآخرة، وهذا متسق مع ما بينه السياق من موقف الكافر ومصيره يوم القيامة قبل قليل.

إذاً فالسياق يبين أن مهمة النبي الاجتهاد في إنذار قومه بهذا القرآن وما يحويه من الترهيب بحقائق الآخرة وأهوالها، ويبين موقف الكافرين من هذا الإنذار، وذلك متسق مع دلالة اسم السورة.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لكل ما سبق، فقد أعادت بيان أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن إنما هي بمثابة تذكرة للبشر: ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ، ولاحظ وصف النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينذر قومه بهذا القرآن بالقسورة، وهي تحوي حرف القاف المتسق مع الأمر «قم» ومع لفظة «سقر»، ليكون ذلك أظهر في الدلالة على المحور المذكور وأكثر تناسقاً مع اسم السورة.

وكما افتتحت السورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في إنذار قومه بهذا القرآن لعلهم يتذكرون، ختمت ببيان أن هذا القرآن إنما هو تذكرة للناس، فمن شاء ذكره: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ، وهكذا التقى البدء والختام على محور أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في إنذار قومه بهذا القرآن، وعرض موقف قومه منه، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

سادساً: سورة عبس

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « العين والباء والسين أصل واحد يدل على تكرُّهٍ في شيء »، وأكد كلامه الإمام الأصفهاني رحمه الله فقال: « العبوس: قطوب الوجه من ضيق الصدر »، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى حادثة مجيء عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان يدعو جماعة من كبار قريش يأمل إسلامهم، فألَحَّ ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم في طلب الهدى وهو لا يعلم حال النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أعمى، فكره النبي صلى الله عليه وسلم فعل ابن أم مكتوم وعبسَ وجهُه، وجعل يعرض عنه ويقبل على الآخرين، فأنزل الله هذه السورة معاتباً نبيَّه صلى الله عليه وسلم في إعراضه عن طالب الهدى، وإقباله على المستَغْنين المستكبرين (١٥٩).

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة يدور حول تصحيح فكر الداعية بما يلائم قيمة

---

(١٥٩) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٧٣٠، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٥٤٤، وكلام ابن منظور بنفس المعنى، **لسان العرب**، ج ١٠، ص ١٥. والحادثة المذكورة أخرجها الترمذي رحمه الله في **السنن**، كتاب تفسير القرآن، برقم: ٣٣٣١.

الدعوة وتوجيهها، فالسورة تبين حقيقة القيم في المجتمع المسلم بأسلوب قوي حاسم، والتوجيه في أولها هدف إلى إقرار حقيقة أن يستمد الناس قيمهم وموازينهم من اعتبارات إلهية بحتة، فاسم السورة دال على المحور بدلالة الحادثة التي اشتق منها (١٦٠).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: بيان أن الهداية إلى الدين فضل من الله ومنة لا يدري الداعي مَنْ يستحقها مِن المدعوين، فالهداية من الله غير خاضعة لمقياس التمايز البشري، ولما كانت حادثة ابن أم مكتوم رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم أدل ما في السورة على هذا المحور، اشتُق منها اسم للسورة ليدل عليه. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة تصحيح فكر الداعية بما يلائم قيمة الدعوة وتوجيهها**. كما ذكر الأفاضل.

والمتأمل في موضوعات السورة يجد الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تحوي معاتبة للنبي صلى الله عليه وسلم في حادثة ابن أم مكتوم، ثم بيان لنعم الله على الإنسان من خَلْقٍ وإمدادٍ تستوجب عليه الإيمان والطاعة لله، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق (١٦١).

أولاً: جاء في مقدمة السورة معاتبة من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في حادثة ابن أم مكتوم، وتبين له أن الهداية من الله فضل لا يدري النبي صلى الله عليه وسلم من يستحقه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ، ولاحظ قوله تعالى (وما يدريك) وقوله (وما عليك)، الدال على عدم معرفته صلى الله عليه وسلم بمن يستحق هذا الفضل من الله، فيبنغي على الداعي أن يدعو الجميع بلا إعراض عن أحدهم، ويترك نتائج دعوته لله تعالى.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى تأكيد معنى أن الهداية فضل من الله تعالى، فبين علو شأن هذا القرآن العظيم: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ، فالخاسر من أعرض عن هذا الهدى الإلهي السامي.

ثم انتقل السياق إلى ذكر موقف الإنسان من هذا الفضل الإلهي، فهو معرض عن هدى الله وهو الذي خلقه وأمده بما يحييه: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ، ولاحظ ذكر أصل الإنسان بصيغة التحقير من شأنه، وهذا متلائم مع موقف المستغنين عن الهدى المذكورين أول السورة، ولاحظ أن السياق ركز على نعمتي الخلق والإمداد، وهما نعمتان تستوجبان على الإنسان أن يؤمن ويطيع ربه، لا أن يعرض عن هداه.

---

(١٦٠) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن**، ص ١٢٥، والمهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٨٨، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٣٢٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٣٨، ٣٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٢١- ٣٨٢٥. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(١٦١) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٠، وبيان نعم الله على الإنسان: ١١- ٣٢، والخاتمة: ٣٣- ٤٢.

فأنت تلاحظ أن السياق يبين أن الواجب على الإنسان أن يؤمن ويلتزم هدى ربه، لا أن يكفر ويعرض عن هداه، وبعد هذا البيان الوافي فالهدى لله يهدي من يشاء وعلى الداعي أن يدعو، وهذا متسق مع محور السورة ودلالة اسم السورة عليه.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لكل ما سبق، وذلك من خلال عرض شيء من أهوال يوم القيامة ومصير المؤمنين والمعرضين فيه: ژ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ بيان أن القرابة لا تجدي نفعاً في ذلك اليوم، وذلك يؤكد حقيقة أن المقاييس عند الله تعالى لها اعتبار خاص، فالذي ينفعهم يومئذ ويحقق لهم الأمان هو فقط الإيمان واتباع الهدى.

وكما افتتحت السورة ببيان أن الداعي إلى الله يدعو وهو لا يعلم من يستحق فضل الهداية من الله، ختمت بذكر مصير المؤمنين بهدى الله ومصير المعرضين عنه: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وأعتقد أن التركيز على وصف الوجوه متلائم مع دلالة اسم السورة وهو متعلق بالوجه، وهكذا التقى البدء والختام على المحور المذكور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

سابعاً: سورة الكوثر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الكاف والثاء والراء: أصل صحيح يدل على خلاف القلة ... ثم يزاد فيه للزيادة في النعت، فيقال الكوثر: الرجل المعطاء »، وزاد الإمام ابن منظور رحمه الله: « الكوثر: الكثير من كل شيء، وقيل: الكوثر نهر في الجنة وهو للنبي صلى الله عليه وسلم » [١٦٢]، وأما الدلالة السياقية فتعود إلى بيان ما منح الله نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير الكثير، لعلو منزلته وفضله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك ترغيب بالإيمان به حتى يحظى المؤمن بشيء من هذا الكوثر.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة بيان المنحة الإلهية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكل خير يمكن أن يكون، ودعوته إلى الاستجابة لله والتجرد له في كل الأمور، وبيان أن اتباعه صلى الله عليه وسلم فيه الخير الكثير والخلود الحقيقي، فالسورة تمثل حقيقة الهدى والخير والإيمان، والضلال والشر والكفران، الأولى كثرة وفيض وامتداد، الثانية قلة وانحسار وانبتار [١٦٣].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وعبادة الله وحده، من خلال بيان الجزاء الذي أعطاه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولمن آمن معه في الدنيا والآخرة، وبيان جزاء من كفر به صلى

([١٦٢]) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٩١٨، بتصرف، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٣، ص ٢٧، بتصرف.

([١٦٣]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٤٧، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٨٧- ٣٩٨٩، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٥٧٢، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٧٣- ٣٧٥.

الله عليه وسلم، فاسم السورة «الكوثر» دال على الجزاء الخيّر الذي أعطيه صلى الله عليه وسلم ومن آمن به، ففيه ترغيب بالإيمان به، ولذلك جُعل منه اسم للسورة. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة بيان حقيقة فيض وامتداد الهدى والإيمان، وحقيقة انحسار وانبتار الضلال والكفران.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل آيات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

ژ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک ژ، لاحظ حرف التوكيد مع ضمير العظمة، والفعل الماضي (أعطيناك)، وكأنه وعد قد تحقق من الله، مع أنه وعد يشمل الخير في الدنيا والآخرة، وفي بيان الخير الذي مُنحه صلى الله عليه وسلم دعوة للإيمان به، لأن هذا الفضل سينال كل من آمن به واتبع هداه، وبعد بيان هذا الفضل، انتقل السياق إلى الدعوة إلى الالتزام بأحكام الدين، فيجب التوجه بالصلاة والنحر إلى الله وحده، لأنه وحده القادر منح هذا الخير، واختصاص الصلاة والنحر بالذكر لأنهما من أبرز الأعمال التعبدية التي كان يعرفها العرب، لكنهم كانوا يقومون بها بانحراف في التطبيق كما كانت صلاتهم تصفيقاً وتصفيراً، أو بانحراف في التوجه كما كانوا ينحرون لآلهتهم، وكما افتتحت السورة ببيان الفضل الذي أعطيه صلى الله عليه وسلم، ختمت ببيان مصير المكذبين، فكما أعطي صلى الله عليه وسلم من وجوه الخير كلها في الدنيا والآخرة، قُطع المكذبون من نيل شيء من هذه الوجوه في الدنيا والآخرة، وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور الذي دل عليه اسم السورة أكرم الدلالة.

ثامناً: سورة النصر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « النون والصاد والراء: أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصرَ الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم »، وأما الدلالة السياقية فتعود إلى بيان أن الله تعالى سينصر رسوله صلى الله عليه وسلم على أعدائه ويُظهِر دينه، وسيكون النصر شأن أمته طالما التزمت بدين ربها، أثبت ذلك إضافة النصر إلى الله تعالى، وكأنه لا نصر لغير هذه الأمة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور السورة هو الوعد من الله بالنصر الكامل للمؤمنين، وهو الذي سيُغلب فيه الطغاة، وتزول به عوائق انتشار الدين بين الناس، فالسورة تكشف عن طبيعة هذه العقيدة وهذا المنهج الرباني، ومدى ما يريد أن يبلغ من البشر من الرفعة والكرامة والتجرد والخلوص، الذي لم تبلغه البشرية قط إلا في ظل الإسلام [١٦٤].

---

(١٦٤) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٥٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٩٤- ٣٩٩٨، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٥٨٩، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٧٣- ٣٧٥.

ويمكن للباحث إن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان من خلال بيان مستقبل هذا الدين، إذ سيكون النصر حليفه، طالما التزم المسلمون بأحكامه. ولا تخفى العلاقة بين هذا المحور واسم السورة المضاف إلى الله تعالى. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القصص القرآني بأنها **سورة بيان طبيعة هذا الدين ومستقبله.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل آيات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

ژ ڤ ج ج ڄ ج ج ڃ ڃ چ ج ڇ ڇ ڃ ڃ ڇ چ چ يڍ ڌ ذ ڎڎ ژ، لاحظ إضافة النصر إلى الله تعالى، وكأنه لا نصر إلا لهذه الأمة المحمدية، ولاحظ وصف دخول الناس في دين الله «بالفتح» الدال على انتشار هذا الدين في أرجاء الأرض، فالنصر هو الخطوة الأولى للفتح، ولذلك اختص النصر باسم السورة دون الفتح، بالإضافة إلى أن النصر يبرز فيه جهد المقاتِلين المجاهدين المؤيَّدين بنصر ربهم، وليس الفتح كذلك بل هو ناتج عن النصر، ولاحظ إضافة الدين إلى الله، فليس في الوجود دين ينسب إلى الله غير الإسلام، ودخول الناس أفواجاً في هذا الدين دالٌ على مدى قوة النصر الذي سيمنحه الله لهذه الأمة، ودال على عدل المسلمين رغم ما أوتوه من النصر، إذ سيرغب الناس في دخول الدين أفواجاً طوعاً، ولا يعني منح النصر للأمة الإسلامية أن تتخلى عن ربها بعد النصر ويصير حالها حال البطر والأشر والبطش، ولذلك أمرت السورة بتسبيح الرب المانح للنصر واستغفاره بشكل دائم، للدلالة على التزام المؤمنين واعترافهم بفضل ربهم سبحانه، وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة وأكثرها بشارة.

أولاً: سورة محمد

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى نبي الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المرسل بالحق من الله تعالى، وما نتج عن بعثته من انقسام الناس لفريقين: منهم كافرون أضل الله أعمالهم في الدنيا وحرمهم الأجر في الآخرة، ومنهم مؤمنون هداهم الله فأصلح بالهم في الدنيا والآخرة، فاسم السورة يدعو إلى التزام هديه صلى الله عليه وسلم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور السورة هو الصراع بين المؤمنين والكافرين، سواءً كان مادياً يسعّره الكافرون، أو خفياً يديره المنافقون، ولذلك تعرض السورة ملامح شخصيات أعداء الدين، وملامح شخصية المؤمنين المتبعين لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في صيغة هجوم أدبي على الكافرين، وتمجيد للمؤمنين، وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة من الله هو الذي نتج عنه هذا الصراع، وكان هو صلى الله عليه وسلم قائد المؤمنين فيه وفق سياسة ربانية (١٦٥).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: بيان ما يجب أن يكون عليه المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم لينالوا الأجر في الدنيا والآخرة، وعرض موقف الكافرين والمنافقين ومصيرهم في الدنيا والآخرة، ولما كان نشوء الفريقين ناتجاً عن بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، جُعل من اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم اسم للسورة للدلالة على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة بيان الصراع بين المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والكافرين به.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام، المقدمة: وفيها عرض موقف الكافرين والمؤمنين وبيان جزائهم، ثم عرضٌ لما يجب أن يكون عليه المؤمنون بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعرض موقف الكافرين والمنافقين وجزاء الجميع يوم القيامة، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق (١٦٦).

---

(١٦٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٧٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ١٤٨، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٢٧٨- ٣٢٨٠، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٢٢٥- ٢٢٩، وباجودة، د. حسن محمد، **تأملات في سورة محمد ^**، ب ط، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٩. ص ١٧ -٢٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢٤٨- ٢٥٢.

(١٦٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٣، وعرض ما يجب أن يكون عليه المؤمنون وموقف الكافرين والمنافقين: ٤- ٣٢، والخاتمة: ٣٣- ٣٨.

أولاً: جاء في مقدمة السورة عرض موجز لموقف الكافرين والمؤمنين بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع بيان جزاء الفريقين: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ، فلاحظ بيان ضلال أعمال الكافرين وضياع الأجر عليهم، في مقابل قبول أعمال المؤمنين، وغفران ذنوبهم، وإصلاح بالهم، وذلك ناشئ عن العدل الإلهي، فالكافرون اتبعوا الباطل، والذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان ما يجب أن يكون عليه المؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ، فأهم واجبات المؤمنين نصرة الحق الذي جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم ومحاربة أعدائه ونصرة دينه، وقد بين السياق موقف الكافرين ومصيرهم لتهوين شأنهم: ﮋ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ ﮊ.

ولكي يكتمل ترغيب المؤمنين بالقيام بواجبهم، وترهيب الكافرين لعلهم يغيرون موقفهم، عرض السياق مصير الفريقين يوم القيامة: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ.

ثم انتقل السياق إلى الحديث عن فريق آخر من الكافرين، وهم المنافقون، إذ عرضت السورة موقفهم وبينت مصيرهم لتحذير المؤمنين منهم: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ.

وقد بين السياق أنهم يرتعشون فَرَقاً إذا أنزلت سورةٌ من القرآن تتحدث عن القتال في سبيل الله، فهم يكرهون القتال خشية الموت حتى استحقوا لعنة الله، وأن يعمي أبصارهم فلا يتدبرون القرآن ولا يلتزمون بما جاء فيه من الأحكام، ولاحظ أن عرض موقفهم هذا يقابل أمر المؤمنين بقتال الكافرين في بداية السورة.

وقد بينت السورة مصيرهم أيضاً: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ.

وقد بين السياق أن من سُنة الله تمحيص الناس ليمتاز المؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم من الكافرين والمنافقين: ﮋﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ، فسياق السورة كما ترى يعرض ما يجب أن يكون عليه المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم من المواقف والأحكام، ويبين موقف المنافقين المتهربين

من ذلك، ويبين أنهم بتهربهم وكرههم للحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أصبحوا هم والكافرون المكذبون سواء.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت توجيه المؤمنين لما يجب أن يكونوا عليه لينالوا الأجر من الله، مع بيان موقف الكافرين ومصيرهم: ژ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ژ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ژ.

وكما افتتحت السورة بذكر موقف الكافرين بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وجزائهم للتحذير منهم، ختمت بتحذير المؤمنين به صلى الله عليه وسلم من البخل في الدفاع عن سبيل الله، مع التحذير من التولي عنه صلى الله عليه وسلم ببيان أن هذا أمر مستحق للعقوبة من الله: ژ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ژ. وبذلك التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسمها أشرف الدلالة.

ثانياً: سورة الحجرات

الدلالة السياقية لاسم السورة:

يدل اسم السورة على حادثة قدوم وفد بني تميم في العام التاسع من الهجرة، الذي سمي عام الوفود، فقام جماعة منهم بمناداة الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته بصوت عال وباسمه الصريح، وقد كان قائلاً في إحدى حجراته، ولم يصبروا عليه حتى يقضي قيلولته، فاسم السورة «الحجرات» يدل على هذا الفعل الذي فيه إساءة أدب مع النبي صلى الله عليه وسلم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً من الربط بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة الإرشاد إلى مكارم الأخلاق إن كان في حق النبي صلى الله عليه وسلم أو في حق أمته، فهي تشمل مناهج التكوين والتنظيم وقواعد التربية والتهذيب، ومبادئ التشريع والتوجيه لهذا المجتمع الإيماني، فالسورة تكاد تستقل برسم معالم هذا المجتمع الرفيع الكريم النظيف السليم، وكل ذلك مبني على الأدب، ولذلك حوت هذه السورة آداباً عدة متعلقة بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، وبالمجتمع المؤمن، وقد كان اسمها «الحجرات» بما دل عليه واضح الدلالة على تلك التربية الأخلاقية في السلوك الظاهر، والرقابة الداخلية في الباطن (١٦٧).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: تربية المؤمنين على الرقابة الداخلية في نفوسهم من الله عز وجل، لينعكس ذلك في السلوك الظاهر من خلال

---

(١٦٧) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٨٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٢٢٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٣٣٤- ٣٣٣٧، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٣٣٣- ٣٣٦، والصواف، محمد محمود، **نظرات في سورة الحجرات**، ط ٤، دار الرسالة، بيروت، ١٩٨٢. ص ٨- ١٨، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢٥٨- ٢٦٢.

تحلِّيهم بمكارم الأخلاق مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع أنفسهم، وتخليهم عن سيئها، مع بيان أن الالتزام بذلك أحد علامات الإيمان الصادق، ولما كانت مناداة بني تميم النبيَّ صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أدل ما في السورة على إساءة الأدب معه صلى الله عليه وسلم، سميت السورة بالحجرات للتحذير من ذاك السلوك الخاطئ الدال على انعدام الرقابة الداخلية الداعية إلى حسن الخلق. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة بأنه **سورة التربية على الأخلاق الخاصة في معاملة القائد صلى الله عليه وسلم، والأخلاق العامة فيما بين المجتمع المسلم.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور للسورة وبين دلالة اسمها، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: أولها: مقدمة مبينة لبعض الآداب الواجبة على المؤمنين تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثانيها: توجيهات تربوية للمجتمع الإسلامي متعلقة بآداب عامة، وثالثها: خاتمة مؤكدة لما سبق (١٦٨).

أولاً: افتتحت السورة بذكر بعض الأخلاق المتعلقة بحقه صلى الله عليه وسلم، والتي يجب على المؤمنين امتثالها وإلا حبطت أعمالهم: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤﯥ ﯦ ﯧ ﮊ، فقد نهت السورة المؤمنين عن إبرام أمر من الأمور قبل نزول وحي الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قدمت السورة ذكر هذا الخلق كونه أكثر الأخلاق المذكورة جرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولاحظ أن المقدمة بينت أن التحلي بهذه الأخلاق هو من مظاهر تقوى الله عز وجل، وفي ذلك تربية على الرقابة الداخلية خوفاً من الله عز وجل.

ثم انتقلت المقدمة إلى ذكر حادثة بني تميم، وفيها مخالفة للأخلاق المذكورة آنفاً، فقد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته بصوت جهوري، وباسمه الصريح: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ، ولما كانت هذه الحادثة أدل ما في السورة على إساءة الأدب معه صلى الله عليه وسلم، وعلى انعدام مراقبة الله تعالى داخل النفوس، سميت السورة باسم الحجرات ليكون في ذلك تحذير للمؤمنين من الوقوع بمثل هذا الفعل.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى ذكر عدد من الأخلاق التربوية في حق المجتمع المسلم، وقد كان أولها ذكراً ما يتعلق بموضوع القتال لخطورته، فقد حذرت من أن تكون الإشاعة سبباً في قتال أناس أبرياء بلا بينة، وأعادت ذكر فضل النبي صلى الله عليه وسلم ليكون ذلك أدعى إلى الالتزام بالأخلاق المذكورة في السورة: ﮋ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ، ولاحظ تربية الرقابة الداخلية حين بين السياق إن الله حبب للمؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

---

(١٦٨) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٥، والتوجيهات التربوية الأخلاقية للمجتمع الإسلامي: ٦- ١٣، والخاتمة: ١٤- ١٨.

ثم وضعت السورة منهجاً للإصلاح بين المتخاصمين، فأمرت أولاً بمحاولة الإصلاح بين الفئتين المتخاصمتين، فإن أبت أحداهما أو بغت قوتلت من قبل المجتمع المسلم حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت عادت محاولة الإصلاح بينهما على أساس من العدل والقسط، وانظر هذا الأمر: ژ ۋ ۇ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۅ ۅ ۉ ې ى ى ې ې ژ، ولاحظ إعادة ذكر الأمر بتقوى الله، فتقوى الله مطلوبة في التعامل معه صلى الله عليه وسلم، ومطلوبة فيما يخص المجتمع المسلم أيضاً، وهي دليل الرقابة الداخلية خوفاً من الله تعالى.

وبعد الانتهاء من موضوع القتال، انتقلت السورة إلى التحذير من أخلاق سيئة ينبغي على المجتمع المسلم أن يكون خالياً منها، فقد نهت السورة عن المؤمنين السخرية من بعضهم بعضاً، وعن اللمز والتنابز بالألقاب، واجتناب الظن، والتجسس والغيبة، ولم يقتصر التوجيه الإلهي على الرجال فقط، بل النساء مأمورات بذلك كالرجال تماماً.

وانظر هذا الأمر الذي يربي المجتمع المسلم على الرقابة الداخلية أيضاً: ژ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ، ولاحظ ذكر الاسمين الجليلين: العليم الخبير، وهما متناسبان مع علمه تعالى بما يكون في داخل النفوس.

فأنت تلاحظ أن السورة تربي المؤمنين على الرقابة الداخلية في نفوسهم خوفاً من الله تعالى، فيلتزموا بما أمرهم به من مكارم الأخلاق، وترك سيئها، وأعظم هذه الأخلاق شأناً وأكثرها خطورة ما كان متعلقاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثَمَّ سميت السورة باسم الحجرات للدلالة على ذلك.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى الخاتمة التي تحوي تأكيداً لكل ما سبق، فقد أعادت التحذير من سيء الأخلاق مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم، وذكرت مثالاً على ذلك ما قام به الأعراب من أخلاق سيئة تنم عن انعدام الرقابة الداخلية في نفوسهم من الله عز وجل: ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ى □ ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فالأعراب يكذبون ويظهرون الإيمان، والحقيقة أنه لم يدخل في قلوبهم، ولا يكتفون بذلك بل يمنون على النبي صلى الله عليه وسلم إسلامهم، والحقيقة أن إسلامهم إنما هو منة من الله تعالى عليهم، وذكر علم الله تعالى بعدم دخول الإيمان متلائم مع التربية على الرقابة الداخلية، ومع علمه بما في النفوس كما مر قبل قليل.

ولاحظ إعادة ذكر ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المؤمن من مكارم الأخلاق، ولاحظ أن ذلك دليل صدقهم مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولاحظ أن السياق بين عدم صدق الأعراب في ادعائهم أن لهم المنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في إسلامهم.

وكما افتتحت السورة بتربية المؤمنين على الرقابة الداخلية في نفوسهم من الله عز وجل، وذكرت بعض مظاهر تمام علمه تعالى بما في النفوس، ختمت السورة بذات المقصد: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وهكذا التقى البدء والختام على محور التربية على الرقابة الداخلية في النفوس من الله عز وجل، لينعكس ذلك على السلوك في الظاهر مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثالثاً: سورة المجادلة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة الكريمة بـ «المجادِلة» بصيغة اسم الفاعل و«المجادَلة» بصيغة المصدر، وكلا الاسمين يدلان على معنى واحد، فصيغة اسم الفاعل تعود على خولة بنت ثعلبة، التي جادلت النبي صلى الله عليه وسلم في موضوع ظهار زوجها منها قبل نزول حكم الظهار، وصيغة المصدر تدل على مجادلتها للنبي صلى الله عليه وسلم في ذات الموضوع. فالدلالة السياقية لاسم السورة يدل على تمام علم الله بمجادلة تلك المرأة للنبي صلى الله عليه وسلم في موضوع الظهار، وبيان حكم الله فيه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين موضوعات هذه السورة ومحورها واسمها، فذكروا أن من مقاصد هذه السورة بيان تمام علم الله وكمال قدرته، وقد كان من مظاهر عظم هذه القدرة أن سمع قول المجادلة مع النبي صلى الله عليه وسلم في زوجها، ومن ثم بيانه تعالى لحكم الظهار الذي كان أحد مظاهر الخروج من الفطرة السوية للإنسان بما يلحقه بالزوجة من الأذى، ومن مظاهر تمام علمه تعالى وكمال قدرته المذكورة في السورة، بيان وقوع البأس الشديد بمن حادّ الله ورسولهصلى الله عليه وسلم، ومن مقاصد السورة أيضاً إنشاء تصور جديد شامل لهذه الحياة، وتربية النفوس على منهج الله بأن يبني في ضميرها الشعور الحي بوجود الله تعالى في أخص خصائصها، وأصغر شؤونها، وأخفى طواياها، وحراسته لها من كيد أعدائها خفيِّه وظاهرِه، وكل ذلك يدل عليه اسم السورة الدال على حادثة مجادلة خولة النبيَّ صلى الله عليه وسلم في موضوع الظهار وما تبعه من بيان حكم الله فيه (١٦٩).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة: تربية المؤمنين على الالتزام بحدود الله وأحكامه من خلال بيان تمام علم الله وكمال قدرته، وأنهم إذا التزموا بذلك فهم في رعاية صاحب القدرة العظمى سبحانه، والنصر حيئنذ سيكون حليفهم، ولما كانت حادثة مجادلة خولة بنت ثعلبة النبيَّ صلى الله عليه وسلم وما نتج عنها من بيان حد من حدود الله، أدل ما في السورة على تمام علمه وعظيم قدرته تعالى، سميت السورة بتلك الحادثة للدلالة على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة تربية الرقابة الداخلية في نفوس المؤمنين من الله عز وجل، الداعية إلى التزام أحكامه وحدوده.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز التناسق التام بينها وبين محور السورة ودلالة اسمها، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١٦٩) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ٣٢٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٤٧٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٥٠٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ٣١، وشحاتة، **أهداف كل سورة**، ج٢، ص ٢٢١- ٢٢٩، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢٧٩- ٢٨٢.

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: أولها: مقدمة تبين تمام علم الله وكمال حكمته في موضوع الظهار، وثانيها: تربية للمؤمنين على الالتزام بحدود الله وأحكامه، وثالثها: خاتمة مؤكدة لما سبق (١٧٠).

أولاً: جاء في المقدمة بيان تمام علم الله تعالى وكمال حكمته، وذلك من خلال بيان سماعه قول المرأة التي تجادل النبي صلى الله عليه وسلم في موضوع زوجها، وثم بيان حكم الله تعالى في ذلك: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ، ولاحظ نسبة السمع إلى الله في الآية الأولى ثلاث مرات، وذلك بصيغة الفعل الماضي والمضارع وصيغة المبالغة، فهو قد علم أن ذلك سيحصل منذ الأزل، وقد سمعه حال وقوعه واقعاً، وهو سبحانه سميع بكل شيء، ولاحظ حكمة الله تعالى في التفريق بين الزوجة والأم، وإنصاف الزوجة من الظهار الخارج عن الفطرة.

ثم بين السياق حكم الظهار، فعلى المظاهر أن يحرر رقبة، فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن لم يجد فليطعم ستين مسكيناً، وذلك كله قبل أن يمس زوجته، واللافت للنظر أن السياق قد اعتبر حكم الله تعالى في هذه القضية حداً من حدود الله لا يجوز تجاوزها، وإلا خرج المتجاوز عن دائرة الإيمان إلى الكفر: ﮋ... ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ (بعض الآية: ٤)، وذلك يؤكد المحور المذكور، فالمقدمة من خلال بيان حكم الله في حادثة مجادلة المرأة وإتباع ذلك بحكم الله، أبرزت تمام علم الله وكمال حكمته، ليكون في ذلك تربية للمؤمنين على الالتزام بأحكام ربهم.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى تربية المجتمع الإيماني على الالتزام بحدود الله تعالى فيما يتعلق بما هو خارج هذا المجتمع، فابتدأت بموضوع تهوين شأن الكافرين بآيات الله و المحادين لله ورسوله صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ، فمن مظاهر كمال قدرته تعالى أنه حكم على هؤلاء بالخزي والمهانة كما أُخزي وأهين من كان قبلهم، ولهم في الآخرة عذاب مهين، ولاحظ الإشارة إلى تمام علم الله وكمال قدرته حيث إنه سينبئهم بما عملوا يوم القيامة بأعمالهم التي أحصاها لهم، وهم قد نسوها وهم عامِلوها!

ثم عاد السياق إلى التربية على الالتزام بأحكام الله تعالى فيما يتعلق بداخل المجتمع الإيماني، واللافت للنظر أن السياق قد ابتدأ ذلك ببيان تمام علم الله، ليكون ذلك أدعى إلى الالتزام بأوامره: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ، وحذرت السورة من النجوى المحرمة، وهي التي تكون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك ـ كما لا يخفى ـ يبرز تمام علم الله بما يكون في هذه النجوى الخفية، وحذرت السورة من فعل اليهود الذين كانوا يحيون النبي صلى الله عليه وسلم بتحية خبيثة ويقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول، فقد علم الله بما في أنفسهم

(١٧٠) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٤، وتربية المؤمنين على الالتزام بحدود الله وأحكامه: ٥- ١٣، والخاتمة: ١٤- ٢٢.

فأخبرنا به، ثم أمرت السورة المؤمنين إذا أرادوا التناجي بأن لا يتناجوا إلا بالبر والتقوى، وأن يتقوا الله الذي إليه يحشرون.

فسياق السورة يبرز بصورة جلية بعض مظاهر تمام علم الله تعالى بما يدور في الخفايا، ويأمر المؤمنين بناءً على ذلك بالالتزام بأحكام الله وأوامره، وحينئذ سيكون النصر حليفهم.

ثم انتقل السياق إلى خلق كريم آخر متعلق بالاجتماع بين المؤمنين، وهو أن يتفسحوا في المجالس، وأن ينفضوا عن المجلس إذا أمروا بذلك: ژ □ □ □ □ □ □ ى ي ي □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ژ، وأعتقد أن هذا الأمر مرتبط بما سبقه من أكثر من ناحية، فهو متعلق باجتماع الناس على شيء معين أولاً، ثم إن فيه دلالة على تمام علم الله أيضاً، وذلك أن هذا الأمر يربي المؤمن على أن لا يكون في قلبه كِبْرٌ يمنعه من الإفساح لأخيه حتى لو كان متأخراً، ثم إن الأمر بالانفضاض عن المجلس فيه تربية على عدم الإثقال على المتكلم، أو صاحب مكان المجلس، وهذا خلق عظيم متعلق بأمر خفي في النفوس لا يعلمه إلا الله، وفيه توقير لأصحاب العلم.

ثم انتقل السياق إلى تربية المؤمنين على خلق آخر يبرز تمام علم الله تعالى، فقد أمرهم ابتداءً بتقديم صدقة إذا أرادوا مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد علم سبحانه بما كان في نفوس المؤمنين من الإشفاق من هذا الأمر فرفعه عنهم وأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ژ، ولاحظ إعادة التحذير ببيان أن الله خبير بما يعملون، فأنت ترى أن السياق يربي المؤمنين على الالتزام بأوامر الله تعالى وأحكامه، من خلال بيان تمام علمه وكمال قدرته، وهذا مرتبط مع اسم السورة «المجادلة» الذي دل على تمام علمه وكمال حكمته تعالى.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لكل ما سبق، فقد أبرز تمام علم الله تعالى بما كان يدور بين المنافقين الذين يتولون اليهود، وعلم بكونهم كاذبين في حلفهم للتنصل حين افتضاح هذا الأمر الخفي: ژ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ژ، وقد بين السياق إن أيمانهم الكاذبة لن تغني عنهم من الله شيئاً حين يبعثهم الله.

واللافت للنظر أن السياق قد بين أنهم بعملهم هذا قد خرجوا من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر، وأصبحوا من حزب الشيطان: ژ □ □ □ □ ى ىي ي □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ.

وقد أعادت الخاتمة التذكير بأن الله سينتصر على المحادين له ولرسوله صلى الله عليه وسلم: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وفي ذلك تربية للمؤمنين على أن يكونوا في هذا الصف، وذلك بالتزامهم بأوامر الله تعالى وأحكامه.

وكما افتتحت السورة ببيان تمام علم الله تعالى وكمال قدرته ليكون في ذلك تربية للمؤمنين على الالتزام بأحكامه وأوامره، فإذا فعلوا كان النصر حليفهم، ختمت السورة بالمقصد ذاته: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ

ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺﭻ ﭼ ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﯨ،
وهكذا التقى البدء والختام على محور التربية من خلال بيان بعض مظاهر تمام علم الله وكمال قدرته، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

رابعاً: سورة الممتحنة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن منظور رحمه الله: « المِحْنة: الخبرة، وامتحن القولَ: نظر فيه ودبَّره .. ومحنتُه وامتحنتُه: بمنزلة خبرته واختبرته » (١٧١)، وقد سميت هذه السورة الكريمة بـ «الممتحِنة» بصيغة اسم الفاعل، و «الممتحَنة» بصيغة اسم المفعول، فأما صيغة اسم الفاعل فمن باب إضافة الامتحان إلى السورة، وهو قوله تعالى: ﯨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕ... ﯨ (بعض الآية: ١٠)، فكأن ذكر هذا الامتحان في هذه السورة جعلها بمثابة الامتحان للنساء المهاجرات، وأما صيغة اسم المفعول فإما أن تكون إشارة إلى أول النساء المهاجرات، وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أو أن تكون الإشارة إلى النساء المهاجرات، أي النساء الممتحَنة. فدلالة اسم السورة تعود إلى امتحان النساء المهاجرات لمعرفة إذا كان الإيمان هو الذي أخرجهن من مكة، أم غرض دنيوي.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين موضوعات السورة ومحورها واسمها، فذكروا أن من مقاصد السورة بيان ما يجب أن يكون عليه المجتمع الإيماني من الولاء والبراء وفق المنهج الإلهي الذي اختاره الله لهم، وهذا أعظم الامتحانات، فيجب تقديم الولاء لله ولدينه على كل الولاءات الأخرى التي تقوم على الجنس أو الأرض أو العشيرة أو القرابة، وعلى ذلك دلت تسميتها بالممتحنة لأنها تدل على امتحان النساء اللواتي هاجرن من مكة في إيمانهن وولائهنّ لله ولدينه (١٧٢).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: تربية المؤمنين على أن يكون ولاؤهم لله ولدينه ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والتبرؤ من أي ولاءات أخرى والتي أخطرها: موالاة الكافرين، ولما كانت النساء الفئة الأضعف في المجتمع، وهن سبب المصاهرة والنسب والرحم، أمرت السورة بامتحانهن في إيمانهن وحقيقة انتمائهن لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ليكون ذلك أدعى للمؤمنين بالالتزام بالولاء لله تعالى، واشتق من هذا الامتحان اسم للسورة. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة تربية المؤمنين على الولاء لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والبراء من أعداء الدين.** كما ذكر الأفاضل.

---

(١٧١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٤، ص ٣١.

(١٧٢) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٣٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٥٤٧، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٥٣٧، وأ.د مسلم، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ٩٠- ٩٣، وشحاتة، **أهداف كل سورة**، ج ٢، ٢٥٩- ٢٦٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ٢٨٣- ٢٨٤.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز التناسق التام بينها وبين المحور المذكور ودلالات اسم السورة، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: الأول: مقدمة تدعو إلى الولاء لله ولدينه ولرسوله صلى الله عليه وسلم والتبرؤ من موالاة الكافرين، والثاني: التأسي بإبراهيم عليه السلام في موضوع الولاء والبراء وبيان بعض أحكام هذا الموضوع، والثالث: الخاتمة المؤكدة لما سبق (١٧٣).

أولاً: جاء في مقدمة السورة تربية للمؤمنين على أن يكون ولاؤهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يقطعوا موالاتهم للكفار، وذلك من خلال التعقيب على ما فعله حاطب بن أبي بلتعة حين حاول إخبار قريش بتجهيز النبي صلى الله عليه وسلم الجيش لفتح مكة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ
ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ
ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ
ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ
ﮠ ﮊ، ولاحظ بيان مدى إساءة الكفار للمؤمنين، وبيان مدى حقدهم وودهم أن يكفر المؤمنون بعد إيمانهم، ففيم تكون بين الفريقين مودة وموالاة إذاً؟ ولاحظ ذكر الأرحام والأولاد المتلائم مع دلالة اسم السورة على النساء اللواتي هن سبب الأرحام والأولاد.

فمقدمة السورة تربي المؤمنين على الامتحان الأصعب في إيمانهم، وهو موالاة الله ودينه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقطع موالاة الكافرين ومودتهم، ولا يخفى تناسق ذلك مع دلالة اسم السورة.

ثانياً: ولتعميق مبدأ الولاء لله تعالى في قلوب المؤمنين، ذكر لهم أسوة في السلف وهو إبراهيم عليه السلام، الذي تبرأ من قومه ومن أبيه: ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ
ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ أن السياق نهى عن الاستغفار للمشركين، وذلك لمزيد تعميق ضرورة ترك الموالاة والمودة بين المؤمنين وبينهم.

وقد بين السياق بعض أحكام الولاء والبراء: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ
ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ
ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ، ولاحظ الاستطراد في الآية الأخيرة، وذلك لتعميق ضرورة ترك الموالاة والمودة معهم، فذكر إبراهيم عليه السلام وبعض أحكام الولاء والبراء، منسجم مع دلالة اسم السورة على هذا المحور.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فأمرت السورة بامتحان النساء اللواتي يهاجرن من مكة إلى المدينة، لمعرفة السبب الحقيقي في هجرتهن، فإن غلب على الظن أنهن مؤمنات، يحرم إرجاعهن إلى الكفار حتى لا يفتنّ في دينهنّ: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ
ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

(١٧٣) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٣، والتأسي بإبراهيم عليه السلام وأحكام الولاء: ٤- ٩، والخاتمة: ١٠- ١٣.

ژ، ولما كانت النساء الفئة الأضعف في المجتمع، وهن سبب المصاهرة والنسب والرحم، اشتُق من امتحانهن اسم للسورة، ليكون ذلك أدعى للمؤمنين على الالتزام بالمحور الذي دل عليه هذا الاسم.

وكما افتتحت السورة بنداء المؤمنين بموالاة الله ودينه ورسوله صلى الله عليه وسلم، ختمت بالنداء ذاته وبالمقصد ذاته: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ژ، وهكذا التقى المفتتح مع الختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

خامساً: سورة الجمعة

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى حادثة قدوم عيرٍ تجارية إلى المدينة المنورة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب حينها خطبة الجمعة، فلما سمع بقدومها المسلمون ثار الناس إليها ولم يبق أمام النبي صلى الله عليه وسلم إلا القليل. فأنزل الله تعالى قوله معاتباً وموجهاً لهم: ژ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ژ. فاسم السورة يحذر من التلهي بالدنيا عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم السورة وموضوعاتها واسمها، فذكروا أن من مقاصد هذه السورة أن يقرَّ في أخلاد المؤمنين أنهم المختارون لحمل أمانة العقيدة، وأن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فيهم منة كبرى تقتضي النهوض بالتكاليف التي حُمِّلوها بعد نكول بني إسرائيل عن حملها، والتخلص من الجواذب المعوقة عن هذه الأمانة مثل الحرص والرغبة العاجلة في الربح، واسمها «الجمعة» المفيد فرضية الاجتماع فيها والإقبال على الله والتجرد عن غيره، يدل دلالة واضحة على ذلك [١٧٤].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: بيان فضل النبي صلى الله عليه وسلم وتربية المؤمنين على وجوب التزام هديه وعدم الإعراض عن هديه ابتغاء عرض من الدنيا، ولما كانت حادثة بعض المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة حين قدوم العير أدل ما في السورة على هذا المحور، سميت السورة باسم ذلك اليوم للدلالة عليه. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة التحذير من تفضيل عرض الدنيا على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز العلاقة التامة بينها وبين دلالات اسمها، وفيما يلي بيان ذلك:

([١٧٤]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٤٠، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٥٩٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٥٦٢، ٣٥٦٣، وشحاتة، **أهداف كل سورة**، ج ٢، ٢٨٦- ٢٨٩، وأ.د مسلم، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ١٤٥، ١٤٦. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: أولها: مقدمة تبين فضل الله على المؤمنين ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وثانيها: التحذير من موقف اليهود المتخاذلين عن حمل أمانة دينهم، وثالثها: خاتمة مؤكدة لما سبق (١٧٥).

أولاً: جاء في المقدمة بيان تنزيه الله تعالى، وفضله على المؤمنين إذ بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ، وأعتقد أن افتتاح هذه السورة بذكر الأسماء الجليلة «الملك القدوس العزيز الحكيم» متلائم مع دلالات اسم السورة، لأن يوم الجمعة إنما شرع من أجل ذكر الله تعالى، ثم إن في ذكر هذه الأسماء تربية للمؤمنين على عدم ترك الجمعة رغبة في الدنيا، لأنه سبحانه يملك الفضل كله، ولاحظ وصف «الأميين» الذي كان عليه العرب، ليكون ذلك أظهر في بيان فضل الله تعالى في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ولاحظ ذكر امتداد هذا الفضل إلى يوم القيامة، ولاحظ تكرار لفظة «الفضل» المنسوبة إلى الله، فالمقدمة تحوي تربية للأمة الإسلامية على أداء حق النبي صلى الله عليه وسلم بالتزام هديه كونه منة عظمى من الله عليهم، ولا يخفى تلاؤم ذلك مع دلالة اسم السورة.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى التحذير من اليهود الذين نكلوا عن حمل أمانة دينهم، وهم أشهر الأمم في ذلك، ففي ذكرهم تربية للمؤمنين على التزام هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم: ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ، وقد أعقب السياق هذه الآية ببيان تفضيل اليهود الدنيا على الآخرة، ولذلك فهم يكرهون الموت ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم، وذلك فيه إشارة إلى تربية المؤمنين على عدم تفضيل متاع الدنيا على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يخفى ترابط ذلك مع دلالة اسم السورة.

ثالثاً: جاء في الخاتمة ذكر الحادثة التي منها اشتق اسم السورة، وهي تحوي تأكيداً لما سبق، فهي تحذر من الاشتغال عن يوم الجمعة وما فيه من ذكر الله وهدي النبي صلى الله عليه وسلم: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ژ، وأعتقد أن ذكر «فضل الله» متلائم مع دلالة الاسمين الجليلين في المقدمة «الملك القدوس»، وهما كذلك متلائمان مع بيان أن الله تعالى خير الرازقين في الختام، وإذاً فلا يجوز الانشغال بكسب الرزق عن ذكره تعالى في يوم الجمعة الذي جعله الله من شعائر دينه، وذلك لأن المؤمن يوقن أن الله سيغنيه من فضله.

وكما افتتحت السورة بتنزيه الله تعالى وبيان فضله على المؤمنين ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فيهم والأمر بالتزام هديه، ختمت بذكر صفات لله تعالى متلائمة مع دلالة الأسماء الواردة في المفتتح، وبيان وجوب التزام هديه صلى الله عليه وسلم وعدم التلهي عنه بمتاع الدنيا: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ، وهكذا التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

---

(١٧٥) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٤، والتحذير من موقف اليهود: ٥- ٨، والخاتمة: ٩- ١١.

سادساً: سورة المسد

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الميم والسين والدال أصل صحيح يدل على جدْل شيء وطيِّه، فالمسَدُ: ليف من جريد النخل، والمسد: حبل يتخذ من أوبار الإبل.. والمسد: الليف لأن من شأنه أن يُفتَل للحبل »، أما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى وصف حالة امرأة أبي لهب في النار يوم القيامة، إذ سيُجعل في عنقها حبل مفتول ليدل على ذلها وإحكام السيطرة عليها بخشونة، جزاء ما كانت تقوم به في الدنيا من وضع الشوك في طريق النبي صلى الله عليه وسلم على المعنى الحسي، أو جزاء ما كانت تسعى به من إيقاع الفتنة وصد الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم على المعنى المجازي. وإنما اختُص ذكر حالة امرأة أبي لهب لأنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ـ حينما صعد على الصفا ودعا بطون قريش للإيمان في أوائل البعثة ـ : تباً لك ألهذا جمعتنا؟ [١٧٦].

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً من الربط بين دلالة اسم هذه السورة ومحورها، فذكروا أن تسميتها بالمسد يدل على الخسران الكلي المفضي إلى الهلاك لمنكري هذا الدين، فالسورة ترد على الحرب المعلنة من أبي لهب وامرأته، مع كونه أشد الناس قرابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تولى الله سبحانه عن رسوله صلى الله عليه وسلم أمر المعركة، فسجلت في صفحات هذا الكتاب الخالد صفحة تنطق بغضب الله وحربه على أبي لهب وامرأته والكائدين لدعوة الله في الدنيا. واسم السورة «المسد» بما يدل عليه من الذل والخشونة والإحكام أدل ما فيها على المحور المذكور [١٧٧].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: بيان مصير الهلاك المذل لمن حارب دعوة الله تعالى، وأنه لن يغني عنه شيء من ذلك المصير، وإنما اشتُق من حالة امرأة أبي لهب في النار اسمٌ للسورة، ليكون ذلك أكثر دلالة على الإذلال والتحقير لمن حارب دعوة الله. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أحداث السيرة النبوية بأنها **سورة بيان الهلاك المذل لمن حارب دعوة الله**، كما ذكر الأفاضل، وبتأمل السورة يبرز الترابط التام بين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه وبين آياتها، وفيما يلي بيان ذلك:

ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ژ، لاحظ أن السياق لم يكتف ببيان هلاك يدي أبي لهب، بل أكد ذلك بهلاكه كله، فقد هلك بسبب الأعمال التي كان يقترفها بيديه، وسيتحقق له الهلاك الكامل المذل في النار ذات اللهب، ولاحظ بيان أن ماله وكَسْبه لم يغنيا عنه شيئاً، ليكون ذلك أبلغ في الإذلال، هذا إذا

---

(١٧٦) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٩٨٥. وحادثة أبي لهب مع النبي ٨ أخرجها الإمام البخاري رحمه الله في **الصحيح**، كتاب التفسير، برقم: ٤٩٧٣، والإمام مسلم رحمه الله في **الصحيح**، كتاب الإيمان، برقم: ٣٥٥.

(١٧٧) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٦٧، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٩٩- ٤٠٠١، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٤٣٥، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٥٤٧، ٥٤٨، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣٧٩- ٣٨١.

اعتبرتَ الواو عاطفة، أما إذا اعتبرتها استئنافية فذلك يدل على أنه لم يكسب كسباً خيّراً ينجيه من عذاب النار، ولاحظ وصف النار بذات اللهب، ليتناسق ذلك مع كنيته، فيتحقق له السخرية مع الإذلال.

ولما كانت امرأته تساعده في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم فقد نالها نصيبها من العذاب المذل أيضاً، فوصفها بحمالة الحطب في الدنيا يعطي دلالتين: أحدهما على المعنى الحقيقي الحسي، بمعنى أنها كانت تحتطب الشوك وتضعه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم إيذاءً له، وقد كانت تبتغي بذلك محاولة إذلاله صلى الله عليه وسلم، والدلالة الثانية معنوية مجازية، بمعنى أنها لما كانت تسعى في إشعال نار الفتنة بين النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه والصد عنه، فشُبِّه سعيها هذا بحمالة الحطب التي تستخدمه لإيقاد النار، ولذلك جاء وصف عذابها يعطي دلالتين أيضاً: أحدهما معنوي مجازي بمعنى أن لها حبلاً تُشد به من رقبتها في النار بشكل مذل، وهذا يكافئ سعيها لإيقاع الأذى والفتنة والصد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والثانية حسية بمعنى أن الحبل الذي كانت تستخدمه لجمع الشوك وإلقائه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم، سيصبح يوم القيامة في عنقها تشد به في النار بشكل مذل يكافئ محاولتها إذلال النبي صلى الله عليه وسلم.

بقي عدد من الأسئلة قد تدور في الذهن حول تسمية السورة بالمسد، وليس بغيره مثل سورة (أبي لهب) أو (اللهب) ولماذا جعل المسد في جيد امرأته وليس في جيده، أما السؤال الأخير فقد أجاب عنه الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا فقالا: « يبدو أن الدور المركزي والنصيب الأكبر في إحكام الكيد للرسول صلى الله عليه وسلم كان لزوجة أبي لهب، والأصل في الجيد أنه المكان الذي تضع فيه المرأة زينتها، .. ولعل في ذلك إشارة إلى تابعية أبي لهب لزوجته بسبب جمالها وذهاب شخصيته أمام جمالها » (١٧٨).

أقول: أعتقد أن الأمر أعمق من ذلك، فأرى أنه لما كان المقصود بيان المصير المهلك المذل لمن يعادي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، كان بيان مصير امرأة أبي لهب التي اشتركت معه في هذه الجريمة، واشتقاق اسم السورة من عذابها أبلغ في الإذلال، فمن المعروف أن العربي تأخذه الحمية والغيرة إذا بلغه أن أحداً مدح جانباً جمالياً في امرأته، فما بالك وقد ذمت هذه السورة امرأة أبي لهب وهو سيد قومه، وبينت مصيرها المذل. إن بيان مصيرها المذل يحقق بطبيعة الحال الإذلال لزوجها. أضف إلى ذلك أن أخذ الموقف المعادي مع اتخاذ موقف عملي يدل على هذه المعاداة ـ كما كانت امرأة أبي لهب تصنع ـ أمر مستبعد من طبيعة جنس النساء، ولذلك كان بيان مصيرها أذم لها لأنها أخذت موقفاً مستبعداً من جنسها.

ولو سميت السورة بسورة (أبي لهب) مثلاً، لفات جانب التعمق في الإذلال من خلال اشتقاق اسم السورة من صورة عذاب امرأته، ولربما كان في تسميتها سورة (أبي لهب) شيء من التكريم له، ولو سميت بسورة (اللهب) مثلاً لفات جانب التعمق في الإذلال أيضاً. والله أعلم.

فأنت ترى إذاً أن هذه السورة بسياقها تبين المصير المذل لمن يعادي الدعوة إلى الله، وقد اشتق من صورة عذاب امرأة أبي لهب في النار اسم للسورة ليكون أدل على هذا الإذلال.

---

(١٧٨) **من دلالات أسماء السور**، ص ٣٨١.

أولاً: سورة الصافات

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « صفّ: الصاد والفاء يدل على أصل واحد، وهو استواءٌ في الشيء وتساوٍ بين شيئين في المقرّ »، وزاد الإمام ابن منظور رحمه الله: « قيل في (الصافات) و (وإنا لنحن الصافون) .. أنهم مصطفون في السماء يسبحون الله تعالى، وذلك لأن لهم مراتب يقومون عليها صفوفاً كما يصطف المصلون»[١٧٩]، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى وصف حالة الملائكة الكرام، إذ هم يصطفّون بانتظام وطاعة ترقباً لأمر الله إليهم، أو أن تكون الإشارة إلى حالتهم في الاصطفاف للصلاة والتسبيح، وصيغة اسم الفاعل (الصافات) وتأكيد هذه الحالة بالمصدر (صفاً)، دليل على توحد القصد وكمال الطاعة والانضباط، فكل منهم قد علم مقامه الذي يصف فيه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة الكريمة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أنها نزلت تستهدف بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله، وبخاصة ما كان يتصوره المشركون من ادعاء نسب بين الله تعالى وبين الجن، وزعمهم أن هذا النسب أنتج الملائكة وهم إناث، ومن ثَمَّ اتخذوهم آلهة، ففي تسمية هذه السورة بالصافات نفي لإلهية الملائكة، ونفي لادعاء المشركين أنهم بنات الله، بل هم عباد مطيعون له سبحانه [١٨٠].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان بعض الصفات الحقيقية للملائكة والجن التي تنفي الإلهية عنهم، وبيان بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى التي تثبت توحيد الإلهية له وحده سبحانه، ولما كان وصف الملائكة بالصافات أدل ما في السورة على توحيد الإلهية لله تعالى وكمال قدرته ونفي الإلهية عن الملائكة كونهم عباداً مطيعين لله، سميت السورة بهذا الوصف ليدل على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السورة بأنها **سورة إثبات الإلهية لله عز وجل ونفيها عن الملائكة أو الجن.**كما ذكر الأفاضل.

---

(١٧٩) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٥٦٢، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٨، ص ٢٥٢. بتصرف.

(١٨٠) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ١٩١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ٢٨٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٩٨٠- ٢٩٨٢، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ص ٣٤١و ٣٤٢. والبهي، د. محمد، **تفسير سورة الصافات**، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١. ص ٥- ٩. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم هذه السورة إلى أربعة موضوعات: الأول: مقدمة داعية إلى التوحيد من خلال ذكر بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى، والثاني: بيان موقف الناس من موضوع يوم القيامة ومصيرهم فيه، والثالث: عرض قصصي يبرز بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى، والرابع: الخاتمة المؤكدة لما سبق [١٨١].

أولاً: جاء في المقدمة وصف بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى، وهذه المظاهر تنفي الإلهية المزعومة للملائكة أو الجن: ژ ٱ ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٿ ٿ ٿ ٺ ٺ ٺ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ، ولاحظ ذكر بعض مهام وصفات الملائكة، فاصطفافهم دليل على أنهم عباد مطيعون لله تعالى يترقبون أمره، ووحدة صفهم دليل وحدة هدفهم، وهم يزجرون الخارجين عن طاعة الله تعالى إما وقت الموت، أو يوم القيامة، وهم ذاكرون لله لا يغفلون عن ذكره، إن بيان صفات الملائكة هذه تطلعنا على كمال قدرة الله تعالى الذي جعل لملائكته هذه الصفات، وقد أكد ذلك أن جواب القسم هو حقيقة أن الله هو الإله الواحد.

ولاحظ بيان أن الله تعالى رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق، ولاحظ بيان حفظ الله تعالى السماء من أن يصلها الجن وأن يستمعوا لأخبارها. فالمقدمة إذاً كما ترى تنفي الإلهية المزعومة للملائكة أو الجن، وتثبتها لله تعالى القادر. وقد دل على ذلك وصف الملائكة بالصافات.

ثانياً: وبعد إثبات قضية التوحيد وهي القضية الأكبر في الإيمان، انتقل السياق إلى ما يتعلق بالقضية الثانية وهي الإيمان باليوم الآخر، فقد عرض السياق موقف الكافرين والمؤمنين بهذا اليوم، وبين مصير الفريقَيْن يوم القيامة، وقد ابتدأ السياق بموقف الكافرين لأن ذكرهم أنسب إلى ما سبق من إشراكهم الجن والملائكة في العبادة: ژ ۋ ۆ ۈ ۋ ې ې ۉ ۉ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې
ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ وصف النفخة في الصور بالزجرة، ليتلاءم ذلك مع وصف الملائكة بالزاجرات، ويتلاءم ذلك أيضاً مع أمر الملائكة بحشر الذين ظلموا وأزواجهم، وأن يهدوهم إلى صراط الجحيم، وأن يوقِفوهم إنهم مسؤولون. وذلك كله فيه بيان طاعة الملائكة لأوامر الله عز وجل، ونفي الإلهية عنهم، وفيه بيان لكمال قدرة الله كما لا يخفى.

وذكر السياق بيان أن الذي قادهم إلى مصيرهم هذا إنما هو الشرك بالله عز وجل: ژ ڑ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ
ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ژ.

وانتقل السياق إلى بيان مصير الفريق الثاني، فريق المؤمنين: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ
ۋ ۅ ۅ ۋ ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

([١٨١]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٠، وبيان موقف الناس من يوم القيامة: ١١- ٧٤، والعرض القصصي: ٧٥- ١٤٨، والخاتمة: ١٤٩- ١٨٢.

□ □ □ □ □ □ ى ى ﯾ ژ، ولاحظ أن التفصيل في عرض ما أكرمهم الله به في الجنات أدل على بيان كمال قدرة الله عز وجل، وقبل الانتقال إلى العرض القصصي، أعاد السياق التأكيد على بيان مصير دعاة الشرك وأتباعهم في النار: ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ ژ، وأعتقد أن وصف طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين مناسب للرد على ما ادعاه المشركون من النسب بين الجِنة وبين الله تعالى، ولا يخفى أن التفصيل في بيان مصيرهم أدل على قدرة الله عز وجل.

فيلاحظ إذاً أن التركيز في السياق على نفي ادعاء إلهية أي من الملائكة أو الجنة، بل المستحق للعبودية هو الله الإله الواحد ذو القدرة المطلقة، وهذا هو المحور الذي دل عليه اسم السورة، حينما زعم المشركون أن الملائكة تستحق العبادة لنسب بينها وبين الله تعالى.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى تأكيد هذا المحور من خلال عرض قصصي يبرز بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى، وتمام حكمته في اصطفاء من يشاء من الرسل، فاصطفاؤه للرسل لا يجعلهم آلهة يستحقون العبادة، وكذلك الحال مع الملائكة التي اصطفاها لعبادته، وقد كانت أول قصةٍ قصةُ نوح عليه السلام: ژ □ □ ى ى ﯾ ﯾ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ژ، ولاحظ بيان قدرة الله تعالى في إنجاء نوح وأهله من الطوفان، وفي إغراق الآخرين، ولاحظ بيان اصطفاء نوح عليه السلام، أعتقد أن السياق ذكر ذلك ليثبت أن الاصطفاء من الله لا يعطي حق العبادة، فكما أن نوحاً عليه السلام هو مجرد عبد اصطفاه الله لأداء الرسالة، فكذلك الملائكة الكرام اصطفاهم الله لمهام خاصة بهم، قد ذكرت المقدمة بعضها، وسيأتي ذكر بعضها أيضاً في الخاتمة.

وأما القصة الثانية فهي قصة إبراهيم عليه السلام: ژ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ، ولاحظ وصفه عليه السلام بصاحب القلب السليم، ليدل ذلك على أنه قلب خال من الشرك، ثم فصل السياق في بيان إبطال إبراهيم الإلهية المزعومة لأصنام قومه المزعومة، فقد كسّر آلهتهم وأراد قومه إلقاءه في الجحيم، وهنا برزت قدرة الله مرة أخرى فأنجاه الله وجعلهم الأسفلين.

ومن مظاهر كمال قدرة الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام بيان أن الله تعالى وهب له إسماعيل وإسحق وجعلهما من الأنبياء، ومن مظاهر كمال طاعة إبراهيم لربه أنه شرع في الاستجابة للرؤيا، فبادر هو وابنه إسماعيل إلى تنفيذها، وفداه الله بذبح عظيم، وأعتقد أن ذكر هذا الجانب من قصتهما عليهما السلام يتلاءم مع ما بينته مقدمة السورة من طاعة الملائكة المطلقة.

ومن اللطيف أن القصة الثالثة كانت قصة موسى وهارون عليهما السلام، فما من شك في أن ذكرهما يبرز كمال قدرة الله تعالى في إنجائهما وقومهما من الغرق، وإغراق فرعون وقومه، ثم إنها قصة مترابطة مع قصة نوح عليه السلام الذي نجاه الله من الغرق أيضاً، وقد بين السياق أن الله اصطفاهما لأنهما من المحسنين.

وقصة إلياس عليه السلام تبرز أن عبادة قومه لبعل المزعوم إنما هي عبادة باطلة، لكنهم كذبوه فهم محضرون للعذاب كما سيُحضر الداعون للشرك وأتباعهم. وقد بين السياق أن الله اصطفاه لأنه من المحسنين أيضاً.

وتبرز قدرة الله تعالى أيضاً في قصة لوط عليه السلام مع قومه، فقد أنجاه الله وأهله إلا امرأته، فقد هلكت مع قومها، ومن اللطيف أيضاً ذكر قصة يونس التي تبرز قدرة الله في حفظه في بطن الحوت، وإنجائه من الغرق ونبذه إلى البر، وهذا مترابط مع قصة نوح وموسى عليهما السلام، وقد أنبت الله عليه شجرة من يقطين حتى استعاد عافيته، وقد ذكر السياق قومه الذين آمنوا حين رجوعه إليهم وقد زاد عددهم عن المائة ألف، فمتعهم الله إلى حين.

فالملاحظ إذاً أن عرض هذه القصص في هذه السورة يعطي دلالتين رئيسيتين: أحدهما بيان أن الله تعالى وحده المستحق للعبادة لأنه ذو القدرة المطلقة، والثانية أن اصطفاء الله لهؤلاء الرسل الكرام لا يعني استحقاقهم للعبودية، وكذلك الملائكة الذين اصطفاهم الله لا يعني استحقاقهم للعبادة. وبذلك يبرز ترابط هذه القصص مع دلالات اسم السورة.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لكل ما سبق، فقد أعاد السياق دحض شبهة إشراك الملائكة في العبادة: ژ ﭛ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ ٱ ٻ ٻ ﭛ ژ، فبعد أن بينت المقدمة بعض مهام الملائكة الكرام وبعض صفاتهم، ناسب أن يذكِّر في الخاتمة بإبطال إلهيتهم أو الزعم بأن بينهم وبين الله تعالى نسباً، وقد أعاد السياق في الخاتمة أيضاً دحض شبهة إشراك الجن في الإلهية أو النسب مع الله تعالى: ژ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ژ.

وقد أعاد السياق ذكر بعض صفات الملائكة، وبذلك ينتفي أي ادعاء لإلهيتهم: ژ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ﮓ ژ، ولاحظ التناسق بين المقدمة والخاتمة في اشتراكهما في الصفات المذكورة للملائكة الكرام.

وكما افتتحت السورة بذكر بعض صفات الملائكة الكرام التي ينتفي معها كونهم آلهة أو أن بينهم وبين الله تعالى نسباً، فتحقق بذلك التوحيد الخالص لله عز وجل، وكان من هذه الصفات زجرهم للعاصين، ختمت السورة بذكر مهمة الملائكة بإنزال العذاب على المشركين المكذبين، وببيان التوحيد الخالص لله عز وجل: ژ ﭛ □ ى ى ي ي □ □ □ □ ژ، وهكذا التقى البدء والختام على محور الدعوة إلى التوحيد الخالص لله عز وجل، من خلال بيان بعض الصفات الحقيقية للملائكة والجن، وبيان بعض مظاهر كمال قدرة الله عز وجل، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثانياً: سورة النازعات

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس: « النون والزاء والعين أصل صحيح يدل على قَلْع شيء » [١٨٢]، وأما الدلالة السياقية فتعود ـ على أرجح الأقوال ـ إلى وصف حال الملائكة وقت احتضار الكافر للموت، فهي تنزع روحه من جسده نزعاً بليغاً شديداً مهما تفرقت روحه في جسده، ووصف الملائكة بصيغة اسم الفاعل يدل على تمكُّنها من هذا الفعل.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة إثبات البعث والجزاء، والاستدلال على ذلك بأن خلق العالم وتدبير نظامه أعظم من إعادة الخلق، وذكروا أن الله قد أقسم بالنازعات الدالة على نزع الملائكة للأرواح عند الموت، وجعل من هذا القسم اسماً للسورة ليدل على إثبات قدرة الله على البعث [١٨٣].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر من خلال بيان بعض مظاهر قدرة الله تعالى على البعث، ومن ذلك ذكر بعض مهام الملائكة الكرام وقت موت الإنسان، وبعض مهامها في اليوم الآخر، ولذلك اتُّخذ من القسم بهذه الملائكة اسم للسورة ليدل على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السورة بأنها **سورة بيان مهام الملائكة وقت احتضار الإنسان، وبعض مهامهم في اليوم الآخر.**

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة مبينة لبعض مهام الملائكة وقت احتضار الإنسان وفي يوم القيامة، وبيان لبعض مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك المكذبين، وفي خلق السماء والأرض، وخاتمة مؤكدة لما سبق [١٨٤].

أولاً: جاء في مقدمة السورة قَسَم بالملائكة ذات المهام الخاصة وقت احتضار الإنسان، والملائكة ذات المهام الخاصة في يوم القيامة، على أن الله قادر على بعث الناس يوم القيامة: ژ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ژ، فقد أقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع أرواح المكذبين، والمصدر (غرقاً) يدل على الإغراق في النزع، فهم ينزعون روح الكافر مهما تفرقت في جسده، وأقسم تعالى بالملائكة التي تنشط روح المؤمن حين الاحتضار، فتخرج روحه بخفة، وأقسم تعالى ـ فيما أرى ـ بالملائكة التي تسبح بهذه الأرواح بعد إخراجها من الجسد إلى السماء، فإما أن تُفتح أبواب السماء للروح المؤمنة، حتى يكتب كتابها في عليين، ثم تعاد للجسد في القبر

---

(١٨٢) ابن فارس، **المقاييس**، ص ١٠٢٢.

(١٨٣) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٣٠٨، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٥٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨١١. وشحاتة، **أهداف كل سورة**، ج ٥، ص ٢٢- ٣٠، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(١٨٤) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-١٤، وبيان بعض مظاهر قدرة الله تعالى: ١٥- ٣٣، والخاتمة: ٣٤- ٤٦.

فينعم فيه إلى قيام الساعة، وإما أن تغلق أبواب السماء للروح الكافرة، فتردُّ إلى الجسد في القبر فيعذب فيه إلى قيام الساعة [١٨٥]، فهذه مهام الملائكة فيما يتعلق بموت الإنسان في الدنيا.

أما ما يتعلق بيوم القيامة فقد أقسم سبحانه بالملائكة التي تسبق بالأجساد بعد أن يبعثها الله ويرد فيها روحها، فتسبق الملائكة بالناس إلى أرض المحشر، ثم تسبق بأهل النار إلى النار، وبأهل الجنة إلى الجنة، ويدبرون أمور ثوابهم أو عقابهم [١٨٦]، وأعتقد أن مغايرة حرف العطف من الواو إلى الفاء يدل على اختلاف الدار التي تقوم بها الملائكة بهذه المهام.

وما من شك أن القسم بالملائكة التي تقوم بهذه المهام يدل أشد الدلالة على قدرة الله تعالى على بعث الموتى، ولذلك اتُّخذ من القسم بهذه الملائكة اسمٌ للسورة، ولاحظ أنه أقسم بـ «النازعات» وليس بـ «الناشطات» أو «السابحات» أو «السابقات» أو «المدبرات»، لأن وصف النازعات يختص بحال قبض روح الكافر، وهذا أنسب لسياق السورة التي تبرز إنكار المكذبين بقيام الساعة، ثم إن هذا الوصف يختص بالدنيا وليس بالآخرة كالسابقات أو المدبرات، ولذلك كان هو الوصف الأنسب للرد على منكري الآخرة.

ثم انتقل السياق إلى ذكر بعض أهوال يوم القيامة، وبيان حالة المكذبين في تلك الأهوال: ژ ﮯ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وقد تكون هذه الأهوال هي المُقسم عليه، أو أن يكون المقسم عليه محذوفاً ويقدر بـ «لتبعثنّ»، ولاحظ ذكر النفختين: الراجفة والرادفة، ليكون ذلك أدل على قدرته تعالى على البعث، ولاحظ وصف حالة المكذبين يوم القيامة، فقلوبهم واجفة خائفة، وأبصارهم خاشعة ذليلة، وذلك لأنهم كانوا يقولون في الدنيا: أئذا متنا وكنا عظاماً نخرة، سنرد إلى الحياة مرة أخرى؟ ثم يقولون استهزاءً: إذا صح هذا ستكون كرَّتُنا خاسرة.

ويرد السياق على استهزائهم ببيان أن الله تعالى قادر على بعثكم بمجرد أن يُنْفخ في الصور نفخة واحدة، ولاحظ وصف النفخة بالزجرة، لأنها أنسب لفظ لحال المكذبين، ثم إن فيها بياناً لبعض مهام الملائكة في ذلك اليوم، فإذا حصلت تلك الزجرة، قام الناس جميعاً من قبورهم فتجمعهم الملائكة في الساهرة وهي أرض الحساب.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان بعض مظاهر قدرة الله تعالى على إهلاك المكذبين، وبعض مظاهر قدرته في خلق السماء والأرض، ليستدل بذلك على قدرته على البعث، وقدم السياق ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون، لأنها أنسب لما بينه السياق من موقف المكذبين بالآخرة: ژ ٹ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ، ولاحظ ذكر التزكية والخشية

---

(١٨٥) جاء هذا في رواية أخرجها الإمام أحمد رحمه الله، ينظر: مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ١٧٨٠٣ ، وقد صححه محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وجاء قريب من هذه الرواية رواية أخرى في سنن إبي داود، حديث رقم: ٤١٢٧.

(١٨٦) من المفسرين الذين قدموا هذا الوجه من التفسير لهذه الأوصاف الخمسة ما عدا قوله تعالى (والسابحات سبحاً) : الإمامان الرازي والبيضاوي رحمهما الله، فقد فسراها بأنهم يسبحون في إخراج روح المؤمن كما يسبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق البحار، أو أنها تسبح في مُضيِّها لما أُمرت به فيدبرون أمره. ولم يتعرضا للرواية في الهامش السابق. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٣١، ص ٢٨، والبيضاوي، عبد الله بن عمر (ت: ٧٩١ هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣. ج ٢، ص ٥٦٥.

أول القصة، ليتلاءم ذلك مع قوله تعالى (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى)، وسيأتي في الخاتمة ذكر مصير من زكى نفسه، ولاحظ وصف آية العصا بالآية الكبرى، ليتلاءم ذلك مع المقولة الكبرى لفرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى، وهي متلائمة مع وصف يوم القيامة بالطامة الكبرى أيضاً، ولاحظ بيان أن فرعون حشر ونادى جنوده، ولم يغن ذلك عنه شيئاً، وهذا متلائم مع بيان قدرته تعالى على جعل الملائكة تقوم بحشر الخلق جميعاً يوم القيامة وإيقافهم للحساب ثم العقاب أو الثواب.

ولاحظ بيان أن عذاب فرعون اشتمل على الدنيا والآخرة، ليتلاءم ذلك مع مهام الملائكة المذكورة أول السورة في الدنيا والآخرة، ومن ناحية ثانية يتلاءم ذكرُ فرعون الذي مات غرقاً، مع قوله تعالى (والنازعات غرقاً).

فهذه القصة كما ترى تؤكد المحور المذكور وتتلاءم مع دلالة اسم السورة عليه أبلغ التلاؤم.

ثم انتقل السياق إلى بيان بعض مظاهر قدرة الله تعالى في خلق السماء والأرض: ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ، فخلق السماء والأرض أعظم من إعادة بعث الناس، وذلك دليل على أن القادر على الأولى قادر بلا شك على الثانية، فالسياق يؤكد حقيقة قدرة الله تعالى على البعث ليوم القيامة، وهو ما دل عليه أيضاً وصف الملائكة بالنازعات التي تنزع أرواح المكذبين، ثم يوم القيامة تسوقهم للحساب.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التذكير بمصير المكذبين بيوم القيامة: ﮊ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﮊ، ولاحظ ذكر تذكر الإنسان، الملائم لما ذكرَتْه المقدمة من حسرة المكذبين على إنكارهم يوم القيامة واستهزائهم به، ولاحظ ذكر إبراز الجحيم، الذي يبين إحدى مهام الملائكة في ذلك اليوم، ولاحظ بيان أن الجحيم هي مأوى المكذبين التي ستسوقهم إليها الملائكة، وهذا يتلاءم مع وصف الملائكة بالسابقات سبقاً والمدبرات أمراً أول السورة.

ولكي يكتمل المشهد، عرضت الخاتمة مصير المؤمنين الذي زكوا أنفسهم وخافوا مقام ربهم: ﮊ   ﮊ، وهنا يبرز دور الملائكة مرة أخرى في سَوق المؤمنين إلى مأواهم في الجنة.

وكما افتتحت السورة بتأكيد قدرة الله تعالى على البعث، من خلال القسم بالملائكة التي تنزع أرواح المكذبين، ختمت السورة بتأكيد قدرة الله على البعث من خلال بيان حسرة المكذبين في ذلك اليوم: ﮊ   ﯾ ﯿ ﰀ   ﮊ ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ دلالة.

أولاً: سورة الذاريات

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس رحمه الله: « الذال والراء والحرف المعتل أصلان، أحدهما: الشيء يشرف على الشيء ويظله (ومنه الذروة)، والآخر: الشيء يتساقط متفرقاً، ومن الباب: ذرت الريح الشيء تذروه »، وزاد الإمام ابن منظور رحمه الله: « ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذرواً وذرياً وأذرته وذرّته: أطارته وسَفَتْه وأذهبته، وقيل: حملته فأثارته وأذرته » (١٨٧)، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى وصف الرياح التي تذرو أسباب الرزق من السُّحب المحملة بالغيث أو تذرو حبوب اللقاح وغيرها، ووصفها بصيغة اسم الفاعل يدل على كمال طاعتها لأمرها سبحانه وتعالى.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة الكريمة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو ربط القلب البشري بالسماء، وتعليقه بالغيب المكنون، وتخليصه من عوائق الأرض التي تحول بينه وبين التجرد لعبادة الله تعالى والفرار إليه، ولما كان الانشغال بالرزق وما يخبئه القدر عنه هو أكثف تلك العوائق وأشدها، فقد عنيت السورة بإطلاق الحس البشري من إساره، وبتعليق القلب بالسماء بشأنه، وبما أن الرياح الذاريات عنوان للغيث والخير والرزق، فقد سميت السورة بها للدلالة على الرزق والخير المنتشر، وفي ذلك توجيه للتدبر بما وراءها من دلالات القدرة الإلهية (١٨٨).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر من خلال بيان بعض مظاهر قدرة الله تعالى وخصوصاً فيما يتعلق بموضوع رزق العباد، ولما كان موضوع الرزق أكثر ما يعني الإنسان، وهو من أدل مظاهر قدرة الله تعالى، اشتُق من الرياح الذاريات اسمٌ للسورة كونها من أهم أسباب الرزق، ليدل على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السورة بأنها **سورة بيان بعض مظاهر قدرة الرزاق سبحانه، فهو وحده المستحق للعبادة.**

والمتأمل في موضوعات السورة يجد الترابط الوثيق بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة موضوعات، أولاً: مقدمة تحوي قَسَماً بأسباب الرزق على أن يوم القيامة واقع لا محالة، ثانياً: بيان لمصير المكذبين الغافلين ومصير المتقين العاملين في ذلك

---

(١٨٧) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٣٨٦، بتصرف، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٦، ص ٢٩.

(١٨٨) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ٢٩٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٢٦٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٣٧٣، وأ.د مسلم وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٤٣٨- ٤٤٠، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٤١٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢٦٢- ٢٦٥.

اليوم، ثالثاً: عرض قصصي يبرز بعض مظاهر قدرة الله تعالى وبخاصة موضوع الرزق، ورابعاً: الخاتمة المؤكدة لما سبق [١٨٩].

أولاً: جاء في مقدمة السورة قَسَم من الله تعالى بأسباب الرزق على أن وعده برزق العباد لصادق، وأن وعده ببعثهم للحساب لواقع: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، فقد أقسم سبحانه بالرياح التي تذرو السحاب أو حبوب اللقاح حسبما أراد الله تعالى، والتأكيد بالمصدر «ذرواً» يجعل كل ما له علاقة بالرياح من أسباب الرزق مقبولاً لتفسير هذه الآية، ثم أقسم سبحانه بالسحب المحملة بالأمطار، وهي تسوقها الرياح أيضاً وفق إرادة الله تعالى، وأقسم بالسفن التي تحمل أرزاق العباد، وهي تسير في البحر بتيسير الله تعالى لها أسبابَ الجري في الماء، وأقسم بالسحاب التي تقسِّم السحب حسبما أُمرت به في بقاع الأرض.

ولاحظ جواب القسم الذي يصف الوعد برزق العباد بالصادق، وهو أنسب وصف لدفع ما يختلج في نفوس البشر تجاه الرزق المجهول، فقد كُتبت أرزاقهم قبل خلقهم، وقد وعد الله بتنفيذ ما كتبه في لوحه المحفوظ، فلا داعي للقلق بشأن الرزق، بل عليكم بالسعي والأخذ بالأسباب، ولاحظ أنه بعدما ذكر بعض مظاهر كمال قدرته تعالى جاء جواب القسم الثاني بوصف يوم الدين بالواقع، فالقادر على رزق العباد والتكفل بأمور معيشتهم، قادر على بعثهم وجزائهم.

فالمقدمة إذاً تبرز بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى المتعلقة برزق العباد، لتدعو من خلالها إلى الإيمان بقدرته تعالى على البعث، ومن أهم هذه المظاهر الرياح الذاريات التي سميت السورة بها.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان مصير المكذبين والمؤمنين في يوم القيامة، ولم يخل السياق من بيان مظاهر كمال قدرة الله تعالى أيضاً: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ، وقد قدم السياق ذكر مصير الكافرين لأنه أنسب للسياق، ولاحظ أولاً: التأكيد بالقسم على قدرة الله تعالى بالسماء ذات الحبك، وهو إما أن يكون وصفاً لمدارات الكواكب والنجوم فيها، وكأنها محبوكة حبكاً، أو وصفاً للسحب حين تجمعها وكأنها محبوكة أيضا ـ ولعل هذا القول أقرب للسياق ـ ولاحظ ثانياً: وصف قولهم بالمختلف، وهو وصف مقابل لوصف السماء بالحبك الدال على الانتظام، ولاحظ وصفهم أيضاً بالإفك والخرص، وهي أوصاف تقابل وعد الله تعالى برزقهم بالصادق، و لاحظ ثالثاً: أنهم تمتعوا وترفهوا في هذه الدنيا حتى غفلوا وسهوا عن الذي يرزقهم سبحانه وتعالى، وأنكروا يوم الدين، فكان مصيرهم فيه أن يعذبوا بالنار جزاءً لهم.

وذكر السياق مصير المتقين العاملين لهذا اليوم: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ، ولاحظ أن السياق يركز على موضوع الرزق حتى فيما يتعلق بنعيم أهل الجنة، فهم آخذون ما آتاهم الله فيها من رزقه،

---

(١٨٩) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٦، وبيان مصير المكذبين والمتقين يوم القيامة: ٧- ٢٣، والعرض القصصي: ٢٤-٤٦، والخاتمة: ٤٧- ٦٠.

ولاحظ بيان أنهم كانوا يعملون ويستعدون لذلك اليوم لأنهم يؤمنون به، ولم يغفلوا عمن كان يرزقهم، بل أظهروا موقف الشكر له بقيام الليل، والاستغفار، ومعلوم أن الاستغفار من أسباب الرزق، ولاحظ أنهم كانوا يؤدون حقوق السائل والمحروم من أموالهم التي رزقهم الله إياها، فهم لم يغفلوا ويتمتعوا بأموالهم حتى نسوا الرزّاق وأنكروا الآخرة كما فعل من ذُكر قبلهم.

وقد أعاد السياق ذكر مظاهر قدرة الله تعالى فيما يتعلق برزق العباد، فقد هيأ الأرض لتناسب حال البشر في السعي لكسب أقواتهم، وجعل فيهم القدرة الكاملة على العمل والكد والسعي، ولاحظ القسم على صدق وعد الله بالرزق، وهو قسم لم يتكرر في القرآن على هذه الصيغة، فكما أن الله تعالى القادرَ جَعَلكم تنطقون، فكذلك هو القادر على التكفل برزقكم وأمور معيشتكم، أفلا يكون قادراً بعد ذلك على بعثكم ومحاسبتكم؟

فمن الملاحظ إذاً أن السياق يؤكد حقيقة قدرة الله تعالى على البعث من خلال بيان قدرته رزق العباد، وهو أمر لا يخفى انسجامه مع دلالة اسم السورة.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصصي متنوع، وهو أيضاً يبرز بعض مظاهر قدرة الله تعالى، خصوصاً ما يتعلق بالرزق: ﮊ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮋ، ولاحظ كمال توكل إبراهيم عليه السلام على رازقه، فقد جاء بعجل سمين ليقربه إلى ضيفه، ثم بشرت الملائكة إبراهيم و امرأته بأن الله سيرزقهما بغلام عليم، مع كونها عقيماً، وزوجها شيخ كبير.

وبرزت مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك قوم لوط بحجارة من طين، وذلك لأنهم أعرضوا عن الطريق الحلال الذي هيأه الله لهم ليرزقهم بالنسل، فقد تركوا الزواج بالنساء وفضلوا إتيان الرجال شهوة.

وأما قصة إهلاك فرعون فهي تبرز قدرة الله في إهلاك هذا الطاغية الذي كان يزعم أنه الرب الأعلى، فلو كان يملك من أمر رزقه ـ قبل رزق الناس ـ شيئاً لدفع عن نفسه الهلاك، وأما قصة عاد وثمود وقوم نوح فهي تبرز مظاهر قدرة الله تعالى وبشكل منسجم مع سياق السورة من أكثر من جانب، فهم أولاً قد أَمَروا أقوامهم باستغفار الله تعالى والتوبة إليه ليرزقهم الله ويمتعهم متاعاً حسناً، وهذا أمر أخبرت عنه سور أخرى كسورة هود، ولكن الأقوام أعرضوا فاستحقوا العذاب.

وثانياً: ذكر إهلاك عاد بالريح العقيم متلائم مع دلالة اسم السورة، فالله تعالى قادر على جعل الريح مُهلكةً للأقوام المكذبة، كما هو قادر على جعلها سبباً للرزق بما تذروه من السحب وحبوب اللقاح وغيرها، وثالثاً: كذلك ذكر إهلاك ثمود بالصاعقة، فالله تعالى قادر على جعل الريح تحمل السحب المهيأة للعذاب، فإذا رآها القوم المكذبون ظنوها عارضاً ممطرهم، فإذا بها العذاب الأليم، وهو سبحانه قادر على جعل الريح أيضاً تسوق السحب المحملة بالأمطار التي تغيث العباد، كما هو قادر على جعل هذه السحب المحملة بالمطر عذاباً لإهلاك المكذبين كقوم نوح، وقادر على إنجاء نوح وأهله كما هو قادر على تسيير السفن في البحار.

إذاً فالقصص القرآني المعروض في هذه السورة يسهم في التأكيد على محور السورة، من خلال بيان بعض مظاهر قدرة الله تعالى المتعلقة بالرزق، وهو أمر مترابط مع دلالة السورة.

رابعاً: جاء في خاتمة السورة تأكيد على كل ما سبق، فقد أعادت الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى من خلال ذكر بعض مظاهر قدرته فيما يتعلق بالرزق: ﮋ □ ﯤ ﯥ ﯦ □ ﮊ.

وكما افتتحت السورة بذكر بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى في تهيئة أسباب الرزق للعباد، لتدعو من خلال ذلك إلى الإيمان باليوم الآخر، ختمت بالتأكيد على كونه تعالى هو الوحيد القادر على رزق عباده، وبالتالي هو وحده المستحق للعبادة، وحذرت من التكذيب باليوم الآخر: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ. وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثانياً: سورة النجم

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى القسم بالنجم الذي يكون في السماء في حال هويِّه، على أن النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي والعلم من ربه تبارك وتعالى، فهو صلى الله عليه وسلم ليس بضال ولا غاوٍ، والقسم بالنجم في حال هويِّه يعطي دلالة بطلان عبادة الكواكب والنجوم التي كان يقوم بها بعض المشركين، لا سيما «الشعرى» وهو مذكور في السورة ولم يذكر في سورة أخرى [١٩٠]، كما أن هذا القسم يعطي دلالة على أن مَن جعل للنجم مساراً يهوي به، قادر على خرق قوانين السماء وأن يعرج بعبده صلى الله عليه وسلم فيخترق السماوات السبع، حتى يصل إلى سدرة المنتهى.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجها لربط اسم هذه السورة بمحورها وبموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تتمحور حول بيان صدق الوحي الذي جاء بهذه العقيدة وبيان وثاقته، وبيان وهن عقيدة الشرك وتهافتها، وأن القسم بهوي النجم مهما كان عظيماً يدل على دحض عقيدة الشرك، فالنجم يهوي ويتغير مقامه، فلا يكون معبوداً، ومن جهة أخرى يشابه هوي النجم وما ينتج عنه من نور حسي، يشابه نزول القرآن من السماء وما فيه من نور معنوي [١٩١].

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: بيان أن ما يوحي الله تعالى به إلى الأنبياء من العلم حق، وأن الحقائق التي يدعو إليها الوحي ـ والتي أهمها

---

(١٩٠) قد أشار سيد قطب إلى أن اسم السورة يدل على بطلان عبادة الكواكب، لا سيما الشعرى: **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٤٠٦.

(١٩١) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٠٣، وقد فسر هوي النجم بالشهب المنقضة على مَن يسترقون السمع من الشياطين، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٣١٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٤٠٥، ٣٤٠٦، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٧، ص ٨٨- ٩٢، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٤٨٦، ٤٨٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢٧٠- ٧٢٧.

التوحيد ـ حق، وأن ما سواه جهل وضلال، ولما كانت حادثة المعراج بالنبي صلى الله عليه وسلم أدل ما في السورة على صدق الوحي الذي يتلقاه صلى الله عليه وسلم من ربه، أقسم تعالى بالنجم في حال هويِّه ليدل على أن مَن جعل له مساراً يهوي فيه، قادر على أن يعرج بعبده صلى الله عليه وسلم في السماوات السبع ويخرق قوانينها، وبذلك تتحقق الدلالة على صدق الوحي بأبلغ صورة، ومن جهة أخرى يدل القسم بهوي النجم على بطلان عقيدة الشرك، فالكواكب والنجوم لا تكون معبودة لأنها تنتقل وتتغير أماكنها. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السورة بأنها **سورة إثبات حقيقة الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأجلى صورة حينما عُرج به إلى السماوات السبع وأوحى إليه ربه بما أوحى.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز التناسق التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام الأول: مقدمة تحوي قسماً بالنجم إذا هوى على أن ما يتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي والعلم حق، والثاني: إبطال الشرك بمختلف صوره وبيان أنه ناشئ عن جهل المكذبين، مع بيان بعض حقائق الوحي وما يأتي به من العلم من الله تعالى، والثالث: الخاتمة المؤكدة لما سبق (١٩٢).

أولاً: جاء في مقدمة السورة قَسم من الله تعالى بالنجم في حال هويِّه على أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بصاحب ضلال ولا غواية، إنما هو يتلقى وحيه عن الله عز وجل: ژ ٱ ٻ
ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ
ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ
ژ، ولاحظ بيان أن نطقه صلى الله عليه وسلم بما يتعلق بأمور التشريع إنما هو وحي من الله تعالى، ولاحظ بيان أنه يتلقى الوحي والعلم من لدن جبريل عليه السلام، وبيان مقام القرب هذا الذي حازه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحزه أحد من قبله، هو أبرز تجليات قوله تعالى في سورة الطور السابقة عنه صلى الله عليه وسلم (فإنك بأعيننا).

فبعد أن بين سبحانه أنه صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي والعلم عن جبريل، وجبريل يتلقى عن الله عز وجل، وأنه صلى الله عليه وسلم ذو مقام سامٍ عند الله تعالى، لم يعد هناك شك في كونه صلى الله عليه وسلم صادقاً فيما يبلغه عن ربه، ولم يعد هنالك مجال لاتهامه بأي من التهم الباطلة التي يدعيها المشركون المكذبون.

وقد أقسم سبحانه على هذه الحقائق بالنجم إذا هوى، ليدل على أن الله الذي جعل للنجم مساراً يهوي به، قادر على خرق قوانين السماء وأن يعرج بعبده صلى الله عليه وسلم في السماوات السبع ويصل إلى مقام القرب، ومن دلالات هذا القسم أيضاً أن ما يدعيه المشركون من عبادة الكواكب والنجوم باطل.

وقد أكد السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام قد رأى من آيات الله الكبرى، ولم تكن رؤيته رؤيا نائم، بل رؤية يقظان ما زاغ البصر منه وما طغى.

---

(١٩٢) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-١٨، وإبطال الشرك وبيان بعض حقائق الوحي: ١٩- ٥٥، والخاتمة: ٥٦- ٦٢.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان أن ما يقوم به المشركون المكذبون من عبادة الأصنام وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، إنما هو راجع إلى جهلهم وضلالهم: ژ ھ ے ے ۓ ۓ
ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ۇ ۆ ۈ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ﯗ ﯘ ۆ ۉ ې ې ى ى ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □□
□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ بيان أن تسمية هذه الأصنام بالآلهة ليس له وجه حق، إنما هو جهل وضلال وهوى وظن باطل تلقوه من آبائهم، ولاحظ قوله تعالى (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) المشير إلى الوحي، فقد جاءهم العلم والوحي الصادق من ربهم، ففيم إصرارهم على ضلالهم؟

ثم انتقل السياق إلى إبطال وجه آخر من وجوه الشرك الجاهلية، وهو فيما كانوا يعتقدونه بالملائكة الكرام: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ ٱ ب ﭒ ﭓ پ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ
ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ژ
ژ، فالملائكة الكرام ليسوا إلا عباداً لله عز وجل، لا يملكون من أمرهم شيئاً بل هم مطيعون لربهم سبحانه وتعالى، ولاحظ بيان أن تسمية الجاهليين الملائكة تسمية الأنثى،وزعمهم أنهم بنات الله، إنما هو اعتقاد ناشئ عن جهلهم وظنهم الباطل أيضاً، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

فالملاحظ إذاً أن السياق يثبت أن العلم الذي يأتي من طريق الوحي هو الحق فقط، وأن ما عداه جهل وظن وضلال، وهذه الحقيقة التي أقسم الله عليها بالنجم إذا هوى، وجعل من هذا القسم اسماً للسورة ليدل عليها.

وفي سياق الرد على شبهات المشركين المكذبين واعتقاداتهم الباطلة، بين السياق أن الله عز وجل له ما في السماوات والأرض، وأنه واسع المغفرة، وأنه هو الذي ينشئ الإنسان جنيناً في بطن أمه، وبالتالي فالله وحده المستحق للعبادة.

ثم انتقل السياق إلى عرض موقف آخر يبرز جهل المشركين المكذبين: ژ ۋ ۋ ې ې ﯦ
ﯧ □ ی ی
ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فهذا المكذب الذي يمنع الخير عن الناس، إنما دفعه جهله وضلاله إلى ذلك، ولو أنه آمن بما جاء به وحي الأنبياء من العلم لما منع خيره عن أحد، ولاحظ التفصيل في ذكر ما جاء في صحف موسى وإبراهيم عليهما السلام، ليتلاءم ذلك مع المحور المذكور للسورة، وهو أن ما يأتي عن طريق الوحي من العلم هو الحق، وما عداه جهل وضلال.

وقد ذكر السياق بعض ما جاء في هذه الصحف من العلم، وذكر منها ما يتعلق بالحقيقة الكبرى التي ينزل الوحي من أجلها، ألا وهي التوحيد: ژ ٱ ب ﭒ ﭓ ﭔ پ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ
ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ژ، فالسياق يبرز بعض مظاهر قدرة الله تعالى في خلق أصل الإنسان، وبيان قدرته تعالى على إهلاك المكذبين، وقدرته على بعث الخلق ليوم الحساب، ولاحظ ذكر كونه تعالى رب الشعرى، ليتلاءم ذلك مع تسمية السورة بالقسم بالنجم في حال هويِّه، فالشعرى أحد النجوم التي لها مدار تهوي فيه، فلا تجوز عبادتها، بل المعبود بحق هو مَن خلقها وجعل لها مسارها.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فكما افتتحت السورة بالقسم بالنجم إذا هوى على أن الوحي والعلم الذي يتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه حق، وأن حقيقة التوحيد ـ التي هي أهم حقائق الوحي ـ حق، وأن ما عدا الوحي جهل وضلال، ختمت ببيان أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو كمن سبقه من الأنبياء يتلقى العلم والوحي عن الله، وببيان أن ما يدفع المشركين إلى التكذيب إنما هو جهلهم وضلالهم، وقد دعتهم السورة إلى ترك التلهي وعبادة الله الواحد: ژ ژ ڑ ک ڑ ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ہ ژ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثالثاً: سورة القلم

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة على أرجح الأقوال لأمرين اثنين: أحدهما أن يكون القسم بالقلم عائداً على أداة الكتابة المعروفة، والقسم بما يسطرون إشارة إلى الكتابة، بمعنى أن الله تعالى يقسم بالقلم وما يكتبه الكاتبون على نفي تهمة الجنون عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا القسم إشارة لأهمية الكتابة والتعلم، والثانية أن يكون القسم عائداً على ما يكنى عنه بـ (القلم) من تعلق علم الله تعالى بالموجودات الكائنة والتي ستكون في اللوح المحفوظ، والقسم بـ (ما يسطرون) إشارة إلى ما سطرته الملائكة في ذلك اللوح المحفوظ، وفي هذا القسم إشارة لكمال علم الله تعالى بالغيب ومُلكه لمقاليد الأمور (١٩٣). وقد ترجح لدي بعد النظر في سياق السورة أن الوجه الثاني هو الأقرب للصواب، وسأبين أسباب الترجيح إن شاء الله.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين دلالة اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيت قلبه، وإثبات براءته من تهمة الجنون التي افتراها عليه الجاحدون، وقد أقسم سبحانه بالقلم وهي أداة الكتابة المعروف كونه يبين المعارف فيما يكتب به الكاتبون، وفي ذلك تنويه لأهمية الكتابة، أو كونه يشير إلى ما كان يسطره كتبة الوحي من القرآن، على أن النبي صلى الله عليه وسلم بريء من الجنون كونه هو المهتدي لحيازته العلم وتقبل القرآن والتخلق بالفرقان، فكأن السورة تحتضن النبي صلى الله عليه وسلم والحفنة المؤمنة معه، وتسري عنه وتثني عليه بإبراز العنصر الأخلاقي الذي يتمثل به صلى الله عليه وسلم (١٩٤).

---

(١٩٣) من المفسرين الذين اعتمدوا أن يكون القسم (بالقلم وما يسطرون) يشير إلى أهمية الكتابة والتعلم: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٩، ص ٨٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٦٥٠، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٩، ص ٦٠، معتبراً (أن ما يسطرون) إشارة إلى ما يكتبه كتبة الوحي من القرآن حين تنزله على النبي ٨، ومن المفسرين من ذكر القول الثاني دون ترجيح: الطبري، **جامع البيان**، ج ١٠، ص ٨١٣٥، والزمخشري، **الكشاف**، ج ٤، ص ٥٧٢، والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٣٠، ٧٨،والآلوسي، **روح المعاني**، ج ١٥، ص ٢٨.

(١٩٤) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٩، ص ٨٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٦٥٠- ٣٦٥٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٩، ص ٦٠، ٦١، وأ.د مسلم، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص٢٩٠. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: نفي فرية الجنون عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال بيان بعض مظاهر كمال علم الله تعالى بالغيب والتدبير الإلهي الغيبي بالخفاء الدال على أنه وحده بيده مقاليد الأمور، ولما كان القسم بالقلم الذي يدل على ما يسطره الملائكة بأقلامهم في ذلك اللوح المحفوظ الدال على كمال علم الله بالغيب أدل ما في السورة على المحور المذكور، اتُّخذ من القسم بالقلم اسمٌ للسورة ليدل عليه. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم في أول السورة بأنها **سورة نفي فرية الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم من خلال بيان كمال علم مُرْسله سبحانه وتعالى.**

وبتأمل موضوعات السورة يظهر الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة موضوعات: أولها: مقدمة تحوي قَسَماً بكمال علم الله تعالى بالغيب على نفي فرية الجنون عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وثانيها: تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والرد على المكذبين من خلال بيان بعض مظاهر كمال علم الله بالغيب وبعض مظاهر تدبيره الخفي، وثالثها: الخاتمة المؤكدة لما سبق (١٩٥).

أولاً: جاء في المقدمة قسم بما تسطره الملائكة بأقلامها في اللوح المحفوظ على أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بريء من تهمة الجنون: ژ ڈژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ۂ ۂ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓژ، ولاحظ الفعل (يسطرون) الدال على الاستمرارية، لأن علم الله تعالى مستمر لا يتوقف ولا ينتهي، ولاحظ ثانياً: قوله تعالى (بنعمة ربك) المؤكدة بالباء، فما ينزل عليك من الوحي إنما هو نعمة من الله تعالى عليك، فأنى يصلك الجنون، ولاحظ تأكيد نفي الجنون بحرف الباء، ولاحظ ثالثاً: الإشارة إلى علم الغيب في قوله (وإن لك لأجراً غير ممنون)، وكذلك في قوله (فستبصر ويبصرون) وهما عبارتان تدلان على المستقبل بلا شك.

وقد أكد السياق نفي فرية الجنون ببيان أنه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم، ومَن كان على خلق عظيم لا يكون مجنوناً، وفي المقابل وُصف المكذبون بأنهم مفتونون وضالون.

أما الذي دفعني إلى اعتبار أن القسم بـ (والقلم وما يسطرون) يعود على ما تسطره الملائكة في اللوح المحفوظ الدال على كمال علم الله تعالى بالغيب، فقد ذكرت بعض ذلك في الحاشية السابقة، وسيأتي ذكر بعض مظاهر تدبير الله الخفي في الغيب في قصة أصحاب الجنة، والإشارة إلى إنجاء يونس عليه السلام من الحوت. فكأن السورة توحي بأن الله المتصف بكمال العلم والتدبير الخفي الدال على أن مقاليد الأمور بيده، لا يمكن أن يوصف رسوله بالجنون، وأعتقد أن التفسير بهذا الوجه أنسب للسياق من الوجه الثاني الدال على أهمية الكتابة.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، وأن لا يثنيه ما يجده من قومه من التكذيب والاتهام الباطل عن الاستمرار في الدعوة: ژ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟژ، ولاحظ الإشارة إلى كمال علم الله بالغيب، من خلال بيان ما

---

(١٩٥) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٧، وتثبيت النبي ٨ والرد على المكذبين: ٨- ٤٣، والخاتمة: ٤٤- ٥٢.

يكنُّ في صدور المكذبين من وُدِّهم أن يداهنهم النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون ذلك باباً لهم كي يثنوه شيئاً فشيئاً عن دعوته.

ومن مظاهر كمال علم الله تعالى بالغيب أيضاً وتدبيره لمقاليد الأمور حسب إرادته، بيان مصير هذا الحلاف المهين، الموصوف بتسع صفات ذميمة: ژ ٱ ٻ ٻ ٹ ژ، فقد علم سبحانه في علمه القديم بمصير هذا المكذب.

ولكي يكتمل النسق، عرض السياق قصة أصحاب الجنة، وهي أيضاً تبرز بعض مظاهر كمال علم الله بالغيب، وتدبيره الخفي لمجازاتهم: ژ ٹ پ پ ڀ ڀ ٻ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤژ، فقد علم سبحانه بنيتهم السرية الخبيثة، وجازاهم بأن جعل جنتهم كالصريم وهم نائمون، لأنهم أرادوا حرمان المساكين خفية، فحرمهم الله من ثمرات جنتهم خفية.

وقد استدل السياق بما جاء في هذه القصة من مظاهر كمال علم الله تعالى على الرد على المكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم الذي يتهمونه بالجنون: ژ ۆ ۈۈ ۇ ۋ ۋو و ۋ ۋ ې ې ې ې □ ى ى ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ كيف كان الرد عليهم ببيان جهلهم، في مقابل بيان كمال علم الله تعالى الذي أقسم عليه أول السورة، فجَعْلُ المسلمين متساوين في مصيرهم مع المجرمين متناف مع الحكمة، وهم بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم واتهامه كأنهم يريدون أن يتحقق هذا التساوي، ثم لاحظ دعوتهم إلى إبراز كتابهم الذي فيه يدرسون إن كانوا صادقين، وكأن السورة تقول: قد أقسمنا باللوح المحفوظ لدينا وبما يسطر الملائكة فيه بأقلامهم على براءة نبيكم من فرية الجنون، وبرز بذلك بعض مظاهر كمال علمنا بالغيب، وذكرنا بعض مظاهر تدبيرنا الخفي الدالة على أن مقاليد الأمور بأيدينا، فأتونا بكتابكم! أم تزعمون أن لكم أيماناً بالغة إلى يوم القيامة، أيّكم يزعم ذلك؟

وقد أكد سبحانه أن بيده مقاليد الأمور وأنه ذو القدرة المطلقة من خلال بيان ما في القيامة من الأهوال: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻٻ پ پ ڀ ڀ پ ڀ ڀژ، فقد بين السياق أنه يوم تشتد أهوال القيامة لن تنفعهم آلهتهم شيئاً، وحينئذ لا تنفع الحسرة لأنهم كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون.

فالسياق كما تلاحظ يدل على نفي فرية الجنون عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ويبين صدقه ويثبته في دعوته، وذلك من خلال بيان بعض مظاهر كمال علم الله تعالى بالغيب، وبعض مظاهر تدبيره الخفي، وكأن السياق يقول: إن الله الذي قد علمتم صفاته، لا يمكن أن يكون رسوله متهماً بالجنون كما تزعمون. وبذلك تدحض فريتهم بأبلغ رد.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد على ما سبق، فقد أعادت ذكر بعض مظاهر كمال علم الله تعالى بالغيب وتدبيره الخفي لمجازاة أعمال الخلق، لتؤكد على براءة النبي صلى الله عليه وسلم: ژ ٺ ٺ ٺ ٿٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃژ.

وكما افتتحت السورة بالقسم بما تسطره الملائكة في اللوح المحفوظ بأقلامها، الدال على كمال علم الله تعالى بالغيب، على أن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بريء من فرية الجنون، ختمت كذلك بذكر بعض مظاهر تدبيره الخفي الدال على كمال علمه بالغيب، ليستدل بذلك على نفي فرية الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ، فالله الذي أرسلك هو صاحب العلم التام والقدرة الكاملة، وبيده مقاليد الأمور، فاصبر لحكمه ولا تلتفت إلى افتراءاتهم الباطلة. وهكذا التقى البدء والختام على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

رابعاً: سورة المرسلات

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الراء والسين واللام: أصل واحد مطّرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد »، وقد زاد الإمام الأصفهاني رحمه الله: « والإرسال يكون الإنسان، وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة، وقد يكون ذلك بالتسخير كإرسال الريح والمطر » (١٩٦)، فاستخدام صيغة اسم المفعول لوصف الرياح المرسلة يعطي دلالة كمال الانقياد والطاعة لمرسلها سبحانه، وأما الدلالة السياقية فتدل على وصف الرياح التي يرسلها الله تعالى بأمره حيثما يشاء وكيفما يشاء، فيجعلها سبباً من أسباب رزق العباد بما تسوقه من السحب المحملة بالغيث، فيحيي به الأرض بعد موتها.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن المحور الذي تدور حوله هذه السورة هو إثبات اليوم الآخر من خلال بيان ما له تعالى من القدرة على إنبات النبات، وإنشاء الأقوات، فالسورة تسهم في تصحيح موازين القيم في حياة الناس، وبخاصة فيما يتعلق بالاعتقاد باليوم الآخر الذي هو حجر الأساس في العقيدة السماوية، وهو أيضاً حجر الأساس في تصور الحياة الإنسانية، فاسمها «المرسلات» إن كان يدل على تتابع إرسال الملائكة بمهامهم الخاصة بهم، يدل على تتابع أحداث يوم القيامة ومواقفه المذهلة، وإن كان الاسم يدل على الرياح المرسلة فهو يدل على بيان قدرة الله من إنبات النبات وإنشاء الأقوات (١٩٧).

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر من خلال بيان بعض مظاهر قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة والبعث، ولما كانت الرياح التي تسوق السحاب الماطر لإحياء الأرض بعد موتها أدل ما في السورة على تلك المظاهر، اشتُق من إرسال الله تعالى لها حيث يشاء اسمٌ للسورة ليدل على المحور المذكور.

---

(١٩٦) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٤٠٢، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٣٥٣. وهو يرى أن المرسلات هي الملائكة لا الرياح.

(١٩٧) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٨٢، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٢٨١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٧٨٩- ٣٧٩٠، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ٥٣٧. والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٤٩٣- ٤٩٥، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

وسأبين أسباب ترجيح أن يكون اسم السورة وصفاً للرياح لا الملائكة بعد قليل إن شاء الله. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم في أول السور بأنها **سورة إثبات اليوم الآخر من خلال بعض مظاهر قدرة الله على الإحياء والإماتة.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تحوي قسماً على أن اليوم الآخر واقع لا محالة، ثم عرض لمشاهد وأهوال من يوم القيامة تبرز مصير الكافرين والمؤمنين في ذلك اليوم، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق [١٩٨].

أولاً: جاء في المقدمة قسم بآيات الله الكونية وآياته المتلوّة المتمثلة بوحيه إلى الأنبياء على أن يوم القيامة واقع لا محالة:

ژ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ژ، وأعتقد أن الآيات الأربع الأولى تشير إلى دور الرياح في تجميع السحاب أو نشره وتفريقه حسب إرادة الله تعالى، أما الآيتان الخامسة والسادسة فهي تشير إلى دور الملائكة في إلقاء الوحي على الأنبياء والرسل، ليكون في ذلك إعذار من الله تعالى للناس وإنذار لهم. وهكذا اجتمعت الآيات الكونية مع آيات الوحي للقسم على أن يوم القيامة واقع لا محالة.

فالرياح يرسلها الله متتابعة ويجعلها تعصف بالسحاب حتى تجمعه فيتراكم وينزل الغيث حيثما أراد الله، كما أنها تقوم بنشر السحاب وتفريقه في بقاع الأرض حسب إرادته سبحانه، ولاحظ وصف الرياح بالمرسلات، بصيغة اسم المفعول الدالة على أنها خالية من الإرادة، بل هي تسير وفق ما أراد مُرسِلها سبحانه ابتداءً، ثم أسند إليها الأفعال الثلاثة: العصف والنشر والفرق، على طريقة المجاز العقلي - إسناد الفعل إلى غير فاعله - فالله تعالى يرسلها ثم كأنه يجعل لها دوراً في باقي الأفعال، وكلٌّ حسبَ إرادته.

فإرسال الرياح لتجميع السحب ومن ثَمَّ نزول الغيث يمثل أعظم مظاهر الآيات الكونية التي يراها الناس عياناً كل يوم على قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة، فكما يحيي البلاد الميتة بالغيث فتخرج النبات، كذلك هو قادر على إحياء الموتى، ويشهد لهذا التفسير الإشارة في هذه السورة إلى الأرض وما فيها من الماء الفرات الذي يسقي الله به الناس، ثم إن آية الرياح وما ينتج عنها من حياة للبشر يراها الناس بشكل يومي، أشد ترابطاً مع دلالة قوله (ويل يومئذ للمكذبين) المتكرر عشر مرات في هذه السورة، من آيات الوحي الذي تلقيه الملائكة على الأنبياء والرسل، والله أعلم. ولذلك أرجح أن يكون اسم السورة «المرسلات» مشيراً إلى الرياح لا الملائكة.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض بعض أهوال يوم القيامة الذي يكذب به المكذبون: ژ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ژ، ولاحظ ذكر طمس النجوم، وأعتقد أنه متلائم مع حجب السحب التي تجمعها

(١٩٨) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٧، ومشاهد اليوم الآخر: ٨- ٤٤، والخاتمة: ٤٥- ٥٠.

الرياح لنور النجوم أحياناً، وكذا انفراج السماء متلائم مع فرق الرياح للسحب، وذكر نسف الجبال متلائم مع دور الجبال في إنزال المطر من خلال احتكاك السحب التي تسوقها الرياح بها. فالسورة تستشهد على أهوال يوم القيامة بآيات يراها الناس عياناً في حياتهم، ليكون ذلك أدعى لهم للإيمان بذلك اليوم. ولا يخفى ترابطها مع دلالة اسم السورة.

وقد قرر السياق حقيقة قدرة الله تعالى على بعث البشر للحساب، فكما أهلك المكذبين الأوائل وسيُتْبعهم بالمكذبين الأواخر، فكذلك هو قادر على بعث الجميع، وقد أكد السياق هذا المعنى أيضاً من خلال التذكير بأصل البشر: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹژ، ولاحظ وصف الماء بالمهين، ليكون ذلك أدل على كمال قدرة الله تعالى، فكما خلق الله تعالى البشر من هذا الماء المهين وقد كانوا عدماً، كذلك هو قادر على بعثهم بعد موتهم.

ثم أعاد السياق التذكير بآيات كونية يراها الناس يومياً في حياتهم، وهي متلائمة مع دور الرياح المرسلة: ژ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ ژ، فقد جعل الله تعالى الأرض جامعة لبني البشر جميعاً، فالأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها، وذلك يدل على قدرته على البعث بلا شك، ولاحظ ذكر الجبال الرواسي الشامخات، ومعلوم أن لها دوراً في إنزال الغيث من خلال اصطدام السحب التي تسوقها الرياح بها، وتعتبر الجبال مستودعات للمياه لأن الغيث ينزل عليها أكثر من أي بقعة ثانية في الأرض. وقد ذكرتُ تلاؤم ذكر الجبال مع أهوال يوم القيامة المذكورة أول السورة.

ومن اللطيف أن من الأهوال المذكورة يوم القيامة أن الله سيجعل للمكذبين ظلاً ذا ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب، وأعتقد أن ذكر ذلك متلائم مع ما ينتج عن تجمع السحب التي تسوقها الرياح من الظل، فالسورة كما ترى تستشهد على أهوال يوم القيامة بآيات يراها الناس بشكل يومي. فكما أنه قادر على خلق الظل في الحياة الدنيا ليستظل به الناس من الحر، قادر على جعل الظل يوم القيامة لا يغني من حر جهنم شيئاً.

وكما ذكرت السورة مصير المكذبين، ذكرت مصير المؤمنين في ذلك اليوم: ژ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ ذكر كونهم في الظلال، لكنها ظلال حقيقية تحقق لهم الرفاهية التامة، ولا يخفى تلاؤم ذلك مع الظل الناتج عن تجمع السحب، ولاحظ أنهم مأمورون بالأكل والشرب ليتحقق لهم الهناء، وأعتقد أن ذلك متلائم مع ما ينتج عن تجمع السحب ونزول الغيث من إخراج الأرض خيراتها من طعام وشراب. فدلالة اسم السورة كما ترى منسجم مع سياقها كله.

ثالثاً: وكما افتتحت السورة بالدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر من خلال ما يراه الناس من آيات كونية متعلقة بالرياح المرسلة، ومن خلال الآيات التي تلقيها الملائكة على الأنبياء والمرسلين، ختمت السورة بتهديد المكذبين بتلك الآيات بنوعَيْها: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ ژ، فالخاتمة تعيد تذكيرهم بأن طعامهم الذي يتمتعون به إنما هو ناشئ عن نزول الغيث من السحب التي تجمِّعها الرياح، ودعوتهم للركوع الذي هو مظهر عبادة وشكر لله تعالى، متلائم مع الآيات التي تلقيها الملائكة على الأنبياء والرسل الداعية إلى عبادة الله وشكره، وبذلك التقى البدء

والختام على محور الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر من خلال ما يراه الناس من مظاهر قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

خامساً: سورة البروج

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الباء والراء والجيم أصلان، أحدهما: البروز والظهور، والآخر الوَزَر والملجأ »، وقال الإمام الأصفهاني رحمه الله: « البروج: القصور، وبه سمي بروج السماء لمنازلها المختصة بها » (١٩٩)، فوصف نجوم السماء بالبروج يدل على أن الله تعالى خلقها على نحو بارز منيع ليُسْتدَل بها على عظمته تعالى وكمال قدرته، وهذا ما دلت عليه الدلالة السياقية لاسم السورة، فقد أقسم الله بالسماء التي خلق الله فيها هذه البروج، ليؤكد حقيقة أن خالقَ هذه البروج شاهدٌ على ما يجري في كَوْنه، وأنه قادر على إنزال بطشه بالظالمين، وأن ينعم المؤمنين في جنات النعيم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو تسلية المؤمنين بأن ما أصابهم من الفتن قد أصاب غيرهم ما هو أكثر منه، وأن الله تعالى قادر على تنعيم المؤمن الولي، وتعذيب الكافر الشقي، واسم السورة يدل على ذلك من أكثر من وجهة، فلما كانت الأخاديد خطوطاً جعلت في الأرض مستعرة بالنار لفتن المؤمنين، أقسم بما تضمنته السماء من بروج للنجوم تشبه مدارات متلألئة بأنوار النجوم الملتهبة على أنه منتقم من الظالمين، ومن جهة أخرى تتشابه بروج النجوم ذات المنازل العالية، مع حادث الأخدود الذي بلغ في الشناعة مبلغاً متطاولاً، ومن الممكن أن تكون دلالة القسم بهذه البروج مشتركة مع المنازل العالية للمؤمنين المفتونين الذين ماتوا شهداء (٢٠٠).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر من خلال بيان أن بطشَ خالقِ السماوات والأرض، والشهيدِ على ما يجري فيها، والقادرِ على بعث الخلق، أن بطشه واقع بالظالمين سواء في الدنيا أو في الآخرة، ولما كان القسم بالسماء ذات البروج دالاً على كمال علم الله تعالى وكمال قدرته، جعل من هذا القسم اسماً للسورة ليدل على المحور المذكور، وقد تميزت هذه السور عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السور بأنها **سورة بيان حقيقة وقوع بطش خالق السماوات والأرض بالظالمين دنيا وأخرى.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١٩٩) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ١٢٨، والأصفهاني، **المفردات**، ص ١١٥.

(٢٠٠) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٩٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٣٧٦، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٧١و ٣٨٧٢، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٢٣٧، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٨٧و ٨٨، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣٣١- ٣٣٣.

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام، أولها: مقدمة تحوي القسم من الله تعالى على أن انتقامه من الظالمين حاصل لا محالة، وثانيها: تعقيبٌ يؤكد وقوع بطشه تعالى بالظالمين في الدنيا والآخرة ونصره للمؤمنين، وثالثها: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٠١).

أولاً: جاء في المقدمة قسمٌ من الله تعالى ببعض مظاهر كمال قدرته على أن بطشه واقع بالظالمين لا محالة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ، فالقسم بالسماء التي جعل الله نجومها كالبروج لضخامتها وكثرة عددها وارتفاعها، يدل على أن مَن خلقها وجعل لها مدارات خاصة إله قدير، وكذلك القسم باليوم الموعود، وهو يوم القيامة الذي سيجازي الله فيه الخلائق بعد أن يبعثهم، وقد أقسم تعالى بذاته كونه شاهداً على فعلة أصحاب الأخدود، والأقسام الثلاثة تؤكد المحور المذكور.

ولاحظ جواب القسم الدال على أن نقمة الله تعالى وبطشه واقع بأصحاب الأخدود الذين فتنوا المؤمنين، وقد يسأل سائل: لمَ لمْ تذكر السورة أن الله تعالى قد انتقم منهم في الدنيا؟ والجواب أن دلالة القسم وجوابه تفيد أنه تعالى أخّر وقوع بطشه بهم إلى اليوم الآخر، وذلك أفظع من وقوعه بهم في الدنيا. ثم إن السورة ذكرت وقوع بطش الله تعالى بأقوام آخرين في الدنيا.

وقد بين السياق سبب استحقاقهم لنزول هذا البطش الإلهي بهم، فهم قد حفروا في الأرض أخدوداً وأضرموا فيه النار، وقعدوا ينظرون إلى المؤمنين وهم يحترقون فيها، وكأنهم يتمتعون بهذا المشهد الفظيع، وذكر أنهم شهود على فعلتهم متلائم مع بيان كونه تعالى شاهداً على ما يجري في كونه، إذاً فالمقدمة تبرز بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى، لتؤكد حقيقة وقوع بطشه بالظالمين، والقسم بالسماء ذات البروج يؤكد هذا.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى تعقيب يؤكد حقيقة وقوع بطشه تعالى بالظالمين، وأنه سبحانه سينصر المؤمنين: ﮋ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ، ولاحظ بيان مدى ظلم أصحاب الأخدود، فهم فعلوا فعلتهم بالمؤمنين لمجرد أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، ولاحظ بيان كونه تعالى مالك السماوات والأرض، ليدل على تمام قدرته، ولاحظ بيان كونه تعالى (على كل شيء شهيد) ليدل على كمال علمه.

وقد أكد السياق أن بطش الله تعالى سينزل بأصحاب الأخدود وغيرهم ممن فتن أهل الإيمان يوم القيامة، وأنه سيذيقهم من عذاب جهنم وما فيها من عذاب الحريق، فهما عذابان وليسا عذاباً واحداً، وتخصيص عذاب الحريق بالذكر متلائم مع فعلتهم بالمؤمنين، وأما أهل الإيمان فسيتحقق لهم النصر التام يوم القيامة بدخولهم الجنات، وذلك الفوز الكبير، ولا يعني ذلك أنه تعالى لن ينصر أهل الإيمان في الدنيا.

ولتأكيد حقيقة وقوع بطشه تعالى بالظالمين ونصره للمؤمنين، ذكر السياق بعض الصفات الإلهية المؤكدة لذلك: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ

(٢٠١) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٧، والتعقيب ببيان وقوع بطشه تعالى بالظالمين ونصره للمؤمنين: ٨- ١٦، والخاتمة: ١٧- ٢٢.

ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ، ولاحظ التأكيد بإن واللام، فبطشه تعالى شديد، أشد من بطش الظالمين، وهو سبحانه كما بدأ الخلق قادر على إعادتهم ليوم القيامة، ومع كونه تعالى ذا القدرة التامة والبطش الشديد، فهو سبحانه غفور ودود لمن تاب وآمن وأحسن عملاً، وذكر كونه تعالى ذا العرش، متلائم مع دلالة اسم السورة الدال على ضخامة نجوم السماء وارتفاعها، ولاحظ صيغة المبالغة (فعال) المؤكدة للمحور المذكور.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التذكير بوقوع بطش الله بالظالمين بذكر أنموذجين مشهورين: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ، وسبب اختصاص هذين الأنموذجين ـ فيما أعتقد ـ أن فرعون ادعى الإلهية، فبيان هلاكه هو وجنوده يدل على أن الله تعالى هو وحده ذو القدرة المطلقة، وأما ثمود فهم مشهورون بنحت الصخور في جبال، وهذا متسق مع حفر أصحاب الأخدود أخدودهم في الأرض، فكما أن الله تعالى قادر على إهلاك ثمود وهم أحذق قوم في نحت الصخور وظنوا أنها ستؤمنهم من عذاب الله ـ كما بينت سورةُ الحِجْر ـ قادر على إهلاك أصحاب الأخدود الذين حفروا أخدوداً في الأرض، وظنوا أنهم سينجون بفعلتهم ولن يحاسبوا.

وكما افتتحت السورة بالقسم ببعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى لتؤكد حقيقة وقوع بطشه بالظالمين، وأنه على كل شيء شهيد، ختمت ببيان كونه تعالى محيطاً بأعمال الكافرين وبتكذيبهم وسيجازيهم عليه، وببيان أن القرآن قد أخبر بوقوع بطشه تعالى بهم، وأنه تعالى لديه لوح محفوظ فيه علم كل شيء: ﮋ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة أبلغ دلالة.

سادساً: سورة الطارق

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

ذكر الإمام ابن فارس رحمه الله للجذر «طرق» أربعة أصول، يعنينا منها الأول والثاني: «أحدها الإتيان مساءً، والثاني الضرب»، وقال الإمام الأصفهاني رحمه الله: « الطارق: السالك للطريق، لكن خُصَّ في التعارف بالآتي ليلاً ... وعُبِّر عن النجم بالطارق، لاختصاص ظهوره بالليل » (٢٠٢)، فالدلالة اللفظية تعود لمعنيين، أحدهما مجازي كنائي، وهو أن يكون وصف النجم بالطارق عائداً على ظهوره ليلاً، والثاني حقيقي وهو ما ذكره أصحاب التفسير العلمي من أن وصف النجم بالطارق يعود إلى أحد النجوم العظيمة التي تسبح في الفضاء، وصيغة اسم الفاعل تعطي دلالة تمكن النجم من الطرق، وعند بعض المفسرين يكون هذا وصفاً لحال الشهب التي تطرق الشياطين المسترقة للسمع.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً من الربط بين اسم السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته

---

(٢٠٢) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٦٣٥، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٥١٨. بتصرف.

وبليغ حكمته وسعة علمه، وذلك ببيانها لبعض مظاهر قدرة الله تعالى، وقد كان النجم الطارق الثاقب أحدها، فدلالة القسم والمقسم عليه تدل على صدق القرآن في إخباره بتنعيم أهل الإيمان، وتعذيب أهل الكفران، وقد اشتركت موضوعات السورة ببيان بعض مظاهر الحفظ، ليتلاءم ذلك مع المقسم عليه (إن كل نفس لما عليها حافظ) (٢٠٣).

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر من خلال بيان بعض مظاهر علم الله الحفيظ في مخلوقاته صغيرها وكبيرها، وقد كان القسم بالنجم الطارق أدل ما في السورة على المحور المذكور، فسميت السورة به، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السور بأنها **سورة عرض بعض مظاهر علم الله الحفيظ، الدالة على قدرته على البعث.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام، أولها: مقدمة تحوي قسماً من الله عز وجل بحفظه السماء ونجومها على أن أعمال العباد محفوظة، ثانيها: بيان بعض مظاهر علم الله الحفيظ في خلق الإنسان، ثالثها: الخاتمة المؤكدة لما سبق(٢٠٤).

أولاً: جاء في مقدمة السورة قسم من الله تعالى ببعض مظاهر حفظه للسماء ونجومها، على أن أعمال العباد محفوظة أيضاً: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٺ ٿ ٿ ژ، وسواء كان الطارق هو النجم الذي يثقب بضوئه الظلام ويبرز للناس ليلاً، أو هو نجم ضخم كما يقول أصحاب التفسير العلمي، ولعله الوجه الأقرب لأن في السورة إشارات علمية لم تكتشف إلا حديثاً.

فكل هذه التفسيرات تدل على أن الله تعالى حفظ السماء ونجومها، فجعل لكل منها مساراً خاصاً به، مهما كان حجم هذا النجم هائلاً.

ولاحظ أن المقسم عليه بهذا القسم العظيم هو أن أعمال العباد محفوظة جميعاً، أكد ذلك أسلوب الحصر والقصر، وكأنه قال: ما من نفس إلا عليها حافظ يسجل أعمالها. ودلالة المقسم عليه تعود بلا شك إلى إثبات حقيقة اليوم الآخر، فالله تعالى حافظ لأعمال العباد في الدنيا، ثم يوم القيامة يجازيهم بها، كلٌ بحسب ما كُتب في صحيفته.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى تأكيد حقيقة اليوم الآخر من خلال التذكير ببعض مظاهر علم الله الحفيظ في أصل الإنسان: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ، ولاحظ التفصيل في بيان أصل هذه النشأة، فقد وصف السائل المنوي بالماء الدافق، هذا السائل الذي يزيد فيه عدد النطاف

---

(٢٠٣) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ٣٩٧، وقد فسر الطارق بالشهب المنقضة على مَن يسترق السمع من الشياطين، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٣٨٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٧٧، وأ.د مسلم، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ١٠٠. والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٥١١، ٥١٢، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٢٠٤) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٤، وبيان بعض مظاهر الحفظ في خلق الإنسان: ٥- ١٠، والخاتمة: ١١-١٧.

المنوية على ثلاثمائة مليون، يسهل حركتها باتجاه البويضة، ويحميها من ظروف الرحم الغير ملائمة، إلى أن يصل واحد فقط من هذه النطاف إلى البويضة ويلقحها، فالله تعالى الحفيظ يعلم ما في هذا السائل، وهو الذي يهيئ للنطاف الظروف المناسبة للوصول إلى البويضة [٢٠٥]، فقد حفظ الله تعالى تلك الحيوانات المنوية في الرحم حتى يصل أحدها إلى البويضة فيلقِّحُها.

إن الذي حفظ الإنسانَ وأصلُه من بويضةٍ ملقحة من حيوان منوي واحد، قادر على إرجاعه ليوم القيامة بعد أن تأكل الأرض جسده، ولاحظ أنه في ذلك اليوم تبلى السرائر، فالله تعالى يعلم بما يُسِرُّ الإنسان في نفسه من النوايا التي يخبئها عن غيره من البشر، وسيحاسبه عليها.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت ذكر بعض مظاهر علم الله الحفيظ في السماء والأرض: ﮋ ﯿ ﭞ ﭞ ﭢ ﭣ ﭤ ﭤ ﮊ ﮊ ﮌ ﮌ ﮎ ﮎ ﮐ ﮐ ﮊ، فقد أقسم الله تعالى بالسماء التي تُرجع بخار الماء الصاعد إليها غيثاً، فهو سبحانه يعلم كمية البخار الصاعد وكمية الماء النازل [٢٠٦]، وأقسم سبحانه بالأرض التي تتصدع بخروج النبات منها حال نزول الغيث، فهو يعلم أعداد هذه النباتات وجميع تفاصيلها، ولاحظ أن جواب القسم هو بيان أن الوعد بيوم القيامة قول فصل، وليس بالهزل، فالله تعالى الحفيظ بهذه المخلوقات حافظ لأعمال العباد، وسيجازيهم عليها.

وكما افتتحت السورة بالقسم بالسماء والطارق الدال على كمال علم الله الحفيظ على أنه حافظ لأعمال العباد التي سيجازيهم بها يوم القيامة، ختمت ببيان علمه وحفظه تعالى لكيد الكافرين، وسيجازيهم به يوم القيامة: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

سابعاً: سورة الفجر

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية إلى وقت الفجر، وهو وقت ابتداء ظهور نور الشمس حينما تأخذ ظلمة الليل في الانصرام، وهو وقت مبارك، فيه ينتهي وقت النوم، وفيه صلاة الفجر، ومن ثَمَّ يبدأ وقت الإقبال على أعمال الحياة، وكأنه يعلن عن الحياة بعد الموت، هذا إذا حُمل على المعنى العام، ومن المفسرين مَن خصص هذا الفجر بيوم محدد، وهو فجر يوم النحر الذي يكون فيه الحجيج بالمزدلفة، والذي دفعهم لذلك القسم بالليالي العشر، وقالوا هي ليالي العشر من ذي الحجة، وعلى كلا الاعتبارين فالقسم بالفجر والليالي العشر يدل على بديع صنع الله وسعة قدرته فيما أوجد من نظام لهذا الكون [٢٠٧].

---

(٢٠٥) النابلسي، أ.د محمد راتب، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الإنسان**، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ٢٠٠٥. ص ١٥٩.

(٢٠٦) النابلسي، أ.د محمد راتب، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الآفاق**، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ٢٠٠٥. ص ٤٤، وقد ذكر ثلاثة أوجه أخرى لتفسير الآية، لكن الوجه المذكور هو الأقرب لسياق السورة.

(٢٠٧) ممن اعتمد القول بأن الفجر المقصود هو الصبح أو صلاة الصبح: الإمام الطبري، **جامع البيان**، ج ١٠، ص ٨٦٠٩، والإمام الزمخشري، **الكشاف**، ج ٤، ص ٧٣٤، وممن ذكر القولين من دون ترجيح: الإمام ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٦٨٣، والإمام ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٣١٢.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو الاستدلال على يوم القيامة وما فيه من عذاب الكافرين، وأدل ما فيها على هذا المحور الفجر، لأنه يعلن عن يوم جديد وليل قد انقضى، وينتج عنه انبعاث النيام، فكأنه بعث جديد بعد موت متكرر، والقسم بالفجر وما تبعه من الأزمان يدل على بديع صنع الله تعالى وقدرته، وإن فُسِّر الفجر بفجر يوم النحر، دل على بعث الناس للحساب، كما يجتمع الناس لأداء الحج (٢٠٨).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة، فيقول إن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر، من خلال دلالة القسم بالفجر على أن الله تعالى هو خالق الزمن ومُسَيِّرهُ والقائم عليه، وهو الذي جعل فيه أوقاتاً مباركة، فمَنْ أحسن استغلالها فقدَّم لنفسه كانت له الجنة، ومَن أساء استغلالها كان له العذاب الشديد يوم القيامة، ولما كان القسم بالفجر يدل على بداية اليوم، والقسم بالليل إذا يسر يدل على نهايته، والقسم بالليال العشر والشفع والوتر يدلان على الأوقات المباركة، أقسم الله بها للدلالة على المحور المذكور، واختص الفجر لاسم السورة لأنه أكثر الأوقات بركة، وأكثرها دلالة على الحياة بعد الموت ويتجدد كل يوم وليس في موسم خاص كل عام. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها بموضوع القسم أول السور بأنها **سورة الدعوة إلى استغلال الأوقات المباركة التي هيأها الله للتقرب إليه بالعمل الصالح وتزكية النفس.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام، الأول: القسم بالزمن وما فيه من أوقات مباركة على أن يوم القيامة حق، والثاني: بيان هلاك الأمم المكذبة مع تعقيب وتوجيه، والثالث: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٠٩).

أولاً: جاء في مقدمة السورة قسم من الله تعالى الذي خلق الزمن، والذي جعل فيه أوقاتاً مباركة ينبغي استغلالها للتقرب إليه والاستعداد ليوم القيامة: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ژ، فالقسم بالفجر يدل على بداية اليوم، ويقابله القسم بالليل إذا يسري، الدال على نهاية اليوم، فهذان القسمان ـ فيما أعتقد ـ يعطيان دلالة على قدرة الله تعالى، فهو الذي يجعل اليوم يبتدئ بالفجر وينتهي بالليل على مدى الزمن.

وقد أقسم الله تعالى بما جعل في هذا الزمان من أوقات مباركة ينبغي استغلالها في التقرب إلى الله، وهذه الأوقات هي الليال العشر والشفع والوتر، وأعتقد أن تفسير هذه الليالي بالليالي العشر الأُوَل من شهر ذي الحجة، وتفسير الشفع والوتر بيومَيْ عرفة والنحر، فيوم عرفة هو

---

(٢٠٨) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤٠٠، وقد خص الفجر بيوم عرفة، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤١٣، وقد خص الفجر بيوم النحر، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ١٢٦، وقد فسروا الفجر بالصبح، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٣١٢، وقد ذكر الوجهين ولم يرجح، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣٣٤- ٣٣٦، وقد فسَّرا الفجر بالصبح.

(٢٠٩) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٥، وبيان هلاك الأمم المكذبة مع التعقيب والتوجيه: ٦- ٢٠، والخاتمة: ٢١- ٣٠.

التاسع ويوم النحر هو العاشر من ذي الحجة، أعتقد أن هذا التفسير هو الأقرب للصواب، وذلك لأن المخاطبين بالمقام الأول في هذه السورة هم المشركون في مكة، ولا يُستبعد أنهم يعلمون ميزة هذه الليال العشر فيما تبقى لديهم من دين إبراهيم عليه السلام، ولا يتعارض هذا مع كون السورة مكية، بل من أوائل السور المكية.

ويؤكد هذا ما جاء في السيرة النبوية من أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على القبائل التي تأتي مكة للحج أو العمرة، وفي بيعة العقبة الثانية خرج المسلمون من الأنصار من حجاج قومهم من أهل الشرك في موسم الحج، وواعدهم النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة وسط أيام التشريق (٢١٠).

ثم إن هذا التفسير مترابط مع السورة اللاحقة وهي سورة البلد، والبلد هو مكة المكرمة، وهي التي تؤدى فيها أعمال الحج كما لا يخفى.

إذاً فقد كان العرب يعرفون فضل هذه الأيام ويعرفون موسم الحج، لكنهم أساؤوا استغلاله وجعلوه موسماً للتجارة بدلاً من العبادة، ولاحظ التعقيب على القسم بقوله تعالى: (هل في ذلك قسم لذي حجر)، أي هل منكم ذو عقل يجعله يسارع باغتنام الأوقات المباركة فيتقرب إلى الله، ويمنعه عقله من الغفلة والتلهي والتكذيب باليوم الآخر.

فالمقدمة إذاً تدل على أن الله خالق الزمن والقائم عليه، وهو الذي جعل فيه أوقاتاً مباركة، وهو القادر على بعث العباد لمجازاتهم على أعمالهم.

ثانياً: ثم عرض السياق مصير بعض الأمم المكذبة، التي كذبت الرسل وكذبت بلقاء الله تعالى: ژ ڙ ڙ ٹ   ٹ ڈ ڈ   ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڦ ڦ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ڳ، لاحظ قوله تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك)، الدال على أن الله تعالى الذي خلق الفجر والليل وأقسم بهما ليدل على أنه خالق الزمان، هو الذي أهلك مَن سبق من الأمم المكذبة، ومن ناحية ثانية يدل هذا القول على تهديد قريش، فإن الذي جعل لهم أوقاتاً مباركة ينبغي استغلالها ـ كالليالي العشر ويوم عرفة ويوم النحر ـ هو الذي أهلك من سبقهم من الأمم المكذبة، فينبغي أن يكون هذا القسم دافعاً لهم ليحسنوا التصرف، فيؤمنوا ويعملوا للقاء الله.

ولاحظ أن السياق يركز في عرض مصير هؤلاء الأقوام الثلاثة على بيان أن اغترارهم بقوتهم هو الذي دفعهم للتكذيب، فقد وصف عاداً بكونها ذات العماد ليدل على ارتفاع مبانيهم، وبين أنهم لم يخلق مثلها في البلاد، وبين أن ثمود أوتوا من القوة ما يمكنهم من نحت الصخر فيجعلوها بيوتاً لهم، ووصف فرعون بذي الأوتاد ليدل على ارتفاع مبانيه، أو أن يكون الوصف عائداً على الأهرامات.

ولاحظ قوله تعالى: (الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد)، الدال على أن اغترارهم بقوتهم دفعهم إلى التكذيب بلقاء الله والطغيان والفساد، ولاحظ قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد)،

---

(٢١٠) ينظر: ابن هشام، عبد الملك (ت: ٢١٣ أو ٢١٨ هـ)، **السيرة النبوية**، ب ط، مجلد واحد، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٥. ص ٢١٤- ٢٢١.

وهو فيما أرى مترابط مع القسم بالفجر والليل إذا يسري، فالله تعالى هو خالق الزمان والقائم عليه، وهو عليم بما يفعله الظالمون ومحاسبهم عليه.

ثم انتقل السياق إلى تعقيب على عرض مصير الأمم المكذبة، وعرض حالة الإنسان الغافل عن الاستعداد للقاء الله كما يجب، فهو يعبد الله على حرف، فإن أكرمه الله ووسع عليه رزقه شكر، وإن ابتلاه وضيق عليه رزقه كفر: ژ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ژ، فبعد القسم بما يدل على أن الله هو خالق الزمان القائم عليه، وهو عليم بما يفعله الظالمون ومحاسبهم عليه، كان من المفترض أن يكون الإنسان شاكراً في حال الرخاء، صابراً في حال الشدة، ولاحظ بيان أنهم لا يكرمون اليتيم، ولا يحضون على طعام المسكين، وسبب طغيانهم هذا حبهم الشديد للمال، حتى اغتروا به ونسوا من رزقهم به، ولم يؤدوا حقه فيه.

فالملاحظ إذاً أن القسم بالفجر والليل إذا يسري، يعطي دلالة على قدرة الله تعالى كونه خالق الزمان والقائم عليه، فينبغي على الإنسان أن يستعد ويعمل للقاء هذا الخالق، لا أن يظلم نفسه بالكفر والطغيان.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فكما افتتحت بالقسم بالفجر للدلالة على قدرته على البعث، كما هو خالق الزمان والقائم عليه، عرضت الخاتمة بعض مشاهد اليوم الآخر لتأكيد قدرته تعالى على البعث والمجازاة: ژ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ژ، ولاحظ بيان أن الإنسان حينئذ يتحسر على ما فاته من التقديم لنفسه بالأعمال الصالحة، وأول ما يدخل في هذا السياق تفويت الإنسان استغلال الأوقات المباركة التي أقسم الله بها في المقدمة. وذكر عذاب هذا المكذب الغافل ووثاقه متلائم مع محور السورة من كونه تعالى خالق الزمان والقائم عليه، والمجازي للعباد بحسب أعمالهم.

وكما افتتحت السورة بالقسم بالفجر والليل إذا يسري وما جعل الله من أوقات مباركة ينبغي لأولي الألباب استغلالها للاستعداد للقاء الله، ختمت ببيان مصير من استغل حياته كما يجب وتقرب إلى الله بالطاعات حتى بلغ منزلة من التزكي يستحق بها دخول الجنة: ژ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ژ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة أبلغ دلالة.

ثامناً: سورة الشمس

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى القسم بالشمس، كونها أحد أبرز مظاهر كمال قدرة الله تعالى، على أن المفلح من آمن وزكى نفسه، وأن الخائب من كفر واتبع هواه. فالقسم بالشمس يدل على أن مَن خلقها وجعل الليل والنهار ناشئين عنها، هو الذي أنزل القرآن الحكيم، فمن اتبع هداه وتزكى كان من المفلحين، ومن كفر به واتبع هواه كان من الخائبين.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة إيقاظ النفس البشرية واستعداداتها الفطرية، ليتحمل الإنسان دوره في شأن نفسه، وتبعته في مصيرها، وربط ذلك بالقسم بالظواهر الكونية الدالة على الخالق، ولما كان من غرض السورة تهديد المشركين بأن يصيبهم مثل ما أصاب ثمود، قدّم بالقسم بأشياء معظمة وذكر من أحوالها ما هو دليل على بديع صنع الله تعالى، فهو المنفرد بالإلهية [٢١١].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان من خلال بيان أن المفلح من آمن بالوحي وزكى به نفسه، وأن الخائب من كفر بالوحي واتبع هواه، ولما كان القسم بالشمس وما تبعها يدل على أن من خلق هذه المخلوقات وجعلها دالة عليه، هو مَن أرسل الأنبياء بالوحي للناس ليؤمنوا بالخالق ويزكوا أنفسهم، فجعل من هذا القسم اسماً للسورة ليدل على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السور بأنها **سورة الدعوة إلى تزكية النفس باتباع هدى وحي خالق الشمس والقمر والسماء والأرض والليل والنهار، والترهيب من عقابه.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى قسمين، أولهما: القَسم ببعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى على أن المفلح من أمن وتزكى، وأن الخائب من كفر واتبع هواه، وثانيهما: تأكيد القِسم الأول من خلال عرض أنموذج لمن كفر واتبع هواه وبيان مصيرهم [٢١٢].

أولاً: جاء في مقدمة السورة قسم ببعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى، على أن مَن آمن بالوحي وزكّى به نفسه فهو المفلح، وأن من كفر بالوحي واتبع هواه فهو الخائب: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ، فقد أقسم الله بالشمس وهي آية النهار، وبالقمر وهو آية الليل، وهما آيتان يراهما الناس بشكل يومي، وهما من أدل الآيات على عظمة الخالق سبحانه، ولما أثبت القسم أن الله هو خالق الشمس والقمر، أقسم بالسماء عظيمة البناء ليثبت أن خالق هذه المخلوقات العظام واحد عظيم القدرة، وناسب عطف القسم بالأرض على القسم بالسماء، لبيان أن الذي بسطها وسهل السير فيها هو خالق السماء، وأخر القسم بالنفس كونها أقل المذكورات شأناً.

وقد اختص اسم السورة بالشمس دون غيرها كالسماء مثلاً مع أنها أعظم منها شأناً، لأن الشمس وما ينتج عن دوران الأرض حولها من الليل والنهار أدل آيات السماء على قدرة الله

---

(٢١١) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٣٧، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ٣٩١٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٣٦٦، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ١٤٥. والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٥٢٢، وشحاتة، **أهداف كل سورة**، ج ٥، ص ١٧٦- ١٨١، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٢١٢) القسم الأول شملته الآيات: ١- ١٠، والقسم الثاني: ١١-١٥.

تعالى بالنسبة للبشر، فالشمس آية عظيمة يراها الناس يومياً ولهم منها فوائد كثيرة في حياتهم، وإن كانت السماء أعظم منها شأناً.

ولاحظ جواب القسم الذي يبين أن الله ألهم النفس فجورها وتقواها، وذلك عن طريق الوحي، فمن آمن بالوحي واتبع أوامره واجتنب نواهيه، زكّى نفسه وكان من المفلحين، ومن كفر بالوحي ولم يلتزم بما جاء به من الأوامر والنواهي، فهو متبع لهواه ويدس نفسه في الضلال، وكان من الخائبين.

فالمقدمة كما ترى تثبت أن الخالق العظيم، الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة، هو الذي أرسل رسوله العظيم صلى الله عليه وسلم بالوحي، ليزكي به النفوس ويتحقق لها الفلاح، وأن من أعرض عن وحي الله العظيم، ستتحقق له الخيبة. وأعتقد أن هذا يتلاءم مع قوله تعالى في سورة البقرة الذي يؤكد هذه الحقيقة: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ژ.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض مصير أنموذج ممن كذب بالوحي واتبع هواه وكانت الخيبة مصيرهم: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ ڦ ڦ ڦ ڤ ڤ ڤ ڤ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ک ک ک ک گ گ گژ، وأعتقد أن اختصاص ثمود بالعرض يتلاءم مع محور السورة من حيث أن أمر نبيهم عليه السلام إياهم بعدم التعرض لناقة الله بسوء، يشابه ما جاء به الوحي من الأمر بعدم ارتكاب ما حرّم الله، ولاحظ أن السياق بين مصير تكذيبهم لنبيهم عليه السلام، وارتكابهم لما نهاهم عنه، فقد أرسل الله عليهم عذاباً مطبقاً فسواهم بالأرض، وهذا العذاب يتلاءم مع الآيات العظيمة الدالة على الله تعالى الـمُقسَم بها أول السورة، وكما أن الله القدير جعل الأرض مستوية ـ كما ذكر أول السورة ـ ليدل على عظمته، فكذلك تسويته لثمود بالأرض يدل على قدرته وعظمته.

وكما افتتحت السورة بالقسم بعدد من مظاهر كمال قدرة الله تعالى وعظمته، واختص منها الشمس اسماً للسورة، ليدل على أنه هو الذي يوحي للأنبياء ليتزكى من يؤمن، ختمت ببيان أن هذا الخالق العظيم هو القادر على إلحاق الخيبة بمن كذّب وأعرض عن وحيه، ولا يخاف من عاقبة إنزال عذابه بهم شيئاً. وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ دلالة.

تاسعاً: سورة الليل

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى القَسَم بالليل حال كونه يغطي الأشياء في ظلامه الدامس، والمراد من هذا القسم الدلالة على أن الله الذي خلق الليل يعلم ما يغطيه هذا الليل وما يجري فيه من أمور غيبية في الخفاء، وفي ذلك تأكيد على أنه تعالى يعلم جميع أعمال البشر وأنه قادر على مجازاتهم عليها.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة بيان التصرف الإلهي التام في النفوس بإثبات كمال قدرته، فالسورة تقرر حقيقة الجزاء والعمل، من خلال الإيحاء بما وراء تقلُّب الليل والنهار من يدٍ تدير هذا الفَلَك، فإن الذي يدير الفلك هكذا يدير حياة البشر، ولا يتركهم سدى ولا يخلقهم عبثاً، كما وأن الليل والنهار الذين أقسم الله بهما يتناسبان مع المقسم عليه وهو أن سعي الناس منه خير وشر، وهما مماثلان للنور والظلمة، وقد اختير القسم بالليل والنهار لبيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة (٢١٣).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: بيان بعض مظاهر شمول علم الله تعالى وإحاطته بأعمال البشر التي سيحاسبهم عليها الحساب التام يوم القيامة، ولما كان القسم بالليل والنهار والذكر والأنثى من المخلوقات دالاً على شمول وإحاطة علم الله تعالى، أقسم الله بها واختص الليل لاسم السورة لأنه أدل ما فيها على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السورة بأنها **سورة الدعوة إلى العمل الصالح مع صدق النية، والترهيب من عقاب خالق الليل والنهار وعالم الخفايا.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين محور السورة ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى قِسْمين، أولهما: القَسَم بالليل والنهار والذكر والأنثى على شمول علمه تعالى بأعمال البشر ومجازاته العادلة لهم كلٌّ حسب عمله، وثانيهما: تأكيد القِسْم الأول من خلال مصير من كذب وتولى و مصير من آمن واتقى يوم القيامة (٢١٤).

أولاً: جاء في القِسم الأول من السورة قَسم من الله تعالى يدل على علمه التام بأعمال البشر وقدرته على مجازاتهم عليها: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ تقديم ذكر الليل، لأنه أدل على كمال علم الله تعالى بما يغشاه من الأشياء والأحداث الخفية، ولاحظ عدم ذكر المفعول به لما يغشاه الليل وما يجليه النهار، ليؤكد حقيقة كونه تعالى عالماً بكل ما يجري في كونه ليلاً أو نهاراً، ولم يحدد السياق بيان نوع الذكر والأنثى، فهو وصف لكل المخلوقات، وفي هذا زيادة في الدلالة على المحور المذكور.

ولاحظ جواب القسم الذي يبين أنه تعالى عليم بأعمال البشر مهما اختلفت مقاصدها من خير أو شر، وبناء على ذلك فالله يجزي كلاً بحسب عمله، فيُيَسِّر للخير مَن عمل خيراً، وييسر

---

(٢١٣) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٤٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٢٠ و ٣٩٢١، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٣٧٧و ٣٧٨، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ١٦٩و ١٧٠. والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ص ٤٥٩، ٤٦٠، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٢١٤) القِسم الأول شملته الآيات: ١- ١٣، والقسم الثاني: ١٤- ٢١.

للشر من عمل شراً، ولاحظ التأكيد على أنه سبحانه بيده الدنيا والآخرة، وهذا يؤكد المحور المذكور.

ثانياً: وجاء في القسم الثاني تأكيد لما تقدم، وذلك ببيان مصير المكذب والمؤمن يوم القيامة، وبذلك يتجلى بيان شمول وإحاطة علم الله تعالى وكمال قدرته بأبلغ صورة: ژ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤژ، ولاحظ وصف المكذب المتولي بالأشقى، ووصف المؤمن المتزكي بالأتقى، مما يدل على أنه سبحانه يعلم من بلغ من دركات الشقاء حتى وصل إلى الوصف بالأشقى، وهو سبحانه يعلم من ارتقى بدرجات التزكية حتى بلغ إلى الوصف بالأتقى.

وكما افتتحت السورة بالقسم الدال على أنه تعالى يعلم جميع أعمال البشر وسيجازيهم عليها، وكان القسم بالليل أدل هذه الأقسام على ذلك، ختمت ببيان شرط قبول الأعمال عند الله ليجزي من قام بها وفق هذا الشرط بما يرضيه، وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور الذي دل عليه اسم السورة.

عاشراً: سورة الضحى

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الضاد والحاء والحرف المعتل: أصل صحيح واحد يدل على بروز الشيء»، وزاد الإمام ابن منظور رحمه الله: « الضَّحْوُ والضحوة والضحية: ارتفاع النهار... والضحى: حين تطلع الشمس فيصفو ضوؤها »، أما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى قسم الله تعالى بهذا الوقت الدال على ابتداء النهار على أنه تعالى ما ترك سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم منذ خلقه، وما كرهه منذ أحبه، وفي ذلك رد على امرأة من قريش زعمت أن الوحي انقطع عنه صلى الله عليه وسلم لأن ربه قد تركه بغضاً له (٢١٥).

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين دلالة اسم هذه السورة ومحورها، فذكروا أن مقصود هذه السورة بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم في عين الرضا دائماً، لا ينفك عنه في الدنيا ولا في الآخرة، وأن انقطاع الوحي لفترة ما ليست دليلاً على القِلى، بل هو ابتلاء له حكمة، فالسورة كلها تسرية وتسلية وترويح وتطمين له صلى الله عليه وسلم، واسمها دال على ذلك، لأنه قسم بأشرف أوقات النهار، وهو صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق، ونور الضحى الحسي يشبه نور النبي صلى الله عليه وسلم المعنوي، ثم إن الضحى بما يحمل من

---

(٢١٥) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٦١٣، وابن منظور: **لسان العرب**، ج ٩، ص ٢١، بتصرف، وحادثة تلك المرأة مع النبي ^ أخرجها الإمام البخاري رحمه الله في **الصحيح**، كتاب التفسير، برقم: ٤٥٦٩، والإمام مسلم رحمه الله في **الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، برقم: ٣٣٥٥.

دلالة الأنس بابتداء حركة الناس، متلائم مع تأنيسه صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة، أضف إلى ذلك ما في هذه السورة من ألفاظ ذات موسيقى سارية التعبير وشجية الإيقاع (٢١٦).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته على دعوته إلى ربه، من خلال بيان أن الله تعالى لم ولن يتخلى عنه، لا قبل البعثة ولا بعدها. وقد أقسم الله بالضحى لإثبات هذا المحور لأن دلالات هذا القسم تحقق الأنس له صلى الله عليه وسلم، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السور بأنها **سورة تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم**. كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل السورة يبرز الترابط التام بين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وبين آياتها، وفيما يلي بيان ذلك:

ﮋ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ، لاحظ القسم بوقت الضحى وهو أكثر أوقات النهار دلالة على الأنس ببدء حركة الناس بنشاط، وهو ألطف الأوقات وأكثرها دلالة على نفي الحر، ولعل ذلك يطلعنا على سر عدم استخدام ألفاظ أخرى للقسم، مثل «الفجر» لأنه أقل دلالة على الأنس بالناس، فمعظم الناس نائمون في ذلك الوقت، ومثل «النهار» لأنه يدل على الحر، وإحساس الناس بالتعب، ومثل «الليل» لأنه وإن دل على الأنس باجتماع الناس في بيوتها للنوم، لكنه أقل دلالة على الأنس من الضحى كما لا يخفى، فالليل يدل على نهاية الأنس، والضحى يدل على بدء الأنس، وأعتقد أن دلالة الضحى على نشاط الناس متلائمة مع تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على دعوته بأن يقوم إليها بنشاط.

ولاحظ القسم بالليل إذا سجى، فهو آخر أوقات اليوم، وفيه دلالة على الأنس أيضاً لاجتماع الناس في بيوتها من أجل النوم، فالضحى أعطى دلالة الأنس من أول اليوم، والليل أعطى دلالة الأنس في آخره، ثم لاحظ وصف الليل بالفعل «سجى» دون غيره مثل «يغشى»، أو «عسعس»، أو «يسرِ»، فالفعل «سجى» يعطي دلالة الهدوء والراحة النفسية، مع الإشارة إلى طول هذا الوقت المريح، وليس في حروفه حرف استعلاء، مثل «يغشى» أو «يسر» - في حال الوقوف عليها. فالفعل «يغشى» مناسب لسياق الدلالة على قدرة الله تعالى وليس الأنس، والفعل «يسر» يوحي بسرعة انقضاء هذا الوقت، فهو أقل دلالة على الأنس من الفعل «سجى»، ولا يخفى أن الفعل «سجى» أشد دلالة على الهدوء والراحة من الفعل «عسعس»، لأن «عسعس» يدل على بدء الليل بإقبال ظلامه، فهو مناسب أيضاً في سياق الدلالة على قدرة الله، بينما «سجى» يدل على تمكن حالة الهدوء والراحة في الليل وطول هذا الوقت المريح.

ولاحظ ذكر الضمير العائد على النبي صلى الله عليه وسلم مع الفعل «ودّع»، أن التوديع لا يكون إلا لحبيب، ولم يذكر هذا الضمير مع الفعل «قلى» لأن القلى لا يكون إلا لبغيض، وأي

---

(٢١٦) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤٠٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ٤٥٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٢٥- ٣٩٢٨، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٢٠٠، وشحاتة، **أهداف كل سورة**، ص ١٩٣- ١٩٨، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣٤٠- ٣٤٢.

تعبير يفيد تثبيته صلى الله عليه وسلم على دعوته أكثر من (وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى)؟ ولاحظ التوكيد باللام والفاء.

ولاحظ التعبير عن حاله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، فانظر الفعل «وجدك» الدال على تحقيق الأنس، ولاحظ الفعل «فآوى» المؤكد بالفاء، وكذلك لم يتخل عنه ربه سبحانه إذ هداه الله إلى الإيمان وحقائقه، وقد كان صلى الله عليه وسلم ذا عيال فأغناه ربه، وأعتقد أن عدم ذكر الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم مع هذه الأفعال الثلاثة، من أجل أن لا يقتصر الإيواء والهداية والإغناء من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم فقط، بل هو صلى الله عليه وسلم أشرف أنموذج لمن تحقق له ذلك، فالله تعالى آواه صلى الله عليه وسلم وآوى غيره، وهداه وهدى غيره، وأغناه وأغنى غيره.

وبعد أن تحقق الأنس له صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بأكمل صورة، ناسب ذكر التوجيه بعدم قهر اليتيم، فكما كنت يتيماً وآواك الله ولم يتخل عنك، فلا تقهر اليتيم ولا تتخل عنه، وكما كنت ذا عيال فأغناك الله ولم يتخل عنك، فلا تنهر السائل وتتخل عنه، ولاحظ الدعوة إلى القيام بمهمة تبليغ الرسالة، وهي أجلُّ نعمة من الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم، والتحديث بها يكون عن طريق تبليغها للناس بهمة ونشاط، فكما يبتدئ الناس يومهم ضحىً بهمة ونشاط، فانهض إلى دعوة ربك بهمة ونشاط.

فأنت تلاحظ أن هذه السورة بسياقها تحقق له صلى الله عليه وسلم الأنس والتثبيت في دعوته، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة «الضحى» ألطف وأجمل دلالة.

أحد عشر: سورة العاديات

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس رحمه الله: « العين والدال والحرف المعتل: أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على تجاوزٍ في الشيء وتقدمٍ لما ينبغي أن يقتصر عليه » (٢١٧)، فوصف الخيل بالعاديات يدل على تمكن حال العَدْو فيها، أكّد هذا وصفها بصيغة اسم الفاعل، وفي القسم بالخيل العاديات إشارة إلى وجوب تسخير هذه النعمة في سبيل الله وليس للصدِّ عنه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تبين طبيعة الإنسان، فهو جاحد لنعم ربه، بخيل لحبه المال، مهمل للاستعداد ليوم القيامة، وقد حوت السورة علاج ذلك الذي يكون بتذكر البعث وما فيه من الجزاء، وهذا يتلاءم مع اسم السورة، فالعاديات تكون لمن جعلها في سبيل الله أجراً، وتكون لمن جعلها للصد عن سبيل الله وزراً، كما أن الاسم يدل على السرعة، وينسجم مع سرعة قدوم يوم القيامة، وهو يدل على المفاجأة أيضاً، والقيامة تأتي فجأة، ثم إن وصف هذه السورة لأحداث يوم القيامة جاء بإيقاع يدل على الخشونة والدمدمة والبعثرة، ليتلاءم مع جو

---

(٢١٧) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٧٤٦.

الكنود والشح، فلما أُريد لهذا الوصف إطارٌ مناسب، اختير من الجو المعفر الصاخب الذي تثيره الخيل العاديات، فجاء الإطار من الصورة والصورة من الإطار، والقسم بالعاديات يدل على أن لها قيمة في ميزان الله تعالى (٢١٨).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: بيان أن الله تعالى مطلع على أعمال الناس، عالم بنواياهم وسيحاسبهم عليها، ولما كانت الخيول العادية هي الأداة الأولى للقتال، الذي قد يكون في سبيل الله فيحرز بذلك المقاتِل أعظم الأجور من الله، وقد يكون في سبيل الصد عن دين الله فيكون ذلك أبرز مظاهر كنود الإنسان لله، أقسم الله بها للدلالة على المحور المذكور، ليدل على وجوب تسخير هذه النعمة من أجل الله تعالى. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السور بأنها **سورة الدعوة إلى تسخير نعم الله ـ وأهمها هنا الخيل ـ للدفاع عن سبيل الله، لا للصد عنه.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة لقِسمين: أولهما يحوي قَسماً بالخيل العاديات على أن الإنسان جاحد لنعم ربه وهو شاهد على ذلك، وثانيهما يحوي تأكيداً للأول إذ يبين كمال علم الله تعالى بأعمال الناس ونواياهم يوم القيامة الذي سيحاسبهم فيه (٢١٩).

أولاً: جاء في القسم الأول قَسم من الله تعالى بالخيل العاديات على أن الإنسان جاحد لنعم ربه، والإنسان شاهد على ذلك بسوء تصرفاته: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ، ولاحظ التفصيل في وصف العاديات، فقد وصف صوتها، وأثر حوافرها، ووقت إغارتها، وصنيعها بالعدو حتى وصلت إلى قلب مركزه، وأعتقد أن هذا التفصيل يدل على أهمية الخيل في القتال، للدلالة على أنها نعمة عظيمة من الله تعالى.

والقسم ـ فيما يرى الباحث ـ مرتبط بجوابه من حيث أن معظم الناس يسخر استخدام هذه النعمة في الصد عن سبيل الله بدلاً من تسخيرها في سبيله، إنني أعتقد بما أن السورة مكية بل من أوائل المكي، أن القرآن يشيد ـ إشارةً ـ بمبدأ القتال في سبيل الله تعالى من خلال اسم هذه السورة، فالقتال أعظم أساليب محاربة دين الله، كما هو أعظم أساليب نصرة دين الله، ولم يصرح النص القرآني بهوية المغار عليهم في هذه السورة مما يدل على أن القتال أمر ذو وجهَيْن، فمن الممكن استخدام نعمة الخيل في الصد عن سبيل الله وهذا أكبر مظهر لكون الإنسان كنوداً لربه، وفعله هذا بمثابة شهادةٍ منه على ذلك، ومن الممكن استخدام الخيل في سبيل الله تعالى لنيل أعظم الأجور من الله تعالى. وفي ذلك بيان لعلمه تعالى بنوايا مَن يستخدم الخيل للقتال.

---

(٢١٨) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن**، ص ١٣٧، البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ٥٠٨، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٥٧، ٣٩٥٨، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ٢٩٥- ٢٩٧، وباجودة، د. حسن، **تأملات في سورة العاديات**، ب ط، دار بو سلامة، تونس، ١٩٨٢. ص ٩- ١٤. ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣٤٩- ٣٥١.

(٢١٩) القسم الأول شملته الآيات: ١- ٨، والقسم الثاني: ٩ _ ١١.

ولا ينبغي ـ فيما أعتقد ـ الوقوف على ظاهر النص على الخيل العاديات فقط، بل إن القسم بها كان لأنها الوسيلة الأولى للقتال في ذلك الوقت، ومن الممكن استنباط الدلالة من اسم السورة في زماننا على كل وسيلة للقتال، ينبغي أن تسخر للقتال في سبيله الله، وليس في سبيل الصد عنه.

ولما كان القتال محتاجاً إلى الاستعداد المادي كما هو محتاج للاستعداد النفسي، ذكر السياق كون الإنسان شديد الحب للمال، وذلك يدعوه إلى البخل، وهذا مظهر ثانٍ من مظاهر جحوده لنعم ربه عز وجل.

ثانياً: وبعدما بين السياق كون الإنسان جاحداً لربه يستغل نعمه للصد عن سبيله، أعقب ذلك ببيان أن الله تعالى عالم بنوايا البشر ومحصل لأعمالهم جميعاً، وسيجازيهم عليها: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ، ولاحظ وصف قيام الناس من قبورهم بالبعثرة، ليتلاءم ذلك مع بعثرة الخيول للحجارة في عدوها السريع، وكما أقسم الله تعالى بالخيل العاديات ليدل على أنه سبحانه عالم بنوايا من يعتلي تلك الخيول، فمنهم مَن يسخرها للقتال في سبيله، ومنهم من يسخرها لمحاربته، ختم السورة ببيان أنه خبير بما في صدور البشر يوم القيامة، وأنه سيحاسبهم بالعدل. وبذلك التقى الختام مع دلالة القسم أول السورة على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثاني عشر: سورة العصر

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى القسم بالعصر، الذي هو ـ على أرجح الأقوال التي قيلت ـ الجزء المعروف من النهار، وهو« ما بين آخر وقت الظهر إلى حين اصفرار الشمس، فمبدؤه إذا صار ظل الجسم مثله، بعد القدر الذي كان عليه عند زوال الشمس،ويمتد إلى أن يصير ظل الجسم مثلَيْ قدره بعد الظل الذي كان له عند زوال الشمس. والعصر مبدأ العشي، ويعقبه الأصيل واحمرار الشمس عند المغيب » (٢٢٠). والقسم به يدل على قصر مدة حياة الفرد من الإنسان في هذه الدنيا، وذلك من نواحٍ عدة سيأتي بيانها.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وآياتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وآياتها، فذكروا أن المقصود من هذه السورة حث الإنسان على تدارك ما بقي من عمره ليؤمن ويعمل صالحاً، وإلا كان من الخاسرين، فالقسم بالعصر، وهو الوقت المعروف من النهار، يدل على قصر وقت حياة الإنسان في الدنيا، وذلك لأنه يؤذن بانتهاء النهار، ففيه إيماء بمَثَل الحياة حين تدنو الآجال بعد مضي طور الشباب، وفي هذا الوقت يحسب التاجر غلّته بعد العمل في النهار ليرى أربح أم خسر، وفي العصر يتحفز الناس للإقبال على بيوتهم للمبيت والتأنيس بأهلهم وأولادهم، وكأنه يعلن عن انتهاء حياة ويؤذن ببدء أخرى، وكأن القسم بالعصر يقول: بعض

---

(٢٢٠) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٥٢٨. بتصرف، وقد ذكر المفسرون تفسيرات مختلفة للقسم بالعصر، فذكروا أنه قسم بعصر النبي ٨، أو عصر يوم الجمعة الذي خلق فيه آدم عليه السلام، أو صلاة العصر ..والوجه المذكور أعلاه هو الأقرب للسياق.

النهار باقٍ، لتحث الإنسان على تدارك ما بقي والتوبة عما سبق. كما وأن السورة تمثل المنهج الكامل الذي يريده الإسلام، وهو المنهج الوحيد الناجي الرابح في جميع الأعصار، وما سواه خاسر يؤدي للهلاك [٢٢١].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال السابقة بالقول بأن محور السورة هو: بيان قصر مدة لبث الإنسان في الدنيا، فالخاسر حقاً من كذّب وأعرض عن المنهج القرآني ليجازى بالخلود في الخسران يوم القيامة. والرابح حقاً من اتبع المنهج القرآني في حياته لينال أجر ربحه الخالد يوم القيامة، ولما كان القسم بالعصر يدل على قصر حياة الإنسان في الحياة الدنيا، جُعل من القسم به اسمٌ للسورة ليدل على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السور بأنها **سورة الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح وإدراك الوقت قبل فواته، وإلا فالخسران هو المصير.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل آيات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﮊ، ولاحظ القسم بوقت العصر للدلالة على قصر حياة الإنسان في هذه الحياة، وهو أنسب وقت يُقسم فيه لهذا السياق، إذ لو أقسم بالفجر لدل ذلك على بدء الحياة والنشاط، ولو أقسم بالضحى لدل على الأنس بالناس الذين يغدون إلى أعمالهم، ولو أقسم بالظهر لدل ذلك على انشغال الناس بأعمالهم أيضاً، بينما القسم بالعصر الذي هو الوقت الفاصل بين آخر النهار وأول الليل، يدل على أن الدنيا في إدبار والآخرة في إقبال، بالإضافة إلى ما ذكره الأفاضل قبل قليل، ولو أقسم بالمغرب أو الليل، لدل ذلك على الحياة الآخرة ولفاتت الدلالة على قصر الحياة والدنيا، ولفاتت أيضاً الدعوة إلى تدارك ما تبقى من الوقت للتوبة.

وليس القسم ـ فيما أعتقد ـ للدلالة على صلاة العصر، إذ لو كانت الصلاة هي المقصودة لقال: (وصلاة العصر)، يؤيد ذلك أن القرآن قد ذكر في سورة النور صلاة الفجر وصلاة العشاء بلفظ صريح: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ...ﮊ (النور: بعض الآية ٥٨)، فلو كانت الصلاة في سورة العصر هي المقصودة لذكرها صراحة.

ولاحظ أسلوب الحصر والقصر مع التوكيد، للدلالة على أن الخسر يحيق بكل مَن أعرض عن المنهج الرباني، والخسر يتحقق يوم القيامة، فإذا فات عمر الإنسان ـ وهو قصير ـ في الدنيا ولم يتبع هذا المنهج، فيسخلد في النار ويكون من الأخسرين، ومن تدارك عمره القصير في الدنيا واتبع المنهج الرباني القائم على الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فسيخلد في الجنة ويتحقق له الربح الأكبر.

([٢٢١]) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٣٢، ص ٨٤- ٨٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٢١، ٥٢٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٦٤، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٥٢٨- ٥٣٠، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٣٢٥- ٣٢٧، ٣٣٦، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣٥٦- ٣٥٩.

وكما ابتدأت السورة بالقسم بالعصر للدلالة على قصر حياة الإنسان في هذه الدنيا، بينت خاتمتها أن من قواعد المنهج الرباني لتحقيق الربح التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وكأن أحدهم لا يدري متى ينتقل من هذه الحياة القصيرة، فيوصي إخوانه بالتمسك بالحق والصبر عليه ليتحقق لهم الربح جميعاً يوم القيامة. وهكذا التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

أولاً: سورة الطور

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى القسم بجبل الطور، وهو الجبل الذي ناجى فيه موسى عليه السلام ربه سبحانه وتعالى، وفيه طَلَب موسى عليه السلام رؤية الله فخرَّ موسى صعقاً، وفيه أخذ الألواح عن ربه، وهو الجبل الذي رُفع فوق رؤوس بني إسرائيل تهديداً لهم حينما أعرضوا عن هدى الله، وهو الجبل الذي طلب فيه بنو إسرائيل رؤية الله جهرة فأخذتهم الرجفة، ثم بعثهم الله بعد موتهم، فالقسم بهذا الجبل يدل على أن الله تعالى هو الذي أوحى لموسى عليه السلام وهو الذي يوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم لتبليغ حقائق الدين، والتي من أهمها حقيقة اليوم الآخر.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً من الربط بين اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تمثل حملةً عميقة التأثير في القلب البشري، ومطاردةً عنيفة للهواجس والشكوك والأباطيل التي تساوره، وفيها دحض لكل حجة أو عذر قد يُتَّخذ للحيدة عن الحق، والزيغ عن الإيمان، والقسم بالطور يدل على أن الله تعالى يقسم بالمقدسات على أن العذاب واقع على المكذبين، ومن دلالات هذا الاسم أنه رمز لظهور الحق وبزوغ فجرِ رسالةٍ سماوية جديدة أُرسل بها موسى عليه السلام (٢٢٢).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة، فيقول إن محور السورة هو: إثبات حقيقة الوحي من خلال القسم بالأماكن التي أوحى الله بها للرسولَيْن الكريمين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فبالقسم بهذه الأماكن يثبت أن الله تعالى هو الذي يوحي لرسله لينذروا أقوامهم، وبذلك يثبت أن حقيقة اليوم الآخر - التي هي من أهم قضايا الوحي - حقٌ لا مرية فيها. ولما كان جبل الطور هو الجبل الذي صُعق فيه موسى عليه السلام، وفيه أخذ ألواح الرسالة عن ربه، وهو الجبل الذي أمات اللهُ عليه المكذبين من بني إسرائيل ثم بعثهم، وهو الجبل الذي رُفع فوق رؤوسهم ليَلْزموا الإيمان، أقسم الله به وجعل من هذا القسم اسماً للسورة ليدل على المحور المذكور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السورة بأنها **سورة الدعوة إلى الإيمان بما يخبر به الوحي من الحقائق، من خلال القسم بأماكن الوحي إلى الأنبياء.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام، أولها: مقدمة تحوي قسماً بأماكن الوحي على أن وقوع العذاب على المكذبين في اليوم الآخر حق، وثانيها: عرض لمصير المكذبين الكافرين والمؤمنين

---

(٢٢٢) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٩٩، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٢٩١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ٣٣٩١- ٣٣٩٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٤٦٤، ٤٦٥، وطهماز، **من سورة الطور إلى سورة الناس**، **٣- ١٣**، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٢٦٦- ٢٦٩.

المتقين في ذلك اليوم، وثالثها: رد لشبهات المكذبين المتعلقة بالوحي، ورابعها: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٢٣).

أولاً: جاء في المقدمة قسم بالمكانَيْن اللذَّيْن أوحى الله فيهما إلى سيدنا موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، على أن العذاب واقع يوم القيامة على المكذبين: ژ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ژ، ولعل التفسير الأنسب لهذه الآيات أن يكون القسم بالطور إشارة إلى المكان الذي أوحى الله فيه لسيدنا موسى عليه السلام، والقسم بالبيت المعمور إشارة إلى الكعبة الموجودة في مكة، وهي المكان الذي أوحى الله فيه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأما القسم بالكتاب المسطور فهو يدل على الكتب الإلهية وبالأخص في هذا السياق التوراة والقرآن، ومعنى كونهما في رق منشور أي في صحف مهيأة للكتابة معروضة للقراءة، وأعتقد أن في ذلك إشارة إلى أن حجة التوراة ـ قبل التحريف ـ وحجة القرآن ظاهرة غير خافية.

أما القسم بالسقف المرفوع، فهو يشير إلى السماء التي هي من دلائل قدرة الله تعالى، وهي ستمور يوم القيامة موراً، وكذلك يشير البحر الذي سيسجر يوم القيامة، وذكرُ هاتين الآيتين ـ السماء والبحر ـ معهود في السور التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة، مثل سورتيْ التكوير والانفطار.

فأنت تلاحظ أن السياق يقسم بالأماكن التي تنزل فيها الوحي، ويقسم بالكتب التي أوحى الله بها، على أن يوم القيامة حق، وقد أكد ذلك جوابُ القسم وما تبعه: ژ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □ژ، ولاحظ ذكر مور السماء، المتلائم مع وصفها بالسقف المرفوع، فمن جعلها سقفاً مرفوعاً في الدنيا، قادر على جعلها تمور موراً يوم القيامة، ولاحظ ذكر تسيير الجبال، ليتلاءم ذلك مع ذكر جبل الطور، ولاحظ تهديد المكذبين بالوحي وحقائقه، الذين هم يخوضون ويلعبون ويعرضون عما جاءهم من الحق.

فالمقدمة إذاً تؤكد حقيقة اليوم الآخر من خلال القسم بالأماكن التي أوحى الله فيها إلى أنبيائه بالرسالات. ومن جهة أخرى يفيد القسم بالطور تأكيداً آخر على إثبات يوم القيامة، فهو قد شهد صعق موسى عليه السلام حينما طلب رؤية ربه، وهو قد شهد موت المكذبين من أمته عليه السلام حينما طلبوا رؤية الله جهرة فأخذتهم الرجفة، ثم أحياهم الله، فذلك يدل على قدرة إحياء الله الناس للحساب كما أحيى أولئك. ثم إن القسم بهذا الجبل يذكّر برفعه فوق رؤوس بني إسرائيل حتى يلتزموا بأحكام التوراة، ففي ذكره موعظة للمعرضين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض مصير المكذبين الكافرين ومصير المؤمنين المتقين يوم القيامة، وقد تقدم ذكر مصير المكذبين لأنه الأنسب للسياق الذي يحوي تهديداً لهم: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ژ، فهم كانوا يكذبون بالوحي ويدعون أنه سحر، فهاهم الآن يرون الحقائق التي أنذرهم بها الوحي أمام أعينهم، ويقال لهم: أفسحر هذا؟.

---

(٢٢٣) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٢، وعرض مصير المكذبين والمؤمنين يوم القيامة:١٣- ٢٨، والرد على شبهات المكذبين: ٢٩- ٤٤، والخاتمة: ٤٥- ٤٩.

ثم انتقل السياق إلى عرض مصير المؤمنين المتقين: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﮊ، فإيمانهم بالوحي وما جاء به من الحقائق وقاهم من عذاب الجحيم، ولاحظ عرض مصير ذريتهم المؤمنين أيضاً، ليكون ذلك أدل على أن القيامة وما فيها من ثواب حق لا مرية فيها. إن عرض مصير الفريقين يؤكد بلا ريب حقيقة اليوم الآخر، وهي الحقيقة التي أقسم الله عليها بجبل الطور الذي سمى السورة باسمه.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى ذكر شُبَه المكذبين المتعلقة بالوحي وردها: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯫ ﯬ ﯭ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﮊ،ولاحظ قوله (بنعمة ربك) الدال على الوحي، أي أنت إنما تنذر قومك بما يوحي إليك ربك، ولست بكاهن ولا مجنون ولا شاعر ولا متقول كما يزعمون لينكروا نزول الوحي عليك، ولاحظ تحديهم بأن يأتوا بحديث من مثل هذا القرآن إن كانوا صادقين، ولن يستطيعوا.

ومن الملاحظ أن حرف الإضراب (أم) في سياق عرض شبهاتهم قد تكرر خمس عشرة مرة، وذلك يطلعك على مدى تنطع المكذبين وإنكارهم للوحي، وما يخبرهم به من حقائق والتي من أهمها حقيقة اليوم الآخر، وهي الحقيقة التي قد أقسم الله بجبل الطور على أنها حق، وقد أفاد هذا القسم أن الوحي حق أيضاً، فإن من أوحى لموسى عليه السلام على جبل الطور، هو الذي يوحي لنبيكم صلى الله عليه وسلم في مكة، وفي هذا رد لشبهاتهم المتعلقة بإنكار الوحي.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لكل ما سبق، فقد أعادت التأكيد على أن عذاب المكذبين في يوم القيامة حق: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ □ ﯫ ﯬ ﮊ، ولاحظ ذكر صعقهم في ذلك اليوم، ليتلاءم ذلك مع صعق موسى عليه السلام على جبل الطور، وما حصل على ذلك الجبل مع المكذبين من قوم موسى الذين أماتهم الله ثم أحياهم.

وكما افتتحت السورة بالقسم بالأماكن التي نزل فيها الوحي على الأنبياء، فثبت بذلك أن الوحي وما يخبر به حق، ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على دعوة قومه بما يأتيه من الوحي: ﮋ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ قوله تعالى عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فإنك بأعيننا)، المتلائم مع طلب سيدنا موسى على جبل الطور رؤية الله فقال الله له (لن تراني)، وسيأتي في سورة النجم أجمل تجلٍ لقوله تعالى (فإنك بأعيننا) في حديثها عن المعراج، وكما أقسم سبحانه في مفتتح السورة بالسماء التي هي كالسقف المرفوع، ختم السورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسبيح الله تعالى مع ذكر آيتي الليل والنجوم، وهما آيتان متعلقتان بالسماء، وهكذا التقى البدء والختام على محور إثبات أن الوحي وما يخبر به من الحقائق التي من أهمها حقيقة اليوم الآخر حق لا مرية فيه، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثانياً: سورة البلد

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى القسم بمكة، وهي البلد الحرام، وقد أقسم الله بها للدلالة على أن الإنسان خُلِق في كَبَد، والقسم متلائم مع المقسم عليه من حيث طبيعة الحياة العَسِرة في البلد الحرام، فهو بلد شديد الحر، قليل الماء والثمار (٢٢٤)، والبلد الحرام هو الذي نزل فيه الوحي على النبيصلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ضنك الدنيا إلى رغد الآخرة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وبموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة هو الدلالة على نفي القدرة عن الإنسان، وإثباتها لخالقه سبحانه، بذكر ما للإنسان من هموم الحياة وضنكها، وهي تذكر السبب المخلص من هذا الضنك والموصل إلى السعادة الأبدية، وهو اتباع هدى الله عز وجل، وأما من أعرض عن هدى الله فسينتهي إلى الكبد الأكبر يوم القيامة، ويكون من أخسر الأخسرين. وتأمل القسم والمقسم عليه أدل ما في السورة على هذا المقصود، فهو بلد عسير ظروف المعيشة، وهو أيضاً منطلق الدعوة النبوية (٢٢٥).

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: بيان ما قضاه الله على هذه الدنيا من الكبد، وبيان حال الناس فيها ومصيرهم في اليوم الآخر، فمن كفر وأساء العمل في الدنيا فسيبقى في الكبد الأكبر يوم القيامة، ومن آمن وأحسن العمل فسيصير إلى الراحة الأبدية، ولما كانت طبيعة الحياة عسيرة في البلد الحرام، وكان هو مهبط الوحي ليخرجهم من ضنك الدنيا إلى رغد الآخرة، أقسم به وجعله اسماً للسورة ليدل على المحور المذكور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السور بأنها **سورة الدعوة إلى الخروج من كبد الدنيا إلى الراحة الأبدية من خلال الإيمان بالوحي واتباع هديه.** كما ذكر الأفاضل.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تحوي قسماً بالبلد الحرام ذي الظروف العسيرة، وبكونه مهبط الوحي على أن الحياة الدنيا حياة الكبد، ثم بيان لحال أكثر الناس في هذه الحياة، مع دعوة إلى إحسان العمل، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق (٢٢٦).

أولاً: جاء في مقدمة السورة قسم بالبلد الحرام، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم مقيم فيه يحذر قومه بما يأتيه من الوحي، على أن الحياة الدنيا طبيعتها الكبد: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ، فهذا البلد هو من أعسر البلاد معيشة، وقد اختاره الله مهبطاً

---

(٢٢٤) ذكر الإمام ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق أن زعماء قريش قالوا يوماً للنبي ^: « يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك، فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماءً ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك فليسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق..». **السيرة النبوية**، ص ١٤٨. بتصرف.

(٢٢٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤٠٢، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٢٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ٣٩٠٩، ٣٩١٠، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ١٣٣، ١٣٤، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ٣٣٧- ٣٣٩.

(٢٢٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٤، وبيان حال أغلب الناس في الدنيا: ٥- ١٦، والخاتمة: ١٧- ٢٠.

للوحي، وأنزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم المقيم فيه ليخرج الناس من ضنك الدنيا إلى رغد الآخرة، ومن ناحية ثانية يتلاءم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يكابده من أذى قومه مع القسم بالبلد الحرام ذي الطبيعة العسيرة (٢٢٧)، ومع جو الكبد الغالب على السورة، ولاحظ القسم بالوالد وما ولد ليؤكد حقيقة أن الإنسان خلق في كبد، فمن المعلوم أن الوالدَيْن يعانيان مع المولود في كل مرحلة من حياته، فالوالدة تعاني من الحمل تسعة أشهر، ثم تعاني بالولادة والرضاعة، والأب يعاني بتربية المولود وجلب حاجاته، يعاني بتربيته طفلاً، ثم يعاني بتربيته غلاماً، ثم يعاني بتربيته شاباً..، فحياة الوالدين كلها كبد في كبد.

ثانياً: وبعد أن أقسم الله بالبلد الحرام، وبين أنه هو الذي يوحي لعبده صلى الله عليه وسلم المقيم فيه، وأنه تعالى هو خالق الإنسان وأنه قضى على هذه الدنيا طبيعة الكبد، انتقل السياق لبيان حال أكثر الناس، إذ هم يعرضون عن الهدى الذي أنزله خالقهم بالوحي على أنبيائه، ويغترون بأموالهم وكأنه لا حساب بعد الموت: ژ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ۋ ژ، ولاحظ بيان أن الله تعالى هو الذي جعل للإنسان عينين ولساناً وشفتين، وهو الذي بين له طريق الهدى من طريق الضلال، وذلك عن طريق الوحي، فالسياق إذاً يبين أن الإنسان إذا اتبع هدى الوحي ضمن الحياة الرغيدة في الآخرة.

ولاحظ أن السياق يدعو إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، وخص منها ما يتعلق بالمال، فعلى الإنسان أن يسعى بماله لفك الرقاب، أو إطعام اليتامى والمساكين، بدلاً من إهلاك المال في الوجوه الباطلة، والسياق بذلك يقرر المحور المذكور من أن اتباع هدى الوحي يوصل إلى الحياة الرغيدة في الآخرة.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد قررت أن من آمن واتبع هدى الوحي وعمل صالحاً، ضمن الحياة الرغيدة الأبدية في الآخرة: ژ ۆ ۈ ۋ ۋ ۅ ې ې ې □ □ □ □ □ □ ژ.

وكما افتتحت السورة بالقسم بالبلد الحرام، وبالوحي الذي نزل فيه ليخرج الناس من كبد الدنيا إلى رغد الآخرة، ختمت ببيان مصير من أعرض عن هدى الوحي، وأنه سيبقى في الكبد الأكبر إلى الأبد: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثالثاً: سورة التين

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية إلى القسم بالتين والزيتون، وهما نوعان معروفان من الأطعمة، وقد اختلف المفسرون في المقصود من هذا القسم، فمنهم من اعتمد على ظاهر القسم وقالوا إنه يبرز

(٢٢٧) أشار لذلك الإمام البقاعي رحمه الله في **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٢٦ وقال: «أقسم الله بسيد البلاد وسيد العباد ٨»، وهو قول ظريف.

قدرة الله في الخلق العجيب لهذين النوعين وما فيهما من فوائد جمة للإنسان، وذكروا أن ذلك يتناسق مع ما بينته السورة من قدرة الله في خلق الإنسان، ومنهم من اعتبر القسم بهذين النوعين من الأطعمة كناية عن البلد المشهورة بزراعة هذين النوعين، وهي بلاد الشام، وأشرفها أرض بيت المقدس، ويكون ذلك إشارة إلى رسالة سيدنا عيسى عليه السلام، وذكروا أن ذلك يتناسق مع طور سينين وهو موضع رسالة سيدنا موسى عليه السلام، والبلد الأمين وهو مكة موضع رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وأعتقد أن الاعتبار الكنائي للقسم هو الأجدر للقبول، وذلك لأنه متناسق ومترابط مع سياق السورة كما سيأتي [٢٢٨].

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن الحقيقة الرئيسية التي تعرضها هذه السورة هي حقيقة الفطرة القويمة التي فطر الله الناس عليها، واستقامة طبيعتها مع طبيعة الإنسان، والوصول بها معه إلى كمالها المقدور لها. فإن كان القسم أول السورة يقصد منه نوعَي الأطعمة فهو يدل على كمال قدرة الله في خلق الأطعمة والفطرة البشرية، وإن كان يقصد منه بلدان الرسالات الثلاثة كناية فهو يدل على كمال قدرة الله وعظيم حكمته في إرسال الرسل وتبليغ الدين [٢٢٩].

ويعتقد الباحث أن الوجه الكنائي للقسم هو الأقرب للصواب والله أعلم، ويمكن له أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: بيان أن من لزم الفطرة القويمة التي خلقه الله عليها، واتبع هدى الوحي وعمل صالحاً فله النعيم الخالد في الجنة، وأن من خرج عن الفطرة القويمة، وكذب بالوحي فله العذاب الخالد في النار، ولما كان القسم بأماكن الوحي أدل ما في السورة على إثبات أن الموحي للأنبياء هو خالق الإنسان على الفطرة القويمة، فهو أحكم الحاكمين، اختير من القسم به اسم للسورة ليدل على المحور المذكور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع القسم أول السور بأنها **سورة بيان أن رأس الحكمة لزوم الفطرة القويمة باتباع هدى وحي أحكم الحاكمين.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل آيات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ
ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ.

---

(٢٢٨) من المفسرين الذين رجحوا القول بأن القسم على ظاهره: الطبري، **جامع البيان**، ج ١٠، ص ٨٦٩٧، والزمخشري، **الكشاف**، ج ٤، ص ٧٦٣، ومن المفسرين الذين رجحوا القول بأن القسم كناية عن البلد: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٧١٧، وقد قال عن ترتيب هذه البلدان الثلاثة: «ولهذا أقسم بالأشرف ـ يقصد عيسى عليه السلام ـ ثم الأشرف منه ـ يقصد موسى عليه السلام ـ ثم الأشرف منهما ـ يقصد محمداً ^ـ». وهو قول جميل. والآلوسي، **روح المعاني**، ج ١٥، ص ٣٩٤.

(٢٢٩) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٦٨ ـ ٤٧٠، وقد ذكر الوجهين ولم يرجح، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٣٢ـ ٣٩٣٣، وقد رجح المعنى الكنائي، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٢٣٨، وقد ذكروا الوجهين دون ترجيح. والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ص ٢١٧، ٢١٨، وقد اعتمد القول بأن التين هنا هو نوع الفاكهة، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

فقد أقسم الله ببلاد الشام المشهورة بكثرة هاتين الشجرتين فيها، وأشرف بقعة فيها أرض بيت المقدس، وهي أرض رسالة سيدنا عيسى عليه السلام، وأقسم بطور سينين وهو البقعة التي أوحى الله بها إلى سيدنا موسى عليه السلام، وبالبلد الأمين، وهو مكة التي أوحى الله بها إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالأقسام الثلاثة تدل على أن الله تعالى هو الذي أوحى إلى هؤلاء الرسل الثلاثة عليهم السلام، وأنزل عليهم الوحي ليؤمن الناس ويعملوا صالحاً.

ولعل اختصاص اسم التين الذي يشير إلى عيسى عليه السلام باسم السورة بدلاً من الزيتون أو طور سيناء أو البلد الأمين، يعود إلى أن الطور قد أقسم الله به وجعله اسماً لسورة كاملة وجعل اسمها مشيراً إلى موضع رسالة موسى عليه السلام، وكذلك البلد فقد أقسم الله به وجعله اسماً لسورة كاملة وجعل اسمها مشيراً إلى موضع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فجاءت هذه السورة ليشير اسمها إلى موضع رسالة عيسى عليه السلام. وقد ذكرتُ في الهامش سبب اختيار التين اسماً للسورة بدلاً من الزيتون.

وأعتقد أيضاً أن اختيار اسم التين المشير إليه عليه السلام يعود إلى أنه أكثر الأنبياء الذين دارت حولهم الافتراءات الضالة، لا سيما فيما يتعلق بادعاء الإلهية له ولأمه عليهما السلام، فالقسم بالأرض التي نزلت عليه الرسالة فيها يدل على أنه مجرد عبد لله أرسله الله وأيده بالوحي، بالإضافة إلى قول الإمام ابن كثير رحمه الله المذكور قبل قليل من أن الترتيب روعي به شرف المكانة، فقدم الأشرف ثم الأشرف منه ثم الأشرف منهما صلى الله عليه وسلم.

ولاحظ جواب القسم المفيد أن الله تعالى بقدرته التامة وحكمته المطلقة خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأكرمُ ما في الإنسان عقله، الذي من المفترض أن يقوده إلى الإيمان بالوحي واتباع هداه لا الإعراض عنه، فجواب القسم متلائم مع الأقسام الثلاثة التي تدل على أن الله بحكمته أوحى إلى الأنبياء ليلتزم الناس الفطرة القويمة التي خلقوا عليها، ويعملوا صالحاً باتباع هدى الوحي.

وقد بين السياق أن من كذب بالوحي وأعرض عنه فسيرد إلى أسفل سافلين في نار جهنم يوم القيامة، ويقابل ذلك أن من آمن وعمل صالحاً سيخلدون في النعيم غير المنقطع في الجنة، وكما افتتحت السورة بالقسم بأماكن الوحي للدلالة على حكمة الله تعالى، ختمت بسؤال الإنسان عن سبب تكذيبه بالدين بعدما بينت هذه السورة أن الله هو أحكم الحاكمين، إن كان في وحيه وتشريعه، أو في إحسان خلقه، أو في عدل جزائه، وهكذا التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

أولاً: **سورة طه**

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة من حرفَيْ اللغة العربية المذكورين أولها، وهما حرفا الطاء والهاء، وقد لا نقف على حقيقة معناهما لكن من الممكن إدراك بعض مدلولاتهما، فقد قيل إنهما حرفان يشيران إلى إعجاز القرآن من حيث أنه مكون من مثل هذه الأحرف، ومع ذلك يعجز البشر عن الإتيان بسورة من مثله، وقيل بالإضافة إلى ما سبق: إن السور التي ذكر حرف (الطاء) في أولها كلها تضم قصة موسى عليه السلام بتفصيل، وكأن الطاء في هذه السورة إشارة إلى الطور، والهاء إشارة إلى هارون عليه السلام (٢٣٠)، أقول: بعد تتبعي للكلمات التي ذُكر في أولها هذان الحرفان في هذه السورة وجدتُ أنه من الممكن أيضاً اعتبار حرف الطاء إشارة إلى طغيان الإنسان إذا أعرض عن هدى الوحي، واعتبار الهاء إشارة إلى الهدى الذي جاء به الوحي إلى الإنسان، وسأذكر تفصيل ذلك مبيناً تناسبه مع محور السورة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً للربط بين اسم هذه السورة ومحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة الإعلام بإمهال المدعوين والحلم عنهم والترفق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم، وفي هذا زيادة في شرف داعيهم صلى الله عليه وسلم، وذكروا أن السورة تبين وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم وحدود تكاليفه، فليست رسالتُه شقوةً كتبت عليه ولا عناءً، إنما هي التذكرة والدعوة والتبشير والإنذار، وقد تضمنت قصة موسى عليه السلام رعاية الله له ولقومه، وكذلك تضمنت قصة آدم عليه السلام رعاية الله له بعد خطيئته، وكما بينت السورة نصر سيدنا موسى على معانديه، فهي بذلك تعرِّض بنصرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على معانديه، والسورة يظلها ظل علوي جليل يخلعه تجلي الرحمن على الوادي المقدس على عبده موسى، وهو الظل الذي يخلعه تجلي القيوم في موقف الحشر العظيم، هذا الظل يجعل جو الرحمة سائداً في موضوعات السورة كلها (٢٣١).

ويمكن للباحث أن يبني على ما ذكره الأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: بيان أن الرسالة الإلهية للبشر ليست سبباً لشقاء الرسول أو المرسل إليهم، بل هي سبيل الهدى، وأن مَن يُعرِض عن هدى الرسالة الإلهية يعرض نفسه للطغيان والشقاء. ولما كان - من وجهة نظرالباحث - حرف الطاء يشير إلى طغيان الإنسان إذا أعرض عن هدى الله، وحرف الهاء

---

(٢٣٠) ينظر شيء من التفصيل حول حروف فواتح السور: نوفل، د. أحمد، **تفسير سورة القصص، دراسة تحليلية موضوعية**، ط ١، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ٢٠٠٥، ص ١١- ٢٨.

(٢٣١) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ٣و ٤، وقد اعتبر حرف الطاء الذي هو من حروف الاستعلاء مشيراً إلى قوة أمره ^ وانتشاره، والهاء الذي مخرجه أقصى الحلق مشيراً إلى اشتهار أمره ^، وذكر وجوهاً أخرى، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٣٢٦ و ٢٣٢٧، وقد اعتبر حرفي الطاء والهاء يدلان على إعجاز القرآن من حيث أنه مكون من مثل هذه الأحرف، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١٦، ص ١٨١- ١٨٣، ورأيه في (طه) كرأي سيد قطب، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٤، ص ٤٨٥- ٤٩٥، وقد اعتبروا (طه) نداء للنبي ^، واللحام، حنان، **أضواء وتأملات في سورة طه**، ط ١، داء البشائر، بيروت، ١٩٩٤. ص ١١- ١٩. وقد اعتبرت (طه) نداء للنبي ^، وزاهدة، عطية، **فواتح السور والحروف السبعة**، ب ط، ب دار نشر، ١٩٨٠. ص ٨٠، وقد اعتبر حرف الطاء مشيراً إلى القسم بجبل الطور الذي أقسم الله به وجعل له سورة خاصة، والهاء مشيراً إلى القسم بالهدى نظراً لتكرر ذكره في السورة. وهي من السورة التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

يشير إلى هدى الله، ذُكرا في أول السورة وجُعل منهما اسمٌ للسورة للدلالة على المحور المذكور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في الحروف المقطعة أول السور بأنها **سورة بيان طغيان من أعرض عن هدى الله.**

والمتأمل في موضوعات السورة يجد الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة موضوعات، أولها: مقدمة تبين أن القرآن تذكرة ورحمة للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وليس سبباً للشقاء، وثانيها: قصة موسى عليه السلام مع فرعون ومع قومه، وثالثها: تعقيب إلهي على القصة يعرض شقاء المكذبين وسعادة المؤمنين يوم القيامة، ورابعها: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٢٣٢].

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان أن الرسالة الإلهية ليست سبباً لشقاء الرسول أو المرسل إليهم، بل هي سبيل الهداية والسعادة: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ، فالقرآن لم ينزل ليكون سبباً لشقاء النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنه نزل بالهدى ليكون تذكرة لمن يخشى، ولاحظ ذكر بعض صفات الله تعالى للتأكيد على أن وحيه هو الهدى، وأن من يعرض عن وحيه يعرض نفسه للطغيان والشقاء، وهذا ما يشير إليه الحرفان الطاء والهاء والله أعلم.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى قصة موسى عليه السلام، وهي تبتدئ من مشهد المناجاة في الوادي المقدس طوى: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ، ولاحظ بدء عرض قصته عليه السلام من مشهد المناجاة، للتأكيد على أن إرسال الأنبياء هو سبيل الهدى والسعادة، وكأن السياق يقول: إن من أنزل القرآن عليك يا محمد (صلى الله عليه وسلم) وجعله هدى للناس وسبيل سعادتهم، هو من أرسل موسى ليحقق الهدى والسعادة ويرفع الشقاء عن بني إسرائيل، ولو آمن فرعون لكان ممن تحقق له ذلك، ويلاحظ أيضاً أن هذا المشهد هو الأطول في القرآن، وذلك يضفي جو الرحمة على السورة، ويزيد من التأكيد على المحور المذكور.

ثم انتقل السياق إلى مشهد مقابلة موسى وهارون لفرعون: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ وصف فرعون بالطغيان، ليتناسب ذلك مع ما سيأتي من إصراره على طغيانه حتى نزل به الشقاء، ولاحظ قول موسى (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى)، وهو قول يعبر عن محور السورة بوضوح تام، وقد بين السياق إصرار فرعون على طغيانه، حتى ادعى أن ما جاء به موسى هو مجرد سحر، وقد هدد بقتل السحرة لما آمنوا بصورة شنيعة.

---

(٢٣٢) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٨، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون: ٩- ٧٩، وقصته مع قومه: ٨٠- ٩٨، والتعقيب على القصة: ٩٩- ١٢٩، والخاتمة: ١٣٠- ١٣٥.

ومن اللطيف أن السياق في هذه السورة قد فصل في كلام السحرة المؤمنين بعد تهديد فرعون لهم ما لم يذكر في سورة أخرى، وقد كان قولهم يؤكد حقيقة أن السعادة الأبدية لمن اتبع الهدى من الله، وأن الطغيان والشقاء لمن أصر على إعراضه عن الهدى، ثم بين السياق كيف كان إرسال موسى عليه السلام رحمة لبني إسرائيل، فقد رفع الله عنهم الشقاء، وأهلك عدوهم الطاغي.

ثم انتقل السياق إلى عرض أحداث حصلت مع موسى بعد النجاة من فرعون وقومه: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮊ، ولاحظ أن السياق اعتبر الإعراض عن هدى الوحي طغياناً يستحق الغضب من الله، وأن اتباع الوحي والتوبة والعمل الصالح سبيل الاهتداء.

وأما الحدث الأهم الذي عرضه السياق والذي يؤكد حقيقة أن الإعراض عن هدى الوحي يعرض الإنسان للطغيان، فقد كان عبادة بني إسرائيل للعجل، وقد فصلت هذه السورة في عرض هذا الحدث ما لم يفصل في سورة أخرى، وبين السياق أن هارون قد دعاهم إلى اتباع هدى موسى [٢٣٣]، لكنهم أعرضوا عنه حتى استحقوا الغضب من الله، وقد بين السياق كيف أن السامري المعرض عن الهدى الذي جاء به موسى قد أضل قومه وعرضهم للطغيان فعبدوا العجل: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ أن إعراضه وطغيانه قد ألحق به الشقاء في الدنيا والآخرة. إن التفصيل في عرض هذا الحدث ليؤكد المحور المذكور للسورة ودلالة اسمها عليه.

ثالثاً: ثم ذكر السياق تعقيباً إلهياً على هذه القصة يؤكد محور السورة، وذلك ببيان شقاء من يعرض عن هدى الوحي وسعادة من ابتع الهدى يوم القيامة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﮊ، وأما مصير المؤمنين: ﮋ □ □ □ □ □ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ ﮊ.

وقد جاء في هذا التعقيب بيان لما حصل مع آدم عليه السلام حين كان في الجنة، وبين أن نزوله من الجنة كان بسبب أكله من الشجرة: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔﮊ، وقد بين السياق بعد ذلك أن الله تعالى سينزل الوحي على الأنبياء ليحقق السعادة لمن آمن، ويحقق الشقاء لمن أعرض: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ ﯥ ﯦ ﯧﮊ.

---

(٢٣٣) من اللطيف أن عبارة (يبنؤم) جاءت في هذه السورة متصلة مع ذكر حرف النداء، بينما في سورة الأعراف جاءت منفصلة (قال ابن أم)، والاستعطاف بذكر حرف النداء مع الرسم المتصل في سورة طه متلائم مع جو الرحمة السائد فيها. والجمع بين العبارتين يكون بالقول بأن هارون قد قال هذه العبارة مرتين بهاتين الصورتين، وقد أثبت القرآن في كل سورة الصورة الملائمة لها.

فموضوعات السورة كما ترى تدور حول محور واحد، وهو بيان أن من يتبع هدى الوحي فله السعادة، وأن من يعرض عنه يعرض نفسه للطغيان والشقاء، وهو ما يشير إليه الحرفان: طه.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التذكير بأن الوحي الإلهي ليس سبباً لشقاء النبي صلى الله عليه وسلم من آمن من أمته: ژ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ڪگ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭڭ ۇ ۇ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ژ.

وكما افتتحت السورة ببيان أن هدى الرسالة الإلهية للناس هو سبيل السعادة، ختمت بتهديد ضمني بوقوع الهلاك على مَن أعرض عن الهدى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ ذكر كلمة (الصراط) و (اهتدى) اللتان تشيران إلى أن من اتبع الهدى فهو على صراط سوي، ثم إنهما منسجمتان مع دلالة حرفي الطاء والهاء أول السورة. وهكذا التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة.

ثانياً: سورة يس

الدلالة السياقية لاسم السورة:

سميت هذه السورة من حرفي اللغة العربية المذكورين أولها، وهما حرفا الياء والسين، وقد اختلف المفسرون في دلالتهما، فمنهم من اعتبرهما نداءً للنبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من اعتبرهما يشيران إلى إعجاز القرآن من حيث إنه مكون من مثل هذه الأحرف، أقول: بالإضافة إلى اعتبارهما مشيرين إلى إعجاز القرآن وبعد تتبعي للكلمات التي ذُكر في أولها هذان الحرفان في هذه السورة وجدتُ أنه من الممكن اعتبار حرف الياء مشيراً إلى يد القدرة الإلهية القادرة على كل شيء، وحرف السين مشيراً إلى تسبيح الله تعالى وكمال قدرته وتنزيهه عن مشابهة الحوادث، وذلك أخذاً من قوله تعالى: ژ□ □ □ □ □ □ ى ى ژ، وسأذكر بيان ذلك.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن الهدف الأول من هذه السورة بناء أسس العقيدة، فهي تتعرض لطبيعة الوحي وإثبات صدق الرسالة، ولقضية الألوهية والوحدانية، والقضية التي يشتد عليها التركيز في السورة هي قضية البعث والنشور، والتأكيد عليها من خلال ذكر بعض المشاهد الكونية المتعددة، كإحياء الأرض بنزول الماء، وسلخ الليل من النهار، وحركة الشمس والقمر..

فإن كان الحرفان (يس) يشيران إلى إعجاز القرآن فالترابط بين ما ذكر وبينهما واضح من حيث إن القادر على كل شيء هو من أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم وجعل القرآن

معجزاً، وإن كان الحرفان نداءً للنبي صلى الله عليه وسلم فهما يؤكدان أنه مرسل من الله تعالى (٢٣٤).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال المذكورة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: إثبات القدرة المطلقة لله تعالى مع تنزيهه عن النقص، ولما كان موضوع البعث أدل الموضوعات على كمال القدرة الإلهية، عرضت السورة بعض مظاهر قدرته تعالى على البعث، مما يثبت أنه تعالى بيده ملكوت كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، وهو سبحانه مطلق القدرة ومنزه عن النقص، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع الأحرف المقطعة أول السور بأنها **سورة بيان أن الله بيده كل شيء وسبحانه وتعالى عن النقص.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط الوثيق بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام، أولها: مقدمة تبين أن مَن بيده ملكوت كل شيء وهو سبحانه منزه عن النقص هو من أرسل النبي صلى الله عليه وسلم، وثانيها: قصة أصحاب القرية التي تثبت أن الرسل هداية للناس، وتثبت القدرة الإلهية على البعث، وثالثها: تعقيب إلهي يؤكد قدرة الله تعالى على البعث، مع عرض لمصير المؤمنين والمكذبين في ذلك اليوم، ورابعها: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٣٥).

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان أن الله تعالى هو من أرسل النبي صلى الله عليه وسلم لينذر قومه يوم البعث: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮊ، وكأن السياق يقول: وحقِّ من بيده القدرة المطلقة وهو سبحانه مطلق القدرة ومنزه عن النقص، إنك يا محمد صلى الله عليه وسلم من المرسلين، ولاحظ وصف القرآن بالحكيم، لأنه يحذر من يوم البعث، إذ تتجلى فيه حكمة الله تعالى بإثابة المحسن ومعاقبة المسيء، ولاحظ الإشارة إلى صورة عذاب المكذب يوم القيامة، لأن سياق السورة كله عن يوم البعث.

وفي المقابل بينت المقدمة أن إرسال النبي صلى الله عليه وسلم رحمة لمن آمن وعمل ليوم البعث، وأكدت ذلك بذكر كونه تعالى مقتدراً على بعث الموتى وحفظ أعمالهم جميعها: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ □ □ □ □ □ﮊ.

---

(٢٣٤) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ٢٣٩- ٢٤٤، وذكر أن حرف الياء الذي هو من حروف النداء ومن حروف الجهر يدل على قوة النفخ في الصور لبعث الخلق، وحرف السين الذي هو من حروف الصفير يدل على صفير النفخ في الصور المشابه للصفير، واعتبر (يس) نداءً للنبي ٨، وذكر وجوهاً أخرى، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٩٥٦، ٢٩٥٧، وذكر أن الحرفين يدلان على إعجاز القرآن، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٢، ص ٣٤٢- ٣٤٤، ورأيه كرأي سيد، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ص ٢٩٣- ٢٩٥، ورأيهم في هذه السورة كرأي سيد، وباجودة، د. حسن، **تأملات في سورة يس**، ط ٣، دار الاعتصام، الرياض، ١٩٧٧. ص ٧- ١٥. وقد رجح أن يس من أسمائه ٨، وزاهدة، عطية، **فواتح السور والحروف السبعة**، ص ٤٦- ٤٩، واعتبر يس يشير إلى القسم باليقين والساعة، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٢٣٥) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٢، وقصة أصحاب القرية: ١٣- ٢٧، والتعقيب عليها: ٢٨- ٧٦، والخاتمة: ٧٧- ٨٣.

فالمقدمة تبين أن الله تعالى مقتدر على كل شيء، ومن أبرز مظاهر كمال قدرته أنه سيبعث الموتى وسيجازيهم، وحرفا الياء والسين يشيران إلى القدرة كما تقدم.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى قصة أصحاب القرية، وهي تثبت أنه تعالى بحكمته يرسل الرسل ليحذر الناس من يوم البعث، كما وأن القصة تؤكد أن الله تعالى قادر على البعث، فانظر قول الرجل الذي جاء يدعو قومه إلى الإيمان بما جاء به الرسل الثلاثة: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ، ولاحظ قوله (الذي فطرني) الدال على أن الله الذي فطره أول مرة قادر على بعثه، وانظر قوله تعالى: ﮋ   ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ   ﮊ، فقد نقل إلينا القرآن كلام هذا المؤمن ليؤكد تحقق النعيم له في يوم البعث جزاء إيمانه.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى تعقيب على تلك القصة يؤكد قدرته تعالى على البعث: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮊ، لاحظ أن السياق يستدل على قدرة الله على البعث بعرض بعض مظاهر كمال قدرته، فهو الذي يحيي الأرض بالغيث بعد موتها، ويخرج منها الحب ويجعل فيها الجنات، إن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى، وقد ذكر السياق من مظاهر كمال قدرة الله تعالى آية الليل والنهار، وآية الشمس والقمر، وحمل ذرية آدم، وكلها تؤكد قدرته تعالى على البعث كما لا يخفى.

ولكي يكتمل التأكيد على إثبات أن الله قادر على البعث، عرض السياق مصير المؤمنين والمكذبين في ذلك اليوم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ، وانظر قوله تعالى عن مصير المكذبين: ﮋ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ.

فأنت تلاحظ إذاً أن سياق السورة يؤكد قدرة الله تعالى على البعث بمختلف الأساليب وشتى البراهين، وهذا هو المحور الذي دل عليه الحرفان (يس) كما تقدم.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت ذكر بعض مظاهر كمال قدرة الله للاستدلال بها على قدرته تعالى على البعث: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ، ولاحظ كلمة (أيدينا) المتفقة مع حرف الياء أول السورة، ولاحظ كثرة التعبير عن الله عز وجل بضمير العظمة، لزيادة التأكيد على المحور المذكور.

وأكدت الخاتمة قدرة الله على البعث بدليل مادي محسوس لا يمكن للإنسان إنكاره: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ.

وكما افتتحت السورة بحرفي الياء والسين المشيرين إلى أن الله بيده القدرة المطلقة وهو سبحانه منزه عن النقص، ختمت بذكر بعض مظاهر قدرته للتأكيد على أنه قادر على بعث

الخلق للحساب: ژ ۆ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ ۋې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ژ، ولاحظ عبارة (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) المتفقة مع حرفي الياء والسين أول السورة، وهكذا التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه الحرفان اللذان سميت السورة بهما أبلغ الدلالة.

أولاً: **سورة ص**

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى أحد حروف اللغة العربية المذكور أولها وهو حرف الصاد، وقد اختلف المفسرون في المعنى المقصود من هذا الحرف، فمنهم من اعتبره إشارة إلى صدق وعد الله، أو إشارة إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من اعتبر أنه يشير إلى إعجاز القرآن من حيث إنه مكون من مثل هذه الحروف، أقول: بالإضافة إلى اعتبار هذا الحرف مشيراً إلى إعجاز القرآن وبعد تأملي لموضوعات السورة، وجدت أن حرف الصاد يشير إلى موضوع الصبر، وهو محور مشترك بين هذه الموضوعات، وسأذكر بيان ذلك.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تعالج قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقضية الحساب في الآخرة، وفيها مواساة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ودعوتهم إلى الصبر، فقد ذُكر فيها من الأنبياء من ابتلوا وصبروا حتى سلمهم الله، كما وإن فيها تهديداً وتوبيخاً للمشركين، وفيها بيان أن أولياء الله هم الغالبون وإن رئي أنهم ضعفاء، فإن كان حرف الصاد يشير إلى القسم بصدق وعد الله أو صدق النبي صلى الله عليه وسلم، فالعلاقة بينه وبين ما ذُكر واضحة، وإن كان مشيراً إلى أعجاز القرآن فهو يدل على أن من جعل القرآن معجزاً، قادر على نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم [٢٣٦].

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو : تربية النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر والتذكير بالقرآن لأنه على الحق، وذلك من خلال عرض نماذج لصبر الأنبياء على الابتلاء مع بيان حسن عاقبة صبرهم، ومن خلال بيان سوء عاقبة مَن يصبر على الباطل. ولما كان حرف الصاد يشير إلى الصبر، جُعل منه اسم للسورة للدلالة على المحور المذكور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع الأحرف المقطعة أول السور بأنها **سورة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على الحق، في مقابل صبر قومه على الباطل.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفي ما يلي بيان ذلك:

---

(٢٣٦) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٠١، وقد اعتبر حرف الصاد مشيراً إلى صدق النبي ٨، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ٣٥٦، وقد اعتبره مشيراً إلى صدق وعد الله أو صدق النبي ٨، واستشهد على ذلك بما لحرف الصاد من صفات الهمس والصفير والاستعلاء، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٣٠٠٤- ٣٠٠٧، واعتبره مشيراً إلى إعجاز القرآن، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٣، ص ٢٠٢، ورأيه كرأي سيد، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ص ٤٣٧، ورأيهم كرأيهما. وقد ذكر د. أحمد نوفل في كتابه **تفسير سورة يوسف**، ص ٢٢٤، أن السور التي يكون حرف الصاد من حروف فواتحها يكثر فيها القصص والصبر والخصومة. وانظر أيضاً كتابه **تفسير سورة القصص**، ص ٢٢، ٢٣. وزاهدة، عطية، **فواتح السور والحروف السبعة**، ص ٦٠- ٦٢، وقد اعتبر ص مشيراً إما إلى الصحف الأولى، لذكر القرآن بعد هذا الحرف، ولقوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى)، وإما مشيراً إلى الصاخة لحديث هذه السورة عن بعض مشاهد ذلك اليوم.وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة موضوعات، أولاً: مقدمة تحوي تربية للنبي صلى الله عليه وسلم على الصبر والتذكير بالقرآن في مقابل صبر المشركين على ضلالهم، ثانياً: عرض قصصي يبرز تربية الله تعالى للأنبياء على الصبر على الابتلاء مع بيان جزاء صبرهم، ثالثاً: تعقيب يبين جزاء الصابرين على الحق والصابرين على الباطل يوم القيامة، رابعاً: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٣٧).

أولاً: جاء في مقدمة السورة أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على التذكير بالقرآن وذلك لأنه على الحق، بينما المشركون يصبرون على باطلهم: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ، ولاحظ افتتاح السورة بالحرف (ص)، وكأنه يقول: اصبر يا رسول الله صبراً وذكر بالقرآن الذي أُقسم أنه ذو ذكر، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر والتذكير يتلاءم مع ما بينه السياق من صبر المشركين على ضلالهم، فعلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصبر على الحق كما يصبر قومه على الباطل.

وقد نقضت المقدمة باطلهم ببيان أن الله تعالى بيده خزائن الرحمة، كما وأنه الذي أهلك من كذب قبلهم من الأقوام، وفي ذلك تأكيد على أن القرآن ذكر للناس، وقد أعادت المقدمة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر في دعوته لقومه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصصي لبعض الأنبياء ابتلاهم الله من أجل تربيتهم على الصبر، وقد بين السياق حسن عاقبة صبرهم ليكون في ذلك تربية للنبي صلى الله عليه وسلم على الصبر، وكان أول هؤلاء الأنبياء ذكراً داود عليه السلام ذا الأيد، ووصفه بهذا الوصف يدل على مدى صبره حتى استحق هذا الوصف، إذ ابتلاه الله برجلين تسورا محرابه فجأة وعرض أحدهما خصومته أمام داود، فحكم داود لصالحه قبل أن يستمع لقول الآخر، حينها أدرك داود أن هذه فتنة من الله ليربيه على الصبر، فخر راكعاً وأناب: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ، ولاحظ بيان عاقبة تربيته على الصبر، إذ جعله الله خليفة في الأرض يحكم بين الناس بالحق.

وكما بينت هذه القصة أن الحكمة تقتضي أن لا يستوي الحق والباطل، ذكر السياق بعدها أن حكمة الله تقتضي أن لا يستوي المؤمن والفاجر: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ، ولاحظ وصف المؤمنين بأنهم يعملون الصالحات حتى وصفوا بالتقوى، وما ذلك إلا لصبرهم على الحق، ولاحظ وصف المفسدين في الأرض بالفجار، وما ذلك إلا لصبرهم على الباطل، ولاحظ التأكيد على أن القرآن ذكرى من أجل أن يصبر أولو الألباب على الحق لا على الباطل.

---

(٢٣٧) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٧، والعرض القصصي: ١٧- ٤٨، والتعقيب: ٤٩- ٦٤، والخاتمة: ٦٥- ٨٨.

ثم انتقل السياق إلى القصة الثانية وهي قصة سليمان عليه السلام، وقد عرض السياق أنه تعرض لفتنتين من الله من أجل أن يربيه على الصبر: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮊ، فأول فتنة أن حب الخير شغله عن ذكر الله، والفتنة الثانية أن الله ألقى على كرسيه جسداً ليبتليه، وهاتان الفتنتان من أجل تربيته على الصبر على ذكر الله كما هو ظاهر، وقد بين السياق عاقبة صبره إذ مكن الله له في الأرض وسخر له الريح والشياطين، وإن له عند الله لزلفى وحسن مآب.

ثم انتقل السياق إلى قصة أيوب عليه السلام، إذ ابتُلي بمس الشيطان له بنصب وعذاب، فصبر حتى عافاه الله ووهب له أهله ومثلهم معهم رحمة منه تعالى، وذلك جزاء صبره عليه السلام، وأعقب السياق قصة أيوب بذكر بعض الأنبياء ووصفهم بأولي الأيدي والأبصار: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ، إن وصفهم بأولي الأيدي والأبصار، وبيان كونهم من المصطفين الأخيار يطلعنا على مدى الصبر الذي كانوا عليه حتى استحقوا هذه الأوصاف الحميدة.

فهذا العرض القصصي كما ترى يعرض تربية الله تعالى لأنبيائه على الصبر حتى تتحقق لهم العاقبة الحسنة، وفي ذلك تربية للنبي صلى الله عليه وسلم على الصبر على الحق والتذكير بالقرآن، وبشارة له بحسن العاقبة. وهذا منسجم مع اسم السورة (ص) الدال على الصبر.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى بيان مصير الصابرين على الحق والصابرين على الباطل يوم القيامة: ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮊ، ووصفهم بالمتقين يؤكد صبرهم على الحق وعلى العمل الصالح حتى استحقوا هذا الوصف السامي. وانظر مصير الصابرين على الباطل: ﮋﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ، فوصفهم بالطاغين يؤكد أنهم صبروا على الباطل حتى استحقوا مثل هذا الوصف، أضف إلى ذلك أن السياق قد بين أنهم كانوا متكبرين أيضاً، إذ هم لا يرون معهم في النار الرجالَ المؤمنين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﮊ، وما فائدة التخاصم حينها، فهم سيبقون في النار سواء أصبروا أم لم يصبروا، وبيان تكبرهم متلائم مع ما سيأتي في الخاتمة التي تبرز تكبر إبليس عن أمر ربه.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على تذكير قومه بالقرآن: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ.

وقد بينت الخاتمة أن الذي دفع إبليس إلى عدم الاستجابة لأمر الله إنما هو تكبره، وحين حُكم عليه باللعنة إلى يوم الدين، أصر على الصبر على إغواء بني آدم: ﮋ   ﮊ، ولاحظ وصف المؤمنين بالمخلَصين، وهو وصف يطلعك على مدى صبرهم على كيد إبليس.

وذكر قصة إبليس متلائم مع ما بينته المقدمة من صبر المشركين على باطلهم، ومع ما بينت السورة من مصير الصابرين على الباطل.

وكما افتتحت السورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على الحق والتذكير بالقرآن، ختمت بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر ذاته: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ، فإن يصبروا ـ وليس لهم إلا الصبر ـ فسيعلمون مصير من صبر على الحق ومصير من صبر على الباطل. وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

سورة ق

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى أحد حروف اللغة العربية المذكور أولها وهو حرف القاف، وقد اختلف المفسرون في المعنى المقصود من هذا الحرف، فمنهم من قال إنه يشير إلى أحد أسماء الله كالقادر أو القابض أو القدوس، أو أنه يشير إلى أحد صفاته كصدق وعده أو قيوميته أو قهره لخلقه، أو أنه يشير إلى تحدي القرآن وإعجازه من حيث إنه مكون من الحروف العربية، أقول: وبالإضافة إلى كون حرف القاف يشير إلى إعجاز القرآن، وبعد تأمل موضوعات السورة، وجدتُ أنه يشير أيضاً إلى يوم القيامة، إذ سياق السورة كله حول هذا الموضوع، وسأذكر بيان ذلك.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو إثبات براهين قدرة الله تعالى على البعث، وهي العلم والقدرة والحكمة، فالسورة تبين رقابة الله للنفس البشرية من المولد إلى الممات إلى البعث إلى الحشر ثم الحساب، كما وإن السورة تهدف إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته التي معظمها الإنذار باليوم الآخر، وتثبت لها الشرف والرفعة. فإن كان حرف القاف يشير إلى أحد أسماء الله أو أحد صفاته فالعلاقة بينه وبين ما ذُكر واضحة، وإن كان يشير إلى إعجاز القرآن فهو يدل على أن مَن جعل القرآن معجزاً قادر على تحقيق ما جاء فيه من البعث [٢٣٨].

---

(٢٣٨) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٩١، وذكر أن حرف القاف يشير إلى بعض أسماء الله، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٢٤٣، ٢٤٤، وذكر أن حرف القاف يشير إلى بعض صفات الله، وأنه بما له من صفات الجهر والاستعلاء يشير إلى رفعة الرسالة وشرفها، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٣٥٦، ٣٣٥٧، وذكر أن حرف القاف مقصود منه الإعجاز، وهو أول حرف في كلمة «قرآن»، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٦، ص ٢٧٥، وذكر أن حرف القاف مقصود منه الإعجاز، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٣٩١ـ ٣٩٣، ورأيهم كرأي ابن عاشور. وقد ذكر د. أحمد نوفل أن السور التي يكون حرف القاف من حروف فواتحها تفصل في موضوع يوم القيامة. ينظر: **تفسير سورة يوسف**، ص ٢٢٤، **وتفسير سورة القصص**، ص ١٥. وزاهدة، عطية، **فواتح السور والحروف السبعة**، ص ٤٩ـ ٥١، واعتبر ق مشيراً إلى القيامة أو القارعة، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: إثبات حقيقة البعث ليوم القيامة من خلال ذكر بعض البراهين العقلية على القدرة الإلهية المطلقة، وذكر بعض مظاهر علم الله الحفيظ فيما يتعلق بالإنسان في الدنيا والآخرة، ولما كان حرف القاف يشير إلى القسم بالقيامة، جُعل منه اسم للسورة للدلالة على المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع الحروف المقطعة أول السور بأنها **سورة إقامة الأدلة على القدرة الإلهية على البعث ليوم القيامة.**

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين محور السورة ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة موضوعات، أولها: مقدمة تثبت حقيقة البعث ليوم القيامة بالبراهين العقلية، وثانيها: إثبات حقيقة يوم القيامة من خلال بيان بعض مظاهر علم الله الحفيظ فيما يختص بالإنسان في الدنيا والآخرة، وثالثها: الخاتمة المؤكدة لما سبق [239].

أولاً: جاء في مقدمة السورة إثبات لحقيقة يوم القيامة بالبراهين العقلية التي يراها الناس يومياً: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﮊ، ولاحظ حرف القاف المشير إلى القسم بيوم القيامة، وكأن افتتاح السورة يقول: أقسم بالقيامة والقرآن المجيد لتبعثن ولتحاسبن، ولاحظ ذكر بعض مظاهر كمال علم الله تعالى ومطلق قدرته، فهو يعلم ما يُدفن في الأرض من أموات البشر، وهو الذي خلق السماء وزينها بالنجوم وما لها من فروج، وقد ذكرت المقدمة أيضاً من البراهين أن الله هو الذي مد الأرض وألقى فيها رواسي، وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأنبت به الجنات والنخل والحب، وجعل ذلك رزقاً للعباد. فالقادر على ذلك كله قادر على بعث الناس ليوم القيامة الذي أشار اسم السورة إلى القسم به.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى إثبات حقيقة يوم القيامة بذكر بعض مظاهر علم الله الحفيظ فيما يختص بالإنسان: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ، فإن الله الذي وكل بالإنسان ملكَيْن يسجلان كل أعماله، قادر على بعثه ليجازيه بما سُجل عليه، هذا فيما يتعلق بالدنيا.

وأما مظاهر علم الله الحفيظ فيما يتعلق بالإنسان في الآخرة: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ، فكل نفس لها ملكان موكلان بها، أحدهما يسوقها والآخر يشهد عليها، فلا مجال للإنكار، والتفصيل في عرض هذه المشاهد الأخروية يؤكد حقيقة يوم القيامة كما لا يخفى.

([239]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١١، وإثبات يوم القيامة ببيان بعض مظاهر علم الله الحفيظ: ١٢- ٣٥، والخاتمة: ٣٦- ٤٥.

ولكي يكتمل إثبات حقيقة يوم القيامة، بين السياق في كيفية استقبال النار لكل كفار عنيد، وكيف تزلف الجنة للمتقين غير بعيد.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت ذكر بعض مظاهر كمال علم الله تعالى ومطلق قدرته: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ، وبذلك يتأكد أن القادر على ذلك قادر على بعث الناس ليوم القيامة.

وكما افتتحت السورة بالقسم بحرف القاف المشير إلى القيامة وبالقسم بالقرآن المجيد للدلالة على أنه سبحانه قادر على بعث الخلق لذلك اليوم، ختمت بالتأكيد على قدرة الله تعالى على الموضوع ذاته: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

أولاً: سورة النور

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام الأصفهاني رحمه الله: « النور: الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن، وضرب محسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين.. فمن النور الإلهي قوله تعالى : (يهدي الله لنوره من يشاء)، وسمى الله نفسه نوراً من حيث إنه هو المنوِّر، قال: (الله نور السماوات والأرض)»[٢٤٠]، فالدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة تفيد أن الله تعالى هو منوِّر السماوات والأرض، بمعنى أنه تعالى «مدبر أمر مَن فيهما وما فيهما على أحكم نسق وأبدع نظام، ومن أعظم التنوير: تنويره لنا ـ معشر المكلَّفين ـ وتدبيره لكثير من أمور محيانا ومماتنا بشريعته الغراء »[٢٤١]، وكأن المقصود من هذه الآية أن يستمد المجتمع المسلم نور حياته من المنهج الذي أبدعه مبدع السماوات والأرض.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن المحور الذي تدور حوله هو التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود، وترق إلى درجة اللمسات الوجدانية الرفيقة، التي تصل القلب بنور الله، ففي السورة من الآداب والأخلاق النفسية والاجتماعية للفرد وللجماعة ما ينير القلب، وينير الحياة، ويربطها بذلك النور الكوني الكبير الشامل، ومعظم هذه الآداب والأخلاق مرتبط بالعلاقات الاجتماعية بين الذكر

---

(٢٤٠) الأصفهاني، **المفردات**، ص ٨٢٧، ٨٢٨. بتصرف.

(٢٤١) خليفة، أ.د إبراهيم عبد الرحمن، **اسم السورة يمثل روحها العام**، بحث مستل من حولية كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، ص ٣٦.

والأنثى، لأنها أمور تتدخل فيها الأهواء والمصالح، كما وأن السورة تبرز أن من أعرض عن نور الهدى الرباني هم في سراب وظلام دامس [٢٤٢].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: تربية المجتمع الإيماني المسلم على اتباع التشريع الإلهي المنير، حتى يكون مجتمعاً نورانياً منسجماً مع الكون الذي أبدعه الله على أحسن صورة، وبذلك يكون المؤمنون يستمدون نور حياتهم من نور خالق السماوات والأرض. ولما كان وصف الله تعالى بأنه (نور السماوات والأرض) وبأنه (يهدي الله لنوره من يشاء)، اشتُقَّ من ذلك اسمٌ للسورة ليدل على المحور المذكورو وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أسماء الله تعالى أو صفاته بأنها **سورة الدعوة إلى أن يستمد المجتمع المسلم نور حياته من نور خالق السماوات والأرض.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولاً: مقدمة تذكر حدوداً متعلقة بجريمة الزنا، لتربية المؤمنين على شناعة هذه الجريمة، ثانياً: تعقيب ببيان براءة السيدة عائشة من الإفك، مع توجيهات وتحذيرات تربوية للتنفير من الفاحشة، ثالثاً: بيان مَثَل نور خالق السماوات والأرض والدعوة إلى التزام شرعه المنير، وأن من يعرض عنه هو في ظلام، رابعاً: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٢٤٣].

أولاً: جاء في مقدمة السورة ذكرٌ لبعض الحدود المتعلقة بجريمة الزنا، وذلك من أجل زيادة التشنيع على مرتكب هذه الجريمة، فيكون ذلك أدعى لتربية المؤمنين على النفور منها، ومن المعلوم أن جريمة الزنا غالباً ما تحصل في الظلام، وكأن السياق يحذر منها لأنها تخرج مرتكبها من نور التشريع الإلهي: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ، ولاحظ بيان أن الله تعالى هو الذي أنزل هذه السورة وفرضها على المؤمنين، ليدل على أنه ينير حياة المؤمنين، كما أنه ينير السماوات والأرض، ولاحظ قوله (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله)، ليكون ذلك أدعى إلى النفور من هذه الجريمة، وقد أكد هذا المعنى قوله (وحرم ذلك على المؤمنين).

ثم ذكرت المقدمة حد القاذف للمحصنات المؤمنات الغافلات بدون أربعة شهود، كما وذكرت قضاء الله في موضوع الملاعنة بين الأزواج إذا اتهم أحدهما الآخر بهذه الجريمة، وختم الحديث عن الحدود بقوله: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وحذف جواب الشرط ليتفكر العقل في كل جواب منسجم مع السياق.

([٢٤٢]) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ٢٢٩، ٢٦٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٤٨٥، ٢٤٨٦، ٢٥١٩، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١٨، ص ٢٣٣، ٢٣٠- ٢٣٤، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٥، ص ١٦٨، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٧١- ١٧٧، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي، ٢٧٣- ٢٨٨**، وأ.د خليفة، **اسم السورة يمثل روحها العام**، ص ٣٦- ٤٠.

([٢٤٣]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٠، والتعقيب مع التحذير من الفاحشة: ١١- ٣٤، وبيان نور خالق السماوات والأرض: ٣٥- ٥٧، والخاتمة: ٥٨- ٦٤.

إن افتتاح هذه السورة ببيان حكم الله في تلك الجريمة التي تحدث في الظلام أو الخفاء، يطلعنا على أن الله تعالى يريد من المجتمع المؤمن أن يكون نورانياً ملتزماً بأحكام منوِّر السماوات والأرض وخالقهما. وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى تعقيب متعلق بموضوع اتهام السيدة عائشة رضي الله عنها بجريمة الزنا، وبيان أن هذا إفك وأنها بريئة من ذلك: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﮊ، فبما أن المقدمة حذرت من الزنا واعتبرته أمراً موجباً للحد، كان لا بد من تبرئة أم المؤمنين من هذه التهمة، ليبقى المجتمع الإيماني نورانياً، ولاحظ التربية في وجوب إحسان الظن قبل نقل التهمة بدون تحقق.

وقد أعاد السياق التحذير من الخوض في الأعراض بدون بينة، لا سيما إذا كان العِرض المتهم هو عرض الرسول القائد صلى الله عليه وسلم: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﮊ.

ثم انتقل السياق إلى تحذيرات وتوجيهات تربوية للمؤمنين تنفرهم من الفاحشة، وهي غالباً ما ترتكب في الظلام، وتخرج مرتكبها عن نور الشرع الإلهي: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯥ ﯦ ﯧ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وقد حذر السياق أيضاً من اتباع خطوات الشيطان لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر.

وبعد التحذير جاءت التوجيهات التي تمنع حدوث الفاحشة من الأصل، فقد حذر السياق أن يدخل المؤمن بيت غيره إلا بعد الاستئناس والسلام على أهل البيت، ومنع من دخول البيوت إذا لم يؤذن له، وحتى لو كان البيت خالياً من أهله فلا يدخله حتى يؤذن له، وأباح دخول البيوت غير المسكونة. ولا يخفى أن تربية المؤمنين على آداب الاستئذان هذه تحفظ المجتمع من وقوع الفاحشة سيما عند ضعفاء النفوس.

وأمر السياق المؤمنين بغض البصر وحفظ الفروج، وأعاد الأمر للمؤمنات، وبين بعض أحكام لباسهن وأمرهن بالحشمة، وحدد للمرأة مَن يجوز لها أن تبدي زينتها أمامه، وختم تلك التوجيهات بقوله: ﮋ... ﯤ □ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ ﮊ (بعض الآية:٣١)، فإذا التزم المجتمع بتلك التوجيهات، وأعقب ذلك بالتوبة عما مضى، أصبح مجتمعاً نظيفاً يستمد نور حياته من خالق السماوات والأرض.

ثم بين السياق الطريق الشرعي للشهوة الجنسية، فأمر المجتمع بتسهيل أمور الزواج الشرعي، وعدم اعتبار الفقر مانعاً منه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ، وأمر السياق الرجال الذين لا يتمكنون من الزواج لقلة ذات اليد بالاستعفاف حتى يغنيهم الله من فضله، ونهى عن إكراه الفتيات على البغاء كما كانوا يفعلون في الجاهلية، وختمت تلك التوجيهات بقوله: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ، ولاحظ تكرار وصف الآيات بالمبينات، وكأنها تشير إلى أن منزل هذه السورة هو خالق السماوات والأرض ومنوِّرهما، ويريد من المؤمنين أن يستمدوا نور حياتهم منه.

ثالثاً: جاء في وسط السورة بيان مثل نور الله عز وجل، وكأن المقصود من موقع هذا المثل أن يضيء أركان السورة من أولها إلى آخرها: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ ﮊ، فهو سبحانه خالق السماوات والأرض ومبدعهما على أحسن نظام وأتقن صورة، ولاحظ قوله (يهدي الله لنوره من يشاء) الدال على أنه يريد بشرعه المنير أن يكون المؤمنون من المستمدين لهذا النور.

وأعقب السياق هذا المثل بذكر الذين يهديهم الله إلى نوره، وذكر من المواقع أطهرها وهي بيوت الله التي فيها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ويخافون اليوم الآخر، وبين أن أولئك سيجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله.

ولكي تكتمل المقارنة، ذكر السياق مثل المعرضين عن نور الشرع الإلهي: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ، ولاحظ وصف أعمالهم بالسراب، لأنهم ليسوا على الحق في شيء، فليس لهم أي أجر، ولاحظ وصفهم بأنهم في الظلمات في مقابل المؤمنين الذين يعيشون بنور الله تعالى.

ومن أجل التأكيد على أن المجتمع الإيماني إذا التزم بالتشريع المنير كان منسجماً مع الكون الذي أبدعه الله في أحسن صورة، ذكر السياق أن كل من في السماوات والأرض والطير يسبح ويصلي لله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ ﮊ، وبيان أنهم يسبحون ويصلون منسجم مع وصف الرجال بأنهم لا تلهيهم مشاغل الحياة عن الذكر والصلاة، وذكر السياق من صفات الله تعالى أيضاً أنه هو الذي يزجي السحاب حتى ينزل منه الغيث، وهو الذي يقلب الليل والنهار، وهو الذي خلق كل دابة من ماء، وختم هذه الصفات بقوله: ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ، ليدل على أنه يريد أن يهدي لنوره من يلتزم بشرعه المنير.

وبين السياق صنفاً ثانياً من الناس المعرضين عن نور الله تعالى، وهم المنافقون: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ، ولاحظ بيان أنهم حرموا أنفسهم من النور لأنهم يعرضون عن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقبل الخاتمة أعاد السياق بيان أن المؤمنين الملتزمين بشرع الله المنير هم الذين ارتضاهم خالق السماوات والأرض للخلافة في الأرض: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ، ولاحظ إعادة الأمر بالصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يبقوا في النور الإلهي ولا يخرجوا عنه.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت ذكر توجيهات تحمي المجتمع من وقوع الفاحشة، فأمرت بتربية الأطفال وما ملكت اليمين على الاستئذان: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ...ﮊ (بعض الآية: ٥٨)، وأمرت القواعد من النساء بعدم التبرج،

وحددت البيوت التي يجوز الأكل مع أهلها، وأمرت بإلقاء تحية السلام عند الدخول ليبقى المجتمع طاهراً سالماً من مظاهر الفاحشة ودواعيها.

وأعادت أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وعدم الانصراف عنه إلا بعد استئذانه، وأمرت بتوقير النبي صلى الله عليه وسلم وعدم دعائه كما يدعون بعضهم بعضاً، وذلك للحفاظ على مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب المؤمنين، كما حافظ عليها حين بين براءة زوجه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

وكما افتتحت السورة ببيان أن الذي أنزل هذه السورة وفرضها هو منوِّر السماوات والأرض، وأراد من المؤمنين أن يلتزموا بما جاء فيها من الشرع المنير لأنه من العليم الخبير، ختمت ببيان أنه تعالى يعلم مَن يلتزم بشرع الله فيبقى في النور، ومن يعرض عنه فيحرم نفسه من النور، وأنه سيجازي يوم القيامة الجميع بأعمالهم: ژگ گ گ ں ں ڻڻ ڈ ڈ ۂ ۂ ہ ہ ۂ ۂ ھ ہ ھھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ژ. وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة ألطف الدلالة.

ثانياً: سورة فاطر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس رحمه الله: «الفاء والطاء والراء، أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه »، ويقول الإمام الأصفهاني رحمه الله: « ... وفَطْرُ اللهِ الخلقَ: هو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال » (٢٤٤)، فوصف الله تعالى بـ «فاطر السماوات والأرض» يدل على أنه سبحانه هو الذي أوجد هذا الكون وأبدعه، وصيغة اسم الفاعل تؤكد ذلك لأنها تفيد التمكّن.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة مقصودها إيقاظ القلب البشري من غفلته، بإيقاعات موحية تهزه هزاً، ليتأمل عظمة هذا الكون وآيات الله المبثوثة في تضاعيفه، هذه الإيقاعات تجمعها الإشارة إلى يد القدرة المبدعة، فالسورة تثبت القدرة الكاملة لله تعالى، والتي يلزم منها قدرته على البعث، فالإيجاد من العدم أدل دليل على ذلك، وفي تسميتها بـ «فاطر» دلالة على ذلك (٢٤٥).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة، فيقول إن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان بعض صفات الله تعالى والتي أهمها أنه هو المبدئ والمعيد، فهو الذي فطر الخلق أول مرة، وهو القادر على أن يعيده يوم القيامة. ولما كان اسم السورة «فاطر» يدل على أنه تعالى هو الذي فطر الخلق أول مرة، سميت به للدلالة على المحور المذكور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أسماء الله وصفاته بأنها

---

(٢٤٤) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨٤٩، والأصفهاني، **المفردات**، ٦٤٠.

(٢٤٥) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ١٩٩، ٢٠٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٩١٨، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٢، ص ٢٤٧- ٢٤٩، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ٢٣٥، ٢٣٦. والغزالي، **نحو تفسير موضوعي، ٣٣٥- ٣٣٩**، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

سورة بيان أن الله هو الذي فطر الخلق أول مرة، وهو الذي يعيدهم ليوم القيامة، فهو المبدئ المعيد. كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة موضوعات، أولاً: مقدمة تدعو إلى التوحيد من خلال بعض الآيات الكونية والآيات القرآنية، وثانياً: بيان بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى في الكون للدلالة على قدرته على البعث، وثالثاً: الدعوة إلى الإيمان من خلال آيات الوحي (القرآن) مع بيان مصير من يؤمن ومن يكفر بها يوم القيامة، رابعاً: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٤٦).

أولاً: جاء في مقدمة السورة دعوة إلى التوحيد من خلال عرض بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى في الكون، ومن خلال الدعوة بالآيات القرآنية: ژ ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮈ ﮉ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □□ □ □ □ □□ □ □ ژ ، فالله وحده المستحق للحمد لأنه هو الذي فطر الكون، كما أن له الحمد في الآخرة حين يبعث الخلق، ولاحظ الإشارة إلى التكوين الخلقي للملائكة، وذكرهم مناسب لبيان عظمة الله، فهم خلق عظيم من خلق الله، ولاحظ بيان أن الله تعالى بيده خزائن الرحمة والرزق، يفتح متى يشاء ويمسك متى يشاء، إن افتتاح السورة بهذه الصفات الجليلة تدعو إلى التوحيد، لأن مَن له هذه الصفات ـ والتي أعظمها فطر السماوات والأرض ـ هو وحده المستحق للعبادة.

وبعد ذكر بعض الآيات الكونية، انتقل السياق إلى التحذير من الكفر بالآيات القرآنية: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ژ، ولاحظ عبارة (وإلى الله ترجع الأمور)، التي تؤكد أن الله تعالى هو الفاطر المبدئ لهذا الكون، وهو المعيد لخلق هذا الكون في الآخرة، ولاحظ التحذير من الكفر، والاغترار بالحياة الدنيا أو بخطوات الشيطان، ومن ثمَّ الوقوع بالتكذيب بآيات هذا الخالق العظيم.

فالمقدمة تدعو إلى عبادة الله وحده لأنه هو فاطر الكون، وهو الذي يرسل الرسل ليؤمن الناس ويعبدوه.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى تأكيد القدرة الإلهية على البعث من خلال ذكر بعض مظاهر كمال قدرته تعالى في الكون، فالمقدمة أثبتت أن الله هو المبدئ، وهنا سيثبت السياق أن الله هو المعيد: ژ ه ه ه ه ے ے ۓ ۓ ﮈ ﮉ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ژ، فكما أنه قادر على إحياء الأرض بالماء بعد موتها، فهو سبحانه قادر على إحياء الموتى، وانظر هذه الآية: ژ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ بيان أن هذا كله

(٢٤٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٨، وبيان بعض مظاهر كمال قدرة الله: ٩- ٢٥، والدعوة إلى الإيمان بآيات القرآن: ٢٦- ٣٧، والخاتمة: ٣٨- ٤٥.

على الله يسير، وهذا مرتبط باسم السورة، فإن الذي فطر السماوات والأرض وبيده خزائن الرحمة والرزق، لن يكون من العسير عليه خلق البشر من تراب، وبعثهم بعد موتهم.

وقد ذكر السياق من آيات الله للدلالة على قدرة الله على البعث أنه تعالى فصل بين البحرين العذب الفرات والبحر الملح الأجاج، ومن كلٍّ يستخرج الإنسان لحماً طرياً، وأنه تعالى هو الذي يولج الليل في النهار، وهو الذي سخر الشمس والقمر، وأعاد التذكير بأن الذي له هذه الصفات هو المستحق للعبادة، ولا شريك له: ژ ... ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ژ، ولا تخفى العلاقة بين اسم السورة وبين ذكر هذه الصفات الجليلة لله تعالى.

ثالثاً: وبعد الدعوة إلى التوحيد من خلال الآيات الكونية، انتقل السياق إلى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد من خلال الآيات القرآنية: ژ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ژ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ژ، وبيان عاقبة المكذبين متلائم مع بيان الصفات الجليلة لله تعالى، فهو قادر على إهلاك المكذبين كما هو قادر على خلق السماوات والأرض، وانظر هذه الآيات: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ□ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ژ، فالسياق كما ترى يدعو إلى توحيد الله عز وجل والإيمان بآياته، من خلال بيان مصير المؤمنين.

ولكي يؤكد السياق على حقيقة أن الله تعالى هو المبدئ المعيد، عرض مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة: ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ککگ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ڙ ژ، فهذا مصير المؤمنين، وانظر مصير الكافرين: ژ ہ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۊ ۋ ۋ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۋ ۈ ۉ ۊ ۋ ې ى ﯤ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ بيان أن الكافرين في النار مخلدون بلا موت، وذلك يتلاءم مع اسم السورة من حيث أن الذي فطر الخلق وبدأه، هو الذي يعيد الخلق في يوم القيامة بعد موتهم، وهو القادر على أن يحرم هؤلاء من الموت فلا يرتاحون أبداً.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التأكيد على أنه سبحانه هو المبدئ المعيد: ژ □ □ □ □ □ ﯨﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ژ ، فكما هو قادر على جعل البشر يخلف بعضهم بعضاً، قادر على بعثهم يوم القيامة.

وقد أعادت الدعوة إلى التوحيد من خلال الآيات الكونية والآيات القرآنية: ژ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ژ.

وكما افتتحت السورة ببيان أن تعالى هو الذي فطر السماوات والأرض فهو المبدئ، ختمت ببيان أن الله تعالى هو المعيد أيضاً: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ

ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثالثاً: سورة غافر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس رحمه الله: « الغين والفاء والراء: عُظْم بابه الستر ... فالغفر: الستر »، ويقول الإمام الأصفهاني رحمه الله: « الغفران والمغفرة من الله: هو أن يصون العبدَ من أن يمسه العذاب »(٢٤٧)، فوصف الله تعالى بـ «غافر الذنب» يدل على أنه سبحانه دائم الغفران للمستغفرين وأنه لا يؤاخذهم بها، يؤكد هذا صيغة اسم الفاعل.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة الدلالة على عزة الله الكاملة وعلمه الشامل، من خلال بيان تصنيف الناس في الآخرة إلى صنفَيْن، ثم إن السورة تعالج قضية الحق والباطل، قضية الإيمان والكفر، وقضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وفي ثنايا ذلك تعرض موقف المؤمنين ونصر الله لهم، فجوُّ السورة جو المعركة بين الحق والباطل. وتسميتها بـ «غافر» تدل على ذلك، فإنه لا يقدر على غفران ما يشاء ولمن يشاء، ونصر المؤمنين وإهلاك الكافرين، إلا كامل العزة، ولا يعلم جميع الذنوب ليسمى غافراً إلا كامل العلم (٢٤٨).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال السابقة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان أن الله تعالى غافر الذنب وقابل التوب لمن صدّق وآمن في الدنيا والآخرة، وهو كذلك شديد العقاب ذو الطول في الدنياو والآخرة لمن كفر وكذب، ولما كان وصف الله تعالى بـ «غافر» أدعى للإيمان ويرغب به، اختير هذا الوصف ليكون اسماً للسورة وليعبِّر عن المحور المذكور. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أسماء الله وصفاته بأنها **سورة الدلالة على أن الله تعالى غافر الذنب وقابل التوب، كما وأنه شديد العقاب وذو الطول.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولها مقدمة تؤكد أن الله تعالى غافر الذنب وقابل التوب لمن آمن، وشديد العقاب ذو الطول لمن كفر، وثانيها: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان أنه تعالى شديد العقاب وذو الطول لمن كفر يوم القيامة، مع عرض قصصي يؤكد ذلك،

(٢٤٧) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨٠١، بتصرف، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٦٠٩.

(٢٤٨) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد القرآن**، ص ٩٢، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج٦، ص ٤٨٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ٣٠٦٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٤، ص ٧٧- ٨٠، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ص ٥٢٧، ٥٢٨، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

وثالثها: تعقيب يدعو إلى التوحيد من خلال الآيات الكونية والقرآنية مع التحذير من عاقبة التكذيب، ورابعها: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٤٩).

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان أن الله تعالى غافر الذنب وقابل التوب لمن آمن، وشديد العقاب ذو الطول لمن كفر: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ژ، ولاحظ تقديم غافر الذنب وقابل التوب، ليكون ذلك أدعى للإيمان وللترغيب به، فهو سبحانه يغفر ذنوب من آمن به وعمل صالحاً ويقبل توبته، وفي المقابل هو سبحانه شديد العقاب ذو الطول، أي ذو القدرة على إنزال الانتقام بمن كفر (٢٥٠)، ولاحظ بيان أن الله تعالى إليه المصير، لأنه في يوم القيامة يتجلى غفرانه ورحمته للمؤمنين، ويتجلى انتقامه وعقابه للكافرين.

وقد أكدت المقدمة بيان أن الله تعالى شديد العقاب وأنه ذو الطول لمن كفر، فأشارت إلى مصير المكذبين السابقين: ژ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ژ، ولاحظ أن السياق بين مصيرهم في الدنيا والآخرة، ليؤكد على المحور المذكور، وقد قدم السياق تهديد الكافرين لمناسبة الواقع الذي نزلت فيه السورة، إذ كان الكفر هو السائد.

ومن أجل التأكيد على أنه تعالى غافر الذنب وقابل التوب لمن آمن، عرضت المقدمة قول ملائكة العرش المستغفرين للمؤمنين: ژ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ قولهم (فاغفر للذين تابوا) فقدموا الاستغفار على ذكر التوبة، ليتلاءم ذلك مع وصفه تعالى بغافر الذنب وقابل التوب.

فالمقدمة كما ترى تدعو إلى التوحيد من خلال بيان أنه تعالى غافر الذنب وقابل التوب للمؤمنين، كما وأنه شديد العقاب وذو الطول للكافرين.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان أنه تعالى شديد العقاب وذو الطول لمن كفر يوم القيامة، وأكد ذلك من خلال عرض قصة موسى عليه السلام مع فرعون: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ژ، ولاحظ بيان أن سبب مقت الله لهم وعذابهم في جهنم إنما هو شركهم بالله عز وجل.

ولكي يؤكد السياق الدعوة إلى التوحيد، حذر من يوم القيامة وبيّن أن الملك فيه لله الواحد القهار، وليس لأحد غيره فيه تصرف: ژ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ژ، ولاحظ بيان أنه في ذلك اليوم تجزى كل نفس بما كسبت، وأنه لا ظلم فيه، وذلك يتلاءم مع اسم السورة كما لا يخفى.

---

(٢٤٩) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٩، وبيان أنه تعالى شديد العقاب لمن كفر في الآخرة: ١٠- ٢٢، وقصة موسى مع فرعون: ٢٣- ٥٤، والتعقيب: ٥٥- ٧٦، والخاتمة: ٧٧- ٨٥.

(٢٥٠) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٤، ص ٨٠، وأعتقد أن هذا التفسير لقوله تعالى (ذي الطول) متلائم مع قوله تعالى قبله (شديد العقاب)، فهو أنسب من تفسيره بأنه ذو الإنعام.

ثم انتقل السياق إلى عرض قصة موسى عليه السلام مع فرعون، واللافت للنظر أنها تؤكد حقيقة أن الله تعالى شديد العقاب وأنه ذو الطول لمن كفر يوم القيامة على نحو لا تجده في سور أخرى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پپ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄژ، ولاحظ أن فرعون طلب قتل موسى، ليتلاءم ذلك مع قوله تعالى أول السورة: (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه)، ثم إن هذا الموقف من فرعون هو الأقبح، وسيأتي بيان أنه سيعذب أشد العذاب يوم القيامة جزاءً لموقفه هذا، ولاحظ أن موسى استعاذ بالله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

وقد عرض السياق موقف الرجل المؤمن من آل فرعون، ولم يذكر موقفه في سورة أخرى، وقد كان موقفه محذراً من عقاب الله في اليوم الآخر أيضاً: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ی ی ژ، وانظر قوله أيضاً: ژ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ، إن أقواله هذه تؤكد المحور المذكور بأبلغ صورة.

وأشد ما يلفت الانتباه في عرض هذه القصة أن السياق لم يذكر شيئاً عن العذاب الدنيوي لفرعون وقومه، بل كان التركيز على العذاب الأخروي: ژ ګ ګ ګ ګ ګ ګ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ژ، ثم بين السياق كيف أن فرعون ومن معه يتحاجون مع أهل النار، ويطلبون من خزنتها أن يخفف عنهم ربهم يوماً من العذاب. إن عرض مصير فرعون وقومه، ومصير الكافرين في جهنم، يؤكد بأبلغ صورة حقيقة أن الله تعالى شديد العقاب وأنه ذو الطول لمن كفر.

ثالثاً: وبعد عرض المصير المرعب للكافرين، أعقب السياق تلك القصة بالدعوة إلى التوحيد من خلال الآيات القرآنية وبعض الآيات الكونية، وحذر من عاقبة التكذيب: ژ ګ ګ ګ ګ ګ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہہ ھ ھ ھھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ژ، فقد قطع السياق الحجة على المجادلين في آيات الله، لأن الذي خلق السماوات والأرض هو من أنزل هذا القرآن، ففيم المجادلة إذاً.

وانظر هذه الدعوة الكريمة إلى التوحيد: ژ ٺ ٺ ٺ ٺٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇژ، فكما أنه تعالى هو منزل القرآن، وهو الذي سخر الليل والنهار للإنسان، وهو ذو فضل على الناس، فهو وحده إذاً المستحق للدعاء والعبادة، والعلاقة بين ذلك وبين اسم السورة واضحة.

وقد حذر السياق قبل الخاتمة من التكذيب بآيات الله تعالى الكونية والقرآنية ببيان مصير المكذبين يوم القيامة: ژ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک کک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ گ گ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ژ. فالسياق كما ترى يدعو إلى توحيد الله عز وجل ببيان أنه غافر الذنب وقابل التوب لمن آمن، كما وأنه شديد العقاب وذو الطول لمن كفر. وهذا هو المحور الذي دل عليه اسم السورة.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التحذير من التكذيب بآيات الله القرآنية: ژ □ □ □ □ □ى ى ۑ ۑ □ □ □ □ □ □ □ ژ ، ولاحظ قوله (إن وعد الله حق) الذي يؤكد أن عقابه سيطول الكافرين.

وحذرت من التكذيب بآيات الله الكونية: ژ ڄ ڃ ڄ ڃ ڃ ڄ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڎ ڎ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ژ.

وكما افتتحت السورة بالدعوة إلى التوحيد من خلال بيان أن منزل هذا القرآن هو غافر الذنب وقابل التوب لمن آمن، وأنه شديد العقاب ذو الطول لمن كفر، ختمت بالتحذير من التكذيب بآيات الله من خلال بيان مصير المكذبين، وأنهم لو آمنوا قبل العذاب لغفر الله لهم ولرحمهم: ژ ﮪ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ ى ىژ.
وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

رابعاً: سورة الرحمن

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس رحمه الله: « الراء والحاء والميم: أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة »، وزاد الإمام الأصفهاني رحمه الله: « الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل في الرقة المجردة، وقد تستعمل في الإحسان المجرد عن الرقة.. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد عن الرقة »[٢٥١]، فافتتاح السورة بهذا الاسم الجليل يعطي دلالات متناسقة مع ما سيذكره السياق من مظاهر رحمته تعالى بالإنس والجان، يؤكد هذا مجيء هذا الاسم على صيغة المبالغة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة الدلالة على عظيم ملك الله وتمام اقتداره، بعموم رحمته وسبقها لغضبه، فالسورة إعلان عام في ساحة الوجود الكبير بآلاء الله الباهرة في جميل صنعه وإبداع خلقه، وفي فيض نعمائه وفي تدبيره للوجود وما فيه، وتوجه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم، مع تحدي الثقلَيْن إن كانا يملكان التكذيب بهذه الآلاء، فالسورة تحث على شكر آلاء الله وتحذر من تكذيبها أو التغافل عنها، وعلى هذا كله دل اسمها «الرحمن» [٢٥٢].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال عرض بعض مظاهر رحمة الله تعالى المتعلقة بالإنس والجن في الدنيا والآخرة. ولما كان الاسم الجليل «الرحمن» يدل على ذلك، جُعل منه اسمٌ للسورة للدلالة على

([٢٥١]) ينظر: ابن فارس، **المقاييس**، ٤٤٦، والأصفهاني، **المفردات**، ٣٤٧. بتصرف.

([٢٥٢]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣١١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٣٧١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٤٤٥، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ٥٤٥، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٤٢٢- ٤٢٤، ووادي، ومهنا ، **من دلالات أسماء السور في القرآن**، ص ٢٧٣- ٢٧٦.

المحور المذكور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أسماء الله تعالى وصفاته بأنها **سورة عرض مظاهر رحمة الله بالإنس والجان في الدنيا والآخرة.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة لقسمين متساويين تقريباً، أولهما: بيان بعض آلاء الرحمن على الإنس والجان في الدنيا، وثانيهما: بيان بعض آلاء الرحمن على الإنس والجان في الآخرة [٢٥٣].

أولاً: جاء في القسم الأول من السورة بيان لعدد من مظاهر رحمة الله تعالى على الإنس والجن في هذه الحياة الدنيا: ﮋﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮊ، ولاحظ ذكر خلق الإنسان بين تعليم القرآن وتعليم البيان، إن في ذلك مزيد تأكيد على مظاهر رحمته تعالى بالإنسان، إذ لو أن الإنسان خُلق بلا تعليم لما كان حاله أحسن من البهائم، لكن الله أكرمه بالتعليم.

وقد بين السياق أن الله تعالى سخر ما في هذا الكون ليتمكن الإنسان والجان من العيش بكرامة في الأرض، فقد خلق الله الشمس والقمر بحسبان، وجعل نجوم السماء دالة على قدرته، وكذلك شجر الأرض، وقد رفع السماء ووضع للكون ميزاناً، فلا ينبغي للإنسان ولا للجان أن يطغيا بسوء تصرفاتهما في ميزان الكون، كما أنهما مأموران بأن يقيما الوزن بالقسط بلا تخسير، وقد وضع الله الأرض للأنام وجعل فيها فاكهة ونخلاً وحباً وريحاناً، هذا كله يدل كما ترى على مظاهر رحمة الله تعالى بالإنسان والجان. أكد ذلك السؤالُ التقريري بعد ذكر هذه النعم: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮊ.

ثم انتقل السياق بعد أن أقر نعمة الإمداد إلى نعمة الإيجاد، فذكر أصل خلق الإنسان والجان: ﮋﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﮊ، ولاحظ بيان أن الله تعالى هو رب المشرقين ورب المغربين، ليتلاءم ذلك مع ما سبقه من بيان أنه هو خالق الإنسان والجان، فإن القادر على خلقهما والقادر على خلق المشرقين والمغربين هو وحده المستحق للعبادة.

كما وبين السياق من مظاهر رحمة الله بالإنسان والجان أن الله هو الذي مرج البحرين العذب والفرات وجعل بينهما برزخاً لا يبغيان، وهو الذي سخر البحر لتجري فيه السفن، وبعد ذكر هذه الآيات الجليلة ذكر أن كل ما على الأرض سيفنى، ولا يبقى إلا الله ذو الجلال والإكرام. وبذلك يتحقق أنه تعالى هو موجد الخلق أول مرة، كما أنه هو المعيد لهم في الآخرة.

وقبل الانتقال إلى بيان مظاهر رحمة الله في الآخرة، بين السياق أن تسخير الكون للإنس والجن لا يعني أن لهما مطلق الحرية فيه، بل هما مأسوران فيه لا يستطيعون النفاذ منه: ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﮊ، فليس لأحد من الجن أو الإنس القدرة على النفاذ من أقطار السماوات والأرض إلا إذا أراد الله شيئاً من ذلك، كما أكرم عبده صلى الله عليه وسلم بعروج السماوات السبع.

---

(٢٥٣) القسم الأول شملته الآيات: ١- ٣٦، والقسم الثاني: ٣٧- ٧٨.

ثانياً: وبعد بيان مظاهر رحمة الله بالإنس والجن فيما يتعلق بالدنيا، انتقل إلى بيان مظاهر رحمته تعالى بهما في الآخرة، وبذلك يتحقق أن الله تعالى هو المنعم الرحمن ابتداءً، وهو المنعم الرحمن انتهاءً، وقد بدأ السياق بالحديث عن مصير المجرمين، ولا يتعارض ذلك مع سياق تعداد النعم، بل على العكس، إذ إن بيان مصير المجرمين هو من أبرز مظاهر رحمة الله، لأن بيان مصيرهم دليل عدله تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ.

ولكن بالرغم من أن الحديث عن المجرمين إلا أن التعبير ما زال لطيفاً متعلقاً باسم السورة، فلاحظ التعبير عن انشقاق السماء ووصفها بالوردة كالدهان، ولاحظ عدم ذكر شيء عن الحساب، بل يؤخذ المجرمون إلى جهنم مباشرة فلا داعي لحسابهم وقد ثبت من جرائمهم أنهم أهل النار، ولاحظ ذكر النواصي والأقدام بالجمع وليس بالإفراد، مع الفعل المبني للمجهول وليس للمعلوم، واقتصر السياق في وصف عذابهم فقط على أنهم يطوفون بين جهنم وبين الحميم الآن.

ثم انتقل السياق إلى الحديث عن أهل الجنة، واللافت للنظر أن السياق قسّم أهل الجنة لِقِسمين، وجعل لكل فرد من القسمين جنتَيْن، ولا يخفى أن هذا التفصيل الذي لم يتكرر في القرآن على هذا النحو يؤكد المحور الذي تدور حوله السورة، والذي عبر عنه اسمها بأبلغ صورة، فابتدأ بالحديث عن المقربين: ژ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ، ولاحظ ذكر الفاكهة المتناسب مع ذكرها أول السورة، فكما هي من مظاهر رحمة الله بالإنسان في الدنيا، فهي من مظاهر رحمته تعالى في الآخرة، ولاحظ أن السياق وصف بطائن الفرش بأنها من إستبرق، فإذا كان هذا وصف البطائن فما بالك بالظواهر.

ثم انتقل السياق إلى الحديث عن الجنتين الأخريين لمن هم دون المقربين من أهل الجنة: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ □ □ ٱ ٻ ٻ ژ، ولاحظ وصف العينين هنا بالنضاختين، بينما العينان عند المقربين وصفت بالجريان، ووصف العينين بالجريان أبلغ، لأن الجريان يعطي مدى أطول وأزيد للماء، بينما الوصف بالنضخ يحدد مدى الماء وكأنهما نافورتان محدودتان، ولاحظ وصف الفاكهة المتلائم مع ذكرها في المقدمة، ولا يخفى أن هذا الوصف أقل في الدلالة من وصف الفاكهة عند المقربين.

وكما افتتحت السورة باسم الرحمن للدعوة إلى التوحيد بذكر بعض مظاهر رحمته تعالى بالإنس والجان، ختمت بالدعوة إلى التوحيد بعد ذكر مظاهر رحمته تعالى بالإنس والجان في الآخرة: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژ، وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ وأجمل دلالة.

خامساً: سورة الملك

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس رحمه الله: « الميم واللام والكاف: أصل صحيح يدل على قوةٍ في الشيء وصحة... والاسم: المَلِك: لأن يده فيه قوية صحيحة »، وزاد الإمام الأصفهاني رحمه الله: « المُلك: هو التصرف بالأمر والنهي ... فالمُلكُ ضبطُ الشيء المتصرَّف فيه بالحكم »(٢٥٤)، فوصف الله تعالى بأنه «بيده الملك» يدل على أنه سبحانه هو وحده المالك لكل الوجود وهو وحده بيده الأمر والنهي والتصرف في الوجود حسبما أراد، وصيغة الحصر والقصر تؤكد على أنه تعالى بيده ـ لا بيد غيره ـ القدرة على المذكور.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو تأكيد حقيقة أن الله تعالى بيده الملك، وذلك من خلال سائر الصور التي عرضتها السورة وسائر الحركات المغيَّبة التي تؤكد الخضوع للقدرة الإلهية، فالسورة تتناول عناصر المُلك الكامل وهي: القدرة المطلقة، التنزه عن العبثية، السيطرة التامة، والقدرة على مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء (٢٥٥).

ويمكن للباحث ان يلخص الأقوال السابقة للأفاضل بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى في الدنيا والآخرة، الدالة على أن الله وحده بيده الملك، ولما كان اسم السورة «الملك» المنسوب لله تعالى والمقصور عليه وحده يدل على المحور المذكور، جُعل منه اسم للسورة، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أسماء الله وصفاته بأنها **سورة تأكيد حقيقة أن الله تعالى بيده الملك**، كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام، أولاً: مقدمة تعرض بعض مظاهر كمال قدرته تعالى لتدل على أنه صاحب الملك، وثانياً: عرضٌ لبعض مظاهر كمال قدرته تعالى في الآخرة، وثالثاً: تعقيب بعرض مظاهر أخرى للتأكيد على كمال القدرة الإلهية، ورابعاً: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٥٦).

أولاً: جاء في مقدمة السورة ذكر بعض مظاهر كمال قدرة الله الدالة على أنه سبحانه بيده الملك: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ژ، ولاحظ بيان أن تعالى على كل شيء قدير،

---

(٢٥٤) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٩٩٦، بتصرف، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٧٤٥. بتصرف.

(٢٥٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٥٣، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٦٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٦٢٨، ٣٦٣١، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٩، ص ٧- ٩، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٢٦٤، ٢٦٥، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن**، ص ٣٠١- ٣٠٥.

(٢٥٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٥، وعرض مظاهر قدرته تعالى في الآخرة: ٦- ١٢، والتعقيب: ١٣- ٢٤، والخاتمة: ٢٥- ٣٠.

ولاحظ أنه تعالى خالق الموت والحياة، وهما أمران لا يقدر عليهما غيره، ولاحظ ذكر السماوات السبع وهي من أعظم المخلوقات، كل ذلك يؤكد المحور المذكور.

ثم إن من اللافت جداً للنظر أن الآيات الدالة على قدرة الله تعالى جاءت في هذه السورة بأسلوب يمكن أن يوصف «بالمثنوية»، فانظر مثلاً قوله في الآية الأولى: (وهو على كل شيء قدير)، وانظر في الآية الثانية: (وهو العزيز الغفور)، وانظر قوله: (فارجع البصر هل ترى من فطور)، وقوله في الآية التي تليها (ثم ارجع البصر كرتين..). وسترى أن كل السورة تقوم على هذا الأسلوب.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان أنه تعالى بيده الملك يوم القيامة أيضاً كما أنه بيده الملك في الدنيا، وبذلك يتحقق قوله في المقدمة: (الذي خلق الموت والحياة)، ويتحقق أنه هو المبدئ كما أنه هو المعيد: ﮋ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، فهو سبحانه كما أنه قادر على خلق البشر، قادر على أن يعاقب المسيء ويثيب المحسن، ولاحظ في الآية التاسعة: (قالوا بلى ..)، وفي الآية التي تليها: (وقالوا لو كنا ..).

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى تعقيب يذكر بعض مظاهر كمال قدرته تعالى وشمول علمه، ليؤكد أن بيده الملك: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، ولاحظ تقديم ذكر الإسرار على الجهر، فهو تعالى عالم بالسر كما أنه عالم بالجهر، ولاحظ تثنية ذكر الضمير «هو»، ولاحظ تثنية الفعل «أءمنتم».

وبعد عرض هذه المظاهر انتقل السياق إلى نفي الشريك عن الله عز وجل، فالمعبود بحق هو المتفرد بالقدرة المطلقة والذي بيده الملك: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ، فالله تعالى وحده هو الناصر وهو وحده بيده الرزق، ولاحظ تثنية الاستفهام «أمّن»، وفي مقابل هذين الاستفهامَين، عرض مظهرَين لتأكيد التوحيد له عز وجل: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ.

فسياق السورة كما ترى يؤكد أن الله تعالى وحده بيده الملك، فهو وحده المستحق للعبادة، وهذا ما دل عليه اسم السورة.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التأكيد على أن الله تعالى بيده الملك يوم القيامة كما أنه بيده الملك في الدنيا: ﮋ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ.

وكما افتتحت السورة ببيان أن الله تعالى بيده الملك في الدنيا والآخرة، فهو وحده المستحق للعبادة، ختمت ببيان ذات المقصد: ﮋ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، ولاحظ

تثنية ذكر عبارة «قل أرأيتم»، وبذلك التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

سادساً: سورة الأعلى

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « العين واللام والحرف المعتل، ياءً كان أو واواً أو ألفاً: أصل واحد يدل على السمو والارتفاع »، وزاد الإمام ابن منظور رحمه الله: « الأعلى: هو الله الذي هو أعلى من كل عالٍ، واسمه الأعلى: أي صفته أعلى الصفات » (٢٥٧)، فوصف الله تعالى بهذا الوصف على صيغة أفعل التفضيل يدل على التفضيل المجازي المطلق لله تعالى، بمعنى التنزه والتسامي والترفع عن أي شائبة نقص.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن السورة تتضمن الثابت من قواعد التصور الإيماني، من توحيد الرب الخالق، وإثبات الوحي الإلهي، وتقرير الجزاء في الآخرة، وهذه مقومات العقيدة الأولى، ثم تصل العقيدة بأصولها البعيدة بذكر صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، فالسورة تدل على وحدة الحق، ووحدة العقيدة، وهو الأمر الذي تقتضيه وحدة الجهة التي صدر عنها أنه حق واحد يرجع إلى أصل واحد، وهو الله الأعلى المنزه عن النقائص (٢٥٨).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال المذكورة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال عرض بعض مظاهر كمال قدرته تعالى في آياته الكونية وآياته القرآنية الدالة على أنه الرب الأعلى، وبيان ما أعده الرب الأعلى جزاءً لمن كذب، وثواباً لمن آمن. ولما كان وصف الله تعالى بـ «الأعلى» معبراً عن المحور المذكور، جُعل من هذا الوصف اسمٌ للسورة. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع أسماء الله تعالى او صفاته بأنها **سورة الدعوة إلى الإيمان بالرب الأعلى، والترهيب من عقاب الرب الأعلى، والترغيب بثواب الرب الأعلى.**

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام، أولها:مقدمة تبرز بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى في الآيات الكونية، وثانيها: بيان بعض مظاهر كمال قدرته من خلال الآيات القرآنية، وبيان مصير من كذب ومن آمن، وثالثها: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٥٩).

---

(٢٥٧) ابن فارس. **المقاييس**، ص ٦٩٠، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٠، ص ٢٦٩.

(٢٥٨) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٩٨، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٣٩٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ٣٨٨٣ و ٣٨٩٤، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٢٧٢، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٤١٣، ٤١٤، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ١٠٨. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٢٥٩) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٥، وذكر آيات الله القرآنية: ٦- ١٥، والخاتمة: ١٦- ١٩.

أولاً: جاء في مقدمة السورة بعض مظاهر كمال قدرة الله تعالى الدالة على أنه الرب الأعلى: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ، لاحظ بيان أنه تعالى بيده الخلق والتقدير والهدى، ولاحظ وصف الدنيا بالغثاء الأحوى، أي العشب اليابس، واختصاص سورة الأعلى بهذا الوصف للدنيا متلائم مع دلالة اسم السورة، فالرب الأعلى لا يقبل أن تكون هذه الدنيا دار جزائه، فلا ينبغي لمن أراد الرب الأعلى أن يتلهى بهذه الدنيا عن الإيمان به والعمل الصالح، وسيأتي أن الآخرة هي التي رضيها الرب الأعلى للجزاء.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان أن الله تعالى هو الرب الأعلى من خلال ذكر الآيات القرآنية بعد ذكر الآيات الكونية: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ بيان أن من يتذكر بالقرآن ويخشى الرب الأعلى ويتزكى سييسره الله لليسرى ويدخله الجنة، وهي المقام الذي ارتضاه الرب الأعلى ثواباً لمن آمن، وأن من كذب بالقرآن سيجنبه الله عن الجنة وسيصلى النار الكبرى، وهي المقام الذي رضيه الرب الأعلى عقاباً لمن كفر.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التحذير من التلهي بالحياة الدنيا عن الآخرة التي ارتضاها الرب الأعلى داراً خالداً لثواب من آمن، وعقاب من كفر: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﮊ.

وكما افتتحت السورة بذكر بعض مظاهر قدرة الله في آياته الكونية الدالة على أنه الرب الأعلى، ختمت ببيان أن الآيات القرآنية وآيات الوحي للأنبياء السابقين تشهد أن الله هو الرب الأعلى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ، فالكون والوحي هما من الرب الأعلى، فهو وحده المستحق للعبادة، وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

أولاً: سورة الفاتحة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس رحمه الله: «الفاء والتاء والحاء: أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق »، وزاد الإمام الأصفهاني رحمه الله: « فاتحة كل شيء، مبدؤه الذي يُفتح به ما بعده، وبه سمي فاتحة الكتاب » (٢٦٠)، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى كونها أول سورة في القرآن، فهي كالمقدمة له والخلاصة لما فيه من أصول الإيمان التي فصلت سوره الأخرى في تقريرها.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تحوي كليات العقيدة الإسلامية، وكليات التصور الإسلامي، فهي تثبت استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بمُلك الدنيا والآخرة، واستحقاقه العبادة والاستعانة بالسؤال في المنّ بالتزام صراط الفائزين، فاسم السورة يشير إلى أنها تساعد على إزالة الحواجز بين الإنسان وتلقي الهدايات الربانية، ويشير إلى كونها مقدمة القرآن ومفتاح مواضيعه وجامعة لأهم قضاياه (٢٦١).

ويمكن للباحث أن يبني على الأقوال المذكورة للأفاضل، فيقول إن محور السورة هو: التعريف بمُنزل هذا الكتاب العظيم، فهو الرب الرحمن الرحيم المالك، والتعريف بواجب العباد تجاه ربهم، وهو التوجه له وحده بالعبادة والاستعانة به للتوفيق إلى الصراط المستقيم. ولما كان تعريف هذه السورة بمنزل الكتاب وبواجب العبد تجاه ربه شاملاً لأصول الإيمان التي نزل القرآن لتقريرها، سميت بالفاتحة للدلالة على المحور المذكور، وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع الإشارة إلى القرآن الكريم بأنها **سورة التعريف بمنزل القرآن سبحانه، والتعريف بواجب العباد تجاهه.**

وبتأمل موضوعَي السورة يبرز الترابط التام بينهما وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة لقسمين: أولهما: التعريف بمنزل هذا الكاتب، وثانيهما: التعريف بواجب العباد تجاه ربهم(٢٦٢).

أولاً: جاء القسم الأول من السورة ليعرف الناس بمُنزل هذا الكتاب: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ، وافتتاحها باسم الله يدل على أنه تعالى هو الحق الذي يستمد منه كل موجود وجودَه، ودال على اختصاصه تعالى بالإلهية، واختيار صفتي «الرحمن الرحيم» بالذكر مناسب جداً لسياق التعريف بهذا الخالق العظيم، لأنهما أكثر الصفات ترغيباً

---

(٢٦٠) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨٣٤، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٦٢١.

(٢٦١) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ١، ص ١٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ١، ٢١- ٢٦، ورضا، **تفسير المنار**، ج ١، ص ٢٨- ٣٢، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١، ص ١٣١- ١٣٢، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ١، ص ١٥، ١٦، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٦- ١٩.

(٢٦٢) التعريف بمنزل الكتاب شملته الآيات: ١- ٤، والتعريف بواجب البشر: ٥- ٧.

بالإيمان، ثم هما من أكثر الصفات تعلقاً بالخلق، بمعنى أنهما من أكثر الصفات تجلية في الخلق، وبيان أنه رب العالمين دال على توحيد الربوبية كما لا يخفى.

ثانياً: وبعد التعريف بمنزل هذا الكتاب، انتقل السياق إلى التعريف بما يجب على العباد تجاه خالقهم الذي أنزل عليهم هذا الكتاب: ﮋ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ، ففبما أنه سبحانه وحده الإله والرب للعالمين، ينبغي اختصاصه تعالى بالعبادة والاستعانة، وبطلب التوفيق إلى الصراط المستقيم، وهي غاية كل مؤمن مؤمِّل بما عند الله من الثواب، وراهب مما عند الله من العقاب في يوم الدين، ولذلك يرجو من ربه أن لا يخرجه عن الصراط المستقيم، فيكون من المحرومين من الاستقامة لزيغهم عن الصراط المستقيم بتعمد حتى استحقوا الغضب، أو بجهل حتى استحقوا الضلال.

وبتأمل هذين القسمين تجد أن السورة حوت خلاصة الدين الذي فصلته سور هذا الكتاب كما ذكر الأفاضل، ولذلك سميت بالفاتحة لكونها كالمقدمة لهذا القرآن، وفي ذلك دلالة على المحور المذكور.

ثانياً: سورة الفرقان

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

يقول الإمام ابن فارس رحمه الله: « الفاء والراء والقاف: أُصَيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين»، وزاد الإمام الأصفهاني رحمه الله: « .. وفرقتُ بين شيئين: فصلت بينهما، سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر، أو بفصل تدركه البصيرة » [٢٦٣]، فقد سمي القرآن فرقاناً « لأنه الفارق بين كل ملتبس، فلا يدع خفاءً إلا بيّنه، ولا باطلاً إلا نفاه ومحقه، فيه انتظام الحياة الأولى والأخرى، فكان دالاً على علم مُنزله »[٢٦٤].

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور السورة هو إزالة كل لبس متعلق بعناصر عملية اتصال السماء بأهل الأرض، وهي المرسِل سبحانه، والرسول صلى الله عليه وسلم، والرسالة، فتقوم بذلك الحجة على البشر جميعاً، وتبين السورة موقف العنصر الرابع وهم المرسَل إليهم من العناصر الثلاثة، فالسورة تحوي إنذاراً عاماً للمكلفين بما له سبحانه من القدرة الشاملة والعلم التام الذي دل هذا الفرقان على بعضه، والسورة أيضاً تحوي إيناساً للرسول صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه وعن المؤمنين، وتصف المعركة العنيفة بين الحق والباطل [٢٦٥].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال الرد على شبهات المكذّبين المتعلقة بالمرسِل سبحانه، أو الرسول صلى الله

---

(٢٦٣) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨٤٣، والأصفهاني، **المفردات**، ص ٦٣٣. بتصرف.

(٢٦٤) البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ٢٩٢.

(٢٦٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٧٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ٢٩١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٥٤٤، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٥، ص ٢٦٤، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٢٧٩- ٢٨٢، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٧٨- ١٨٥.

عليه وسلم، أو الرسالة ـ القرآن ـ وبذلك يثبت أن القرآن فرقان بين الحق والباطل، ولما كان وصف القرآن بالفرقان معبراً عن المحور المذكور أبلغ تعبير، جُعل منه اسم للسورة. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع الإشارة إى القرآن الكريم بأنها **سورة التفريق بين الحق والباطل.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام، الأول: مقدمة تبين عظمة مُنزل الفرقان، وتعرض وتدحض بعض شبهات المشركين، والثاني: الرد على شبهات المكذبين حول الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن مع بيان مصيرهم يوم القيامة، والثالث: تعقيب بذكر مظاهر أخرى لعظمة مُنزل الفرقان، والرابع: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٢٦٦].

أولاً: جاء في مقدمة السورة ذكرٌ لعدد من مظاهر عظمة منزل الفرقان سبحانه وتعالى: ژ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ بيان كون الفرقان نذيراً للعالمين، فمن شأنه أن يفرق بين الحق والباطل إلى يوم القيامة، ولاحظ الإشارة إلى أن ملك السماوات والأرض لله تعالى، للتأكيد على أن الذي أنزل الفرقان هو خالق الأكوان سبحانه، فهو وحده المستحق للعبادة.

وبعد عرض بعض مظاهر قدرة خالق الأكوان ومنزل الفرقان، انتقل السياق إلى دحض شبهات المشركين المتعلقة بالله تعالى، وبالرسول صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ژ، فقد بين السياق أن العبادة لله وحده، لأنه القادر على الخلق والبعث، ولاحظ الرد على إدعاء الكافرين بأن الرسول صلى الله عليه وسلم اكتتب القرآن من غيره بأن الذي أنزل هذا القرآن هو عالم السر في السماوات والأرض، ولو اكتتب النبي صلى الله عليه وسلم القرآن سراً ـ وحاشاه أن يفعل ـ لعلم الله هذا السر، فإذاً لم يبق شك في أن منزل الفرقان إنما هو الله تعالى العليم الخبير.

ثانياً: ثم انتقل السياق بعد أن أثبتت المقدمة أن القرآن من عند الله، إلى الرد على شبهات المكذبين المتعلقة بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم، مع بيان مصيرهم يوم القيامة، وبذلك يتحقق أن الفرقان نذير للعالمين: ژ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ الرد عليهم من خلال بيان أن الذي أرسل النبي صلى الله عليه وسلم هو القادر على فعل ما يشاء، وفي هذا أبلغ رد على كذبهم، وأثبت دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(٢٦٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٦، والرد على شبهات المشركين: ٧- ٤٤، والتعقيب عليها: ٤٥- ٦٢، والخاتمة: ٦٣- ٧٧.

وقد ذكر السياق مصير هؤلاء المكذبين يوم القيامة، ليكون هذا الفرقان نذيراً للعالمين: ﮋ □ □ □□ □ □ □ ﯼ ﯽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ، فهم يكذبون بالساعة ليفعلوا ما يشاءون دون أن يقيموا وزناً لحساب، وبيان مصيرهم في ذلك اليوم الذي كذبوه أبلغ رد عليهم، وقد بين السياق أيضاً مصير المؤمنين، فهم في جنة الخلد لهم فيها ما يشاءون خالدين، وعرضُ مصير الفريقين يؤكد دلالة اسم السورة، في التفريق بين أهل الحق وأهل الباطل.

ومن أساليب الرد على شبهات المكذبين وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم بيان حسرة الكافر يوم القيامة: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □□ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ أنه يتحسر لأنه لم يتخذ مع الرسول سبيلاً، ولم يؤمن بما جاء في الفرقان الذي أوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولاحظ تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم بعد شكواه من موقف قومه المعرضين، ببيان أن التكذيب سُنة الأقوام قبله، ولاحظ قوله تعالى (وكفى بربك هادياً ونصيراً) الذي فيه من التحنن والتلطف بالنبي صلى الله عليه وسلم ما فيه. ولزيادة تثبيته صلى الله عليه وسلم، بين السياق موقف بعض الأقوام التي سبقت كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وأصحاب الرس، وكلاً ضرب الله له الأمثال، وكلاً تبرهم تتبيراً نتيجة تكذيبهم.

فسياق السورة كما ترى يقوم على رد شبهات المكذبين وبيان مصيرهم في الدنيا والآخرة، وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه، وهذا ما دل عليه وصف القرآن بالفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، وبذلك يتحقق كونه نذيراً للعالمين.

ثالثاً: ثم أعاد السياق عرض مظاهر أخرى لزيادة الدلالة على عظمة منزل هذا الفرقان سبحانه وتعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ، ولاحظ ربط الآيات الكونية بآيات الوحي المنزلة على الأنبياء، للتأكيد على أن خالق الأكوان هو من يرسل الأنبياء ويؤيدهم بآيات الوحي للدعوة إلى توحيده.

وبعد بيان مظاهر عظمة الله تعالى، أعاد السياق التحذير من الشرك كونه أعظم مظاهر الباطل: ﮋ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﮊ، ولاحظ كيف يثبّت الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الحق ببيان أنه لا يسأل الناس أجراً على دعوته، بل اعتبر أجره في الدنيا هو أن يتخذ الناس إلى ربهم سبيلاً، ولاحظ دعوته إلى التوكل على الحي الذي لا يموت، الخبير بذنوب عباده، للدلالة على أنه المستحق للعبادة وحده.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فكما فصل السياق سابقاً في موقف أهل الباطل وبين مصيرهم في الدنيا والآخرة، بينت الخاتمة موقف أهل الحق وبينت مصيرهم: ﮋ ﮮ ﮯ

ﯕ ﯖ ﯗ ۇ ۆ ۈ ۉ ۋ ۅ ۊ ۅ ۈ ۉ ۆ ۇ ۋ ۅ ۉ ې ى ې ﯩ □ ﯪ □ □ □ □□
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ﯾ ﯿ □ □ ﮊ،
ولاحظ أنهم اتعظوا بما جاء في هذا الفرقان من النذارة فاستعاذوا بالله من جهنم، وقد بينت الخاتمة من صفاتهم أيضاً أنهم لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس إلا بالحق، ولا يزنون، وأنهم يسارعون إلى التوبة من ذنوبهم، ولا يشهدون الزور.

وكما بين سياق السورة سابقاً موقف أهل الباطل من الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته، بينت الخاتمة موقف أهل الحق: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ،
ولاحظ أنهم لإيمانهم بالقدرة المطلقة لمنزِل هذا الفرقان، يسألونه أن يهب لهم ذرية تقر بها أعينهم، وأن يجعلهم للمتقين إماماً، وبذلك يجتمع إيمانهم بمنزل الآيات القرآنية وخالق الآيات الكونية، ولاحظ بيان مصيرهم في مقابل بيان مصير أهل الباطل فيما سبق، وبذلك تكتمل التفرقة بين أهل الحق والباطل.

وكما افتتحت السورة ببيان بعض مظاهر عظمة مُنزل الفرقان الذي جعله نذيراً للعالمين،وكان منها أن له ملك السماوات والأرض، فهو غني عن العالمين، ختمت ببيان أنه لا يعبأ بالبشر إلا لدعاء أهل الحق له، وأنه قادر على تعذيب أهل الباطل: ﮋ ۋ ې ې ﯦ ﯧ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وبذلك التقى البدء والختام على بيان أن القرآن فرقان بين الحق والباطل، وأن منزل القرآن هو خالق الأكوان، وهذا هو المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

ثالثاً: سورة فصلت

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الفاء والصاد واللام: كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه »، فالمراد من وصف القرآن بأنه (كتاب فصلت آياته): « أن آيات القرآن واضحة الأغراض لا تلتبس إلا على مكابر في دلالة كل آية على المقصود منها، وفي مواقعها وتمييز بعضها عن بعض في المعنى، باختلاف فنون المعاني التي تشتمل عليها، .. ومن كمال تفصيله أنه كان بلغة كثيرة المعاني، واسعة الأفنان، فصيحة الألفاظ» [٢٦٧].

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تبين أثر القرآن الكريم في حياة البشر بجميع تصوراتها ومدركاتها، فهي تشير إلى أن القرآن هو دستور الحياة الإنسانية الكريمة، وهذا يدل على كمال علم مُنزل هذا القرآن، ويدل أيضاً على أن العلماء هم مَن حملهم إيمانهم بهذا القرآن على الاستقامة على طاعة الله، كما وأن السورة تبين قضية العقيدة بحقائقها الأساسية: الإلهية الواحدة، والحياة الآخرة،

---

(٢٦٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٤، ص ٢٣١. بتصرف.

والوحي بالرسالة، والدعوة إلى الله وخُلُق الداعية، وعلى ذلك كله دل اسمها «فصلت» الذي وصف به آيات هذا القرآن [٢٦٨].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان عظمة الله تعالى مُنزل الآيات القرآنية، وخالق الآيات الكونية، وبذلك يتحقق أن القرآن كتاب فصلت فيه آيات الترغيب والترهيب، وأنه بشير ونذير للناس، ولما كان وصف آيات القرآن بأنها «فصلت» من لدن مُنزلها معبراً عن المحور المذكور، جُعل منه اسم للسورة. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع الإشارة إلى القرآن الكريم بأنها **سورة التفصيل في عرض دلالة الآيات الكونية والقرآنية على الله، وبذلك يتحقق أن القرآن بشير ونذير للناس.** كما ذكر الأفاضل.

وبتأمل موضوعات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام، أولها: مقدمة تبين عظمة مُنزل الآيات القرآنية وخالق الآيات الكونية، وثانيها: بيان مصير المكذبين ومصير المؤمنين في الدنيا والآخرة، وثالثها: إعادة التأكيد على عظمة منزل الآيات القرآنية وخالق الآيات الكونية، ورابعها: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٢٦٩].

أولاً: جاء في مقدمة السورة ذكرٌ لبعض مظاهر عظمة الله تعالى من خلال آياته القرآنية: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﮊ، ولاحظ اختصاص الاسمين الجليلين «الرحمن الرحيم»، وهما متلائمان مع ما جاء من التفصيل في بيان عظمة الخالق في هذه السورة، وذلك رحمة من الله بالعالمين، ودعوة لهم لكي يؤمنوا بالله الواحد.

وقد عرضت المقدمة عناد المكذبين مع إثبات الحجة عليهم: ﮋ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮊ، ولاحظ التفصيل في قولهم، فقد وصفوا قلوبهم وآذانهم وحالهم، وهو تفصيل ملائم لاسم السورة، فهي تعرض موقف المكذبين بالتفصيل أيضاً.

ثم انتقل السياق إلى عرض بعض مظاهر عظمة الله من خلال الآيات الكونية: ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﮊ، وقد فصلت السورة في عرض أحداث هذه الأيام الستة، ليكون ذلك أدعى للإيمان، والتفصيل متلائم مع دلالة اسم السورة كما لا يخفى، وبعد عرض مظاهر عظمة الله في الآيات الكونية والآيات القرآنية، يثبت بذلك أن خالق الأكوان هو مُنزل القرآن، وهو الذي فصل فيه الآيات لدعوة الناس إلى التوحيد.

([٢٦٨]) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ٥٤٧، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٣١٠٥، ٣١٠٦، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٤، ص ٢٢٨ – ٢٣١، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، **٣٦٩- ٣٧٣**، وأ.د مسلم، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٣، ٤. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

([٢٦٩]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٢، وبيان مصير المكذبين والمؤمنين: ١٣- ٣٦، والتأكيد على عظمة الله: ٣٧- ٤٤، والخاتمة: ٤٥- ٥٤.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض مصير المكذبين والمؤمنين في الدنيا والآخرة، وبذلك يتحقق وصف القرآن بأنه فصلت آياته ليكون بشيراً ونذيراً: ﮋ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ، ولاحظ التفصيل في بيان أن الرسل قد جاءتهم من بين أيديهم ومن خلفهم، وهذا متلائم مع ما جاء من التفصيل في هذه السورة من أساليب الدعوة إلى التوحيد، ولاحظ بيان عظمة الخالق الذي خلق عاداً بهذه القوة، ولاحظ ذكر عذاب الآخرة مع عذاب الدنيا، وكل هذا التفصيل متلائم مع اسم السورة.

وقد ذكر السياق أيضاً مصير ثمود، إذ أخذتهم صاعقة العذاب الهون في الدنيا، ونجى الله الذي آمنوا وكانوا يتقون، ثم أعقب السياق بعرض مصير المكذبين في الآخرة: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﮊ، ولاحظ التفصيل في شهادة الجوارح والجلود، وانظر ماذا كان مصيرهم: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ.

ولكي يكتمل التفصيل، عرض السياق مصير المؤمنين في الدنيا والآخرة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ، وقد فصل السياق في بيان صفاتهم، إذ كانوا يدعون إلى الله بالقول الحسن، ويعملون الصالحات، ويدفعون السيئة بالتي هي أحسن، ويصبرون على الدعوة، حتى استحقوا هذا الثواب العظيم.

فالسورة كما ترى تفصل في عرض عظمة الله مُنزل القرآن وخالق الأكوان، وتفصل في عرض موقف المكذبين وموقف المؤمنين، ومصير الفريقين في الدنيا والآخرة، وبذلك يتحقق وصف القرآن بأنه «فصلت آياته» والذي جُعل منه اسم للسورة.

ثالثاً: ثم أعاد السياق عرض بعض مظاهر عظمة الله تعالى في آياته الكونية: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ ﮊ ، وعرض بعض مظاهر عظمته تعالى في آياته القرآنية: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وبذلك يتأكد أن منزل القرآن هو خالق الأكوان، فهو وحده المستحق للعبادة.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التأكيد على رحمة الله في إنزال آيات الوحي على الأنبياء لدعوة الناس للتوحيد: ﮋ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ ﮊ .

وقد أعادت عرض بعض مظاهر عظمته تعالى في خلقه الداعية إلى التوحيد: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ، وفصلت في عرض موقف الإنسان من النعماء والضراء.

وكما افتتحت السورة بالدعوة إلى التوحيد من خلال آيات الله القرآنية، ختمت بالدعوة إلى التوحيد من خلال آيات الله الكونية: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ   ﯤ ﯥ ﯦ   ﮊ، وبذلك التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ دلالة.

رابعاً: سورة القدر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « القاف والدال والراء: أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقَدْر: مبلغ كل شيء »، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى وصف الليلة التي أنزل فيها القرآن، وبيان أنها بلغت الغاية في الشرف ورفعة المكانة عند الله، وكأنه ليس لليلة غيرها قَدْر.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محورها بيان عِظم ليلة القدر التي تميزت بابتداء نزول القرآن فيها، فهي ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى، وهو الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته وآثاره على البشرية جميعاً، والقَدْر إما أن يكون معناه التقدير والتدبير، وإما القيمة والمقام، وكلاهما يتفق مع ذلك الحدث الكوني العظيم، فهو أعظم حدث، وأدل حدث على التقدير والتدبير في حياة العبيد [٢٧٠].

ويمكن للباحث أن يلخص الأقوال المذكورة بالقول بأن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان بالقرآن عظيم القدر، من خلال بيان فضل الليلة التي تشرفت بنزوله فيها حتى سميت ليلة القدر، وجعل الله ثوابها خيراً من ألف شهر، فتسمية السورة بوصف تلك الليلة دال على عظمة قدر القرآن الذي بسببه اكتسبت هذا الوصف. وقد تميزت هذه السورة عن السور التي تشاركها بأسمائها في موضوع الإشارة إلى موضوع القرآن الكريم بأنها **سورة بيان فضل الليلة التي تشرفت بنزول القرآن فيها.** كما ذكر الأفاضل.

والمتأمل في آيات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ، لاحظ افتتاح السورة بأسلوب التأكيد (إنّا) وهو يدل على التعظيم لا سيما باستخدام ضمير الجمع، ولاحظ تكرار (ليلة القدر) ثلاث مرات، مع

---

(٢٧٠) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤٠٨، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٩٠، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٤٤، ٣٩٤٥، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ٢٦١، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٤٧- ٣٤٨.

السؤال التجهيلي (وما أدراك)، وبيان أن فضل قيامها يزيد على ألف شهر، وهذه كلها أمور تدل على عظمة تلك الليلة.

ولكن لا بد من التنبه إلى أن هذه الليلة اكتسبت القدر من نزول القرآن فيها، فبيان فضلها يدل على فضل القرآن الذي بفضله حظيت بتلك المكانة، ولاحظ بيان تنزل الملائكة والروح، وذكر الروح ـ جبريل ـ مناسب جداً، لأنه الملك الموكل بالوحي، وهو من أعلى الملائكة قدراً، وكما افتتحت السورة ببيان فضل ليلة القدر الذي يعود إلى نزول القرآن عظيم القدر فيها، والذي نزل لتحقيق السلامة دنيا وآخرة للمؤمنين والعاملين بما جاء فيه، ختمت ببيان أن تلك الليلة يتحقق فيها السلام من الله حتى مطلع الفجر فلا ينال المؤمنين فيها مكروه، وبذلك التقى البدء والختام على محور الدعوة إلى الإيمان بالقرآن عظيم القدر والعمل بما جاء فيه، وهو المحور الذي دل عليه كناية اسم السورة، العائد على تلك الليلة التي اكتسبت القدر بفضل نزول القرآن فيها.

خامساً: سورة البينة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الباء والياء والنون: أصل واحد وهو بُعد الشيء وانكشافه ... وبان الشيءُ وأبان: إذا اتضح وانكشف »، وزاد الإمام الأصفهاني رحمه الله: «البينة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة » [٢٧١]، فوصف النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن بالبينة يدل على أن رسالته حجة واضحة وعلامة على الصدق، وأنه يبين الحق والباطل من الاعتقاد، والحلال والحرام من الأحكام.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة وردت في مورد إقامة الحجة على الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب والمشركين، بأنهم متنصلون من الحق مصرون على الكفر عناداً، ولإثبات ذلك تضمنت السورة حقائق تؤكد هذا، منها أن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت ضرورية لتحويلهم عن ضلالهم وانحرافهم إلى الهدى، وأن أهل الكتاب لم يتفرقوا عن جهل، بل تفرقوا بعدما جاءهم العلم، وأن أصل الأديان واحد، وقواعده بسيطة ينبغي أن تجمع الناس لا أن يتفرقوا عنها، واسم السورة الذي يصف النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن بالبينة تدل على ذلك [٢٧٢].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان من خلال بيان إقامة الحجة على البشر بإرسال الرسل بالبينات، وآخرهم سيدنا

---

(٢٧١) ابن فارس، **المقاييس**، ص ١٦٤، بتصرف، والأصفهاني، **المفردات**، ص ١٥٧.

(٢٧٢) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد سور القرآن**، ص ١٣٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٩٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص ٣٩٤٧، ٣٩٤٨، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص٤٦٨- ٤٧٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٢٦٨، ٢٦٩. وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان وصف بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن بـ «البينة» معبراً كناية عن المحور المذكور، جُعل منه اسم للسورة.

والمتأمل في قِسمَي السورة يبرز له الترابط التام بينهما وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة لقسمين، الأول: إقامة الحجة على أهل الكتاب والمشركين ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم بالبينة، والثاني: بيان مصير الكافرين والمشركين والمؤمنين يوم القيامة (٢٧٣).

أولاً: جاء في القسم الأول من السورة بيان أن الله تعالى يرسل الرسل بالبينات ليقيم الحجة على البشر، فلا يكون بعد ذلك أي داعٍ لهم إلى عدم الإيمان: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ژ، فقد أخبر العالم بما في الصدور أن الكافرين من أهل الكتاب والمشركين لم ينفكوا عما هم عليه من الضلال والانحراف إلا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بعث صلى الله عليه وسلم، منهم من انفك عن ضلاله واتبع الهدى من الله، ومنهم من أصر على ما هو عليه، فبذلك تثبت الحجة من الله تعالى على البشر إذ بعث فيهم رسولاً منهم، وأيده بالآيات المطهرات القيمات البينات، فلم يبق لهم داع إلى الكفر.

ولا ينبغي ـ فيما يعتقد الباحث ـ الوقوف على ظاهر النص والقول بأنه مختص بكفار أهل الكتاب ومشركي قريش فقط، بل هو شمل الناس جميعاً، إذ إن الناس قسمان: قسم أرسل الله إليهم الرسل مؤيدين بالكتب التي فيها الآيات البينات، وقسم لم يرسل إليهم رسول بعد، فكان صلى الله عليه وسلم هو الرسول لهم وللعالمين جميعاً، إذ لا رسول بعده، فكانت بعثته حجة على البشر جميعاً.

ومما يؤكد ذلك أن النص قد بين أن الله تعالى أرسل إلى أهل الكتاب رسلاً وأيدهم بالكتب التي فيها الآيات البينات، وعلى رأسهم موسى وعيسى عليهما السلام، ولكن أهل الكتاب تفرقوا بعد موت الرسل، واختلفوا في كتبهم، فحرفوا الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به، فقد أقام الله عليهم الحجة ابتداء ببعثة الرسل بالبينات فيهم، وها هو أخيراً ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما في القرآن من البينة، يقيم الحجة عليهم مرة أخرى، وعلى من لم يُرسَل إليه رسول من الناس، ولاحظ ذكر أن أهل الكتاب أمروا بعبادة الله مخلصين له الدين، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهي ذات التعاليم التي أُرسل بها نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على أن مُرسل الرسل واحد، والمحتوى الأساس للرسالات واحد.

---

(٢٧٣) القسم الأول من السورة شملته الآيات: ١- ٥، والقسم الثاني: ٦- ٨، ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: هي السورة الوحيدة التي وصفت إصرار الكافرين والمشركين على ضلالهم بأنهم لم يكونوا «منفكين»: ١، ولم تذكر مشتقات المصدر «فكّ» في موضع آخر إلا في سورة البلد: (فك رقبة): ١٣، ثانياً: هي السورة الوحيدة التي وصفت القرآن بأنه «صحف مطهرة»: ٢، ثالثاً: لم تذكر كلمة «القيمة» بزيادة التاء ـ المتلائمة مع اسم السورة ـ في القرآن إلا هنا، مرة لوصف القرآن «فيها كتب قيمة»: ٣، ومرة لوصف الدين الحق «ذلك دين القيمة»: ٥، بينما وُصف الدين بالقيم في سورة التوبة: ٣٦، ويوسف: ٤٠، والروم: ٣٠، ٤٣، ووُصف القرآن بالقيم أيضاً في سورة الكهف: ٢، رابعاً: هي السورة الوحيدة التي وصفت الكافرين والمشركين بـ «شر البرية»: ٦، والوحيدة التي وصفت المؤمنين بـ «خير البرية»: ٧. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

فهذا القسم من السورة كما ترى يدعو إلى الإيمان من خلال بيان أن الله تعالى ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من الآيات البينات، يقيم الحجة على البشر، كما أقامها على أهل الكتاب ببعثة الرسل فيهم. وعلى هذا دل وصف بعثته صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن بالبينة.

ثانياً: وبعد إقامة الحجة على البشر، ولكي يكتمل الترهيب والترغيب فيكون أدعى للإيمان، عرض القسم الثاني مصير من أصر على كفره وشركه بعد أن أقام الله عليه الحجة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بالبينة: ژ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ژ، ووصفهم أهل النار بـ «شر البرية» ملائم جداً، لأنهم بعد أن أُقيمت عليهم الحجة بإرسال الرسل بالبينات، لم يستفيدوا من عقولهم وأفئدتهم شيئاً، فأعرضوا عن هدى الله، وما انفكوا عن ضلالهم وانحرافهم، فهم أسوء حالاً من الأنعام.

ووصف أهل الجنة بـ «خير البرية» في المقابل ملائم جداً أيضاً، لأنه يدل على أنهم استفادوا من عقولهم وأفئدتهم، فمنهم من انفك عن ضلاله وانحرافه فآمن، ومنهم من لزم الهدى من الله، حتى استحقوا هذا الثواب العظيم.

وكما افتتحت السورة بإقامة الحجة على الكافرين من أهل الكتاب والمشركين ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم بالبينة، ختمت ببيان مصير من خشي الله تعالى فاتبع البينة واستحق الثواب، وبذلك يلتقي البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الأنبياء

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى حديثها عن عدد من الأنبياء تعرض فيه مدى كفاحهم في دعوة أقوامهم بالحجج العقلية، وإنذارهم بالآخرة، ومدى صبرهم على الأذى، ومدى حكمتهم في الحكم بين الناس بهدى الله، فاسم السورة ـ وإن لم يذكر صراحة فيها ـ يشير إلى مهمة الأنبياء ويرغب في اتباعهم واتخاذهم قدوة للوصول إلى الفلاح.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة استعراض لطبيعة الدعوة والمدعوين، فهي تدل على أن اتباع طريق الأنبياء يخرج الناس من غفلتهم عن الآخرة، ويوصلهم إلى الرفعة في الدارين، كما وأن السورة تعرض النواميس الكبرى في الكون، وتربط العقيدة بهذا الحق الذي قامت عليه السماوات والأرض، فهي بذلك توجه أنظار الناس إلى وحدة الخالق المدبر للكون والمالك الذي لا شريك له، وهي معانٍ تتجلى في صورة وقائع في حياة الرسل والدعوات [٢٧٤].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال إقامة الأدلة والحجج العقلية على صفات الإلهية من خلق وبعث ومُلك وكمال قدرة وشمول علم لله تعالى وحده، ولما كان الأنبياء هم الذين ينذرون الأقوام بالآخرة، وهم الذين يدعون إلى التوحيد بمختلف الأدلة، وهم أكثر الناس صبراً وحكمة، سميت السورة بهم للدلالة على المحور المذكور كناية وللترغيب بالاقتداء بهم.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولها: مقدمة موقف الرسل بإنذار الناس بالآخرة، وموقف الأقوام بالتكذيب مع بيان مصيرهم، وثانيها: إثبات أن الله وحده هو الإله المعبود بحق بالأدلة العقلية، من خلال عرض لبعض مظاهر عظمته في الكون، مع بيان موقف المكذبين من ذلك ومصيرهم، وثالثها: عرض قصصي يدعو إلى التوحيد بالأدلة العقلية، ورابعها: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٢٧٥].

---

(٢٧٤) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد سور القرآن**، ص ٦٨، والمهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٨، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ٦٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٣٦٤- ٢٣٦٦، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٥، ص ٢، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٢٥٣- ٢٥٨، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٥٤- ١٥٩.

(٢٧٥) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٥، وعرض الأدلة العقلية: ١٦- ٤٧، والعرض القصصي: ٤٨- ٩٤، والخاتمة: ٩٥- ١١٢. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، فقد كثرت فيها الأدلة العقلية الداعية إلى التوحيد، من ذلك: أ) قوله تعالى (قال ربي يعلم القول في السماء والأرض): ٤، وقوله (إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون): ١١٠، لم يتكررا في القرآن بالصيغة ذاتها، وانظر قريباً منهما في سورة الرعد: ١٠، ٣٣، وطه: ٧، ب) وكذلك قوله (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين): ١٦، لم يذكر في موضع آخر إلا في سورة الدخان: ٣٨ (السماوات بدلاً من السماء)، علماً بأنهما تشتركان في قوله في سورة الأنبياء: (إلا استمعوه وهم يلعبون): ١، وفي سورة الدخان (بل هم في شك يلعبون): ٩، ج) قوله (لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من

أولاً: جاء في مقدمة السورة عرض لإنذار الأنبياء أقوامهم بالآخرة، وهي من أدل الدلائل على وحدانيته وكمال قدرته، ولكن الأقوام لاهون عنها، ومكذبون بأنبيائهم: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کژ، فالأنبياء ينذرون أقوامهم بالآخرة، ولكن المكذبين منشغلون عنها باللعب واللهو، ولاحظ بيان النبي أن الله يعلم القول في السماء والأرض، وفي ذلك دليل على تفرده بالإلهية، ولاحظ تردد الأقوام في شبهاتهم بتكرار «بل» ثلاث مرات في قولهم.

ثم بينت المقدمة طبيعة الأنبياء للرد على الشبهات السابقة، فما هم إلا رجال يوحي الله إليهم بالهدى، ومن ضمن الهدى الذي أوحي إليهم أن الله سيهلك المكذبين وينجي المؤمنين، فمقدمة السورة تعرض بشكل موجز مهمة الأنبياء الذين يدعون أقوامهم بالأدلة والحجج، ولكن المكذبين يصرون على اللهو واللعب حتى استحقوا العذاب.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض الأدلة العقيلة والحجج الباهرة لإثبات تفرد الله تعالى بصفات الإلهية، وهو بذلك يؤازر دور الأنبياء الذين يدعون إلى التوحيد بمختلف الأدلة والحجج: ژ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۈ ۋ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ □ □ □ □ ژ، فالله وحده هو الخالق، وهو الحق وكل ما عُبِد من دونه باطل، والملائكة عباد له مسبحون له فليسوا آلهة كما يزعم المشركون، ولاحظ بيان أنه لا أحد له القدرة على النشور سوى الذي خلقهم أول مرة، فهو وحده إله الكون.

ومن الأدلة العقلية التي أيد الله بها سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فهو صلى الله عليه وسلم يدعو قومه بالحق الذي أرسله الله به والأنبياء من قبله، ولكن أكثر الأقوام معرضون عن الحق.

وانظر هذين الدليلين: ژ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ژ، فمن يستطيع أن ينكر الخالق العظيم الحكيم بعد هذا البيان، إلا من عاند واستكبر عن الحق، وقد عرض السياق من الأدلة أيضاً أن الله هو الذي جعل السماء سقفاً محفوظاً، وهو الذي خلق الليل والنهار، وهو الذي يكلأ الخلق بالليل والنهار، وهو المحيي المميت، ولكن المكذبين يعرضون عن هذه الآيات وينكرون

لدنا إن كنا فاعلين): ١٧، لم يتكرر، وهي كذلك اختصت بوصف المكذبين بوصفهم بأنهم: (لاهية قلوبهم): ٣، فلم يتكرر بهذه الصيغة، د) وكذلك قوله (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق): ١٨، وقريب منه في سورة سبأ: ٤٨، والإسراء: ٨١، هـ) هي أكثر سورة تكررت فيها كلمة «آلهة» لدحض الشرك، وإليك التفصيل: (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون): ٢١، لم يتكرر، وكذلك قوله (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا): ٢٢، وقوله (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم): ٢٤، وقريب منه في سور الكهف: ١٥، وقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا): ٤٣، لم يتكرر، وكذلك قوله (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها): ٩٩، و) قوله (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقاهما) ٣٠، لم يتكرر، وكذلك قوله (وجعلنا من الماء كل شيء حي): ٣٠، وقريب منه في سورة النور: ٤٥، ز) قوله (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن): ٤٢، لم يتكرر، ح) وكذلك قوله (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب): ١٠٤، وقريب منه في سورة الزمر: ٦٧، ط)قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم): ٦٩، لم يتكرر كذلك. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

الآخرة، ولذلك عرض السياق مصيرهم يوم القيامة ليكون ذلك أبلغ رد عليهم: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصصي يؤكد ما تقدم من إقامة الأدلة والحجج على تفرد الله بالإلهية، وقد ابتدأ السياق بقصة إبراهيم عليه السلام، الذي يزعم المشركون كذباً انتماءهم الديني إليه: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﮊ، إن محاورته مع قومه تؤكد ما سبق من بيان أن الآلهة التي يعبدها المشركون لا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا تمنعهم من بأس الله، وبذلك يثبت إن الله وحده فاطر السماوات والأرض هو المستحق للعبادة.

ولكي يؤكد السياق ذلك، عرض كيف حطم إبراهيم أصنامهم التي لم تدفع عن نفسها شيئاً، في مقابل أن رب إبراهيم أنقذه من النار وجعلها برداً وسلاماً عليه، وفوق ذلك أكرمه بذرية صالحة وجعلهم أئمة يهدون بأمره ووحيه، وهذا أبلغ دليل عقلي على تفرده تعالى بصفات الإلهية، ومما يؤكد ذلك أيضاً بيان أن الله تعالى أنجى لوطاً من القرية التي كانت تعمل الخبائث، وكذلك أنجى نوحاً من الطوفان الذي أغرق الكافرين.

ومما يؤكد كمال قدرته سبحانه أنه سخر لداود الجبال والطير يسبحن معه لله، وسخر لسليمان الريح والشياطين، وقد كشف الضر عن أيوب، وآتاه أهله ومثلهم معهم رحمة من عنده، وأدخل إسماعيل وإدريس وذا الكفل في رحمته أيضاً وجعلهم من الصالحين، وأنجى يونس من بطن الحوت حينما ناداه في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ووهب لزكريا يحيى وأصلح له زوجه، وخلق عيسى في رحم مريم بلا أب، كل ذلك يؤكد تفرد الله تعالى بصفات الإلهية كما لا يخفى، ولذلك اختير من عرض قصصهم عليهم السلام جميعاً اسمُ السورة ليدل على المحور المذكور كناية.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التحذير من الآخرة التي ينذر بها الأنبياء بذكر بعض علاماتها: ﮋﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ.

وأعادت التأكيد على بطلان الشرك بالأدلة العقلية: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ.

وأعادت التأكيد على تفرد الله تعالى بصفات الإلهية من خلال الأدلة العقلية أيضاً، مع التأكيد على فلاح المؤمنين بدعوة الأنبياء: ﮋ ﮉ ﮊ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ.

وكما افتتحت السورة ببيان غفلة الناس عن الآخرة التي ينذر بها الأنبياء أقوامهم، وبيانها تفرد الله بصفا الإلهية، ختمت بالتحذير من الآخرة التي يحذر بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قومه، مع التأكيد على تفرده الله بصفات الإلهية: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ

ں ڻ ڻ ڻ ڈ ۀ ہ ہ ۂ ھ ھ ہ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۈ ۈ ۇ ۈ ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ ې ې ۑ ۑ □□ □ □ □ □ □ □ ژ. وبذلك التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة المؤمنون

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى بيان بعض صفات المؤمنين في مقدمتها، وبيان أنهم ـ لا غيرهم ـ هم المفلحون، ووصف المؤمنين بصيغة اسم الفاعل وبجمع المذكر السالم، يدل على تمكن صفة الإيمان فيهم، وعلى أثر هذا الإيمان الظاهر في سلوكياتهم الذاتية والاجتماعية التي تُرضي الله تعالى فاستحقوا الفلاح، ولا يخفى أن تسمية السورة باسمهم فيه من الترغيب بالاقتداء بهم ما فيه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة هي سورة الإيمان بكل قضاياه ودلائله وصفاته، فالسورة تعرض دلائل الإيمان في النفس البشرية وفي الآفاق، وتعرض حقيقة الإيمان كما عرضها الرسل الكرام عليهم السلام، وتبين موقف المشركين من الرسول صلى الله عليه وسلم للتحذير منه، وهي بذلك تقرر اختصاص المؤمنين بالفلاح، ولأجل ذلك سميت باسمهم [٢٧٦].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان بعض مظاهر عظمة الله تعالى خالق الأكوان ومرسل الأنبياء بآيات الوحي، ولما كان بيان صفات المؤمنين بهذا الخالق العظيم فيه من الترغيب بالإيمان بالله ما فيه، جاء اسم السورة مشيراً إليهم مدحاً لهم وإشادةً بهم، ومعبراً عن المحور المذكور.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى خمسة أقسام: أولها: مقدمة تبين صفات المؤمنين بالله العظيم وجزاءهم، وثانيها: عرض بعض مظاهر عظمة الله في خلق الإنسان والكون، وثالثها: عرض قصصي يدعو إلى التوحيد ويبين موقف الأقوام من هذه الدعوة ومصيرهم، ورابعها: تعقيب ببيان موقف المؤمنين بالله ومصيرهم، وموقف الكافرين ومصيرهم، وخامسها: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٢٧٧].

---

(٢٧٦) ينظر: الفيروز أبادي، **البيان بمقاصد سور القرآن**، ص ٧١، والمهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٥٣، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ١٨٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ٢٤٥٢، ٢٤٥٣، وأ.د مسلم، **التفسير الموضوعي**، م ٥، ص ١٢٢، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٢٦٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٦٦- ١٧٠.

(٢٧٧) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١١، وعرض مظاهر عظمة الله في خلقه: ١٢- ٢٢، والعرض القصصي: ٢٣- ٥٦، والتعقيب عليه: ٥٧- ٩٢، والخاتمة: ٩٣- ١١٨. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور

أولاً: جاء في مقدمة السورة عرضٌ لصفات المؤمنين بالله العظيم، مع بيان شرف جزائهم، ليكون ذلك ترغيباً بالاقتداء بهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ، ولاحظ تقديم صفة الخشوع في الصلاة، الذي يطلعك على مدى أثر الإيمان في قلوبهم، ولاحظ وصف مصيرهم بصيغة اسم الفاعل «الوارثون» لزيادة التأكيد على حصول الثواب لهم، ولاحظ تخصيص ذكر الفردوس، وهي المنزلة العليا من الجنة، ولم تذكر إلا هنا وفي سورة الكهف.

ثانياً: وبعد عرض صفات المؤمنين الداعية للإيمان، انتقل السياق إلى عرض بعض مظاهر عظمة هذا الإله العظيم الذي آمن به المؤمنون، وهي مظاهر في خلق الإنسان وفي الآفاق: ﮋ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ، ولاحظ التفصيل في عرض مراحل نمو الجنين في رحم أمه، إن في ذلك زيادةً في بيان عظمة الخالق العظيم، ولاحظ بيان قدرته تعالى على البعث، فكما هو قادر على خلق الإنسان ولم يك شيئاً، قادر على بعثه للحساب.

ومن مظاهر عظمة الله تعالى في الآفاق: ﮋ   ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ، وقد فصل السياق في تعداد نعم الله على الإنسان، فذكر نعمة إنبات الزيتون ذي المنافع الكثيرة، ونعمة الأنعام، والتفصيل يدل على عظمة الخالق كما لا يخفى.

ثالثاً: وبعد عرض مظاهر عظمة الله تعالى في الكون الداعية إلى التوحيد، انتقل السياق إلى عرض قصصي يدعو إلى التوحيد من خلال آيات الوحي التي أنزلها على الأنبياء، وبذلك تجتمع الآيات الكونية وآيات الوحي التي أرسل بها الأنبياء على الدعوة إلى الإيمان بالله العظيم:

المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: منها أمور متعلقة تبين عظمة الله تعالى الذي آمن به المؤمنون: أ) فهي أكثر السور تفصيلاً في عرض مراحل خلق الجنين في رحم أمه: ١٢- ١٤، وقريب منها جداً في سورة الحج: ٥، وقريب منها في سورة غافر: ٦٧، ب) انظر قوله تعالى في سورة المؤمنون: (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون): ٢١، وقارن بما في سورة النحل: (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين): ٦٦، ج) هي الوحيدة التي وصفت السماوات بقوله (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق): ١٧، والوحيدة التي فيها قوله (وما كنا عن الخلق غافلين): ١٧، والوحيدة التي فيها قوله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض): ٧١، ثانياً: ومنها أمور متعلقة بالمؤمنين: أ) فهي الوحيدة التي فيها قوله (قد أفلح المؤمنون): ١، وقوله (والذين هم في صلاتهم خاشعون): ٢، ب) والوحيدة التي وصفتهم بأنهم (واللذين هم عن اللغو معرضون): ٣، وقريب منها في سورة الفرقان: ٧٢، والقصص: ٥٥، ج) هي الوحيدة التي اختصت بقوله (أولئك هم الوارثون اللذين يرثون الفردوس): ١٠، ١١، فلم تذكر «الوارثون» في موقع آخر، ولم تذكر «الفردوس» إلا هنا وسورة الكهف: ١٠٧، د) هي وسورة المعارج الوحيدتان اللتان اختصتا بقوله (والذين هم لفروجهم حافظون): المؤمنون: ٥، والمعارج: ٢٩، والوحيدتان اللتان اختصتا بقوله (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون): ٨، والمعارج: ٣٢، هـ) اشتركت مع سورتي آل عمران والأنبياء بقوله (يسارعون في الخيرات): المؤمنون: ٦١، وآل عمران: ١١٤، والأنبياء: ٩٠، ولكنها اختصت وحدها بقوله (وهم لها سابقون): ٦١، و) والوحيدة التي امتازت بقوله (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون): ٥٧، وقريب منها في سورة الأنبياء: ٢٨ ولكن عن الملائكة، والوحيدة التي امتازت بقوله (أنهم هم الفائزون) بهذه الصيغة: ١١١، وقريب منها التوبة: ٢٠، والنور: ٥٢، والحشر: ٢٠، ثالثاً: ومنها أمور متعلقة بالكافرين: أ) فهي وسورة القصص الوحيدتان اللتان اختصتا بقوله (لا يفلح الكافرون) المؤمنون: ١١٧، والقصص: ٣٧ ولكنها على لسان البشر، ب) هي الوحيدة التي تكررت فيها كلمة «غمرة» لوصفهم: (فذرهم في غمرتهم حتى حين): ٥٤، و (بل قلوبهم في غمرة من هذا): ٦٣، ج) والوحيدة التي تكررت فيها مشتقات «جأر» لوصفهم: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم): ٦٤، ٦٥، ولم تذكر مشتقات هذا الجذر في موقع آخر إلا في النحل: ٥٣، د) والوحيدة التي اختصت بقوله (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون): ٧٤. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

ﮊ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ
ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮋ،
ولاحظ قوله (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، وهو ملخص دعوة الأنبياء جميعاً، ولاحظ عرض موقف قومه المكذبين الذي يقابل عرض صفات المؤمنين في المقدمة، وقد بين السياق كيف أهلك قوم نوح، وكيف نجّى الله نوحاً عليه السلام ومن آمن معه في الفلك، وبذلك يجتمع الترغيب بذكر صفات المؤمنين، والترهيب بعرض مصير المكذبين.

ثم انتقل السياق إلى عرض موقف قوم آخرين، وهم على الأرجح عاد لأنهم عادةً يُذكرون في القرآن بعد قوم نوح: ﮊ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ
ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮋ، ولاحظ وحدة الدعوة بين نوح وهود عليهما السلام، ولاحظ التفصيل في عرض تكذيبهم، وقد بين السياق أيضاً نتيجة تكذيبهم، إذ أهلكهم الله بالصيحة فجعلهم غثاءً.

ثم أعقب السياق بذكر قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون وملئه، وقد بين السياق أنهم كانوا مستكبرين عالين، ونتيجة تكذيبهم أنهم كانوا من المهلكين، وعرض موقف فرعون الذي ادعى الألوهية في الأرض، وبيان إهلاكه وملئه يدعو إلى توحيد الله بلا شك، وفيه بيان أنه تعالى ذو القدرة المطلقة، ثم ذكر السياق مريم وأمه: ﮊ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ
ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮋ، وبيان أن الله آواهما إلى الربوة التي فيها القرار والماء المعين، دلالة على أنهما من البشر، وليس لأحدهما حق الألوهية، وقد أكد ذلك أمر الرسل جميعاً بالأكل من الطيبات، فهم جميعاً من البشر، يحتاجون ما يحتاج البشر من المأكل والمشرب والمأوى، وبذلك يتأكد تفرد الله تعالى بالألوهية.

فسياق السورة كما ترى يدعو إلى توحيد الله عز وجل من خلال بيان عظمة الله تعالى الذي آمن به المؤمنون، وذلك من خلال آياته الكونية، ومن خلال آيات الوحي التي أنزلها على الأنبياء عليهم السلام.

رابعاً: ثم عاد سياق السورة إلى الترغيب مرة أخرى، وأعاد ذكر بعض صفات المؤمنين بالله العظيم: ﮊ □ □ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ
ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ
ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮋ، ولاحظ ذكر الخشية التي تدعوهم إلى الخشوع في الصلاة كما ذكر في المقدمة، ولاحظ بيان مسارعتهم إلى الخيرات حتى استحقوا الفردوس المذكورة في المقدمة.

وأعاد السياق عرض موقف المكذبين ليجتمع الترهيب مع الترغيب: ﮊ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ
ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ
ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮋ، ولاحظ أن سبب إهلاكهم هو استكبارهم عن آيات الله تعالى ونكوصهم عنها.

ومن أجل زيادة التوبيخ عليهم، ذكر السياق عدة استفهامات لبيان أنه لم يكن لهم صارف عن الإيمان سوى عنادهم واستكبارهم: ﮊ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ

ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ژ، وانظر قوله: ژ □ □ □ □ □ □ □□
□ ژ، ولاحظ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯾ ﯿ ﯽ
تكرار السؤال بـ (أم) التي تفيد التقرير، ولاحظ التأكيد على صدقه صلى الله عليه وسلم وتأكيد ضلالهم بـ (إنّ) المؤكدة.

وبعد ذكر موقفهم من الآيات القرآنية، انتقل السياق إلى ذكر موقفهم من الآيات الكونية: ژ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ژ، ولاحظ تكرار الضمير (هو) ثلاث مرات، التي يقابلها الأسئلة الثلاثة التالية: ژ ﯓ ﯔ
ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □□ □□ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯾ ﯿ ﯽ □ □ □□ □ □ □
□ □ ژ، وبذلك يثبت قطعاً أن الله تعالى وحده المستحق للعبادة.

خامساً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه ببيان قدرته تعالى على إهلاك المكذبين: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ژ.

وقد أعادت ذكر موقف المكذبين من الآيات القرآنية وبيان مصيرهم: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ژ.

وأعادت التأكيد على عظمة الله تعالى الذي يؤمن به المؤمنون وقدرته المطلقة: ژ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ژ.

وكما افتتحت السورة بذكر صفات المؤمنين وبيان فلاحهم للترغيب بالاقتداء بهم، ختمت ببيان خسارة المشركين والكافرين للتحذير من الاقتداء بهم: ژ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ ژ. وهكذا التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة.

سورة الشعراء

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية إلى وصف حال الشعراء، الذين هم أفصح الناس، فالكافرون منهم مع ما أوتوه من الفصاحة يهيمون في الحياة بلا هدف، وهم كاذبون مدّعون، يخالف قولهم فعلهم، وهم فوق ذلك يغوون ضعفاء النفوس إذ يُسْحَرون بفصاحتهم، ولا يدركون حقيقة حالهم، وقد كان من المفترض أن يكون هؤلاء الشعراء أول من يؤمن ببلاغة القرآن المعجِزة، ولكن الذين آمنوا منهم بالقرآن وبالإسلام، سخّروا فصاحتهم لخدمة الدين فانتصروا بعدما غلبوا، ففي تسمية السورة بـ «الشعراء» تعريض بمن كفر ببلاغة القرآن منهم واتبع هواه ولم تنفعه فصاحته، ومدح لمن آمن منهم وسخّر فصاحته للدين.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تبين أن منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهج القرآن غير منهج الشعراء، وغير منهج الشعر أصلاً، فالقرآن يستقيم على نهج واضح ويدعو لغاية محددة، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول قولاً ينقضه غداً، بينما الشعراء أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة، تتحكم فيهم مشاعرهم وتقودهم إلى التعبير كيفما كانت، فالسورة تؤكد أن القرآن بيّن بياناً معجزاً دالاً على أنه من عند الله، وفي ذلك أبلغ رد على من اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر، في حين أن الشعراء هم من يوظفون الكلمة للتأثير على الآخرين بغير وجه حق غالباً [٢٧٨].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال آيات الله القرآنية، وآيات الوحي التي أيّد بها الأنبياء والمرسلين، الواضحة الحجة البينة الدلالة عليه سبحانه، مع بيان موقف الأقوام المكذبين السابقين ومصيرهم، ولما كان عرض موقف الشعراء الذين كان من المفترض أن تقودهم فصاحتهم إلى أن يكونوا أول المؤمنين ببلاغة القرآن المعجزة، فيسخّروا فصاحتهم لخدمة الدين بدلاً من تسخيرها للتأثير على الناس بغير وجه حق، لما كان عرض موقفهم يدل على التشابه بينهم وبين موقف الأقوام المكذبين بآيات الرسل البينات، جُعل منه اسم للسورة للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(٢٧٨) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٨٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ٣٤٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ٢٥٨٣، ٢٦٢١، وأ.د مسلم، **التفسير الموضوعي**، م ٥، ص ٣٢٨، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٢٨٥، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٨٥- ١٩١.

من الممكن أن تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تبين موقف المكذبين من آيات الله تعالى بالرغم من حجتها البينة المعجزة، وعرض قصصي يبرز موقف الأقوام من آيات الوحي البينة الحجة التي أيد الله بها أنبياءه ورسله، والخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٧٩).

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان أن آيات الله تعالى واضحة الحجة بينة الدلالة، ومع ذلك يكذب بها المكذبون حتى استحقوا العذاب: ژ ٱ ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٺ ٺ ٽ ٽ ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڤ ڦ ڦ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڳ ژ، فلاحظ وصف الكتاب بالمبين، وبيان إعراضهم عن كل آية محدثة من الرحمن دالة عليه سبحانه، وتهديدهم بنزول العذاب إذا أصروا على تكذيبهم، ولاحظ بيان أنه تعالى هو الذي أنبت في الأرض من كل زوج كريم، وبذلك تجتمع الآيات الكونية مع الآيات القرآنية على الدلالة عليه سبحانه.

فالمقدمة كما ترى تثبت أن آيات القرآن واضحة الحجة، بينة الدلالة، يفترض من الشعراء الذين هم أفصح الناس أن يكونوا أول من يؤمن لبلاغة القرآن المعجزة، فيدافعوا عن الدين، بدلاً من تسخير فصاحتهم في الباطل.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصصي يؤكد أن آيات الوحي التي أيد الله بها رسله وأنبياءه السابقين، كانت أيضاً واضحة الحجة بينة الدلالة، فبذلك يثبت أن مرسل الرسل جميعاً هو إله واحد سبحانه، وفي عرض موقف الأقوام المكذبين بهذه الآيات البينات حتى أهلكهم الله، يثبت أن الشعراء المكذبين ببلاغة القرآن المعجزة مستحقون للعذاب أيضاً، وقد كانت أول قصة معروضة هي قصة موسى عليه السلام، وذلك لعدة أمور منها: أنه أُيد بمعجزات محسوسة بالإضافة إلى تأييده بآيات الوحي، ثم إن عرض قصته أبرز شرك فرعون وقومه، ولم يذكر شرك الأقوام في القصص الأخرى بشكل صريح، إلا في قصة إبراهيم عليه السلام، ولذلك عُرضت بعد قصة موسى مباشرة:

(٢٧٩) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٩، والعرض القصصي: ١٠- ١٩٢، والخاتمة: ١٩٣- ٢٢٧، ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: هي أكثر سورة في القرآن جاء فيها الوصف «مبين» لآيات الله تعالى: فقال عن القرآن (تلك آيات الكتاب المبين): ٢، وعن موسى عليه السلام (قال أولوا جئتك بشيء مبين): ٣٠، و (فإذا هي ثعبان مبين): ٣٢، وعن نوح عليه السلام (إن أنا إلا نذير مبين): ١١٥، وعن القرآن مرة أخرى (بلسان عربي مبين): ١٩٥، ثانياً: هي أكثر سورة في القرآن ذكرت في عبارة «إن في ذلك لآية» بعد إهلاك المكذبين بآيات الله البينات، وذلك ثماني مرات: ٨، ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠، ثالثاً: هي الوحيدة التي فيها قوله (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل): ١٩٧، والوحيدة التي فيها قوله (نزل به الروح الأمين): ١٩٣، وقوله (وإنه لفي زبر الأولين): ١٩٦، وقوله (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين): ١٩٨، ١٩٩، وقوله (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون): ٢١٠، ٢١١، رابعاً: انظر قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين): ٥، وانظر قريباً منه في سورة الأنبياء: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون): ٢، خامساً: وانظر قوله (وإنه لتنزيل رب العالمين): ١٩٢، وانظر قريباً منه في سورة السجدة: ٢، والواقعة: ٨٠، والحاقة: ٤٣، سادساً: هي وسورة القمر السورتان الوحيدتان اللتان تكررت فيهما كلمة «كذبت» عن الأقوام: فانظر في سورة الشعراء (كذبت قوم نوح المرسلين): ١٠٥، وانظر عن عاد (كذبت عاد المرسلين): ١٢٣، وانظر عن ثمود (كذبت ثمود المرسلين): ١٤١، وعن قوم لوط (كذبت قوم لوط المرسلين): ١٦٠، وانظر في سورة القمر عن قوم نوح (كذبت قبلهم قوم نوح): ٩، وعن عاد (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر): ١٨، وعن ثمود (كذبت ثمود بالنذر): ٢٣، وعن قوم لوط (كذبت قوم لوط بالنذر): ٣٣، سابعاً: هي السورة الوحيدة التي تكرر فيها ذكر الاسمين الجليلين «العزيز الرحيم»، وذلك بتكرار العبارة (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) تسع مرات: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١، ٢١٧، واسم «العزيز» ملائم لبيان إهلاك المكذبين بآيات الله البينات، و«الرحيم» ملائم لإرسال الرسل بالآيات البينات لهداية الناس.

ژ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯓ ﯖ ﯖ
ﯗ ﯗ ﯘ ﯙ ﯙ ﯚ ﯛ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ أن التركيز كان على أن الله تعالى سيطلق لسان موسى عليه السلام بالحجة البينة، وسيؤيده بأخيه هارون، ليتفق ذلك مع وصف آيات القرآن في المقدمة بأنها بينة، ولم يذكر شيئاً عن العصا واليد، إذ المقصود بالمقام الأول إثبات أن حجة الأنبياء والرسل بينة واضحة.

ژ □ ى ى ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب
ب ب پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ
ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ
ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ں ں ڻ ڻ
ڈ ڈ ۀ ژ، لاحظ أولاً طول هذه المحاججة التي لم تتكرر في القرآن على هذا النحو، ولاحظ أن موسى دحض بما أيده الله من الحجة الواضحة شبهات فرعون حتى ألجأه إلى الاستبداد بقوته، بعد أن أفحمَ موسى حجتَه.

ثم عرض السياق موقف فرعون وملئه من آيتي العصا واليد، حتى أشاروا عليه بإرجائه وأخيه إلى موعد محدد لمواجهتهما، ثم عرض السياق موقف السحرة الذين آمنوا لهاتين الآيتين البينتين: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ژ، فموقف هؤلاء المؤمنين السحرة الحاذقين في السحر مشابه لموقف من آمن ببلاغة القرآن المعجزة من الشعراء الحاذقين في الفصاحة، فكلا الفريقين لم تمنعه موهبته من خدمة الدين بعدما آمن.

ثم عرض السياق مصير فرعون وملئه المكذبين، إذ أصروا على التكذيب وعلى ملاحقة موسى ومن آمن معه، ومن اللطيف أن هذه السورة هي الوحيدة التي عرضت هذا التصرف من فرعون: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ژ، وفيه مزيد تأكيد على تكذيبه بالرغم من الآيات البينات التي أُيِّد بها موسى، ثم كان مصير تكذيبهم أن الله أغرق فرعون وقومه، وأنجى موسى ومن آمن معه أجمعين. فهذه أول قصة تعرض موقف المكذبين بالآيات البينات التي أيد الله بها رسله وتبين مصيرهم.

ثم انتقل السياق إلى عرض قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه: ژ ک ک ک گ گ
گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے
ۓ ۓ ﯓ ﯓ ﯖ ﯖ ﯗ ﯗ ﯘ ﯙ ﯙ ﯚ ﯛ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ □
□ ژ، ولاحظ طول المحاججة أيضاً، ولاحظ أن إبراهيم دحض شبهات قومه بما أيده الله من الحجة والبرهان، ثم عرض السياق مصير المشركين يوم القيامة، وفي ذلك تعريض بمن أصر على الشرك من قوم إبراهيم: ژ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ
ژ ڑ ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ
ڈ ۀ ۀ ہ ہ ژ. فقصة إبراهيم عليه السلام كما ترى أيضاً تعرض موقف المكذبين والمشركين ومصيرهم بعدما أصروا على التكذيب بالحجة والبرهان الذي أيد الله به إبراهيم.

ثم عرض السياق قصة نوح عليه السلام: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ ﯼ ﯼ ﯾ ﯾ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ
ﭜ ﭝ ﮊ، ولاحظ إصرارهم على التكبر بالرغم من حجة نوح وبرهانه الساطع، وقد عرض السياق أيضاً أنهم هددوه بالرجم إن لم ينته عن دعوته، حتى اضطُر إلى دعاء الله بالنصر، فأنجاه الله ومن آمن معه في الفلك المشحون، وأغرقَ بعدُ الباقين.

ثم عرض قصة هود عليه السلام مع عاد: ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ
ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯼ ﯾ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ
ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﮊ، ويلاحظ فيها أيضاً إصرار القوم على التكذيب بالرغم من سطوع الحجة والبرهان.

ثم عرض قصة صالح عليه السلام مع ثمود: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ
ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ
ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ
ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ، وقد عرض السياق إصرارهم على التكذيب حتى بعدما رأوا آية الناقة، فعقروها فأصبحوا نادمين، فأخذهم العذاب.

ثم عرض قصة لوط عليه السلام مع قومه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ
ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ
ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ
ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ، وبين السياق أن عاقبة تكذيبهم بالحجة والبرهان الذي أُيِّد به لوط كانت أن أرسل الله عليهم الحجارة كالمطر.

ثم عرض في الختام قصة شعيب مع أصحاب الأيكة: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ ﯼ ﯼ ﯾ ﯾ
□ □
□ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ، ثم عرض السياق نتيجة تكذيبهم بأن أخذهم عذاب يوم الظلة.

فهذا العرض القصصي كما ترى يعرض موقف الأقوام المصرين على التكذيب بالرغم مما أيد الله به أنبياءه ورسله من الحجة والبرهان، ويبين عاقبة تكذيبهم، وفي ذلك أبلغ دعوة لقوم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم الشعراء الذين هم أفصح الناس، ليؤمنوا لبلاغة القرآن المعجزة.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت تهديد المكذبين الكافرين بالقرآن بالرغم من حجته وبرهانه وبلاغته المعجزة: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ
ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ

ۇ ۆ ۈ ۅ ۉ ۋ ې ۑ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ ﮊ.

وأكدت على أنه ليس لأحد سبيل على هذا القرآن، حتى لو كان من الشياطين، بل هو محفوظ بحفظ مُنزله سبحانه، فينبغي أن تكون العبادة له وحده: ﮊ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮋ.

وكما افتتحت السورة ببيان حجة القرآن وبرهانه الساطع وبلاغته المعجزة، ختمت ببيان موقف الشعراء الذين ينبغي أن تقودهم فصاحتهم إلى أن يكونوا أول من يؤمن لبلاغة القرآن المعجزة، فيسخروا فصاحتهم للدين، بدلاً من أن يكذبوا به ويسخروا فصاحتهم للباطل، وأن مَن يكذب منهم مع ما أوتي من فصاحة بالقرآن العظيم، فهو من الظالمين المستحقين للعذاب: ﮊ ۇ ۆ ۈ ۉ ۋ ۇ ۈ ۅ ۉ ۋ ې ۑ ﯦ □ ى ی ﮋ، وهكذا التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور الذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الروم

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى حديثها في مقدمتها عن حادثة هزيمة الروم أمام الفرس قبل هجرة المسلمين إلى المدينة، وهي حادثة أفرحت المشركين في قريش لأن الفرس مشركون والروم أهل كتاب، وتفاءلوا أنهم سيَغلِبون المسلمين كما غلبت الفرسُ الروم، ولكن الله أخبر أن الروم سيعودون للغلبة على الفرس في بضع سنين، وحينها سيفرح المؤمنون بنصر الله الذي ينصر من يشاء، وقد تحقق وعده سبحانه، فاسم السورة يدل على صدق وعد الله لأن بيده مقاليد الأمور.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وبين سنن الكون ونواميس الوجود، فكل ذلك مرتبط برباط وثيق خلاصته قوله تعالى: (لله الأمر من قبل ومن بعد) فهو القادر على كل شيء، والقادر على نصر أوليائه، وخذلان أعدائه، فالسورة تتحدث عن العوامل التي تحقق الانتصار للمسلمين على كل الأمم وعلى رأسها الروم، كاليقين بقدرة الله تعالى وبالآخرة، وبجعل الدين منهاج الحياة، والصبر والصدقة، وقد تحدثت أيضاً عن الأمراض المجتمعية التي تُبعد هذا النصر، كاتباع الهوى، وشيوع الربا، والاعتداد بالرأي الخاص، فالسورة تنطلق من وعد الله بنصر الروم إلى وعده بنصر أمة الإسلام [٢٨٠].

---

(٢٨٠) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ١٣٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ٥٨٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ٢٧٥٤- ٢٧٥٦، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ص ٣، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، **٣١١، ٣١٢**، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢١١- ٢١٦.

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان أن الله وحده بيده مقاليد الأمور ووعده لا يُخلف، ولما كان صدق وعده في نصر الروم بعد حادثة هزيمتهم دالاً على المحور المذكور، اشتُقَّ من هذه الحادثة اسم للسورة للدلالة على المحور المذكور كناية، وعلى صدق وعده بالتكفل بأمور الخلق ووعده ببعثهم يوم القيامة، فكأنما هو تدرج من الوعد الأصغر إلى الوعد الأكبر.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى ثلاثة موضوعات: أولها: مقدمة فيها بيان أن وعد الله لا يُخلف لأن بيده مقاليد الأمور، وثانيها: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان بعض مظاهر عظمته تعالى في الدنيا والآخرة تثبت أن بيده مقاليد الأمور، وثالثها: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٢٨١].

أولاً: جاء في المقدمة ذكر حادثة هزيمة الروم أمام الفرس، مع وعد من الله تعالى بأنهم سيعودون إلى النصر على الفرس في بضع سنين: ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ، ولاحظ أن إخبار الله تعالى بالنصر للروم دليل على أنه بيده مقاليد الأمور، وقد أثبت التاريخ صدق وعده سبحانه، ولاحظ التأكيد بقوله (لا يخلف الله وعده)، ولاحظ قلة علم الناس، فهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، ويغفلون عن الآخرة لأنها غيب، بينما الله تعالى هو عالم

[٢٨١] مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٧، وبيان مظاهر عظمته تعالى في الدنيا والآخرة: ٨- ٥٣، والخاتمة: ٥٤- ٦٠. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: هي السورة الوحيدة التي امتازت بقوله تعالى: (لله الأمر من قبل ومن بعد) على هذا النحو: ٤، ثانياً: هي وسورة البقرة الوحيدتان اللتان تكرر فيهما المصدر «نصر» بدون إضافة إلى ضمير، انظر في سورة الروم الآية ٥: (بنصر الله ينصر من يشاء)، والآية: ٤٧: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)، وهي جملة لم تتكرر في القرآن بالصيغة ذاتها، وانظر في سورة البقرة الآية ٢١٤: (حتى يقول الرسول واللذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)، ولكن لاحظ أن المصدر «نصر» الأول فيها جاء على لسان البشر، ثالثاً: هي إحدى السور الأربع اللواتي تكررت فيها عبارة «وعد الله»: انظر في سورة الروم الآية ٦: (وعد الله لا يخلف الله وعده)، والآية ٦٠: (فاصبر إن وعد الله حق)، ولاحظ أنهما متعلقتان بالدنيا لا الآخرة، وانظر في سورة يونس: ٤، ٥٥ ، وهما عن الآخرة، وفي سورة لقمان: ٩، ٣٣، وهما عن الآخرة أيضاً، وفي سورة غافر: ٥٥، ٧٧، وهما متعلقتان بالدنيا، رابعاً: هي وسورة يونس الوحيدتان اللتان تكرر فيهما وصف الله بأنه: (يبدأ الخلق ثم يعيده)، انظر الآية:١١ في سورة الروم: (الله يبدأ الخلق ثم يعيده)، والآية ٢٧: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)، وانظر الآية ٤ في سورة يونس: (إنه يبدأ الخلق ثم يعيده)، والآية ٣٤ (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده)، ولكن لاحظ أن المرة الأولى كانت سؤالاً موجهاً للبشر وليست إخباراً عن الله، خامساً: هي السورة الوحيدة التي تكررت فيها عبارة (ويوم تقوم الساعة): ١٢، ١٤، ٥٥، وهي تدل على صدق وعده بالآخرة، وقد ذكرت هذه العبارة مرة واحدة في سورة غافر: ٤٦، وفي سورة الجاثية: ٢٧، ثم انظر قوله تعالى الموجود فقط في سورة الروم: (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره): ٢٥، الدال على وعده بالتكفل في شؤون الخلق، سادساً: هي الوحيدة التي امتازت بقوله تعالى: (وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم): ٢٧، وانظر قريباً منها في سورة النحل: (ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم): ٦٠، سابعاً: هي أكثر سورة في القرآن تكررت فيها عبارة «ومن آياته» وذلك ست مرات متتالية وواحدة منفردة: ٢٠ -٢٥، ٤٦، ثامناً: هي الوحيدة التي ذكر فيها التسبيح متبوعاً مباشرة بالتحميد: (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون): ١٧، ١٨، وحصل ذلك قريباً منها في سورة القصص إذ ذكر التسبيح في الآية: ٦٨، والتحميد في الآية: ٧٠، وأيضا في سورة الصافات: ١٨٠، ١٨٢، تاسعاً: هي السورة الوحيدة التي تكررت فيها عبارة (فأقم وجهك للدين حنيفاً)، انظر الآيات: ٣٠، ٤٣، ولم تذكر هذه العبارة مرة أخرى إلا في سورة يونس: ١٠٥، عاشراً: انظر قوله تعالى في سورة الروم: (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء): ٤٠، وانظر قريباً منه في سورة يونس: (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده): ٣٤، وقوله (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق): ٣٥، ولم يذكر السؤال عن الشركاء بمثل هذه الصيغة في موضع آخر في القرآن. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

الغيب والشهادة، وإخباره بنصر الروم دليل على ذلك، وذكر الآخرة دليل على وعده الأكبر ببعث الناس فيها لحسابهم، وهو وعد أعظم بكثير من الوعد بنصر الروم.

فالمقدمة إذاً تثبت أن الله تعالى وحده بيده مقاليد الأمور، ووعده بنصر الروم دليل على ذلك، وتحقق وعده يدل على صدق وعده بالآخرة أيضاً.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى التأكيد على أنه سبحانه بيده مقاليد الأمور، من خلال ذكر بعض مظاهر عظمته تعالى في الدنيا والآخرة: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ، ولاحظ التركيز على ذكر القيامة، وذلك لأنها هي الوعد الأكبر من الله، ووعده لن يخلف، لكن الناس يكفرون بهذا الوعد لأنه غيب، ويغفلون عما في هذا الكون من دلائل صدق وعده سبحانه.

فانظر مثلاً قوله تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ
ﯬ   ﯿ ﰀ
ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ، ولاحظ بيان أن القادر على الخلق قادر على البعث، ولاحظ إبطال الشرك من خلال بيان عدم نفع الشركاء يوم القيامة، فالسياق كما ترى يدعو إلى التوحيد من خلال بيان أن الله بيده مقاليد الأمور، ووعده لا يُخلف، ولذلك هو المستحق للتسبيح والتحميد في الصباح والمساء وفي العشي وفي الظهر وفي كل زمان، وفي السماوات وفي الأرض وفي كل مكان.

ثم فصّل السياق في تعداد عدد من مظاهر عظمته تعالى متعلقة بالإنسان وبالكون: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ، وفي عرض هذه الآيات تأكيد على قوله سابقاً: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ..ﮊ (بعض الآية: ٨)، وما من شك أن خالق الإنسان والأكوان هو الذي بيده مقاليد الأمور، وقد ذكر السياق من آياته سبحانه أيضاً الليل والنهار، والبرق والغيث، وانظر هذه الآية: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ، وقارن بينها وبين وعده تعالى بنصر الروم، وستجد أنها تحوي وعداً أعظم وأكبر بكثير من الوعد بنصرهم.

وفي ثنايا عرض مظاهر عظمة الله تعالى، كان السياق يدعو إلى توحيد الله بعد أن يعرض من الآيات ما يثبت أن بيده سبحانه مقاليد الأمور: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ   ﮊ، وذكر أيضاً عدة توجيهات متعلقة بالرزق الذي هو بيد الله وحده: ﮋﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ، وما من شك أن الرزق وعد من الله لا يُخلف، وهو أعظم بكثير من الوعد بنصر الروم، ولاحظ أن السياق يدعو إلى الزكاة والصدقة بدلاً من الربا، ليربي في نفوس المؤمنين بأن الله بيده الرزق على تحري المال الحلال بدلاً من المال الحرام.

فسياق السورة كما ترى يدل على صدق وعد الله تعالى بيوم القيامة، وصدق وعده برزق الخلق، وهما يدل على أنه بيده مقاليد الخلق والأمر، وقد دل على ذلك أيضاً وعده الغيبي بنصر الروم.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التذكير بوعده الغيبي الأكبر بيوم القيامة: ژ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈژ ژ ڑ ڑک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ گ گگ گ ں ں ژ.

وكما افتتحت السورة بالإخبار عن وعد الله الغيبي بنصر الروم ليدل على أنه تعالى بيده مقاليد الأمور، ختمت بالدعوة إلى التوحيد من خلال وعده الغيبي بنصر أهل الإيمان: ژ ۋ ۋ ې ې ې ې □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ژ، وبذلك يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور الذي دل عليه اسم السورة كناية.

سورة المنافقون

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى ذكرها بعض صفات المنافقين، وبعض مواقفهم من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، التي تثبت أنهم يبطنون خلاف ما يظهرون، وتثبت استحقاقهم الغضب واللعنة من الله تعالى، ففي تسمية السورة بهم بصيغة اسم الفاعل وبجمع المذكر السالم، بيان لمدى عراقتهم في النفاق، وفي ذلك تحذير للمؤمنين منهم ومن صفاتهم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة ذم النفاق والمنافقين، وكشف مؤامراتهم وفضح دسائسهم، ففي السورة حملة عنيفة عليهم وعلى ما نفوسهم من الكيد والبغض للمسلمين، وفيها تحذير منهم ومن صفاتهم [٢٨٢].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: عرض أمراض المنافقين القلبية، وما نتج عنها من أخلاق ظاهرة ذميمة، وتحذير المؤمنين منها بتوجيهات تربوية. وفي تسمية السورة بالمنافقين دلالة لا تخفى على المحور المذكور، وفيها تحذير منهم.

والمتأمل في قِسمَي السورة يبرز له الترابط التام بينهما وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

(٢٨٢) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٢٤، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٦٠٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٥٧٢، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ١٦٦، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ٣٥٥- ٣٥٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن**، ص ٢٨٨- ٢٩٠.

تقسم السورة لقسمين، أولهما: عرض لأمراض المنافقين القلبية وأخلاقهم الذميمة، والثاني: تحذير المؤمنين منهم بتوجيهات ربانية تربوية (٢٨٣).

أولاً: جاء في القسم الأول من السورة عرض للأمراض القلبية لدى المنافقين، والتي نتجت عنها أخلاق ذميمة، وقد ابتدأ السياق بالحديث عن الأمراض القلبية لخطورتها البالغة: ژ ک ڪ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ ڱ گ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ہ ۀ ہ ۂ ۃ ۃ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۑ ۑ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □□ □ □□ □ □ ژ، فهم يبطنون خلاف ما يظهرون، وهم كاذبون يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ولم يكتفوا بذلك بل اتخذوا أيمانهم الكاذبة للصد عن سبيل الله تعالى، وهم لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم حقاً، ولذلك تركوه وعادوا إلى الكفر، وقد نتج عن هذه الأمراض القلبية عدد من الأخلاق الظاهرة الذميمة، فهم جبناء بالرغم من كمال أجسامهم.

ثم عرض السياق أنهم مصرون على باطلهم بالرغم من دعوتهم للاستغفار والتوبة: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ژ، فهم قد بلغوا من الكفر والفسوق حداً لا يجدي استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو خير البشر ـ لهم نفعاً.

ثم عرض السياق شيئاً من أقوالهم الدالة على مرض قلوبهم، وكأن عرض مثل هذه الأقوال يعلل عدم نفع استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، ويبين مدى الكفر والفسوق الذي بلغوه: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گگ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ژ، فهم كارهون لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم حتى دفعهم كرههم إلى البخل، وهم متكبرون يدعون أنهم هم الأعزاء، ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

فالقسم الأول من السورة كما ترى يعرض الأمراض القلبية لدى المنافقين، وما نتج عنها من أخلاق ظاهرية ذميمة، جعلتهم يستحقون الغضب واللعنة من الله تعالى.

ثانياً: جاء في القسم الثاني من السورة توجيهات تربوية للمؤمنين تحذرهم من الاقتداء بالمنافقين بعد أن كُشِفت سرائرهم الخبيثة: ژ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ

(٢٨٣) القسم الأول شملته الآيات: ١- ٨، والثاني: ٩- ١١. ومن لطائف هذه السورة أنها امتازت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أولاً: قوله تعالى: (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) ذكر هنا فقط مع ذكرهم الصريح المناسب لاسم السورة، بينما شهد الله عليهم بالكذب لكن بضمير في سورة التوبة: (والله يشهد إنهم لكاذبون): ١٠٧، وبالعبارة ذاتها في سورة الحشر: ١١، ثانياً: هي الوحيدة المختصة بقولهم الكاذب: (نشهد إنك لرسول الله):١، ثالثاً: والوحيدة المختصة بقوله تعالى عنهم: (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون): ٤، خامساً: والوحيدة التي اختصت بقوله تعالى عنهم حين دعوا إلى استغفار الرسول ٨: (لووا رؤوسهم): ٥، والوحيدة التي وصفتهم بقوله: (وهم مستكبرون): ٥، سادساً: والوحيدة التي اختصت بذكر قولهم الكاذب: (ليخرجن الأعز منها الأذل): ٨، سابعاً: وصفهم بأنهم لا يعلمون مع التصريح بذكرهم هنا فقط: (ولكن المنافقين لا يعلمون): ٨، بينما وصفوا بأنهم لا يعلمون لكن بالضمير في سورة البقرة: (ولكن لا يعلمون): ١٣، وفي سورة التوبة: (فهم لا يعلمون): ٩٣، ثامناً: هي الوحيدة التي نسبت العزة لله مع ذكر الرسول ٨ والمؤمنين: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين): ٨، وذكر المؤمنين مناسب في مقابل التصريح بذكر المنافقين كما سبق، بينما نسبت العزة في القرآن لله تعالى فقط في سورة النساء: ١٣٩، ويونس: ٦٥، وفاطر: ١٠، والصافات: ١٨٠. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ژ، ولاحظ أن السياق حذر المؤمنين من التلهي بالأموال والأولاد عن ذكر الله، لأن الذي سبب الأمراض القلبية للمنافقين إنما هو حبهم للدنيا وما فيها من أموال وأولاد حتى أغفلهم عن الإيمان بالله تعالى، ولاحظ أيضاً أن السياق دعا المؤمنين إلى النفقة في سبيل الله، وذلك يقابل وصف المنافقين بالبخل، والذي يدعو المؤمن إلى الإنفاق إنما هو يقينه بأنه سيجد أجره في الآخرة، ولما انعدم هذا اليقين في قلوب المنافقين، انعكس ذلك على سلوكهم حتى أصبحوا مَثلاً للبخل.

وكما افتتحت السورة ببيان علم الله تعالى وشهادته على ما في قلوب المنافقين من الكذب والكفر الذي دفعهم إليه عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، ختمت ببيان أن الله تعالى قضى على كل نفس أجلاً مسمى، وسيحاسب الجميع يوم القيامة لأنه خبير بما تعمله كل نفس: ژ ﭑ   ژ، وفي ذلك أبلغ تحذير للمؤمنين من المنافقين ومن صفاتهم السيئة، وبذلك يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة المطففين

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الطاء والفاء يدل على قلة الشيء، يقال: هذا شيء طفيف، والتطفيف: نقص المكيال والميزان »، وزاد الإمام ابن منظور رحمه الله: « التطفيف (في الإناء): أن يؤخذ أعلاه ولا يُتَمَّ كيلُه، وطفف على الرجل: إذا أعطاه أقل مما أخذ منه » (٢٨٤). فوصفهم بالمطففين يدل على أنهم إذا كان لهم الحق أخذوه مع زيادة، وإن كان عليهم الحق أعطوه مع تخسير، والذي دفعهم لذلك هو عدم إيمانهم بميزان العدل الإلهي يوم القيامة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أنها نزلت لتعالج حالة التطفيف في الكيل أو سائر الحقوق والواجبات، التي تعتبر إحدى حالات الظلم والانحراف الأخلاقي في التعامل الذي كان سائداً في الجاهلية، فقد كان إدراكهم أن الدين يحطم كل أساس جاهلي تقوم عليه أوضاعهم ومصالحهم، كان يقودهم إلى التكذيب بحقائق الدين التي من أهمها الحساب يوم الدين، حتى استحقوا الوصف بالفجار، والتحذير من هذا الفعل يجعل السورة تبني في نفوس المؤمنين الرقابة من الله تعالى ومن يوم حسابه، قبل البناء القانوني لتحريم التطفيف (٢٨٥).

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر من خلال بيان عدل الجزاء الإلهي في ذلك اليوم لكل من الفجار المجرمين،

---

(٢٨٤) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٦١٦، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٩، ص ١٢٥. بتصرف.

(٢٨٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٩٢، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٣٥٤، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٥٤- ٣٨٥٦، وأ.د مسلم ، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٦٥، والجابري، **أسماء السور القرآنية**، ص٥٢٥- ٥٢٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢٢٧- ٣٣٠.

والأبرار المؤمنين، ولما كان التحذير من تطفيف الميزان أو الحقوق في الدنيا مشيراً إلى عدم إقامة المطففين حساباً لميزان الآخرة العادل، جُعل منه اسم للسورة للدلالة على المحور المذكور كناية، وللتحذير من هذا الفعل.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تحذر المتلاعبين في الميزان والحقوق في الدنيا من عدل ميزان الآخرة، ثم عرض للجزاء العادل يوم القيامة لكل من الفجار والأبرار، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق (٢٨٦).

أولاً: جاء في مقدمة السورة تحذير للمطففين الذين يطغون على الناس في كيلهم أو حقوقهم، من عدل ميزان الله تعالى يوم الدين، إذ سيحاسبهم على إجرامهم هذا: ژ ۀ ۇ ۆ ۇ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۍ ۍ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ توعدهم بالويل، وهو بمثابة حرب من الله عليهم، وهذا يدلنا على أن المطففين «كانوا طبقة الكبراء ذوي النفوذ، الذين يملكون إكراه الناس على ما يريدون، فهم يكتالون «على الناس» لا من الناس، فكأن لهم سلطاناً على الناس بسبب من الأسباب، يجعلهم يستوفون المكيال منهم الميزان منهم استيفاءً وقسراً، ..وإذا كالوا للناس أو وزنوا كان لهم من السلطان ما يجعلهم ينقصون حق الناس، دون أن يستطيع هؤلاء منهم نصفة ولا استيفاء حق.. . وإن مجرد الظن بأنهم مبعوثون لذلك اليوم كان يكفي لصدهم عن التطفيف، ولكنهم ماضون في التطفيف وكأنهم لا يظنون أنهم مبعوثون» (٢٨٧).

إذاً فتوعد الله لهم لم يكن لمجرد أنهم يطففون الكيل ويبخسونه، بل لأنه كان نتيجة لطغيانهم وتكبرهم وظلمهم الناس، وهو ناتج عن عدم إقامتهم حساباً لميزان الله العادل يوم القيامة، وإنما اختير اسم السورة من أقل هذه الأعمال التي كانوا يعملونها شأناً، للتأكيد على دقة الحساب يوم القيامة، كما قال سبحانه: ژ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ (الكهف: ٤٩).

---

(٢٨٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٦، وعرض الجزاء العادل للفجار والأبرار: ٧- ٢٨، والخاتمة: ٢٩- ٣٦. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: هي الوحيدة التي امتازت بقوله تعالى عن المطففين: (الذين إذا اكتالوا على الناس) بدلاً من «من الناس»، وذلك يدل على طغيانهم، كما أنها الوحيدة التي فيها قوله (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)، ثانياً: هي الوحيدة التي فيها وصفُ يوم القيامة بـ «يوم عظيم»: ٥، بدون إضافة تفيد التخصيص مثل «عذاب» أو «مشهد»، وهو وصف يدل على تهويل شأنه وشأن ما فيه من الميزان والحساب، كما أنها الوحيدة التي فيها قوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين): ٦، مع ذكر «الناس» من أجل الحساب العادل، بينما انظر قريباً منه في سورة غافر: (ويوم يقوم الأشهاد): ٥١، وفي سورة النبأ: (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً): ٣٨، ثالثاً: هي الوحيدة التي فيها قوله تعالى عن الفجار: (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم): ٧- ٩، وذكر الكتاب وموقعه وبيان أنه مرقوم يدل على أنه لا زيادة فيه ولا نقصان ولا غش، في مقابل إجرام المطففين بالزيادة والنقصان، بينما انظر قوله تعالى في سورة الانفطار: (وإن الفجار لفي جحيم): ١٤، الذي يصف المصير النهائي فقط، وكذلك امتازت سورة المطففين بقوله تعالى عن الأبرار: (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم): ١٨- ٢٠، بينما انظر في سورة الإنسان: (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً): ٥، وفي سورة الانفطار (إن الأبرار لفي نعيم): ١٣، وهما يصفان المصير النهائي لنعيم الأبرار، وسورة المطففين هي الوحيدة التي فيها قوله عن الإبرار (يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك): ٢٥، ٢٦، وهو وصف يدل على أنه لا زيادة ولا نقصان ولا غش فيه. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

(٢٨٧) قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٨٥٥، ٣٨٦٥. بتصرف.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى بيان الميزان العدل يوم القيامة، إذ سيحاسب الناس فيه، وسيلاقون جزاء أعمالهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ، فأعمال الفجار محفوظة في كتاب مرقوم لا زيادة فيه ولا نقصان، وليس كميزان الدنيا الذي يستغله المطففون لمصالحهم، ولاحظ بيان أنهم كانوا يكذبون بيوم الدين، من أجل ذلك لم يحسبوا له حساباً، ولاحظ بيان أنهم معتدون آثمون، وهما وصفان متلائمان مع ظلمهم الناس، ولاحظ أن بيان أعمالهم التي كانوا يكسبونها (ومنها التطفيف) جعلت قلوبهم في غفلة عن لقاء الله، حتى استحقوا الجحيم.

ثم انتقل السياق إلى بيان جزاء الأبرار العادل، وبذلك يكتمل بيان عدل الميزان الإلهي، ويلتقي الترغيب مع الترهيب: ﮋ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وهم أيضاً أعمالهم محفوظة في كتاب مرقوم، لكنه في علو لا يشهده إلا الملائكة المقربون فقط، ولاحظ أنهم جزاءً لحفظهم حقوق الناس وعدم غشهم إياهم، حفظ الله لهم رحيقهم في الجنة، وجعله مختوماً بالمسك فلا زيادة ولا نقصان فيه ولا غش، ولاحظ وصفهم بالمقربين كما وصف الملائكة، وهو وصف يقابل قوله تعالى عن الفجار: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون).

فسياق السورة كما ترى يبرز العدل المطلق لميزان الله وجزائه يوم القيامة، وهو الميزان الذي كذب به المطففون في الدنيا فأكلوا حقوق الناس.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد ذكرت بعض الأعمال التي كان يقوم بها المجرمون في الدنيا، وهي أعمال قادهم إليها تكذيبهم بالآخرة: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، ولاحظ أن الله تكفل بحفظ أعمالهم وجزائهم عليها، ولم يوكِّل بذلك أحداً من البشر.

وكما افتتحت السورة ببيان أن الذي دفع المطففين إلى التطفيف هو عدم إقامتهم حساباً لميزان القيامة العادل، ختمت ببيان استهزاء المؤمنين بهم يوم القيامة الدال على تحقق الجزاء العادل لكلا الفريقين في ذلك اليوم: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ، وبذلك يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الهمزة

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن منظور رحمه الله: «الهماز والهمزة: الذي يَخلُف الناسَ من ورائهم ويأكل لحومهم... والهمزة الذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه ـ أي بغيبته ـ واللمز في الاستقبال، .. فالهماز العياب في الغيب، واللماز العياب بالحضرة»، وذكر الإمام العسكري قولاً يؤكد أن الهمز أشد من اللمز فقال: « المشهور عند الناس أن اللمز: العيب سراً، والهمز: العيب، .. والهمزة: الذي يعكس بظهر الغيب، واللمزة: الذي يعكس في وجهك»[٢٨٨]، وعليه يكون الهمز أشمل وأكثر تنوعاً في الأساليب من اللمز، أما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى وصف الشخص الذي دفعه حب المال وجمعه إلى التكبر على الناس لدرجة أنه يغتابهم بما يؤذيهم، وقد بلغ به حبه للمال إلى درجة الظن أن ماله سيخلده في الدنيا، وأنه لن يحاسب عليه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تعرض صورة اللئيم الصغير النفس، الذي يؤتى المال فتسيطر به نفسه، ويشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة، التي تهون أمامها جميع القيم والأقدار، أقدار الناس والمعاني والحقائق، وأنه قد ملك كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب، فالسورة تحلل الدافع إلى هذا السلوك وتظهر خطورته وتبين جزاءه، إذ سيُحطّم في الحطمة نتيجة تكبره [٢٨٩].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر من خلال بيان مصير مَن دفعهم حب المال وجمعه إلى التكذيب بذلك اليوم، ولما كان همزهم الناس سلوكاً دالاً على ما في قلوبهم من التكبر وعدم الإيمان بالحساب، اختير من هذا الوصف اسم للسورة للدلالة كناية على المحور المذكور، وللتحذير من هؤلاء.

والمتأمل في قِسمي السورة يبرز له الترابط بينهما وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة لقسمين: أولهما: بيان صفة الهمزة والداعي الذي دعاهم لذلك، وثانيهما: بيان مصيره يوم القيامة [٢٩٠].

أولاً: جاء في القسم الأول من السورة تعريف بالهمزة اللمزة، وبيان السبب الذي دعاهم لذلك: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ، فلاحظ توعدهم بالويل، وليس ذلك

---

(٢٨٨) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٥، ص ٩٠ ، ٩١ بتصرف، وقد أكد كلامه حينما عرف «اللمزة»: ج ١٣، ص ٢٣١، والعسكري، الحسن بن عبد الله (ت: ٤٠٠ هـ)، **الفروق اللغوية**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩. ص: ٦٥. بتصرف، وذكر عن غيره وجوهاً أخرى.

(٢٨٩) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٢، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٢٥، ٥٢٦، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٧٢، ٣٩٧٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٣٤١، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٥٤٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٦٠- ٣٦٢.

(٢٩٠) القسم الأول شملته الآيات:١- ٣، والثاني: ٤- ٩. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: منها أمور متعلقة ببيان صفة الهمزة، أ) فهي وسورة المطففين الوحيدتان اللتان افتتحتا بذكر «الويل» وهما مشتركتان في الحديث عمن دفعهم حب المال إلى الظلم، ب) قوله تعالى (الذي جمع مالاً وعدده): ٢، ذكر هنا فقط، وانظر قريباً منه في سورة المعارج (تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى): ١٧، ١٨، ثانياً: ومنها أمور متعلقة ببيان مصيره، أ) فقوله تعالى عن الهمزة (لينبذن): ذكر هنا فقط: ٤، ب) ووصف جهنم بـ (الحطمة) هنا فقط: ٤، ٥، وكذلك وصفها بـ (الموقدة): ٦، وبأنها (تطلع على الأفئدة): ٧، وبأنه فيها (عمد ممدة): ٩، بينما وصفها بـ (مؤصدة) ذكر هنا: ٨، وفي سورة البلد: ٢٠، وهما مشتركتان في بيان مصير من جمع المال ولم يؤدِّ حق الله فيه. وسأبين مناسبة هذه الألفاظ بالتفصيل مع اسم السورة. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

لمجرد أنهم يهمزون الناس ويلمزونهم، بل بسبب تكبرهم الذي دعاهم إليه جمع المال، حتى حسبوا أنهم سيتمتعون به خالدين وبلا حساب، فانشغالهم بجمع المال وحساباته أنساهم الآخرة وحسابها.

ولاحظ تقديم الهمزة على اللمزة، وذلك لأن الهمزة الذي يغتاب الناس في غيبتهم أذاه أشد وأبلغ من اللمزة الذي يهزأ الناس بحضرتهم، يؤكد هذا قوله تعالى عن الهمزة في موضع آخر: ژ ۋ ۈ ې ژ (القلم: ١١)، وقوله تعالى عن اللمزة: ژ ﭙ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ ژ (التوبة: ٧٩)، فالهمزة يسترسل في غِيبة الناس وتعييبهم فيكون أذاه أكبر، ولذلك اختير من «الهمزة» اسم للسورة بدلاً من «اللمزة». وقد اختير اسم السورة من الفعل الظاهر على سلوك من دفعه جمع المال إلى التكذيب بالحساب، فجمع المال إلى درجة التكذيب أمر خفي، ولكنه يبرز للناس من سلوك الهمز واللمز الدال على التكبر، وفي ذلك تحذير للمؤمنين منهم.

ثانياً: ثم بينت السورة مصير هؤلاء الذين يحسَبون أنهم لا يُحاسبون: ژ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ژ ژ، ولاحظ كلمة الردع والزجر «كلا»، أي ليس الأمر كما يحسبون، بل سيحاسبون وسيعذبون، ولاحظ قوله (لينبذن)، وهو متلائم مع نبذهم الفقراء في الحياة الدنيا، فجوزوا بالنبذ في الحطمة، ووصف النار بـ (الحطمة) ملائم لتحطيمها كبرياءهم، ووصفها بـ (الموقدة) ملائم لإصرارهم على جمع المال وتعديده حتى قادهم إلى الإصرار على التكبر، ووصفها بأنها (تطلع على الأفئدة) ملائم لما في قلوبهم من التكبر البالغ درجة التكذيب بالحساب، وهما أمران خفيان محلهما الفؤاد.

وكما افتتحت السورة ببيان صفة الذين يهمزون الناس ويلمزونهم بسبب جمع المال الذي قادهم إلى التكبر وإنكار الحساب، ختمت ببيان أنهم سيعذبون بنار مؤصدة عليهم كما كانوا يوصدون «الخزنات» على المال ويحرمون الفقراء من حق الله فيه، وبأن فيها عمداً ممدة يوثقون بها جزاء حرمانهم الفقراءَ حقَّهم، أو أن النار موصدةٌ أبوابُها عليهم بعمد ممددة فلا تُفتَح لزيادة تيئيسهم من الخروج منها، وهكذا التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور الذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة قريش

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى قبيلة قريش، الذين أنعم الله عليهم بنعم جليلة، إذ هيأ الله لهم رحلتي الشتاء والصيف بأمان، وذلك لأنهم سكان البيت الحرام الذي حفظه الله من كيد أعدائه، وجعل أهله آمنين من الجوع والخوف، فينبغي لقريش أن تخص الله وحده بالعبادة لأنه وحده الذي أنعم عليهم بهذه النعم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تذكير لقريش بمنن الله عليهم، فقد مكن الله لهم السير في الأرض للتجارة

صيفاً وشتاءً لا يخشون عادياً يعدو عليهم، وذكرهم بمنة الرزق الذي أفاضه عليهم بهاتين الرحلتين، ومنة تأمينهم في الحرم من الخوف، وذلك ليستحيوا مما هم فيه من عبادة غير الله، وهو رب هذا البيت الذي يعيشون بجواره آمنين طاعمين، ويسيرون مرعيين ويعودون سالمين [٢٩١].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: دعوة قريش للإيمان والتوحيد، من خلال بيان بعض نعم الله عليهم، وفي تسمية السورة بهم رفعة لشأنهم وتحفيزاً لهم على الإيمان والتوحيد.

والمتأمل في آيات السورة يبرز الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك[٢٩٢]:

ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ، فلاحظ افتتاح السورة بذكر ما ألفته قريش من رحلتي التجارة صيفاً وشتاءً، التي كانت أهم سبب لكسب أقواتهم ورزقهم، وقد أمّن الله هاتين الرحلتين لهم بسبب أنهم عمار المسجد الحرام، فلا يتعرض لهم أحد بسوء، بينما يتخطف الناس من حولهم.

وفي توجيه حرف اللام الداخل على الإيلاف أقوال ثلاثة كلها تدل على أن هذا الإيلاف نعمة عظيمة من الله، فاللام إما أن تكون لام تعليل مرتبطة بسورة الفيل قبلها، فيكون المعنى قد أهلكنا أصحاب الفيل ليكون إيلاف قريش في رحلَتَيْهم آمناً، أو أن تكون مرتبطة بقوله (فليعبدوا)، فيكون نظم الكلام: لتعبد قريش رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف بسبب رحلتي الشتاء والصيف، وإما أن تكون متعلقة بفعل محذوف مقدر (اعجبوا)، أي اعجبوا من ترك قريش عبادة رب هذا البيت، وهو الذي هيأ لهم الرحلتين [٢٩٣].

وبعد أن بين السياق هذه النعمة الجليلة التي كانت أهم سبب لكسب القوت في قريش، انتقل السياق إلى الدعوة إلى التوحيد بذكر النعمة الكبرى عليهم، إذ جعلهم آمنين من خوف الاعتداء عليهم بسبب جوارهم لهذا البيت الحرام، فالله وحده هو الذي أمّن لهم الرحلتين، وهو وحده الذي أطعمهم من الجوع بالرغم من صعوبة ظروف معيشتهم، وهو وحده الذي أمّنهم من أعدائهم، فلا تجوز العبادة بعد ذلك إلا لله وحده.

([٢٩١]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٤، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٣٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٨٢، ٣٩٨٣، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٥٥٤- ٥٥٩، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٣٦٥، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢٦٦- ٢٦٩.

([٢٩٢]) من لطائف هذه السورة أنها امتازت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: هي الوحيدة التي ذكرت إيلاف قريش المتمثل في رحلتي الشتاء والصيف، والوحيدة التي جاء فيها عبارة (فليعبدوا رب هذا البيت) لبيان اختصاص الله بإنعام هذه النعمة عليهم، والوحيدة التي فيها عبارة (الذي أطعمهم من جوع)، وانظر قريباً منها في سورة الأنعام: (وهو يُطعِم ولا يُطعَم): ١٤، وهي الوحيدة التي فيها عبارة (وآمنهم من خوف) وانظر قريباً منها في سورة القصص: (أولم نمكن لهم حرماً آمنا يُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا): ٥٧، وفي سورة العنكبوت: (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم): ٦٧. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

([٢٩٣]) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج ١٠، ص ٨٧٧٩، والزمخشري، **الكشاف**، ج ٤، ص ٧٩٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠،ص ٥٥٤.

ففي تسمية السورة باسمهم دعوة وتحفيز لهم لعبادة الله وحده والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو المحور الذي دلت عليه آيات السورة، وكان اسمها دالاً عليه كناية أشد الدلالة.

سورة الكافرون

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى النداء الموجه في مفتتحها للكافرين، وهو يتضمن التبرؤ منهم ومما هم عليه من الشرك، وقد جاء النداء بصيغة اسم الفاعل وعلى جمع المذكر السالم، للدلالة على مدى عراقتهم في الكفر، التي أوجبت هذا التبرؤ منهم، لأن دين الإيمان والتوحيد ودين الكفر والشرك لا يلتقيان أبداً.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة إعلام الكافرين بالبراءة منهم من كل وجه، فلا مطمع للوفاق بين أهل الإيمان وأهل الكفر في أن يقاربهم النبي صلى الله عليه وسلم في أن يعدل بربه أحداً في زمن من الأزمان، وذلك بسبب الاختلاف في جوهر الاعتقاد وأصل التصور وحقيقة المنهج وطبيعة الطريق بين الفريقين، فالسبيل الوحيد للالتقاء بينهما هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإيمان بجملته [٢٩٤].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان والتوحيد من خلال التأكيد على أن العبادة الحقة لله تعالى وحده لا تتغير في أي زمن من الأزمان، فطالما أصر الكافرون على الكفر والشرك فهم منفصلون عن دين التوحيد. وقد سميت السورة باسمهم لأنه يدل على المحور المذكور كناية، وفي ذلك تحذير منهم ومن شركهم.

والمتأمل في آيات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك [٢٩٥]:

ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ژ، لاحظ افتتاح السورة وختمها بجملتين مثبتتين، وبينهما أربع جمل منفية،

---

(٢٩٤) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ٤١٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٥٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٩٠- ٣٩٩٣، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٥٨٠، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٤٠٥، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٥٤٥، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

(٢٩٥) من لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: هي السورة الوحيدة التي ذكر فيها النداء الموجه للكافرين: (قل يا أيها الكافرون):١، ثانياً: وهي الوحيدة التي جاءت فيها عبارة (لا أعبد ما تعبدون):٢، بهذه الصيغة، وانظر قريباً منها: (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله): الأنعام: ٥٦، وغافر: ٦٦، (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله): يونس: ١٠٤، ثالثاً: والوحيدة التي جاءت فيها عبارة (ولا أنتم عابدون ما أعبد):٣، ٥، رابعاً: وكذلك عبارة (ولا أنا عابد ما عبدتم): ٤، خامساً: وكذلك عبارة (لكم دينكم ولي دين): ٦، وانظر قريباً منها في سورة الزمر: (قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه): ١٤، وقد جاء فيها كل ضمير يعود على النبي ^ بصيغة المفرد، ليناسب دين التوحيد، وكل ضمير يعود على الكافرين بصيغة الجمع ليناسب الشرك الذي هم عليه. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

وافتتاح السورة بهذا النداء يدل على العموم، فيشمل كل كافر مشرك إلى يوم الدين، ولاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى عن نفسه عبادة غير الله تعالى بصيغتين: فعلية: (لا أعبد)، واسمية (ولا أنا عابد)، والفعلية تدل على الزمن الذي نزلت فيه السورة، وكأنه قال: لا أعبد الآن ما تعبدون، والاسمية تدل على المستقبل، وكأنه قال: ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، كما وأن الفعلية تدل على نفي العبادة مهما قصر الزمن، أي لا أعبد ما تعبدون ولو للحظة، والاسمية تدل على الدوام، أي ولا يكون من شأني أن أكون عابداً لما عبدتم. فقد قطع منهم الرجاء في أن يعبد شيئاً من دون الله في جميع الأزمنة.

«ثم انظر كيف أنه لما خاطبهم بالصورة الاسمية فقال: (قل يا أيها الكافرون)، نفى عنهم العبادة الحقة بالصورة الاسمية أيضاً فقال: (ولا أنتم عابدون ما أعبد)، فإنهم لما اتصفوا بكفرهم على وجه الثبات، نفى عنهم عبادة الله على وجه الثبات أيضاً، وهو تناظر جميل... فإصراره هو صلى الله عليه وسلم على طريقه أقوى من إصرارهم، وحاله أكمل من حالهم، والنفي عنه أدوم وأبقى من النفي عنهم» (٢٩٦).

وأعتقد أنه من الممكن أن تجعل كل جملة منهما متعلقة بالجملة التي سبقتها، فتكون: (ولا أنتم عابدون ما أعبد) الأولى متعلقة بجملة: (لا أعبد ما تعبدون) فيكون المعنى: أي ليس من شأنكم أن تكونوا عابدين لما أعبد ولو للحظة، وتكون (ولا أنتم عابدون ما أعبد) الثانية متعلقة بجملة (ولا أنا عابد ما عبدتم)، فيكون المعنى: وليس من شأنكم أن تكونوا عابدين لما أعبد في المستقبل، ووجه نفي العبادة عنهم في هذا السياق متعلق بالإصرار على الشرك، فإذا عبدوا الله مع عبادتهم لغيره لا تعتبر تلك عبادة حقة، وإذا تخلصوا من شركهم وعبدوا الله وحده خرجوا من دائرة النفي.

وكما افتتحت السورة بجملة مثبتة فيها نداء للكافرين، ختمت بجملة مثبتة أيضاً فيها النتيجة النهائية لما ترتب على الجمل الأربع المنفيات بين هاتين الجملتين، وهي المفاصلة المطلقة بين أهل الإيمان والتوحيد، وبين أهل الكفر والشرك إذا ما أصروا على ما هم عليه، وبذلك التقى البدء والختام على المحور الذي دل عليه اسم السورة كناية أشد الدلالة.

(٢٩٦) السامرائي، أ.د فاضل صالح، **التعبير القرآني**، ط ٤، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٦. ص ٢٩ بتصرف.

سورة الرعد

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى حديثها عن ظاهرة الرعد الكونية المعروفة، التي تكون مصاحبة للبرق، وينتج عنهما هطول الغيث رحمة للعباد، لكن سياق السورة أخبر عن الرعد بأنه أحد المخلوقات التي تسبح بحمد الله تعالى، وقد يكون جندياً من جنوده إذ قد يكون صاعقة يصيب الله بها من يشاء، وإخبار السورة عن الرعد تدل على أنه ظاهرة كونية دالة على رحمة الله تعالى، كما أنها دالة على قدرته تعالى على العقاب.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تطوف بالقلب البشري في مجالات الكون وآفاقه، وتقرب لمدارك البشر شيئاً من حقيقة القوة الكبرى المحيطة بالكون ظاهره وخافيه، وفي السورة عرض لصور متقابلة من المشاهد الطبيعية من سماء وأرض وشمس وقمر وليل ونهار، ثم تطّرد هذه التقابلات لتنسجم مع التقابل المعنوي، فيتقابل الاستعلاء على العرش مع تسخير الظواهر الكونية، ويتقابل الخوف مع الطمع بشأن البرق والرعد، وتتقابل دعوة الحق لله، مع دعوة الباطل للشركاء، فتسمية السورة بالرعد ذي الصوت المرعب المصاحب لنزول الغيث، يشبه القرآن الذي هو حق في نفسه، الذي في اتباعه فيه خير الناس (٢٩٧).

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان الدلالة الساطعة للآيات الكونية والآيات القرآنية على الله تعالى، ولما كان الرعد هو أكثر الآيات الكونية المذكورة في السورة سطوعاً في الدلالة على رحمة الله تعالى وعقابه، سميت السورة به للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولها مقدمة تظهر الدلالة الواضحة للآيات القرآنية والكونية على الله تعالى، وثانيها عرض موقف الكافرين ودعوتهم إلى الإيمان والتوحيد من خلال بعض الآيات الكونية الدالة على الله، وثالثها دعوة الكافرين للإيمان والتوحيد من خلال بيان سطوع حجة الآيات القرآنية الدالة على الله، مع بيان مصير الفريقين يوم القيامة، ورابعها الخاتمة المؤكدة لما سبق (٢٩٨).

---

(٢٩٧) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٣٧٦، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٤، ص ١١٧، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٠٣٩- ٢٠٤١، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٣، ص ٥٦٣- ٥٦٧، والدبل، محمد بن سعد، **النظم القرآني في سورة الرعد**، ب ط، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨١، ص ١١٧- ١٢١. ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٢١- ١٢٧.

(٢٩٨) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٤، والدعوة إلى الإيمان من خلال الآيات الكونية: ٥- ١٧، ومن خلال الآيات القرآنية: ١٨- ٣٦، والخاتمة: ٣٧- ٤٢، ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: منها ما يتعلق بسطوع دلالة الآيات القرآنية على الله تعالى، أ) فقوله تعالى: (تلك آيات الكتاب):١، بدون ذكر وصف للكتاب لم يتكرر في القرآن على هذا النحو، وكأن دلالتها ساطعة كآية الرعد وليست

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان سطوع دلالة الآيات القرآنية والآيات الكونية على الله تعالى بشكل موجز: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ، فلاحظ الإشارة إلى الآيات القرآنية بـ «تلك» المفيد للتعظيم، وبيان أنها الحق من الله، فهي ساطعة الدلالة على الله، ولاحظ الجمع بين الآيات القرآنية والكونية بقوله (يدبر الأمر يفصل الآيات)، ولاحظ ذكر الأنهار، وبيان أن الشجر يسقى بماء واحد، وكلها آيات كونية دالة على الله، ومتعلقة بالرعد الذي يصاحب هطول الغيث من السماء.

ثانياً: وبعد هذا البيان الموجز لدلالة الآيات بنوعيها على الله تعالى، انتقل السياق إلى عرض موقف الكافرين العجيب من هذه الآيات بالرغم من سطوع دلالتها، ثم دعوتهم إلى الإيمان من خلال مزيد التفصيل في عرض مظاهر كونية أخرى: ﮋ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﮊ، وحقاً إن موقفهم لعجيب، إذ لم تكفهم آية إخراج الزرع من الأرض للدلالة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى.

ثم انتقل السياق إلى بيان بعض مظاهر علم الله الحفيظ، وذكرها مناسب لعلم الله الحفيظ بقدر الماء الهاطل من السماء المصحوب بالرعد: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ، وقد أكد هذا ذكر آيتي البرق والرعد بعدها: ﮋ   ﯽ ﯾ ﯿ   ﮊ، فكما هو عالم بما في

بحاجة إلى وصف، وانظر قريباً منه في سورة الحجر: (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين):١، وانظر أيضاً في سورة النمل: (تلك آيات القرآن وكتاب مبين): ١، وسورة الرعد الوحيدة المختصة بقوله (والذي أنزل إليك من ربك الحق):١، إذ لم يتكرر بذات الصيغة، وبإمكانك أن تضيف أن سورة الرعد الوحيدة التي اختصت بعبارة: (لكل أجل كتاب): ٣٨، علماً بأنه في القرآن آيات تدل على هذا المعنى بصيغ مختلفة، وهي الوحيدة المختصة بعبارة: (وعنده أم الكتاب): ٣٩، وقد ذكرت عبارة (أم الكتاب) في سورة آل عمران: ٧، والزخرف: ٤، وهي الوحيدة المختصة بعبارة (ومن عنده أم الكتاب): ٤٣، وهي عبارات متلائمة تماماً مع علم الله التام بقدر الماء الهاطل من السماء المصحوب بالرعد، وبإمكانك أن تضيف أيضاً أنها و سورة آل عمران أكثر سورتين تكرر فيهما ذكر الحساب المنسوب لله تعالى، انظر في سورة الرعد: ١٨، ٢١، ٤٠، ٤١، وآل عمران: ١٩، ٢٧، ٣٧، ١٩٩، ب) هي الوحيدة التي اختصت بقوله تعالى: (ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى): ٣١، ج) والوحيدة المختصة بعبارة: (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً): ٣٧، ثانياً: ومنها ما هو متعلق بسطوع دلالة الآيات الكونية على الله تعالى، أ) فهي الوحيدة التي اختصت بذكر أن الرعد يسبح بحمد ربه، وذلك في الآية: ١٣التي اختير منها اسم السورة، علماً بأن رقم السورة: ١٣، وهي في الجزء: ١٣، ولم يذكر الرعد في موضع آخر إلا في سورة البقرة: ١٩، وهما السورتان الوحيدتان المختصتان بذكر الصواعق، ب) وهي الوحيدة المختصة بقوله تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد): ٤، ولا تخفى علاقتها بالماء الهاطل من السماء المصحوب بالرعد، ج) وهي واحدة من السور التي تكرر فيها ذكر «الماء» بدون إضافة لضمير بأكبر عدد: ٤، ١٤، ١٧، وانظر سورة البقرة: ٢٢، ٧٤، ١٦٤، وهود: ٧، ٤٣، ٤٤، د) وهي الوحيدة التي اختصت بقوله تعالى: (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال) ١٥، وهي مشابهة لتسبيح الرعد، وانظر قريباً منها في سورة النحل: ٣٩، والحج: ١٨، ثالثاً: ومنها ما هو متعلق ببيان موقف الكافرين، أ) فهي الوحيدة التي اختصت بقوله تعالى عنهم: (وإن تعجب فعجب قولهم أءذا متنا وكنا تراباً أءنا لفي خلق جديد): ٥، والتعجب منهم مناسب لموقفهم بعد سطوع دلالة الآيات على الله، ب) وهي واحدة من السور التي تكرر فيها تشبيه الكافر بالأعمى: ١٦، ١٩، وانظر في سورة البقرة: ١٨، ١٧١، والأنعام: ١٠٤، ٥٠، والمائدة: ٧١ (مرتين)، والحج: ٤٦ (مرتين)، وفصلت: ١٧، ٤٤، ج) وهي الوحيدة التي تكرر فيها قول الكافرين: (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه): ٧، ٢٧، وكأنهم لم يكتفوا بما في هذه السورة من الآيات الساطعة. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس.**

الأرحام، وبالناس مهما اختلفت أحوالهم، فهو عالم أيضاً بقدر الماء الهاطل من السحاب الثقال المصحوبة بالبرق والرعد، وعالم بمجادلة أهل الباطل في الله.

ولاحظ بيان أن الرعد يسبح بحمد الله تعالى، كما أنه جندي من جنود الله، فهو يبشر بالخير أحياناً، وقد يكون صاعقة يصيب الله بها من يشاء أحياناً أخرى، فذكر الرعد في هذا السياق أشد دلالة على الله وأكثر ترهيباً للكافرين من البرق، ولذلك اختص الرعد باسم السورة دون البرق، يؤكد ذلك ما يصحبه من الصوت الهادر كما لا يخفى.

واللافت للنظر أن السياق يدعو إلى التوحيد بذكر مثلين متعلقين بالماء أيضاً: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ژ، فالواجب على العاقل الذي يرى بعينيه الماء الذي ينزله الله من السماء، أن يخص الله وحده بالعبادة، لا أن يعبد ما لا يملك نفعاً ولا ضراً.

وانظر هذا المثل: ژ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □□ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ ﯦ ﯧ ژ، ولاحظ ذكر أن الله هو الذي ينزل الماء الذي يبشر به الرعد، ولاحظ ذكر أن الماء يسيل بقدر الأودية، وهذا يدل على علم الله الحفيظ، وأعتقد أن هذا المثل المتعلق بظاهرة الغيث الكونية، مترابط مع الآيات القرآنية، فهي الحق الذي يثبت في الأرض وينفع الناس، ومجادلة أهل الباطل هي الزبد الذي يذهب جفاء.

فسياق السورة كما ترى يدعو إلى التوحيد من خلال عرض الآيات الكونية الدالة على الله، والمتعلقة باسم السورة تعلقاً ظاهراً.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى الدعوة إلى التوحيد من خلال النوع الثاني من الآيات، وهو الآيات القرآنية، فابتدأت بذكر موقف الناس ومصيرهم من هذه الآيات: ژ ﯨ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □□ ژ، وعرضت مصير المؤمنين الذين يعملون بما جاء فيها: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ژ، وعرضت مصير الكافرين الذين أعرضوا عنها رغم سطوع دلالتها على الله تعالى: ژ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ژ.

وانظر هذه الآية: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ژ، أي لو كان من شأن القرآن أن يسيّر الجبال ويقطّع الأرض ويكلم الموتى فيتعظوا لكان هذا القرآن كفيلاً بذلك، ولكن شأنه أن يدل على الله بما فيه من الترغيب والترهيب كما أراده الله، وهو بذلك يشبه آية الرعد في الدلالة على رحمة الله وعقابه، ولاحظ ذكر القارعة، وهي تذكرنا بالرعد الذي قد يكون صاعقة أو قارعة تصيب الكافرين.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت الدعوة إلى التوحيد من خلال الآيات القرآنية، إذ بينت موقف أهل الكتاب منها: ژ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ژ، وقد أزالت الشبهات المثارة حول الرسول صلى الله عليه وسلم، فبينت أنهم من البشر يتزوجون ويكون لهم ذرية، وبذلك تبقى حجة الآيات القرآنية ساطعة.

وكما افتتحت السورة ببيان أن أكثر الناس لا يؤمنون بالرغم من دلالة الآيات القرآنية والكونية على الله تعالى، ختمت بدعوة الناس إلى النظر في عاقبة المكذبين من قبلهم، وببيان أن الله عالم بمكر المكذبين المصرين على اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم المؤيد بالآيات القرآنية الساطعة: ژ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ژ، وبذلك التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة كناية، كون الرعد أشد الآيات الكونية المذكورة في السورة دلالة على الله، وأكثرها ترهيباً للكافرين (٢٩٩).

سورة النحل:

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى حديثها عن النحل، الحشرة المعروفة، فقد أخبرت السورة أن الله تعالى أوحى إلى النحل اتخاذ مكان معيشتها من الجبال أو الشجر أو مما يعرشه البشر من النبات، وأوحى إليها كيفية إنتاج العسل من أكلها من كل الثمرات، وسلوكها في ذلك مختلف السبل، حتى يكون شراباً مختلفاً ألونه فيه شفاء للناس، فإخبار السورة عن هذه الحقيقة يدل على أن النحل من أعجب آيات الله في خلقه الدالة عليه، فهي بالتزامها وحي ربها أنتجت شراباً شافياً، والوحي إليها يشبه وحي الله إلى الأنبياء لتبليغ الهدى للناس، ولكن من الناس من يعرض عن وحي ربه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة الدلالة على أن الله تعالى تام القدرة والعلم، منزه عن شوائب النقص، وأدل ما فيها على هذا أمر النحل، مما ذكر من شأنها من دقة الفهم في ترتيب بيوتها ورعيها وسائر أمورها واختلاف ألوان أعسالها، وهذا أمر يدل على أهمية الوحي الإلهي الذي إذا التزم البشر به وصلوا إلى طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، ففي السورة حملة ضخمة للتوجيه والتأثير واستجاشة العقل والضمير وتوجيههما إلى آيات الله التي تتجلى فيها عظمة

---

(٢٩٩) قوله تعالى: (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) له تفسيران، أحدهما لغوي يدل على ما يُنقص اللهُ من أرض المشركين بفتح المسلمين لها، كما قال الزمخشري في **الكشاف** ج، ٢، ص، ٥١٤، والثاني علمي يدل على حقيقة انبعاج الأرض عند الاستواء قليلاً وتبطحها عند القطبين نتيجة دورانها حول محورها، الذي ينشأ عنه قوة ضغط مركزية تدفع عند خط الاستواء بقوة أقل من قوتها عند محور دوران الأرض، أو أنها تشير إلى انكماش الأرض من جميع أطرافها باستمرار عن طريق ما تفقده من هباءات الغبار والكثير من الغازات الخفيفة المنطلقة من فوهات البراكين عبر ملايين السنين. وهو قول أ.د زغلول النجار على موقع اليوتيوب الإلكتروني، وقد ذكر أوجهاً أخرى. وبذلك نستطيع أن نعتبر الآية مشيرة إلى آية كونية أخرى دالة على الله تعالى.

الخلق وعظمة النعمة وعظمة العلم والتدبير، وقد كان النحل أدل هذه الآيات المذكور في السورة على ذلك [٣٠٠].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد والشكر من خلال بيان ما سخره الله من الآيات الكونية للإنسان الدالة على المنعِم سبحانه وتعالى، ومن خلال ما يؤازرها من آيات الوحي التي يوحيها الله تعالى إلى الأنبياء لهداية الناس. ولما كانت آية النحل التي أوحى إليها ربها مكان معيشتها وسبل تحصيل رزقها وما تنتجه من شراب فيه شفاء للناس، أكثر الآيات الكونية المذكورة في السورة دلالة على المنعم سبحانه، وأكثرها مشابهة لآيات الوحي على الأنبياء، سميت السورة بها للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى خمسة موضوعات، أولاً: مقدمة تبرز دلالة آيات الوحي على الأنبياء، ودلالة الآيات الكونية على المنعم سبحانه بشكل موجز، ثانياً: التفصيل في عرض بعض الآيات الكونية وموقف البشر منها، ثالثاً: التفصيل في عرض موقفهم من آيات الوحي مع بيان مصير الفريقين يوم القيامة، رابعاً: الدعوة إلى التوحيد من خلال الآيات الكونية وآيات الوحي بشكل مشترك، خامساً: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٣٠١].

---

(٣٠٠) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ص ٤٠٢، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٤، ص ٢٤٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢١٥٨، ٢١٥٩، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٤، ص ١٣٣، ١٣٤، والجابري، **أسماء السور لقرآنية**، ١٩٩، ٢٠٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ١٣٤- ١٣٨.

(٣٠١) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٩، والآيات الكونية: ١٠- ٢٣، وآيات الوحي: ٢٤- ٤٧، والدعوة إلى التوحيد من خلالهما معاً: ٤٨- ١١١، والخاتمة: ١١٢- ١٢٨. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: منها أمور متعلقة بتسخير الآيات الكونية للإنسان، أ) فلم يُذكر في القرآن أن الله تعالى أوحى إلى شيء غير البشر والملائكة إلا النحل: (وأوحى ربك إلى النحل) ٦٨، و السماء: (وأوحى في كل سماء أمرها) فصلت: ١٢، والأرض: (بأن ربك أوحى لها) الزلزلة: ٥، ب) هي أكثر سورة تكررت فيها عبارة «جعل لكم» العائدة على الله، وذلك ثمان مرات: ٧٢ (مرتين)، ٧٨، ٨٠ (مرتين)، ٨١ (ثلاث مرات)، ج) هي أكثر سورة تكررت فيها كلمة «نعمة» بدون إضافة لضمير، وذلك ست مرات: ١٨، ٥٣، ٧١، ٧٢، ٨٣، ١١٤، وبإمكانك أن تضيف (نعمته عليكم): ٨١، و (فكفرت بأنعم الله): ١١٢، ولم تتكرر (بأنعم) في القرآن، و(شاكراً لأنعمه): ١٢١، وكذلك (لأنعمه) لم تتكرر، د) هي أكثر سورة تكرر فيها الفعل الماضي «خلق» بدون إضافة لضمير، وذلك أربع مرات: ٣، ٤، ٤٨، ٨١، كما وأنها الوحيدة التي تكرر فيها الفعل «يخلق» المنسوب لله بدون الإضافة لضمير، وذلك مرتان: ٨، ١٧، ولم تتكرر هذه العبارة في موقع آخر: (والأنعام خلقها): ٥، هـ) هي وسورة إبراهيم أكثر سورتين في القرآن تكرر فيهما مشتقات الفعل «سخّر» العائد على الله تعالى وذلك أربع مرات في سورة النحل: ١٢(مرتين)، ١٤، ٧٩، وأربع في سورة إبراهيم: ٣٢ (مرتين)، ٣٣ (مرتين)، ولا يخفى أن سورة النحل ذُكر فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام، و) هي وسورة الحج أكثر سورتين تكررت فيهما كلمة «الأنعام» بعد سورة الأنعام، ففي سورة النحل ثلاث مرات: ٥، ٦٦، ٨٠، وكذلك في سورة الحج: ٢٨، ٣٠، ٣٤، وفي سورة الأنعام ست مرات: ١٣٦، ١٣٨ (ثلاث مرات)، ١٣٩، ١٤٢، ثانياً: ومنها ما يتعلق بآيات الوحي، أ) فهي وسورة البقرة الوحيدتان اللتان تكررت فيهما كلمة «الروح» العائدة على الوحي بواسطة جبريل عليه السلام، انظر في سورة النحل: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده): ٢، و (قل نزله روح القدس من ربك بالحق): ١٠٢، وانظر في سورة البقرة: (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس): ٨٧، ٢٥٣، ولكن لاحظ اختصاصهما بعيسى عليه السلام، ب) هي أحدى السور الثلاث التي اشتركت بعبارة «لسان عربي» لوصف القرآن: انظر في سورة النحل: ١٠٣، والشعراء: ١٩٥، والأحقاف: ١٢، ثالثاً: ومنها ما يتعلق بالدعوة إلى الشكر: إذ لم تتكرر هذه العبارة في القرآن: (واشكروا نعمة الله) ١١٤، وكذلك وصف إبراهيم عليه السلام بـ (شاكراً لأنعمه): ١٢١، ولم تتكرر عبارة (لعلكم تشكرون) إلا في سورة النحل: ١٤، ٧٨، وفي المائدة: ٦، ٨٩، علماً بأن رقم سورة النحل: ١٦، ورقم المائدة: ٥، والفرق بينهما: ١١، وفي سورة البقرة: ٥٢، ٥٦، ١٨٤، علماً بأن رقم سورة النحل: ١٦، ورقم البقرة: ٢، والفرق بينهما: ١٤. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان أن الآيات التي يوحيها الله لأنبيائه، والآيات الكونية التي سخرها الله للإنسان، تدلان على الله دلالة تدعو إلى توحيده وشكره، لأنه هو وحده الخالق المنعم: ژ ڎ ڈ ژ ژ ژڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ژ، فلاحظ أن أمر الله تعالى بإهلاك المكذبين مرتبط بنزول آيات الوحي على الأنبياء، فإذا أصر المكذبون على شركهم وكفرهم فقد استحقوا العذاب، وكأن إرسال الرسل بالآيات إعذار بعد الإنذار، ولاحظ ذكر نعمة الإيجاد من الله للإنسان وهي أكبر نعمة، وكذلك تسخير الأنعام له لتسهل أمور حياته، ولكن من البشر من يكون خصيماً مبيناً لله تعالى، فيُعرض عن دلالة هذه الآيات الكونية، ويعرض عن هداية الرسل، ويشرك بالله تعالى.

فهذا التقديم الموجز لدلالة الآيات الكونية وآيات الوحي على الله تعالى، يشبه تماماً آية النحل كونها أعجب آيات الله الكونية المذكورة في السورة، وأكثرها شبهاً بآيات الوحي المنزلة على الأنبياء لهداية الناس.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى التفصيل في عرض بعض الآيات الكونية التي سخرها الله تعالى للإنسان، والتي من المفترض أن تقوده إلى الإيمان بالله وشكره وإخلاص العبودية له وحده: ژ ڃ ڃ چ چ چ چچ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ںں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ژ، ولاحظ تكرار الضمير «لكم»، وقد تكرر بشكل لافت بعدد يزيد عن الخمس عشرة مرة، كلها تفيد توجيه النظر إلى نعم المنعِم سبحانه على الإنسان، فمقدمة السورة ذكرت نعمة الإيجاد، وهنا ابتدأ التفصيل بنعمة الإمداد.

وقد ذكر السياق من مظاهر نعم الله على الإنسان أيضاً تسخير البحر وما فيه من لحم السمك الطري، وما فيه من الحلية التي يستخرجها الإنسان، وتسخيره للفلك، هذا في البحر، وأما في الأرض فقد ألقى الله فيها رواسي لئلا تميد بالإنسان، وفي السماء سخر الله له النجوم ليتهدي بها، وانظر قوله تعالى بعد ذلك: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ژ.

ثم ذكر السياق موقف الإنسان من هذه الآيات الكونية: ژ ڃ ڃ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ژڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گگ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ، فبعد أن رأى الإنسان بعينيه كل هذه النعم من الله تعالى، إذا هو يشرك به ما لا يخلق شيئاً.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى عرض موقف الإنسان من آيات الوحي، بعد أن فصل في عرض موقفه من الآيات الكونية: ژ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ې ې ېې ى ى ژ، فكفر الإنسان بآيات الله الكونية والقرآنية إنما هو مكر منه، يستحق بذلك أن يعاقب بمثل مكره فيأتيه العقاب من الله من حيث لا يشعر.

ولكي يكتمل الترهيب والترغيب، عرض السياق مصير الكافرين والمؤمنين يوم القيامة، فقال عن الكافرين المشركين: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ، وقال عن المؤمنين بآيات الله: ﮋ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮌ.

وقد ذكر السياق أن الوحي إلى الأنبياء سنة الله في خلقه، كما أنه من سنته إهلاك المكذبين الماكرين: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮌ، فالله وحده هو الذي يوحي للأنبياء جميعاً، وهو وحده خالق الكون ومسخره للإنسان، وهو وحده القادر على إهلاك المكذبين.

فسياق السورة كما ترى يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وشكره وإخلاص العبادة له وحده، من خلال آياته الكونية التي سخرها للإنسان، وآيات الوحي على الأنبياء التي جعلها هدى، وهذا أشبه ما يكون بحديث السورة عن النحل كما سيأتي.

رابعاً: ثم أكد السياق على الدعوة إلى الإيمان والتوحيد والشكر لله بأسلوب مزدوج بذكر نوعي الآيات على نحو يصعب الفصل بينهما، فانظر مثلا قوله تعالى عن الآيات الكونية: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ ﮌ، ولاحظ بيان أن كل المخلوقات تسجد لله تعالى، وتخافه وتفعل ما يأمرها به، ولا تستكبر كما يستكبر الإنسان، ولا يخفى علاقة ذلك بما سيأتي من أن النحل إحدى هذه المخلوقات المطيعة لوحي ربها.

وانظر موقف الإنسان من آيات الوحي الإلهي على الأنبياء: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮌ، ولاحظ التأكيد بالقسم، ولاحظ بيان أن إنزال الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم ليس إلا بياناً وهدى ورحمة، وهذا يشابه ما ينتج عن الوحي الإلهي للنحل إذ ينتج منه شراب فيه شفاء للناس.

ثم عاد السياق إلى المظاهر الكونية التي سخرها الله للإنسان لتدله على الله، فأعاد التذكير بالأنعام التي يسقي الله الإنسان مما في بطونها لبناً خالصاً سائغاً، وأعاد التذكير بذكر ثمرات النخيل والأعناب، وفصّل بعرض آية النحل: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮌ، ولاحظ التفصيل ببيان أنها تقوم بذلك بوحي من الله، وهذا لم يذكر صراحة لغيرها من الحشرات، ولاحظ أن الله جعل مما يعرش الإنسان بيوتاً لها، ليكون ذلك أدعى لهم للإيمان، فهم يرون هذه الآية العجيبة بقربهم، ولاحظ ذكر العسل الذي فيه شفاء للناس، فهذه فائدة للإنسان لا ينكرها عاقل، إن الحديث عن النحل في هذا السياق جمع بين الآيات التي يوحيها الله لأنبيائه والآيات الكونية التي سخرها للإنسان في دلالتها على الله تعالى، ولذلك اختير منها اسمُ السورة،

وقد أكد ذلك قوله (وأوحى ربك) أي: إن ربك الذي يوحي إليك يا محمد صلى الله عليه وسلم بآيات القرآن، هو من يوحي إلى النحل ليكون آية عجيبة دالة على الله (٣٠٢).

وكما جاء في سورة الرعد مثَلان متعلقان بدلالة اسم تلك السورة بشكل واضح، جاء في سورة النحل مثلان متعلقان بدلالة اسمها: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮊ، إنهما مثلان يصوران حالة من تحرر من قيود الجهل والعمى، وآمن بالخالق المنعم واتبع ما جاءه من هدى آيات الوحي فتحقق الخير له ولغيره، في مقابل حالة المكذب الذي قيد نفسه بالجهل والضلالة والإصرار على الكفر، فحرم نفسه من كل خير، وهما متعلقان بآية النحل من حيث أنها باتباعها ما أوحى الله إليها، كانت أعظم آية مذكورة في هذه السورة دلالة على الله، وانتجت شراباً فيه خير وشفاء للناس، فشابهت صورة من آمن واتبع الهدى من الله.

والعجيب أن السورة ذكرت من آيات الله الكونية ما يتعلق بآية النحل أيضاً، فكما أخبرت سابقاً عن أماكن بيوت النحل، وبين كيف سهل الله لها ظروف معيشتها، فصّلت في عرض ما سخره الله من الظواهر الكونية لتكون بيوتاً للبشر، وما سخره لتسهيل ظروف معيشتهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ.

ثم انتقل السياق إلى عرض موقف البشر من الآيات القرآنية مرة أخرى، والرد عليهم لتبقى دلالة آيات الوحي ظاهرة بلا لبس كدلالة الآيات الكونية على الله: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﮊ، فلم يعد هنالك من شك في أن منزل القرآن هو خالق الأكوان.

خامساً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده وشكره، وحذرت من الكفر بأنعمه الدالة عليه: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮊ.

وكما أوحى الله إلى النحل لتأكل من كل الثمرات لتنتج العسل، أمر الإنسان بالأكل من الحلال الطيب الذي سخره الله له ليتحقق له الخير، بين ما حرم عليه من الخبائث: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﮊ.

(٣٠٢) ذكر أ. د محمد راتب النابلسي أموراً عديدة تدل على أن النحل آية عظمى من الآيات الدالة على الله، فمن ذلك أن الضمير في قوله تعالى (أن اتخذي، ثم كلي، فاسلكي) يدل على حقيقة علمية تؤكد أن العاملات من النحل وحدهن اللواتي يصنعن العسل، وأما الذكور فدورهن تلقيح الملكات، ودور الملكات أن تبيض البيوض، وأن النحل يصنع أقراص الشمع بشكل سداسي تنعدم فيه الفراغات البينية، بأسلوب يعجز عن تقليده كبار المهندسين، وقد أثبتت بحوث ودراسات وتجارب عديدة أن للعسل آثاراً علاجية في مختلف أجهزة الإنسان. ينظر للتفصيل: **آيات الله في الآفاق**، ص ٣٨٥- ٣٩٥ .

وقد دعت المشركين إلى الإيمان والتوحيد والشكر، من خلال بيان أن إبراهيم عليه السلام الذي يزعمون انتسابهم إليه كان موحداً لله شاكراً له: ژ ٹ ٿ ٹ ڈ ڎ ڤ ڦ ڤ ڨ ڤ ڦ ڤ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ژ.

وكما افتتحت السورة بتوعد المشركين المعرضين عن الآيات القرآنية بعد أن لم تكفهم الآيات الكونية في الدلالة على المنعِم سبحانه، ختمت بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على تكذيب قومه ودعوتهم بالتي هي أحسن، مع بيان أن الله سيحفظ المؤمنين المتقين: ژ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ ژ. وهكذا التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة أشد الدلالة، لكون النحل أعجب الآيات الكونية المذكورة فيها، وأقربها شبهاً لآيات الوحي على الأنبياء، فكانت آية عظمى في الدلالة على المنعم سبحانه وتعالى.

سورة العنكبوت

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى تمثيلها الذين اتخذوا من دون الله أولياء ببيت العنكبوت اتخذت بيتاً، فكما أن بيت العنكبوت لا يقي من الحر أو البرد شيئاً، ولا يصمد أمام أي أذى من ريح أو إنسان، فهو أوهن البيوت، فكذلك لا يغني الأولياء من دون الله شيئاً من بأسه، لأنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً، فاسم السورة يشير إلى هوان الباطل وأهله عند الله تعالى.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محورها يدور حول الإيمان وتثبيته وقت الابتلاء والشدائد والمحن، فالإنسان معرض لأنواع كثيرة منها، فليس الإيمان كلمة تقال باللسان فقط، إنما هو الصبر على المكاره والتكاليف، ولذلك تعرض السورة ما يصور ألواناً من العقبات والفتن في طريق الدعوة إلى الإيمان، ثم تربط بين الحق في دعوات الرسل والحق الذي خلق السماوات والأرض، وتعقب عليها بالكشف عن القوى المرصودة في وجه الحق، مع التهوين من شأنها، لأن مثل العنكبوت

يشير إلى ضعف العلاقات في المجتمعات القائمة على غير الدين، لأن الرابط فيها مصلحي غالباً، فهي سورة ضعف الكافرين وقوة المؤمنين [٣٠٣].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان والثبات على الحق، من خلال بيان قدرة الله على الخلق والبعث وإهلاك أهل الباطل، وبيان هوان الباطل وأهله عند الله مهما علا، ولما كان تشبيه اتخاذ أهل الباطل أولياء من دون الله ببيت العنكبوت مشيراً إلى هوان الباطل وأهله مهما علا وكبر، سميت السورة بالعنكبوت للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولاً: مقدمة تدعو إلى الصبر على الإيمان بالرغم من فتنة الباطل، ثانياً: بيان محاولة أهل الباطل دائبين على فتنة أهل الإيمان مع عرض قصصي يؤكد ذلك، ثالثاً: تعقيب يبين هوان الباطل وأهله عند الله، مع بيان أن الله هو الحق، رابعاً: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٣٠٤].

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان أن الابتلاء من سنن الله تعالى لتمييز أهل الحق من أهل الباطل: ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ، وافتتاح السورة بذكر هذه السُّنة يدعو المؤمنين إلى الثبات في مقابل فتنة أهل الباطل، أكّد هذا بيان المقدمة أن الله سيجزي المؤمنين الثابتين على الحق أحسن الذي كانوا يعملون، وفي ذلك تهوين لا يخفى من شأن الباطل وأهله عند الله كما سيأتي في آية العنكبوت.

---

(٣٠٣) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ١٢٥، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ٥٣٣- ٥٣٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ٢٧١٨، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٥، ص ٥٨٠، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٣٠٥، ٣٠٦، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢٠٦- ٢٠٩.

(٣٠٤) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٩، وبيان فتنة أهل الباطل: ١٠- ٤٠، والتعقيب:٤١- ٥٥، والخاتمة: ٥٦- ٦٩. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد الحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أولاً: منها أمور تحذر من الافتتان بالباطل وأهله: فقد ذكرت فيها مشتقات الجذر «فتن» ثلاث مرات، والتفصيل: قوله (أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون):٢، لم يتكرر في القرآن، وكذلك قوله (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين): ٣، لم يتكرر بهذه الصيغة، وقريب منه في سورة الأنعام: ٥٣، وكذلك قوله (فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله): ١٠، لم يتكرر، ب) هي أكثر سورة بعد سورة التوبة ذكرت فيها مشتقات الجذر «جهد»: (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه): ٦، لم يتكرر، وكذلك (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا): ٦٩، وأما قوله (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما): ٨، فقد ذكر هنا وفي سورة لقمان: ١٥ (على أن تشرك بي)، ج) لم يتكرر المصدر «الباطل» في سور القرآن إلا في ثلاث سور، هنا: (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولائك هم الخاسرون): ٥٢، لم يتكرر بذات السياق، و (أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون): ٦٧، ذكر هنا وفي سورة النحل: ٧٢ (هم يكفرون)، وانظر سورة البقرة: ٤٢، ١٨٨، والإسراء: ٨١ (مرتين)، د) هي الوحيدة التي تكرر فيها ذكر «الأوثان» في سياق بيان بطلان الشرك: (إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً): ١٧، و (وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا): ٢٥، ولم تذكر الأوثان في سورة أخرى إلا في سورة الحج: ٣٠، فقط، ثانياً: ومنها أمور تثبت أن الله هو الحق لكمال قدرته: أ) فقد تكررت فيها مشتقات «حق» مرتين: (خلق الله السماوات والأرض بالحق): ٦٨، وقد تكرر ذلك في سور أخرى، و(ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه): ٦٨، ولم تتكرر (كذب بالحق)، وقريب منها: الأنعام: ٥، ٦٦، وق: ٥، ب) قوله (أولم يروا كيف يُبدئ الله الخلقَ): ١٩، لم يتكرر بذات الصيغة، وكذلك قوله (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق): ٢٠، وكذلك (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة):٢٠، وقريب منه في سورة النجم: ٤٧، ج) قوله (فكلاً أخذنا بذنبه): ٤٠، هنا فقط، وقوله (وإليه تقلبون): ٢١، هنا فقط بهذه الصيغة، وكذلك قوله (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان): ٦٤، وقوله (وإن الله لمع المحسنين): ٦٩. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى تأكيد السنة المذكورة، فعرض المحاولة الدائبة لأهل الباطل أن يفتنوا أهل الحق عن الإيمان: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ، فلا يجوز الرضوخ لأهل الباطل حتى لو كانوا الوالدين، ولاحظ بيان أن الذين يرضخون لإيذاء أهل الباطل ويتركون الإيمان هم منافقون، في حين أن المؤمنين هم الثابتون مهما لاقوا من الفتن.

ثم انتقل السياق إلى عرض قصصي يؤكد إصرار أهل الباطل على باطلهم، حتى استحقوا العذاب من الله، مع بيان أن الله أنجى الذين آمنوا، فقد عرض مصير قوم نوح عليه السلام بعد أن لم تكفهم ألف سنة إلا خمسين عاماً من الدعوة، ثم أنجاه الله وأصحاب السفينة، ثم عرض قصة إبراهيم مع قومه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ، ولاحظ بيانه أن عبادة الله وحده هي الحق، وأن عبادة الأوثان هي الباطل، وقد بين هوان شأن آلهتهم كونها لا تملك الرزق، بينما الرزق عند الله.

ومن اللافت للنظر أن السياق فصل قصة إبراهيم بقول من الله يحذر المشركين من الإصرار على باطلهم وزعمهم أنهم ينتمون دينياً لإبراهيم عليه السلام، وفصل القصة أمر نادر جداً في القرآن، ولكن من منهج القرآن في عرض قصصه أنه يفصل ـ في مواضع معدودة ـ بكلام يؤكد حقيقة محورية في السورة: ﮋ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ، فهذا الفصل يلفت نظر المشركين ببيان أنهم على الباطل، وأن الله هو الحق لكمال قدرته على الخلق والبعث.

ثم عاد السياق لقصة إبراهيم، وعرض أن جواب قومه لم يكن سوى أن قالوا: اقتلوه أو حرقوه، فأنجاه الله من النار، وفي ذلك بيان بطلان شركهم، وإثبات أن الله هو الحق، ثم انتقل السياق إلى قصة لوط مع قومه، إذ هم أصروا على باطلهم في إتيان الرجال وقطع السبيل وإتيان المنكر في ناديهم، وطلبوا من لوط أن يأتيهم بعذاب الله، فأنجاه الله وأهلك قومه ومعهم امرأته.

ثم عرض السياق قصة شعيب مع مدين، الذين أخذتهم الرجفة لما أصروا على التكذيب، وكذلك ذكر عاداً وثمود وقارون وفرعون وهامان، وفصل السياق في عرض نوع العقوبة النازلة على كل واحد منهم. إن هذا العرض يؤكد بلا شك حقيقة أن الله هو الحق، وأن اتباع أهل الباطل باطلهم أوردهم مورد الهلاك.

ثالثاً: ثم عقب السياق على تلك القصص بضرب مثل الباطل والحق: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ، فأهل الباطل الذين اتخذوا من دون الله أولياء، سواء كانوا آلهة كالمشركين، أو سلطاناً أو جاهاً يتكبرون به على الناس، أو أي صورة من صور الاعتماد على غير الله، إنما هم كالعنكبوت التي اتخذت بيتاً من الخيوط، لا يقيها من برد أو حر، ولا يحميها من العابثين، وهذا

مترابط تماماً مع العرض القصصي السابق، إذ لم تغن عنهم آلهتم ولا سلطانهم ولا جاههم ولا أموالهم شيئاً حينما جاءهم العذاب.

ولاحظ في المقابل بيان أن الله هو الحق، هو العزيز الحكيم، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، ومن ذلك قدرته على إهلاك أهل الباطل، من هنا ندرك شيئاً من حكمة اختيار اسم هذه السورة، لأنه أدل ما فيها على المحور الذي تدور حوله موضوعاتها.

وقبل الانتقال إلى الخاتمة، أعاد السياق بيان بعض مظاهر كمال قدرته تعالى، مع أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإنذار الناس بما يوحي إليه ربه، وبذلك يتأكد أن مرسل النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله هو الله الحق: ژ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ ژ، ورد السياق على شبهات المكذبين الجاحدين في آيات الله تعالى، من خلال بيان خسران المؤمنين بالباطل والكافرين بالله الحق: ژ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت تحذير المؤمنين من الافتتان بالباطل وأهله: ژ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢژ. فإن خافوا على أنفسهم من سلطان أهل الباطل، فليرتحلوا في أرض الله الواسعة مكان آمن يقيمون في عبادتهم لله الحق.

وقد أعادت التأكيد على أن الله هو الإله الحق بذكر بعض مظاهر إلهيته في كونه وفي عباده: ژ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ□ □ □ □ □ژ.

وكما افتتحت بدعوة المؤمنين المستضعفين الذين كانوا يُفتنون عن دينهم في مكة إلى المجاهدة في الصبر على الحق، ختمت بدعوة أهل الباطل المتكبرين في مكة إلى الإيمان بالإله الحق الذي مكّن لهم حرماً آمناً، مع التأكيد على دعوة المؤمنين على الثبات إن أصر أهل الباطل على باطلهم: ژ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩژ. وبذلك يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة، وأشدها تهويناً من شأن الباطل وأهله.

سورة العلق

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « العين واللام والقاف: أصل كبير صحيح يرجع إلى معنى واحد، وهو أن يناط الشيءُ بالشيء العالي »، وزاد الأمام الأصفهاني رحمه الله: « العلَقُ:التشبث بالشيء » [٣٠٥]، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى الإشارة إلى أصل الإنسان في رحم أمه، إذ تعلق البويضة المخصبة في جدار رحم الأم لتأخذ منه غذائها، وتنمو لتصبح مضغة ثم يكوّن اللهُ فيها العظام ثم يكسوها لحماً ثم تكون جنيناً متكاملاً. فاسم السورة يشير إلى قدرة الخالق سبحانه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو بيان عظيم قدرة الله، وذلك ببيان خلق الإنسان من علق، وقدرة الله تعالى على تعليمه بعد خلقه، وبعثه بعد موته، وفي ذلك دلالة على أنه سبحانه ذو الفضل الواسع والرحمة السابغة، والإنسان لا يملك شكر هذه النعم ولو قضى عمره ساجداً، فنزلت هذه السورة لتذكر بالله وتدعو لعبادته [٣٠٦].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد وعبادة الخالق المنعِم سبحانه، من خلال بيان نعمتي الإيجاد والتعليم، والقدرة على البعث والجزاء يوم القيامة، ولما كان خلق الإنسان من العلق هو أدل ما في السورة على نعمة الإيجاد، سُميت به للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة فيها بيان نعمتي الإيجاد والتعليم من الله على الإنسان، ثم عرض لموقف الجاحد لنعم خالقه والمكذب بآياته، ثم الخاتمة المؤكدة لما سبق [٣٠٧].

([٣٠٥]) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٦٩٥، والأصفهاني، **المفردات**، ٥٧٩.

([٣٠٦]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤٠٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٤٧٨، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٣٦- ٣٩٣٨، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٤٣٤، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٢٢٩، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٤٣- ٣٤٦.

([٣٠٧]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٥، وعرض موقف الجاحد: ٦- ١٤، والخاتمة: ١٥- ١٩. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وهي أمور تدل كلها على كمال قدرته تعالى وعظيم نعمته على الإنسان: أ) فالفعل «خلق» بدون ذكر المفعول به ذكر هنا: (اقرأ باسم ربك الذي خلق): ١، وفي سورة القيامة: (ثم كان علقة فخلق فسوى): ٣٨، وفي الأعلى: (والذي خلق فسوى): ٢، والفلق: (من شر ما خلق):٢، ولا يخفى أن آية العلق أدلهن على كمال قدرته تعالى على الخلق، ب) قوله تعالى (خلق الإنسان من علق): ٢، لم يتكرر بالصيغة ذاتها، فلم يذكر «العلق» في مكان آخر، بل ذكرت «العلقة»، والمصدر «علق» أدل من «العلقة» على القدرة، ج) قوله تعالى (وربك الأكرم): ٣، لم يتكرر في القرآن، د) وكذلك (علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم): ٤، ٥، لم يتكرر بالصيغة ذاتها هـ) وكذلك قوله تعالى الدال على قدرته على البعث: (إن إلى ربك الرجعى): ٨. ينظر للمراجعة، عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

أولاً: جاء في مقدمة السورة ذكر نعمتي الإيجاد والتعليم من الله تعالى على الإنسان: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮋ، ولاحظ أن السياق خص بالذكر أهم نعمتين على الإنسان، فلو أوجد الله الإنسان ولم يعلّمه، لما كان أحسن حالاً من البهائم، لكن الله منّ عليه وأكرمه بالتعليم، ولاحظ الأمر بالقراءة، لأن الدين كله قائم على العلم، والقراءة وسيلة التعلم، إن افتتاح السورة بذكر هاتين النعمتين فيه أبلغ دعوة إلى عبادة هذا الرب الأكرم سبحانه وتعالى، وأعتقد أن اختصاص «العلق» بالذكر مناسب لأنه أول مراحل تكون الجنين بعد أن تلقِّح «النطفةُ» البويضة، ولم تذكر النطفة لأنها من المني، وهو سائل وُصف في القرآن بالماء المهين، وجو سورة العلق جو الكرم الإلهي، فلا تناسبه النطفة، بل العلق هو الأنسب.

ثانياً: وبعد ذكر هاتين النعمتين الدَّالتَيْن على كمال قدرة الله وعظيم نعمه على الإنسان، انتقل السياق إلى عرض موقف الصادِّ عن سبيل الله والمكذب بآياته، وفي ذلك مزيد تقبيح لموقفه بعد بيان نعمة الله عليه: ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮋ ، ووصف الإنسان المكذب بآيات الله بالطغيان هو أنسب وصف، لأنه ينكر نعمة الله عليه، ولذلك تراه ينهى عن عبادة الله وحده، وينهى عن هدى الله وعن تقواه، ويصر على التكذيب والتولي، وهذا أقبح موقف يكون عليه الإنسان بعد أن عرف نعمة ربه الذي خلقه من العلق، ولاحظ التهديد بقوله (إن إلى ربك الرجعى) الدال على أن خالق الإنسان من علق، قادر على إرجاعه للحساب بعد موته، ولاحظ التهديد بقوله (ألم يعلم بأن الله يرى) الدال على أن الخالق الذي يرى الجنين في بطن أمه قبل تكونه، ويرعاه حالاً بعد حال، عالم بموقف هذا المكذب، وعالم بأحوال البشر جميعاً، وسيجازيهم عليها. فالسورة كما ترى تدعو إلى التوحيد وعبادة الخالق العظيم المنعم على الإنسان، والإنسان يصر على التكذيب.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التأكيد على قدرة الله عل الحساب والعقاب من خلال بيان مصير ذلك المكذب إن أصر على تكذيبه: ﮋ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ﮋ.

وكما افتتحت السورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة على طريق العلم والهدى تقرباً للخالق الأكرم، ختمت بأمره صلى الله عليه وسلم بالتقرب إلى الخالق العظيم والسجود له، وهذا هو الموقف الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان المخلوق من العلق، لا أن يصر على التكبر والتكذيب بخالقه الأكرم: ﮋ □ □ □ □ □ □□ﮋ، وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الفلق

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الفاء واللام والقاف أصل صحيح يدل على فرجة وبينونة في الشيء.. والفَلَق: الصبح، لأن الظلام ينفلق عنه .. والفَلَق: الخَلْق كله، كأنه شيء فُلِق

عن شيء حتى أبرز وظهر » [٣٠٨]، أما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى بيان أن الله هو رب الفلق وهو المستعاذ، ووجه الاستعاذة على حسب المعنيين المذكورين لغوياً «فالاستعاذة برب الصبح الذي يؤمّن بالنور من شر كل مستور، والاستعاذة برب الخلق الذي يؤمّن من شر خلقه » [٣٠٩].

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود السورة هو التوجيه إلى الاعتصام بالله من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن، على وجه الإجمال والتفصيل، فالشرور لها معنى الظلمة حقيقة أو مجازاً، والاستعاذة برب الفلق من باب الفأل الحسن لتبديد ظلمات الشرور جميعها [٣١٠].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان أن الله وحده المستعاذ به من شرور الخلق، ولما كان بيان أنه رب الفلق دالاً على أنه الخالق وأنه بيده وحده الضر والنفع، جُعل منه اسم للسورة للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في آيات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك ژ ٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ: فالله وحده هو رب الفلق، فهو رب الخلق جميعاً، أو هو رب الصبح، والإضافة إلى الفلق الدال على النور مناسبة لعلم الله الكاشف لكل الخبايا، وقوله (من شر ما خلق) شمل جميع المخلوقات التي يمكن أن تصيب بالشر عمداً كالآدميين ووساوس الجن أو بغير عمد كالدواب، ومن اللطيف أن الشر أضيف إلى الليل الغاسق الذي تمكّن ظلامه، وهذا يقابل إضافة الرب إلى الفلق، فهو النور في مقابل ظلمة الشرور، ولاحظ تنكير الغاسق لإفادة العموم، ومعلوم أن الليل لتمكّن ظلامه تكثر فيه الشرور لغفلة الإنسان حينها إما بالنوم أو لعدم أو ضعف الإبصار.

فهذا التعوذ من شرور كل المخلوقات، وهو عام، ثم انتقل إلى الأخص وهنّ النفاثات في العقد، وهنّ بدجلهن يعتقد الناس أن لهن تأثيراً في الوجود، ولكن السورة تفيد أن الله المستعاذ حتى من الشر المتخيل عن هاته النفاثات، وكما افتتحت السورة ببيان أن الله هو رب الخلق أو هو رب الصبح للدلالة على كمال قدرته وعلمه، فيكون بذلك وحده هو المستعاذ من الشرور، ختمت ببيان أنه المستعاذ حتى من الشر الكامن في قلب الحاسد، وهو أخفى أنواع الشرور،

---

(٣٠٨) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٨٢٧.

(٣٠٩) قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٤٠٠٧.

(٣١٠) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٨، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٦٠٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٤٠٠٦- ٤٠٠٩، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٤٦٤- ٤٦٥، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

وذكر الحاسد بصيغة التنكير زاد ذلك تأكيداً. وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الزخرف

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن منظور رحمه الله: «الزخرف في اللغة: الزينة وكمال حسن الشيء... وبيت مُزخرَف، وزَخرفَ البيتَ زخرفةً: زيّنهُ وأكمله»[٣١١]، وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى بيان أن ما سخره الله في هذه الدنيا من مقومات وأسباب الزخرف ينبغي أن تكون دالة على رحمة الله داعية إلى الإيمان به وعبادته وحده، لا أن تكون سبباً في الكفر والشرك والكبر ونسيان الرحمن سبحانه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة سميت بهذا الاسم لما فيها من التمثيل الرائع لمتاع الدنيا الزائل وبريقها الخادع بالزخرف، الذي ينخدع به الكثيرون مع أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولهذا يعطيها الله للفجار والأبرار، لكنه لا يمنح الآخرة إلا للمتقين، فاسم السورة يحذر من استغلال الشيطان لزخرف الدنيا للصد عن سبيل الله، وهذا يتفق مع بيان السورة أن الذي يرفع الشأن حقيقة هو الإيمان بالله وما ينتج عنه من النعيم المقيم في الآخرة، فلا بد من إعلاء القيم الربانية في مقابل الصنم المادي، ويتفق مع ما فيها من تصحيح للانحرافات العقدية لدى الجاهليين [٣١٢].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان والتوحيد من خلال بيان وضوح دلالة الآيات القرآنية والآيات الكونية المسخرة للإنسان الدالة على رحمة الله به، ولما كان ما هيأه الله من مقومات وأسباب الزخرف في الدنيا يفترض أن يكون دالاً على الرحمن سبحانه، لا أن يكون سبباً للكفر أو الإشراك به، سميت السورة به ليكون آية داعية إلى الإيمان والتوحيد لا الكفر والشرك، ولبيان أنه ليس معيار التفاضل عند الله، بل إن الإيمان والتقوى هو ذلك المعيار.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام، أولها: مقدمة تبين دلالة الآيات القرآنية والكونية المسخرة للإنسان على رحمة الله، وثانيها: نقض الشرك والدعوة إلى التوحيد من خلال بيان موقف الأقوام الذين أنساهم الزخرفُ الرحمنَ سبحانه، مع عرض قصصي يؤكد هذا، وثالثها: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٣١٣].

---

(٣١١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٧، ص ٢٣. بتصرف.

(٣١٢) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٢٥١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٣١٧٤- ٣١٧٥، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٩٩، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي، ص ٣٧٩**، ووادي، ومهنا، من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم، ص ٢٤٢- ٢٤٧.

(٣١٣) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٤، والدعوة إلى التوحيد مع العرض القصصي: ١٥- ٧٨، والخاتمة: ٧٩- ٨٩. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه ومن ذلك، أولاً: منها ما يتعلق بدلالة الآيات القرآنية على الرحمن سبحانه: أ) فقوله تعالى (والكتاب المبين) لم يذكر بهذه الصيغة إلا هنا: ٢، وفي سورة الدخان: ٢، ب) هي إحدى السور التي وُصف فيها القرآن بأنه عربي: ٣، وانظر باقي السور: يوسف: ٢، طه:

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان أن الآيات القرآنية والآيات الكونية المسخرة للإنسان، تدلان على رحمة الله عز وجل، فينبغي أن تكون داعية إلى الإيمان والتوحيد: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔﮊ، فالقرآن أنزل بلغة العرب، فهو بين الدلالة على منزله سبحانه، ولاحظ رحمة الله إذ أرسل إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه آيات الوحي بالرغم من كونهم قوماً مسرفين، وهو وصف يدل على أن زخرف الدنيا أنساهم ربهم حتى كفروا بآياته و أشركوا به.

وأما الآيات الكونية: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛﮊ، فهم مع إيمانهم بوجود الله تعالى ويقرون برحمته المتجلية في آياته، إلا أنهم يشركون معه آلهة أخرى، وهذا من أعجب العجب، ولاحظ دعوتهم إلى ذكر المنعم الذي أنعم عليهم بالأنعام، مما يدل على أن موقفهم يجب أن يكون موقف الإيمان والشكر، لا الشرك والكفر.

فمقدمة السورة تدعو إلى التوحيد من خلال بيان رحمة الله تعالى المتجلية في آياته القرآنية، وما سخره للإنسان من الآيات الكونية، فما هيأه الله من أسباب الزخرف في الدنيا ينبغي أن يكون دالاً على رحمة الخالق سبحانه، وليس داعياً إلى الكفر أو الشرك.

ثانياً: وبعد أن بينت المقدمة ذلك، انتقل السياق إلى بيان موقف الكافرين العجيب، إذ بعدما عاينوا آيات الله إذا هم يشركون به، وينسبون له البنات سبحانه: ﮋ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮊ، وزعموا أيضاً أن الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناث، وعبدوهم من دون الله، وزعموا أن هذا هو هدى آبائهم ولن يغيروه.

١١٣، والزمر: ٢٨، وفصلت: ٣، والشورى:٧، ج) هي الوحيدة التي اختصت بقوله تعالى لوصف القرآن: (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم): ٤، ولك أن تضيف أن هذه السورة هي أكثر سورة في القرآن تكرر فيها الاسم الجليل «الرحمن» بعد سورة مريم، وذلك سبع مرات، ثانياً: ومنها أمور متعلقة بدلالة الآيات الكونية على الله تعالى الذي سخرها للإنسان: أ) فهي الوحيدة التي فيها قوله: (الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً): ١٠، وقد جاء نفس هذه الآية في سورة طه: ٥٣، لكن الفعل فيها «سلك» بدلاً من «جعل»، علماً بأن رقم سورة الزخرف: ٤٣، ب) اشتركت هي وسورة يس بوصف الله تعالى بأنه (الذي خلق الأزواج كلها): ١٢، وانظر في سورة يس: ٣٦، علماً بأن بين السورتين ثلاثة أجزاء، ج) هي الوحيدة التي اختصت بقوله تعالى: (سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون): ٨٢، وبقوله: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله): ٨٤، وبقوله: (وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما): ٨٥، ثالثاً: ومنها أمور متعلقة بموقف الكافرين والرد عليهم: أ) هي الوحيدة التي ذكر فيها قوله عن المشركين: (أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين): ٥، للدلالة على أن زخرف الدنيا أنساهم الرحمن سبحانه، ب) وهي الوحيدة التي فيها قوله: (بل متَّعتُ هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين): ٢٩، إذ لم تتكرر «متعتُ» الدالة على أن زخرف الدنيا أنساهم الرحمن، ج) هي الوحيدة التي تكررت فيها عبارة «رحمة ربك»: (أهم يقسمون رحمة ربك): ٣٢، و (ورحمة ربك خير مما يجمعون): ٣٢، وهما تدلان على أن رحمة الله وما عنده من الخير خير من الدنيا وزخرفها، د) والوحيدة التي فيها قوله: (أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) إذ لم تتكرر«ينشأ في الحلية» المتعلقة باسم السورة للدلالة على تنزه الله عن الشريك، هـ) والوحيدة التي فيها قولهم: (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم): ٣١، لظنهم أن الرسول لا بد أن يكون من أهل الزخرف، ولك أن تضيف أن سورة الزخرف وآل عمران الوحيدتان اللتان تكرر فيهما ذكر «الذهب»، فقال عن أهل الجنة: (يطاف عليهم بصحاف من ذهب): ٧١، وهو وصف لم يتكرر في القرآن، وقال فرعون لموسى: (فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب): وهو لم يتكرر أيضاً، وانظر في سورة آل عمران: ١٤، ٩١، كما وأن سورة الزخرف الوحيدة التي اختصت بقوله تعالى عن الكافرين: (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون): ٣٣، ولم تذكر المعارج مرة أخرى إلا في سورة المعارج منسوبة لله تعالى: ٣. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

وانظر ماذا كان الرد الإلهي عليهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ، ولاحظ تخصيص المترفين بالذكر، لأنهم أنساهم زخرفُ الدنيا الرحمنَ سبحانه، حتى ضلوا عن السبيل، ولكي تكتمل إقامة الحجة عليهم، ذكر السياق الموقف الحقيقي لإبراهيم عليه السلام، الذي يزعم العرب أنهم ينتسبون إليه في دينهم: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ، فهو كان موحداً مخلصاً لله تعالى، وهو ما أوصى عليه ذريته، ولاحظ أن متاع الدنيا وزخرفها هو الذي قاد الكفار إلى التكذيب بالرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه يدعوهم إلى الحق الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام.

ومما يؤكد ذلك أنهم طلبوا أن ينزل القرآن على رجل عظيم من إحدى القريتين: مكة والطائف، « ولم يعلموا أنها ـ أي الرسالة ـ رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية، لا التزخرف بالزخارف الدنيوية » [٣١٤].

ثم انتقل السياق إلى بيان مظهر آخر من مظاهر رحمة الله تعالى بالإنسان: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ، فلو شاء سبحانه أن يفتح على الكافرين أبواب الدنيا وزخرفها إلى درجة أن تكون سقف بيوتهم وأبوابها وسررهم من فضة، وأن تكون لهم معارج فخمة يظهرون عليها على الناس لفعل، ولكنه رحمة بالضعفاء الذين سيفتنون بهذا الزخرف إلى الكفر لم يفعل ذلك، وقسم معيشة الناس حسب حكمته، ليكون بعضهم لبعض سخرياً. فما هيأه الله في هذه الدنيا من أسباب الزخرف، ينبغي أن يكون آية دالة على رحمة الله تعالى داعياً إلى الإيمان به وشكره، لا أن يكون سبباً للكبر ثم الكفر بالرحمن أو الشرك به، وليس زخرف الدنيا هو معيار القرب من الله، بل هو التقوى، ولذلك خص المتقين بالدار الآخرة وما فيها من الزخرف الدائم، وهذا يطلعنا على حكمة اختيار اسم السورة والله أعلم.

ثم حذر السياق من استغلال الشيطان زخرفَ الدنيا لِيُشغل الإنسان به عن ذكر ربه تعالى، وينسيهم الرحمنَ ويصدهم عن السبيل، ولن ينفع الإنسان يوم القيامة التبرؤ من الشيطان إذا مات على كفره وشركه.

ثم انتقل السياق إلى قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه الذين أنساهم زخرفَ الدنيا الرحمنَ سبحانه، وكذبوا رسوله موسى حتى أغرقهم الله، ومما يؤكد ذلك قول فرعون في هذه السورة الذي لم يتكرر في القرآن: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ، فموقف فرعون مشابه تماماً لموقف المشركين حينما طلبوا أن ينزل القرآن على رجل من القريتين عظيم، فهم يظنون أن معيار القرب لدى الله مرتبط بما يملكه العبد من الدنيا وزخرفها، ولذلك ادعى فرعون أن موسى كاذب لأنه لا يملك شيئاً من زخرفها، ولاحظ أن قومه أطاعوه لخفة عقولهم وتفضيلهم حب الدنيا وزخرفها على الهدى الذي جاء به موسى، إلى أن استحقوا أن يغرق الله هؤلاء الجنود.

([٣١٤]) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج ٢، ص ٣٧٢.

وبعد أن بينت قصة موسى مع فرعون أثر زخرف الدنيا على الكافرين حتى كذبوا برسل المنعم سبحانه، انتقل السياق إلى بيان انحراف آخر لدى البشر وهو الشرك، فالله تعالى هو المنعم، وبالتالي هو وحده المستحق للعبادة، وقد عرض السياق لإبطال الشرك حقيقة عيسى عليه السلام، كونه أكثر شخصية دارت حولها شبهات الشرك: ﮋ ﮃ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ، فقد ظن المشركون ـ بجهلهم ـ أن عبادة الملائكة أقرب إلى الله من عبادة عيسى، لاعتقادهم أن بين الله تعالى وبين الملائكة نسباً، وبما أن السورة قد فندت شبهتهم في بدايتها، أكدت تفنيدها هنا مرة أخرى ببيان بطلان ألوهية عيسى فليست الملائكة آلهة، ولا عيسى كذلك.

وقد أعاد السياق التحذير من اتباع الشيطان مرة أخرى، فهو كما يستغل زخرف الدنيا لقيادة الإنسان إلى الكفر، فهو يستغل الشبهات والجهل لقيادته إلى الشرك، وكلاهما انحراف عظيم.

ولأجل أن يكتمل الترغيب والترهيب، عرض السياق مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة، فالمؤمنون في الجنة يطاف عليهم بصحاف وأكواب من ذهب، وقد تحقق لهم الزخرف الأخروي الأبدي، بينما المكذبون المجرمون في عذاب جهنم خالدون، وما حصل لهم ذلك إلا لأنهم ظلموا أنفسهم حينما تلهوا بالدنيا وزخرفها عن الإيمان بالله أو الإشراك به.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت الدعوة إلى التوحيد وبيان بطلان الشرك، والتحذير من أن تقودهم الدنيا وزخرفها إلى كفر المنعم أو الإشراك به: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ.

وكما افتتحت السورة بذكر الآيات القرآنية وما سخره الله للإنسان من الآيات الكونية للإنسان لبيان دلالتها على الله، ختمت بالتحذير من التكذيب بهذه الآيات مع أنهم يقرون بفضل الله عليهم، ولكنهم يكذبون رسله ويشركون معه آلهة أخرى: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ ﮊ، وبذلك يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة كناية أشد الدلالة.

سورة الحديد

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى بيان أن الله أنزل نعمة الحديد الذي فيه بأس شديد ومنافع للناس، وعقب على ذلك بقوله: ﮋ... ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ (بعض الآية: ٢٥)، وكأنها إشارة إلى ضرورة استعمال الحديد للدفاع عن دين الله ورسله.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة بجملتها دعوة للجماعة الإسلامية كي تحقق في ذاتها حقيقة إيمانها، لتكون موازينها هي موازين الله، وقيمها هي القيم الثقيلة في تلك الموازين، ولذلك تدعو السورة إلى بذل النفس والمال في سبيل الجهاد للدفاع عن الدين، وقد سميت السورة بالحديد لأنه القوة التي تحمي العدل ويُجاهَد بها أعداء الدين [٣١٥].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان والإنفاق في سبيل الجهاد لنصرة الدين، مع بيان بعض مظاهر عظمته تعالى الدالة على أنه قادر على جزاء المنفقين والمجاهدين في سبيله خير الجزاء في الدارين، ولما كان ذكر الحديد ذي البأس الشديد أدل ما في السورة على ضرورة استخدامه لنصرة الله ورسله بالغيب، سميت السورة به للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام، أولها: مقدمة في بيان بعض مظاهر عظمته تعالى لبيان قدرته على جزاء المؤمنين، وثانيها: دعوة إلى الإنفاق والجهاد في سبيل نصرة الدين مع بيان جزاء المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، وثالثها: خاتمة مؤكدة لما سبق [٣١٦].

أولاً: جاء في المقدمة بيان لبعض مظاهر عظمة الله تعالى، لبيان أنه قادر على جزاء المنفقين والمجاهدين خير الجزاء: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ □□ □ □
□□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭑ ﭒ ﭓ
ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ
ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ

---

(٣١٥) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣١٩، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٤٣٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٤٧٥، ٣٤٧٦، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٧، ص ٣٥٣، ٣٥٦، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ١- ٥، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٣١٦) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٦، والدعوة للإنفاق والجهاد: ٧- ٢٤، والخاتمة: ٢٥- ٢٩. ومن لطائف هذه السورة أنها امتازت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أولاً: منها ما يتعلق ببيان عظمته تعالى للدلالة على قدرته على جزاء المؤمنين: أ) فهي الوحيدة في القرآن التي ذكرت فيها الأسماء الجليلة: «الأول» و «الآخر» و «الظاهر» و «الباطن»: ٣، ب) وهي مع سورة سبأ الوحيدتان اللتان ذكر فيهما قوله: (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها): ٤، وسبأ: ٢، ثانياً: ومنها أمور متعلقة بالدعوة إلى الجهاد لنصرة الدين، أ) فقوله تعالى: (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) لم يذكر إلا هنا: ١٩، ب) وكذلك قوله: (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب): ٢٥، ثالثاً: ومنها أمور متعلقة بالدعوة إلى النفقة لنصرة الدين، أ) فقد تكررت مشتقات الجذر الرباعي «أنفق» فيها خمس مرات: (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير): ٧، (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ... لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولائك أعظم درجة من أنفقوا من بعد): ١٠، ب) هي أكثر سورة في القرآن ذكرت فيها مشتقات الجذر «قرض»: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له): ١١، و(وأقرضوا الله قرضاً حسناً): ١٨، ج) هي الوحيدة التي ذكرت فيها عبارة (إن المصَّدِّقين والمصدقات): ١٨، بينما ذُكرت كلمة «المتصدقين» في سورة يوسف: ٨٨، وكلمتا «المتصدقين والمتصدقات» في سورة الأحزاب: ٣٥، ثالثاً: ومنها أمور متعلقة ببيان جزاء الله للمؤمنين، أ) فهي من أكثر السور التي نسب فيها «الفضل» لله: ٢١ (مرتين)، و ٢٩ (ثلاث مرات ولم يتكرر ذلك في آية أخرى)، ب) هي وسورة البقرة الوحيدتان اللتان تكررت فيهما مشتقات الجذر «ضاعف» المنسوب لله: ١١، ١٨، وانظر في سورة البقرة: ٢٤٥، ٢٦١، ج) هي وسورة النور أكثر سورتين تكررت فيهما مشتقات الجذر «نور»: ففي الحديد ست مرات: (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) ٩، (يسعى نورهم بين أيديهم): ١٢، (انظرونا نقتبس من نوركم .. فالتمسوا نوراً): ١٣، (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم): ١٩، (ويجعل لكم نوراً تمشون به): ٢٨، وفي النور سبع مرات: ٣٥ (خمس مرات)، ٤٠ (مرتين). ينظر للمراجعة:عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

ژ ک ڪ ڪ ژ، ولاحظ تكرار «السماوات والأرض» أربع مرات، وتكرار الضمير «هو» سبع مرات، ولاحظ بيان علمه التام بما بين السماء والأرض في الليل والنهار، وكل ذلك يدل على أنه تعالى ليس بحاجة إلى من ينصره، ولكنه أمر المؤمنين بنصر دينه لتعود الفائدة عليهم، وهو كذلك غني عن النفقات وعن القروض، وهو أعلم بمن جاهد وأنفق بنية حسنة من المؤمنين، وبمن تنصل من النفقة والجهاد من المنافقين، وبذلك تبرز العلاقة بين المقدمة وبين «الحديد» الذي ينبغي استخدامه لنصرة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: ثم انتقلت السورة إلى دعوة المؤمنين إلى الإنفاق لنصرة الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم: ژ ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۂ ۂ ۂ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ژ، وأكثر ما يحتاج إلى النفقة هو الجهاد لما فيه من ضرورة تجهيز الجيوش وإعداد الجند، وقد أكد ذلك بيان السياق إلى عدم التساوي بين من أنفق وقاتل من قبل الفتح، وبين من أنفق وقاتل من بعده.

وقد تعددت أساليب الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله في هذه السورة، فبعد «الإنفاق» ذُكر «الإقراض»: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ژ، ولاحظ بيان جزاء المؤمنين يوم القيامة، وذلك لئلا يفهم طلب الله «القرض» من المؤمنين على نحو خاطئ، فالفائدة عائدة عليهم فقط، وقد بين السياق حرمان المنافقين من ذلك النور جزاء تنصلهم من النفقة والقتال في سبيل الله وتربصهم بالمؤمنين.

ومن أجل الزيادة في ترغيب المؤمنين في نفقة والقتال لنصرة الدين، بين السياق تميز المؤمنين على من سبقهم من أهل الكتاب الذين نكلوا عن نصرة دين الله: ژ ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﮭ ﮭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ ۋ ې ې ۉ ۉ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فإذا التزم المؤمنون بما جاءهم من الحق ونصروه كانوا أفضل من أهل الكتاب.

وبعد «الإقراض» ذُكر «التصدُّق»: ژ ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ژ، ولاحظ بيان مضاعفة الأجر من الله، فهو الغني، والفائدة عائدة للمؤمنين، ولاحظ بيان أجر الشهداء عند الله، وكل ذلك يؤكد المحور المذكور الدال على الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الجهاد لنصرة الدين.

وقد حذر السياق من فتنة الدنيا التي قد تمنع العبد من النفقة ومن القتال، وكذلك حذر السياق من البخل، وبين للمؤمنين أن كل ما أصابهم من المصائب في سبيل نصرة الله سيُوَفَّون أجره: ژ ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﮭ ﮭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ ۋ ې ې ۉ ۉ □ ی ی ی ی □ □ □ □ □ ژ.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت الترغيب في القتال لنصرة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، واستخدام نعمة الحديد لأجل ذلك: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ.

وكما افتتحت السورة بذكر بعض مظاهر عظمة الله تعالى، لبيان قدرته على جزاء المؤمنين المنفقين والمقاتلين لنصرته خير الجزاء مع استغنائه تعالى عن خلقه، ختمت بإعادة دعوتهم إلى الإيمان ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع بيان أنه تعالى سيؤتيهم ضعف الأجر، وبيان تفضيلهم ـ إذا التزموا نصرة الله ورسله ـ على أهل الكتاب الذين نكلوا عن ذلك: ﮋﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ. وبذلك التقى البدء والختام على محور الدعوة إلى نصرة الله ودينه بالإنفاق والقتال، وهو المحور الذي دل عليه اسم السورة كون الحديد نعمة يجب أن تستخدم لهذا الغرض.

سورة الإنسان:

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى بيانها أن الله تعالى هو خالق الإنسان إذ لم يكن شيئاً مذكوراً، فخلقه الله من نطفة أمشاج، وجعل له السمع والبصر، وبين له سبيل الهداية والإيمان والشكر من سبيل الضلال والجحود والكفر، ثم بينت مصير الفريق يوم القيامة، فاسم السورة يدل على أن المفترض من الإنسان أن يكون مؤمناً شاكراً لربه لينال النعيم الخالد يوم القيامة، لا أن يكون كفوراً جاحداً فيستحق العذاب الخالد يوم القيامة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أنها بمثابة هتاف ندي إلى الطاعة والالتجاء إلى الله وابتغاء رضاه، وتذكر نعمته والإحساس بفضله واتقاء عذابه، وذلك بحديثها عن أصل الإنسان وبيان مصيره الذي يختاره، وبترغيبها بطريق الجنة وتحذيرها من طريق النار، وختمها ببيان عاقبة البلاء لهذا الإنسان، فاسم السورة يشعر أن الحكمة أن يؤول الإنسان إلى مآل أهل الشكر، لا لمآل أهل الكفر، فمن أراد أن يكون شيئاً مذكوراً، فليكن شاكراً لا كفوراً [٣١٧].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح لنيل الأجر العظيم الدائم حين بَعْث الخلق للحساب يوم القيامة، وهو اليوم الذي يتلهى عنه الإنسان الكافر مع علمه بقدرة الله فهو الذي خلق الإنسان أول مرة إذ لم يكن شيئاً، ولما كان في تسمية السورة بـ «الإنسان» دلالة على الفريقين من «الإنسان» المؤمن منه والكافر، ودلالة على ما يجب على الإنسان من الإيمان والعمل الصالح كونه مخلوقاً لله، سميت بهذا الاسم للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في موضوعات السورة يبر له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(٣١٧) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٣٧٨، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٢٥٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٧٧٧- ٣٧٧٩، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ٥٠٧، ٥٠٨، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ص ٤٩١، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٢٤- ٣٢٦.

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة تثبت قدرة الله على الخلق والبعث والجزاء، ثم عرض لمصير الإنسان الكافر والمؤمن يوم القيامة، مع التفصيل في عرض أعمال المؤمنين وجزائهم للترغيب فيه، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق [٣١٨].

أولاً: جاء في مقدمة السورة إثبات لقدرة الله تعالى على الخلق والبعث، وبينت بإيجاز مصير الإنسان الكافر والإنسان المؤمن: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﮊ، فكما أن الله قادر على خلق الإنسان وقد كان عدماً، فهو قادر على بعثه وجزائه، وقد ابتدأت السورة بعرض مصير الكافرين لأنهم المخاطبون بالمقام الأول حين نزول هذه السورة المكية، وعرض مصير الفريقين دال بلا شك على قدرته تعالى على البعث والحساب.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى تفصيل لعرض الأعمال الصالحة التي يقوم بها الأبرار، حتى استحقوا الجزاء العظيم يوم القيامة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮊ، فهم لإيمانهم باليوم الآخر وما فيه من الأهوال، يكثرون من الأعمال الصالحة بنية خالصة لله لينالوا الأجر في ذلك اليوم، وما من شك أن عرض أعمالهم وجزائهم يؤكد المحور المذكور، ثم إن اختصاص أعمال المؤمنين بالتفصيل في العرض دون الكافرين يؤكد دلالة اسم السورة على أن هذا الموقف هو ما يجب أن يكون عليه الإنسان.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت الدعوة إلى الإكثار من العمل الصالح لنيل الأجر في اليوم الآخر: ﮋ□ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﮊ، وأعتقد أن اختصاص الذكر وقيام الليل بالعرض متلائم مع ما بينه السياق من أن الأبرار يعملون أعمالهم لوجه الله، فالذكر وقيام الليل أبعد الأعمال عن الرياء. وهذا يؤكد أن على الإنسان أن يعمل الأعمال الصالحة وبنية صالحة.

وكما افتتحت السورة بذكر قدرة الله تعالى على الخلق والبعث والجزاء وذكر مصير الفريقين يوم القيامة، ختمت بالتأكيد على القدرة على الخلق والبعث والجزاء، مع الدعوة إلى عدم التلهي بالدنيا عن الأعمال الصالحة التي تكون رصيداً يوم القيامة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ

---

(٣١٨) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٦، وعرض مصير الفريقين: ٧- ٢٢، والخاتمة: ٢٣- ٣١، ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أولاً منها أمور تثبت قدرة الله على الخلق: أ) فوصف الإنسان بقوله تعالى (لم يكن شيئاً مذكوراً) ذكر هنا فقط:١، ب) وصف النطفة بـ «الأمشاج» ذكر هنا فقط: ٢، ثانياً: ومنها أمور تؤكد قدرته على البعث من خلال بيان مصير الإنسان الكافر: أ) فقوله (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً): ٤، ذكر هنا فقط بهذه الصيغة، وقريب منه في سورة الرعد: ٥، وسبأ: ٣٣، ويس: ٨، وغافر: ٧١، ب) قوله تعالى (إن هؤلاء يحبون العاجلة): ٢٧، ذكر هنا فقط بهذه الصيغة، وقريب من جداً في سورة القيامة: ٢٠، وقريب منه في سورة الإسراء: ١٨، وأما قوله (ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً): ٢٧، فلم يذكر إلا هنا، ثالثاً: ومنها أمور تؤكد قدرته على البعث من خلال جزاء الإنسان المؤمن: أ) فقوله تعالى (ويخافون يوماً كان شره مستطيراً): ٧، ذكر هنا فقط، ب) وهي الوحيدة التي تكررت فيها «الفضة» لوصف النعيم: (بآنية من فضة): ١٥، (قوارير من فضة): ١٦، (أساور من فضة): ٢١. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ، وبذلك التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور الذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة التكاثر

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الكاف والثاء والراء: أصل صحيح يدل على خلاف القلة »، وزاد الإمام الأصفهاني رحمه الله: « المكاثرة والتكاثر: التباري في كثرة المال والعز »، وأما الدلالة السياقية فتعود إلى التحذير من التلهي بتكثير المال ومتاع الدنيا عن الموت الذي هو أول منازل الآخرة التي فيها الحساب.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة ذم الاشتغال بمظاهر الحياة واللهو عن النظر في دلائل القرآن، إلى أن يصيروا إلى القبور التي لا تكاثر فيها ولا تفاخر، مع حثهم على التدبر فيما ينجيهم، فاسم السورة يصرح بأن سبب الهلاك يوم الجمع هو الجمع للمال [٣١٩].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: إثبات حقيقة اليوم الآخر، من خلال بيان محاسبة الإنسان فيه على ما جمعه من نعيم الدنيا، ولما كان بيان أن التكاثر في نعيم الدنيا يلهي عن الإعداد لذلك اليوم، جُعل منه اسم للسورة للدلالة على المحور المذكور كناية وللتحذير منه.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، فيما يلي بيان ذلك [٣٢٠]:

---

(٣١٩) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١١، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥١٦، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٦٢، ٣٩٦٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٣١٨، ٣١٩، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٥٢- ٣٥٥.

(٣٢٠) تميزت هذه السورة بعدد من الأمور تؤكد المحور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أ) قوله (ألهاكم): ١، لم يتكرر في القرآن بهذه الصيغة، ب) لم يذكر «التكاثر» في القرآن إلا هنا:١، وفي سورة الحديد: (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد): ٢٠، وهما تدلان على عدم التلهي بمتاع الدنيا، ج) هي السورة الوحيدة التي تكررت فيها كلمة الردع والزجر «كلا» ثلاث مرات متتالية: ٣، ٤، ٥، وكأنها تردعهم وتزجرهم عن تلهيهم بالتكاثر، د) وهي الوحيدة التي تكررت فيها كلمة «اليقين» العائدة على الجزاء في الآخرة: (كلا لو تعلمون علم اليقين): ٥، (ثم لترونها عين اليقين): ٧، ومع ذلك يتلهى عنها الناس، هـ) وهي الوحيدة التي فيها قوله (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم): ٨، وانظر قريباً منه في سورة النحل: (لتسألن عما كنتم تفترون): ٥٦، و (ولتسألن عما كنتم تعملون): ٩٣. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

ژ ڙ ڑ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ گ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ

ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ھ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ، فلاحظ الفعل الماضي (ألهاكم)، وكأن التلهي بالتكاثر فطرة في البشر لا ينجو منها إلا من أقام لحساب الآخرة حساباً، ثم لاحظ اختصار حياة الإنسان في الآيتين الأوليين، فهو ينتقل من الدنيا وما فيها من اللهو والتكاثر، إلى حفرة من حفر المقابر، ولاحظ التأكيد على الجزاء يوم القيامة بتكرار كلمة الردع الزجر (كلا) و (سوف تعلمون)، وبيان أن الجزاء يوم القيامة علم اليقين، وسيرونه عين اليقين، ومع ذلك يتلهى الإنسان بالتكاثر عن تلك الحقيقة، ولاحظ تكرار الفعل (لترونّ) مع التشديد المفيد التأكيد، ولم يذكر الجنة لأن السياق سياق ردع وزجر وترهيب، وهي مفهومة ضمناً من قوله (ولتسألن يومئذ عن النعيم)، فمن تنعم في الدنيا بما أحله الله وأدى حق الله فيه، كسب معه نعيم الآخرة المقيم، ومن تنعم في الدنيا بما حرمه الله، ولم يؤد حق الله فيه، خسر نعيم الآخرة.

فالسورة كما ترى تثبت حقيقة السؤال عن نعيم الدنيا في يوم القيامة، وكما افتتحت السورة ببيان تلهي الإنسان بالتكاثر في نعيم الدنيا عن الحساب في الآخرة، ختمت ببيان أنه سيُسأل يوم القيامة عن كل ذلك النعيم، وحينها سيعرف مصيره، وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الماعون

الدلالة اللفظية والسياقية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الميم والعين والنون: أصلٌ يدل على سهولة في جريانٍ أو غير ذلك، ومعن الماء: جرى »، وزاد الإمام ابن منظور رحمه الله: « المعن والماعون: المعروف كله، لتيسُّره وسهولته لدَيْنا، بافتراض الله إياه علينا... والماعون: هو اسم جامع لمنافع البيت كالقِدر والفأس وغيرها مما جرت العدة بعاريّته»[٣٢١]، وأما الدلالة السياقية فتعود إلى بيان أن المكذبين بالدين بلغ بهم السوء إلى درجة أن يمنعوا الناس من الماعون مهما كان بسيطاً ومتيسّراً، وذلك يدل على عدم إيمانهم بالجزاء يوم القيامة على الإحسان.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو بيان أن التكذيب بالبعث لأجل الجزاء يجرِّئ على مساوئ الأخلاق، فمنع الماعون إما أن يكون بداية التكذيب إذ تصل بهم الدناءة إلى حبس المعروف، أو أن يكون نهاية أو نتيجة للتكذيب بالدين، فلا يدفعهم إيمانٌ بالأجر الأخروي إلى فعل أقل المعروف، كما وأن السورة تبين أن الدين ليس مظاهر وطقوس تعبدية، فهي لا تغني ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وتجرد، يدفع القلب إلى العمل الصالح يرقى به الناس في الأرض [٣٢٢].

---

(٣٢١) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٩٨٩، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٤، ص ١٠١. بتصرف.

(٣٢٢) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٤، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٤١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٨٤- ٣٩٨٦، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٣٧٧، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٧٠- ٣٧٢. ونوفل، د. أحمد، **النسق القرآني وأثره في الترجيح، سورة الماعون أنموذجاً**، بحث محكم في مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٢، العدد: ٢، رمضان، ١٤٣٤ هـ. ص ١٩٣-٢٠٠.

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح من خلال بيان مصير المتكبرين الذين يظلمون اليتيم والمسكين والضعفاء، لدرجةٍ أوصلتهم إلى التكذيب بالدين وحرمان الماعون لعدم إيمانهم بما بيّنه الدين من الجزاء يوم القيامة، ولما كان حرمانهم الماعون وهو أقل المعروف دالاً على المحور المذكور، سميت السورة به للدلالة على المحور كناية.

والمتأمل في آيات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك (٣٢٣):

ژ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ژ، فقد ابتدأت السورة ببيان الإثم الأكبر لهم، فهم يكذبون بالدين وما بيّنه من الجزاء على العمل يوم القيامة، ثم عرض السياق من أعمالهم ما يدل على ذلك، فهم يدعّون اليتيم ولا يشفقون عليه، ولا يحث بعضهم بعضاً على إطعام المساكين، ولو أنهم آمنوا بما في الآخرة من الجزاء على العمل لكانت صفاتهم عكس هذه الصفات الشنيعة تماماً، هذا في الجانب السلوكي الاجتماعي. فيُفهم ضمناً أن السورة تحث على إكرام اليتيم، وإطعام المسكين، بشرط الإيمان والنية الصادقة، لينال المؤمن الأجر من الله يوم القيامة.

أما في الجانب التعبدي فقد كانت الأعمال التعبدية للمكذبين دالة على تكذيبهم بيوم الدين أيضاً، فهم ساهون عن الصلاة الحقيقة التي أمرهم الله بها في وحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وهم يصلون كما قال تعالى: ژ ڈ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ چ ژ (الأنفال: ٣٥)، فصلاتهم تصفير وتصفيق وصياح، ونيتهم في صلاتهم هذه أن يراهم الناس فيصفونهم بالتدين، والحقيقة أن صلاتهم هذه لا تمت للدين بصلة، فضلاً عن نيتهم الباطلة، ولذلك استحقوا الويل من الله، فلا هم مؤمنون بالجزاء يوم القيامة في الجانب الاجتماعي السلوكي، ولا في الجانب التعبدي أيضاً. ولو آمنوا بجزاء الآخرة لأقاموا الصلاة كما أرادها الله تعالى وبنية خالصة له، وهذا حثٌّ للمؤمنين على أداء الصلاة على حقيقتها يفهم ضمناً ليقينهم بالأجر يوم القيامة.

وكما افتتحت السورة ببيان الإثم الأكبر وهو التكذيب بالدين وجزاء الآخرة، ختمت ببيان ما نتج عن ذلك من منعهم الماعون وهو أقل المعروف، للدلالة على أن تكذيبهم بالدين أثر سلباً حتى في أقل الأعمال الصالحة شأناً، فحرموا أنفسهم من أجرها، وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة كناية.

---

(٣٢٣) تميزت هذه السورة بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أ) فعبارة (يكذب بالدين) لم تذكر إلا هنا: ١، وفي سورة الانفطار: (بل تكذبون بالدين): ١٨، ب) وعبارة (الذي يدع اليتيم): ٢، لم تذكر إلا هنا، ج) وعبارة (ولا يحض على طعام المسكين)، لم تذكر إلا هنا: ٣، وفي سورة الحاقة: ٣٤، ج) وعبارة (فويل للمصلين): ٤، للمصلين المرائين لم تذكر إلا هنا، وكذلك عبارة (الذين هم عن صلاتهم ساهون): ٥، وكذلك (الذين هم يراءون): ٦، وقريب منها (يراءون الناس) النساء: ١٤٢، وأما عبارة (ويمنعون الماعون): ٧، فلم تذكر إلا هنا.وكلها عبارات تدل على مدى السوء الذي يبلغه المكذب بالدين وجزاء الآخرة. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

سورة الفيل

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى حديثها عن حادثة إهلاك الله لأصحاب الفيل حينما أرادوا هدم بيت الله الحرام، وهي حادثة مشهورة يعرفها العرب تماماً لمعاينتهم إياها، فاسم السورة يؤكد قدرة الله على إهلاك الطغاة، ومن ناحية ثانية يدعو المشركين إلى الإيمان بالله الذي أنعم عليهم بحفظ بلدهم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن هذه السورة تدل على رعاية الله لبيته الحرام، وهو المكان الذي اختاره ليكون محضن العقيدة الجديدة، وليكون النقطة التي يبدأ منها زحف المؤمنين بهذه العقيدة لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض، فهي تدل على منِّ الله على قريش بهذه النعمة ليدعوهم إلى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه بهذه العقيدة، فاسم السورة يشير إلى عِظَم كيد أصحاب الفيل، وعظم العقوبة التي نزلت بهم، وفي ذلك تهديد لقريش ببيان أنه مهما عَظُم كيد الكافرين، فإن كيد الله أكبر وأعظم (٣٢٤).

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان بالله العظيم مُرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من خلال بيان قدرة الله على إهلاك الكافرين، ولما كان اسم السورة يدل على أكثر مظاهر قدرة الله على الإهلاك التي شاهدها الكافرون عياناً، سميت السورة به للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في آيات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك (٣٢٥):

ژ ڑ ک ک   ک ک گ گ گ گ گ گ   گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ

ڈ ڈ ۂ ۂ ہ   ہ ژ، لاحظ قوله (ألم تر) مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد في ذلك العام، وذلك يدل على أن إخبار الله عن أمر يعد بمثابة المعاينة، ثم إن في ذلك لفت نظر لقريش الذين رأوا هذه الحادثة بأعينهم، ولاحظ قوله (ربك)، الدال على أن الذي أهلك أصحاب الفيل هو مَن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم في قريش، فينبغي أن يكونوا أول من يؤمن به اعترافاً منهم بذلك الفضل لله، وبيان أن كيد أصحاب الفيل قد جُعل في تضليل، يلفت نظر قريش كذلك إلى أنهم ينبغي أن يجتمعوا على الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لا أن يضلوا بالتفرق عنه.

---

(٣٢٤) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٣، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٢٨، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٩٧٤- ٣٩٨١، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ٣٤٩، ٣٥٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٣٦٣- ٣٦٥.

(٣٢٥) تميزت هذه السورة بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أ) فقوله (ألم يجعل كيدهم في تضليل) ذكر هنا فقط بهذه الصيغة، وقريب منه في سورة غافر (وما كيد الكافرين إلا في ضلال): ٢٥، ب) لم تذكر «الطير الأبابيل» إلا هنا، ج) قوله (ترميهم بحجارة من سجيل) ذكر هنا فقط بهذه الصيغة، وقريب منه: (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود): هود ٨٢، و(وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل): الحجر: ٧٤، وهما يختصان بقوم لوط عليه السلام. ينظر للمراجعة، عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

وأعتقد أن بيان إرسال جماعات الطير بالحجارة من سجيل على أصحاب الفيل، متلائم مع ما بينته آيات أخرى من أن الآلهة التي يعبدها المشركون ستكون حصباً في جهنم كما قال تعالى: ژ ڭ ڭ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ه ه هژ (الأنبياء: ٩٨)، فكما أن إرسال الحجارة من سجيل دال على قدرة الله، فلا يبعد أن يجمع المشركين وآلهتهم ليكونوا حصباً لجهنم، وبيان أنه جعلهم كعصف مأكول، يؤكد معاينة قريش لتلك الحادثة برؤيتهم جثث أصحاب الفيل، وفي ذلك مزيد تهديد لهم ببيان قدرة الله على إهلاك الكافرين، وبذلك يلتقي البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة، كون حادثة الفيل أبرز مظاهر قدرته تعالى على إهلاك الكافرين لرؤيتهم إياها بأعينهم.

سورة الناس

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى بيان أن الله وحده هو رب الناس وملكهم وإلههم، فهو لكمال قدرته وشمول علمه المستعاذ به من شرور وساوس الجنة وغواة الإنس.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة التوجيه إلى الاعتصام والاستعاذة بالإله الرب الخالق الملك من شر الخلق الباطن، مع استحضار المؤمن معاني هذه الصفات، إذ لا قِبل للمؤمن بدفع هذه الشرور إلا بعون ربه سبحانه، فليس الإنسان مغلوباً على أمره، فمن يذكرون الله في حفظٍ من الشر ودواعيه الخفية، فالسورة تلخص الصراع بين الحق والباطل، وتدل على أن الاستمساك بالله وبدينه سيكون عاصماً من قوى الشر الجنية منها والإنسية [٣٢٦].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان أن الله وحده هو الرب المستعاذ من شرور الجنة والناس، ولما كان بيان أنه تعالى رب الناس وملكهم وإلههم، وهم الذين يراهم الجنُّ من حيث لا يرون هم الجنَّ، فهم الفريق الأضعف، سميت السورة بهم لبيان أن الله هو المستعاذ لهم.

والمتأمل في آيات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك [٣٢٧]:

ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ژ، ولاحظ إضافة الإله والملك إلى «الناس» في كل مرة، بدلاً من الضمير فيقال مثلاً: قل

---

(٣٢٦) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤٢٩، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٦١١، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٤٠١٠- ٤٠١٢، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٤٧٧، ٤٧٨.

(٣٢٧) تميزت هذه السورة بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أ) عبارة (رب الناس) و (ملك الناس) و (إله الناس) كلها لم تتكرر في القرآن بالصيغ ذاتها، ب) هي الوحيدة التي تكرر فيها ذكر الوسوسة: (من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس)، كما وأنها الوحيدة التي نسبت فيها الوسوسة للناس، والوحيدة التي وصف فيها الوسواس بالخناس، وكلها عبارات تدل على شرور الجنة والناس، وأن المستعاذ منها هو الله وحده. وينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

أعوذ برب الناس وملكهم وإلههم. إن في ذلك مزيد تأكيد على أن الله وحده هو الرب والملك والإله، كما وإن في ذلك زيادة دعوة وتنبيه للناس إلى الاستعاذة بربهم وملكهم وإلههم، ولاحظ أنه وُصف أولاً « بأنه (رب الناس)، ثم الرب قد يكون ملكاً وقد لا يكون، كما يقال رب الدار.. فلا جرم بيّنه بقوله (ملك الناس)، ثم الملك قد يكون إلهاً وقد لا يكون، فلا جرم بينه بقوله (إله الناس)، لأن الإله خاص به سبحانه لا يشركه فيه غيره » [٣٢٨].

فهذه الآيات الثلاث تدعو الناس إلى الاستعاذة بربهم وملكهم وإلههم، ثم بينت السورة ما هي الشرور المستعاذ بالله منها، وهي الشرور الناتجة عن إغواء كل وسواس خناس، يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس، ولاحظ عدم تحديد الوسواس بصفة معينة سوى أنه خناس، وهذا يدل على العموم فيشمل كل وسواس، ويدل على الخفاء، لأنه وسوستهم خفية لا يملك لها الإنسان دفعاً إلا بذكر الله تعالى، ولاحظ ذكر الصدور بالجمع، للدلالة على أنهم يتمنون إغواء الناس جميعاً لو استطاعوا، وكما افتتحت السورة ببيان أن الله تعالى هو رب الناس وملكهم وإلههم فهو وحده المستعاذ لهم، كونهم الحلقة الأضعف إذ الجنةُ تراهم والناسُ لا يرون الجنة، ختمت السورة ببيان أن الله المستعاذ من شرور وساوس الجنة كونهم أقوى في التأثير عبر الوسوسة، وهو أيضاً المستعاذ من شرور غواة الناس وإن كان إدراك خطرهم واضحاً لإمكان رؤيتهم، فهو سبحانه المستعاذ من الخطر الأكبر ومن الخطر الأقل شأناً. وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

فسورة الفلق أثبتت أن الله هو المستعاذ من شرور كل الخلق، وسورة الناس أثبتت أنه المستعاذ من شرور عدو الناس، وهم غواة الجنة وغواة الناس، فبهاتين السورتين يثبت أنه تعالى المستعاذ من الشرور جميعها، عامها وخاصها، لأنه هو الخالق لكل شيء على وجه العموم والخصوص.

---

(٣٢٨) الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٣٢، ص ١٩٦. بتصرف.

سورة النساء

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى بيانها لكثير من الأحكام الخاصة بهنّ، وهي أحكام شاملة للناحية الاجتماعية كأحكام اليتامى من النساء، وأحكام الزواج والطلاق وبيان اللواتي يحل للرجل الزواج منهن واللواتي يحرمن، كما وأن هذه الأحكام شملت الناحية المالية أيضاً، فقد فصلت في أحكام الميراث، وجعلت للنساء نصيباً مفروضاً منه، وبينت بعض أحكام المهر، ففي تسمية السورة بهنّ حثٌ على إيتائهن حقوقهن التي كتب الله لهن، وهي حقوق كان يلحقها الجور في الجاهلية إن لم تكن معدومة أصلاً، فقد كانت النساء أكثر الفئات استضعافاً في الجاهلية، فجاء الإسلام وجعل لهن سورة خاصة باسمهن لإنصافهن.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن السورة تعرض لموضوع النساء كرمز للمستضعفين، وتدعو إلى نصرة المستضعفين كاليتامى وحفظ حقوقهن، فالسورة تركز على القضايا ذات الأثر الهام في البناء المجتمعي، ولذلك أمرت بالاستقرار الداخلي القائم على الأسرة، والاستقرار الخارجي بحفظ شخصية الأمة، فهي تمحو من المجتمع الإسلامي ملامح المجتمع الجاهلي، وتعرفه بأعدائه الراصدين حوله والمتميعين فيه، فحرمت أكل حقوق الأيتام، والجور على الضعاف والنساء، وأبدلت هذه الملامح بمعالم المنهج الرباني الداعي إلى الإنصاف والإحسان لهذه الفئات المستضعفة، وأكثر هذه الفئات افتقاراً لهذا النساء، ولذلك سميت السورة بهن (٣٢٩).

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الالتزام بما جاء في شرع الله من الإحسان والعدل داخل المجتمع المؤمن لاسيما الفئات المستضعفة، مع التحذير من العدو الداخلي المتمثل بالمنافقين، والخارجي المتمثل بأهل الكتاب والمشركين، لحقدهم على الهدى الرباني الذي حظي به المؤمنون. ولما كانت النساء هي الفئة الأكثر استضعافاً، سميت السورة بهن للدعوة إلى الإحسان والعدل إليهن.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى أربعة أقسام، أولها: مقدمة تدعو إلى تقوى الله والإحسان وإيتاء الفئات المستضعفة في المجتمع حقوقها، ثانياً: التفصيل في عرض بعض الأحكام المالية

---

(٣٢٩) المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ١٣٨، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج٢، ص ٢٠٤، ٢٠٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ١، ص ٥٥٤- ٥٧١، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٤، ص ٢١٢- ٢١٤، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٢، ص ٢، وحجازي، **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**، ص ٤٢- ٥٣، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٤٨- ٥٥، وخليفة، أ.د إبراهيم، **اسم السورة يمثل روحها العام**، ص ١٨- ٣٥.

والاجتماعية الخاصة بالنساء، وثالثاً: الدعوة إلى الإحسان في داخل المجتمع المؤمن لاسيما النساء، مع التحذير من العدو الداخلي والخارجي، رابعاً: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٣٣٠).

أولاً: جاء في مقدمة السورة دعوة إلى تقوى الله تعالى، والإحسان إلى الفئات المستضعفة في المجمع بشكل موجز: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﮊ، وافتتاح السورة بالدعوة إلى تقوى الله خير مفتتح، لأنه إذا تحقق التقوى في المجتمع سيتحقق ما ينشأ عنه من الإحسان والعدل، ولاحظ بيان فضل النساء، إذ لولاهن لما وجد النسل البشري، وهذا متلائم مع اسم السورة، وداعٍ إلى الإحسان إليهن، وقد ذكرت المقدمة اليتامى من النساء لكونهن أشد فئات المجتمع استضعافاً، ولاحظ الأمر بالإحسان والعدل لليتامى بإيتائهم حقوقهم.

---

(٣٣٠) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٠، وبيان أحكام النساء: ١١- ٣٥، والدعوة إلى الإحسان مع التحذير من العدو: ٣٦- ١٦٢، والخاتمة: ١٦٣- ١٧٦. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أولاً: منها أمور متعلقة بالله تعالى تدعو إلى الإحسان وتحذر من الإساءة، أ) فهي أكثر سورة ذكرت فيها عبارة (وكفى بالله ..) وإليك التفصيل: قوله تعالى (وكفى بالله حسيباً) لم يتكرر إلا في هذه السورة: ٦، ٨٦، ولم يذكر مرة أخرى إلا في سورة الأحزاب: ٣٩، وقوله (وكفى بالله شهيداً) لم يتكرر إلا هنا أيضاً: ٧٩، ١٦٦، وقد ذكر في سور أخرى ولكن مرة في كل سورة، وهي أكثر سورة تكرر فيها قوله (وكفى بالله وكيلاً): ٨١، ١٣٢، ١٧١، وقد ذكرت في سورة الأحزاب مرتين: ٣، ٤٨، والإسراء مرة: ٦٥، وقوله (وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً): ٤٥، لم يتكرر في القرآن، وانظر قريباً منه في سورة الفرقان: ٣١، وقوله (وكفى بالله عليماً): ٧٠ لم يتكرر، ب) ثانياً: هي أكثر سورة ذكرت فيها عبارة (وكان الله ..) وإليك بعض التفصيل: فقوله (وكان الله غفوراً رحيما) ذكر هنا سبع مرات: ٢٣، ٩٦، ١٠٠، ١٠٦، ١١٠، ١٢٩، ١٥٢، والثامنة: ٢٥ (والله غفور رحيم)، وتبعتها سورة البقرة إذ ذكرت هذه العبارة فيها سبع مرات، وقوله (وكان الله عليماً حكيماً) ذكر هنا سبع مرات: ١١، ١٧، ٢٤، ٩٢، ١٠٤، ١١١، ١٧٠، والثامنة: ٢٦ (والله عليم حكيم)، وتبعتها سورة التوبة إذ ذكرت فيها هذه العبارة ست مرات، وقوله (وكان الله على كل شيء مقيتاً) لم يذكر إلا هنا: ٨٥، وقوله (إن الله كان عليكم رقيباً): ١ ذكر هنا وفي سورة الأحزاب: ٥٢، بصيغة قريبة، وقوله (إن الله كان علياً كبيراً) ذكر هنا: ٣٤، وفي سور أربع: الحج: ٦٢، ولقمان: ٣٠، وسبأ: ٢٣، وغافر: ١٢، بصيغة الرفع لا النصب، ووصف الله بكونه (تواباً رحيماً) تكرر في ثلاث سورة فقط، هنا: ١٦، ٦٤، والبقرة: ٣٧، ٥٤، ١٢٨، ١٦٠، والتوبة: ١٠٤، ١١٨، ج) بإمكانك أن تضيف أنها السورة الوحيدة التي تكررت فيها العبارة (ولا يُظْلمون فتيلاً): ٤٩، ٧٧ (ولا تُظلمون)، ولم تذكر هذه العبارة مرة أخرى إلا في سورة الإسراء: ٧١ (ولا يُظلمون)، ثانياً: ومنها أمور تدعو المجتمع المسلم إلى الإحسان والعدل، أ) هي أكثر سورة تكررت فيها كلمة «اليتامى»: ٢، ٣، ٦، ٨، ١٠، ٣٦، وتبعتها سورة البقرة بأربع مرات، ب) هي الوحيدة التي تكررت فيها كلمة «التوبة»: ١٧، ١٨، ٩٢، ج) هي الوحيدة التي ذكرت فيها كلمة «السفهاء» وأريد بها المعنى الحقيقي كونهم فئة مستضعفة لخفة عقولهم: ٥، د) والوحيدة التي تكررت فيها كلمة «المستضعفين»: ٧٥، ٩٧، ٩٨ (وهذه عن الرجال والنساء)، ١٢٧ (عن الوِلْدان)، هـ) والوحيدة التي فيها قوله (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً): ٩، وقريب منه في سورة البقرة: ٢٦٦، وقوله (وخلق الإنسان ضعيفا): ٢٨، و) هي وسورة الأنعام أكثر سورتين ذكر فيهما مشتقات الفعل «وصّى» العائد على الله، في النساء ثلاث مرات: (يوصيكم الله في أولادكم): ١١، (وصية من الله): ١٢، (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب..): ١٣١، وفي الأنعام ثلاث أيضاً: ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، والرابعة في سياق النفي (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا): ١٤٤، ز) هي وسورة البقرة الوحيدتان اللتان تكرر فيهما فعل الأمر «آتُوا»، في النساء ثلاث مرات: ٢ (عن اليتامى)، ٤ (عن النساء)، ٧٧ (عن الزكاة)، وفي البقرة ثلاث أيضاً: ٤٣، ٨٣، ١١٠ (كلها عن الزكاة)، ح) هي وسورة النحل أكثر سورتين تكررت فيهما كلمة «حسنة»، وذلك أربع مرات في كل واحدة: ٤٠، ٧٨، ٧٩، ٨٥، وفي النحل: ٣٠، ٤١، ١٢٢، ١٢٥، ط) هي إحدى السور الثلاث التي تكررت فيها كلمة «أحسن» بصيغة أفعل التفضيل: ٥٩، ٨٦، ١٢٥، وثلاث مرات لكل من السور: النحل، الإسراء، العنكبوت، الزمر، ي) هي إحدى السور الثلاث التي تكرر فيها المصدر «إحسان»: ٣٦، ٦٢، وفي البقرة: ٨٣و ١٧٨، ٢٢٩، والرحمن: ٦٠ (مرتين)، ك) هي الوحيدة التي تكرر فيها الفعل «تعدلوا»: ٣، ١٢٩(عن النساء)، ١٣٥ (عن المجتمع)، كما أن قوله (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل): ٥٨ لم يتكرر بالصيغة ذاتها، وقريب منه في سورة الشورى: ١٥، ثالثاً: ومنها أمور تحذر من العدو الداخلي والخارجي: فقوله (والله أعلم بأعدائكم):٤٥، لم يتكرر بذات الصيغة، وكذلك قوله (إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً): ١٠١، وقوله (إن الله جامع الكافرين والمنافقين في جهنم جميعاً): ١٤٠، وقوله (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً): ١٤١. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

ثم أمرت المقدمة بحفظ حقوق السفهاء كونهم فئة مستضعفة لخفة عقولهم، وأمرت بإيتاء اليتيم ماله بمجرد إيناس الرشد منه، وأمرت بالإحسان لمن يحضر قسمة مال المتوفَّى من أولي القربى واليتامى والمساكين، وحذرت من الإساءة وعدم الالتزام بالإحسان والعدل، مذكرة بخوف الإنسان على ذريته الضعيفة بعد موته.

فالمقدمة كما ترى تدعو إلى الإحسان والعدل بشكل موجز قبل التفصيل، مع التركيز على النساء كونهن أضعف فئات المجتمع.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى التفصيل في عرض بعض الأحكام المتعلقة بالنساء، وكلها أحكام تدعو إلى الإحسان والعدل، وقد ابتدأ السياق بالأحكام المالية الخاصة بهن، لكونها أكثر الحقوق عرضة للإساءة والحرمان، ففصل السياق في موضوع الميراث، وحدد أصحاب الفروض من الرجال والنساء بقدر لا مجال للزيادة أو النقصان فيه، وراعى في ذلك مختلف الحالات كموت الزوج أو الزوجة أو الأب... وختم ذلك بقوله محذراً من الإساءة: ﮋﯣ ﯤ ﯥﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱﯲ ﯳ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﮊ.

ثم انتقل السياق إلى بيان الأحكام الاجتماعية المتعلقة بعلاقة الرجال مع النساء، فحذرت من الفاحشة وأمرت بحبس من تثبت عليهن الفاحشة بالبيوت، وأمرت بإيذاء اللذَيْن يأتيانها من الرجال. وعقبت ذلك بالحث على المسارعة إلى التوبة.

وأمر السياق بالإحسان والعدل إلى النساء في المعاشرة بالمعروف، حتى لو كرههن الرجال، فعسى أن يكره الرجال شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، وبينت للرجال عدم جواز أخذ شيء من المهر بعد الطلاق، وحرمت عليهم ما نكح آباؤهم من قبل، وفصلت في بيان المحرمات من النساء على الرجال، وبيّن أن الرجال قوامون على النساء بما فضلهم الله من قوة الجسم والقدرة على مشاق العمل ولإنفاقهم عليهن، وبيّن حكم المرأة الناشز وأمر زوجها بالوعظ ثم الهجر في المضجع ثم الضرب دون أن يبغي عليها سبيلاً، فإن الله كان علياً كبيراً، وإن لم يجد ذلك نفعاً فيُلجأ للتحكيم. ومن اللافت أن السياق حذر من الأعداء الذين يحسدون المجتمع المؤمن على ما حظوا به من الهدى الرباني: ﮋ ﯻ ﯼ ﯽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﮊ. وهذا يؤكد المحور المذكور.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى الدعوة لتحقيق الإحسان والعدل في المجتمع الإيماني، لاسيما في الفئات المستضعفة فيه ومنها النساء، مع التحذير من المنافقين وهم العدو الداخلي، وأهل الكتاب والمشركين وهم العدو الخارجي، وبيان حقدهم على الهدى الرباني الذي حظي به المؤمنون: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ، والأمر بالتوحيد هو رأس الدين، ولاحظ الأمر بالإحسان للوالدين وذوي القربى وغيرهم مما يحقق التكافل الاجتماعي.

ثم حذر السياق من البخل والبخلاء، ومن الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وهؤلاء هم المنافقون، وقد بين السياق مصيرهم إذ سيودون يوم القيامة لو

تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً، وقد أمر السياق المؤمنين بالإحسان في أداء العبادة، فنهتهم عن الصلاة وهم سكارى ـ قبل تحريم الخمر ـ وأمرهم بالاغتسال من الجنابة، وبين حكم التيمم.

ثم انتقل السياق إلى التحذير من العدو الخارجي الحاقد الحاسد: ژ □ □ □ □ □ ى ى ی ی □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀژ، فهم يحسدوننا على ما من الله علينا من الإحسان والعدل، وقد بين السياق أنهم كانوا قد أمروا بذلك ولكنهم حرفوا الكلم عن مواضعه، حتى استحقوا اللعن من الله.

ثم عاد السياق إلى أمر المؤمنين بالإحسان والعدل، فأمرهم بأداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالعدل، وانظر هذه الآية: ژ □ □ □ □ □ □ □ ى ى یی □ ژ، فطاعة أولي الأمر إذا أمروا بالمعروف أبرز مظاهر الإحسان والعدل.

ومن الآيات المحذرة من المنافقين قوله تعالى: ژ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ و و ۋ ۋ ې ې ٻ ٻ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وإنما أمروا بتحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه حكماً بالإحسان والعدل.

ثم انتقل السياق إلى بيان بعض أحكام القتال، وهي أحكام متعلقة بالإحسان والعدل أيضاً: ژ □ ى ى ی ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ، فعلى المؤمن أن يقاتل لنصرة المستضعفين من إخوته المؤمنين رجالاً ونساءً، وقد حذر السياق من المنافقين المتقاعسين عن القتال والمتنصلين منه والمخالفين لأحكام الله فيه، ومن الأحكام التي فصل فيها السياق حكم المعاهدين وأصحاب الهدنة، فقد أمر السياق بعدم قتالهم طالما حفظوا عهودهم، وهذا من الإحسان والعدل حتى مع الأعداء.

وبمناسبة الحديث عن القتال، بين السياق حكم من يقتل أخاه المؤمن متعمداً، فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وبين السياق حكم القاتل أخاه المؤمن خطأً، وحرم السياق على المقاتلين قتل من يلقي السلام من الناس دون بينة، وانظر هذه الآيات: ژ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ، فأي حكم أحسن وأعدل من حكم الله؟ وقد فصل السياق في حكم صلاة الخوف، وهذا من باب الأمر بالإحسان في العبادة.

وقد حذر السياق من مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين الهدى، وحذر من اتباع سبيل غير المؤمنين، وبين أنه تعالى لا يغفر لمن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وحذر من الشيطان المريد الذي توعد بني آدم بالإغواء والإضلال، وبذلك يبرز الفرق بين أولياء الرحمن الآمر بالعدل والإحسان، وأولياء الشيطان الصاد عن سبيل الله، ولكي يكتمل الترغيب والترهيب، عرض السياق مصير الفريقين يوم القيامة.

كان هذا فيما يتعلق بأحكام المجتمع بمختلف فئاته، مع الأمر بالحفاظ على المجتمع من العدو الخارجي الحاقد، ثم عاد السياق إلى التفصيل ببعض أحكام النساء كونهن أكثر فئات

المجتمع استضعافاً، فقد حذر السياق من حرمان يتامى النساء من حقوقهن، وأمر بالإحسان للمستضعفين من الولدان والقسط لليتامى، وبين أنه لا جناح على المرأة أن تصلح بينها وبين زوجها أن خافت منه نشوزاً أو إعراضاً، وأمر الرجال بالعدل بين الأزواج قدر المستطاع، ويلاحظ كثرة الدعوة إلى تقوى الله، للتحذير من الإساءة للمستضعفين من النساء واليتامى.

وقبل الانتقال إلى الخاتمة أعاد السياق التحذير من العدو الداخلي، وبين السياق أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم، وهم مذبذبون بين الإيمان والكفر، ثم حذر السياق من العدو الخارجي، فأمرت المؤمنين بعدم اتخاذ الكافرين أولياء، وبينت نكول أهل الكتاب عن الهدى الذي أنزل على موسى وعيسى عليهما السلام، فأخذوا الربا وقد نهوا عنه، وأكلوا أموال الناس بالباطل، وفي بيان ذلك دعوة للمجتمع المسلم إلى الالتزام بما أنزل على نبيهم صلى الله عليه وسلم من الهدى.

فهذا القسم الأكبر من السورة كما ترى يأمر المؤمنين بتحقيق الإحسان والعدل داخل المجتمع المؤمن لاسيما النساء، ويحذرهم من حقد وحسد أعدائهم في الداخل والخارج.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أمرت المؤمنين بالتزام الهدى الذي أنزل على نبيهم صلى الله عليه وسلم مع بيان أنه ذات الهدى المنزل على الأنبياء والرسل قبله، وحذرت من الكفر به أو الصد عنه: ﮋ ﭙ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ □ ﮊ.

وأعادت دعوة أهل الكتاب إلى الانتهاء عما حرفوه من الكتاب والغلو في الدين، وبينت مصير من التزم بما جاءه من هدى ربه ومن استنكفوا واستكبروا عنه: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ، وكما افتتحت السورة بدعوة الناس إلى تقوى الله والأمر بالإحسان والعدل للمستضعفين لاسيما النساء منهم، ختمت بدعوتهم إلى التزام البرهان والنور الذي جاءهم من الله، وبينت حكم الكلالة وما فيه من الإحسان والعدل سيما النساء: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ. وبذلك يلتقي البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الطلاق

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى بيانها لأحكام أهم الموضوعات المتعلقة بالأسرة، وهو الطلاق، فقد فصلت هذه السورة في بيان تلك الأحكام كالعدة والمسكن والنفقة والإرضاع، مع الأمر بالمعروف والتزام التقوى، فاسم السورة يعطي لهذا الموضوع أهمية عظمى ويدعو إلى التزام الأحكام الإلهية المتعلقة به، ويحذر من التلاعب بها فضلاً عن الإعراض عنها.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن محور هذه السورة هو بيان أحكام الطلاق وما يترتب عليه، وتهيئة النفوس لتقبل هذه الأحكام والامتثال لها، ومن اللافت للنظر أن الترغيب والترهيب والتعقيب على كل حكم مذكور في السورة، ووَصْل هذه الأحكام بقدر الله في السماوات والأرضين، وسننه في إهلاك العاتين عن أمره، والفرج والسعة لمن يتقونه، كل ذلك يطلعنا على خطورة هذا الموضوع وتوليته أهمية كبرى، لدرجة أن السورة افتتحت بنداء النبي صلى الله عليه وسلم قائد الأمة بشخصه لأهمية هذا الأمر [٣٣١].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الالتزام بتقوى الله فيما يتعلق بأحكام الطلاق، مع التحذير من الإعراض عنها ببيان مصير العاتين عن أمر ربهم، ولما كان تفصيل هذه السورة لأحكام الطلاق وبيان حكمة الله في شرعه دالاً على المحور المذكور، سميت السورة بالطلاق للدلالة على المحور كناية.

والمتأمل في موضوعي السورة يبرز له الترابط التام بينهما وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة لقسمين: أولهما بيان أحكام الطلاق مع الدعوة إلى التزام تقوى الله فيها، وثانيهما: بيان مصير العاتين عن أمر ربهم [٣٣٢].

أولاً: جاء في القسم الأول من السورة عرض لأحكام الطلاق مع الدعوة إلى التزام تقوى الله تعالى في تطبيقها: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ، ولاحظ افتتاح السورة بنداء النبي صلى الله عليه وسلم قائد الأمة، ليدل ذلك على خطورة موضوع السورة وأهميته، ولاحظ عبارة (وتلك حدود الله) مع التحذير من تعديها.

وقد فصل السياق في بيان تلك الأحكام، فأمر الزوج بعد انتهاء العدة إما بالإمساك على مطلقته بالمعروف، أو تسريحها بإحسان، مع شهادة ذوي عدل، وقد بين أن من يتق الله يجعل له

---

(٣٣١) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ٣٤٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٢٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٣٥٩٣- ٣٥٩٨، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٨، ص ٢٩٣، ٢٩٤، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ٢١٣، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢٩٧- ٣٠٠.

(٣٣٢) بيان أحكام الطلاق شملته الآيات: ١- ٧، وبيان مصير العاتين: ٨- ١٢، ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وكلها تدعو إلى التزام أحكام الله مع التحذير من تركها: أ) فقد تكررت فيها مشتقات الجذر «وقى» خمس مرات، وإليك التفصيل: هي أكثر سورة تكرر فيها الشرط «ومن يتق الله ..»: (يجعل له مخرجاً): ٢، (يجعل له من أمره يسراً): ٤، (يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً): ٥، وكلها عبارات لم تتكرر بالصيغ ذاتها، وقوله (فاتقوا الله ربكم): ١، لم يتكرر بذات الصيغة، وقوله (فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا): ١٠، كذلك الأمر، وقريب منه في سورة المائدة: ١٠٠، بدون (الذين آمنوا)، ب) لم يذكر الفعل «يتعدَّ» إلا هنا:١، مع سورتي البقرة: ٢٢٩، والنساء: ١٤، ج) لم تتكرر عبارة «حدود الله» إلا هنا: ١ (مرتين)، وفي سورة البقرة سبع مرات، د) لم يتكرر الجذر «يسر» إلا هنا:٤ (يجعل له من أمره يسراً)، ٧ (سيجعل الله من بعد عسر يسراً)، وفي سورة الشرح: ٥، ٦، بينما الجذر «عسر» فلم يتكرر إلا هنا: ٦ (وإن تعاسرتم)، ٧، وفي سورة البقرة: ١٨٥، ٢٨٠، والشرح: ٥، ٦، هـ) قوله عن ثواب المؤمن الملتزم بحكم الله (قد أحسن الله له رزقاً) لم يذكر إلا هنا: ١١، وقريب منه في سورة الحج: ٥٨، وقوله (ويرزقه من حيث لا يحتسب) لم يذكر إلا هنا بهذه الصيغة: ٣، وكذلك قوله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه): ٣، لم يتكرر، وكذلك قوله (إن الله بالغ أمره): ٣، وقوله (قد جعل الله لكل شيء قدراً): ٣، وقوله (قد أحاط الله بكل شيء علماً): ١٢، لم يتكرر بهذه الصيغة، وقوله (يتنزل الأمر بينهن): ١٢، لم يتكرر، وكذلك قوله عن العاتين عن أمر الله (وعذبناها عذاباً نكراً): ٨، وقريب منه في سورة الكهف (فيعذبه عذاباً نكراً): ٨٧. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

مخرجاً، وهذا خير عزاء للحالة النفسية البئيسة لكلا الزوجين حالة حصول الطلاق، وقد بين السياق أيضاً أن من يتق الله يرزقه من حيث لا يحتسب، وذلك لأن الزوج مكلف بالإنفاق على زوجه في فترة العدة، وأعتقد أنه يمكن أن تكون الإشارة إلى الرزق تعود إلى أن الله قد يبدل الزوج زوجة أفضل من المطلقة، أو يبدل المطلقة زوجاً أفضل من مُطلِّقها. فالدعوة إلى التزام التقوى تشمل الرجال والنساء.

ثم فصل السياق في فترة العدة لدى النساء اللواتي يئسن من المحيض، والنساء الصغار اللواتي لم يحضن بعد، فعدتهن ثلاثة أشهر، وقد بين السياق أن من يتق الله يجعل له من أمره يسراً، ولعل في ذلك إشارة إلى تعويض المطلقات بأزواج أفضل، أو تعويض الأزواج بزوجات أفضل. ولاحظ الدعوة إلى التزام أحكام الله في قوله: ژ □ ى ى □ يې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ ذكر لفظ الجلالة، لإفاضة الهيبة على السياق، فإن منزل هذه الأحكام هو الله الخالق الحكيم، وسيعظم الأجر لمن يطيعه ويتقيه.

ثم فصل السياق في حكم السكنى، فأمر بإسكان المطلقة على حسب القدرة دون ضرر ولا تضييق عليهن، وأمر الأزواج بالنفقة على المطلقات ذوات الأحمال حتى يضعن حملهن، وإيتاء المرضعات منهن أجورهن، وأمر الطرفين بالتزام المعروف. وبين أن الله سيجعل من بعد عسر يسراً، وهي عبارة لا يخفى ما فيها من دلالات تجبر خاطر الطرفين لما لحقه من أذى نفسي نتيجة الطلاق، سيما وفي حالة وجود أطفال منهما.

ثانياً: وبعد بيان تلك الأحكام والدعوة بالتزام تقوى الله في تطبيقها، انتقل السياق إلى بيان مصير العاتين عن أمر الله، وفي ذلك أبلغ تحذير للمؤمنين من التلاعب بأحكام الطلاق فضلاً عن الإعراض عنها: ژ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ، ولاحظ التعقيب بالدعوة إلى التزام تقوى الله وربط ذلك بـ «أولى الألباب» و «الذين آمنوا»، ليكون ذلك أدعى إلى الالتزام، وقد بين السياق أن من يلتزم بأحكام الله التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم سيدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار خالداً فيها، قد أحسن الله له رزقاً، وفي ذلك دعوة إلى التزام أحكام النفقة كما سبق.

وكما افتتحت السورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالتزام تقوى الله في تطبيق أحكام الطلاق، ختمت ببيان مظاهر كمال قدرته تعالى وشمول علمه، ليكون ذلك أدعى إلى التزام الأحكام الواردة في السورة: ژ □ ژ، وبذلك التقي البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الأنعام

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى حديثها عن بعض أحكام الله فيما يتعلق بالأنعام، وبيانها أن ما كان يدعيه الجاهليون من أحكام الأنعام إنما هو جهل محض قادهم إليه شِركهم بالله تعالى، ففي تسمية السورة بالأنعام إشارة إلى أن الله هو خالقها وهو الذي سخرها للإنسان، وبالتالي فهو وحده المشرع للأحكام المتعلقة بها، وأي تشريع من البشر فيها من دون الله إنما هو مظهر من مظاهر الشرك والجهل، لأنه اعتداء على حق الله في شرعه.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن السورة تعرض حقيقة التوحيد في مجال الكون وفطرة النفس البشرية ومشاهد القيامة، مما يثبت كمال القدرة وشمول العلم والتفرد بالخلق لله وحده، فالله هو الخالق الرازق المالك صاحب القدرة والحكم والقهر، والعليم بالغيب والأسرار، وهذه خصائص الألوهية التي لا ينازعه فيها أحد، وبذلك يعتبر الجاهليون بمزاولتهم التحليل والتحريم في الذبائح والأنعام من أهم القضايا التي تعالجها السورة، ولذلك سميت بهذا الاسم (٣٣٣).

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان دلالة الآيات الكونية والآيات القرآنية عل شمول علم الله تعالى وكمال قدرته، فله وحده الحكم والتشريع، ولما كان افتراء المشركين فيما يتعلق بأحكام الأنعام بأهوائهم وضلالهم أدل ما في السورة على إعراضهم عن آيات الله بنوعَيْها، سميت السورة بالأنعام للتأكيد على أن الحكم والتشريع من حق الخالق فقط. فاسم السورة يعبر عن المحور المذكور كناية.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى خمسة أقسام: أولها مقدمة تبين دلالة الآيات الكونية والقرآنية على تفرد الله بالألوهية، وثانيها: التفصيل في بيان دلالة الآيات بنوعيها على كمال قدرة الله وشمول علمه وتفرده بالحكم، وثالثها: عرض قصصي يؤكد تفرده تعالى بالألوهية والحكم، مع تعقيب ببيان موقف المكذبين، ورابعها: التفصيل في عرض افتراءاتهم بالهوى والضلال على أحكام الله وأهمها ما يتعلق بالأنعام، وخامسها:الخاتمة المؤكدة لما سبق (٣٣٤).

---

(٣٣٣) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ١، ٢٠٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٢، ٥٧٨، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٢، ١٠١٥- ١٠٢٩، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٧، ص ١٢٣- ١٢٧، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٢، ص ٣٩٦- ٣٩٩، وعمر، أحمد عطا، **تفسير سورة الأنعام**، ط ١، دار الفكر، عمّان، ٢٠٠٠. ص ٩- ١٤، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٦٩- ٧٨.

(٣٣٤) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ١٠، ودلالة الآيات القرآنية والكونية على الله: ١١- ٧٣، والعرض القصصي: ٧٤- ١١٧، وبيان افتراءاتهم: ١١٨- ١٥٤، والخاتمة: ١٥٥- ١٦٥. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أولاً: منها أمور متعلقة بالله تعالى تثبت تفرده بالألوهية والحكم والتشريع، أ) فهي الوحيدة التي اختصت بقوله (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور): ١، ب)

أولاً: جاء في مقدمة السورة إثبات أن الله تعالى وحده له الألوهية، وقد نطقت بذلك آياته الكونية والقرآنية: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ، ولاحظ بيان أن الكافرين يساوون مع الله آلهة أخرى بالعبادة مع كونه هو الخالق وحده، وفي ذلك إشارة إلى بيان أن افتراءهم عل أحكام الله ـ وأهمها في هذه السورة الأنعام ـ إنما هو صورة من صور الشرك، ولاحظ إعراضهم عن الآيات القرآنية بعد أن لم تكفهم الآيات الكونية.

وقد بينت المقدمة مدى تكذيبهم، إذ لو نزل عليهم القرآن على شكل كتاب من السماء ولمسوه بأيديهم، لقالوا هذا سحر مبين، ومن شبهاتهم أنهم طلبوا أن ينزل مع الرسول ملك يشهد له، وقد رد السياق عليهم بأن الملائكة إنما تنزل بأمر الله، وستُنْزل بهم العذاب أن أصروا على سخريتهم واستهزائهم.

فالمقدمة إذاً تثبت أن الله وحده له حق الألوهية، وبالتالي فله وحده حق الحكم في ما خلق، وليس للبشر أن يتدخلوا في ذلك من دونه.

ثم انتقل السياق بعد المقدمة الموجزة، إلى التفصيل في دلالة الآيات بنوعيها على تفرد الله تعالى بالألوهية والحكم ببيان كمال قدرته وشمول علمه، فأمرت السورة المكذبين بالسير في الأرض لينظروا عاقبة المكذبين قبلهم، وأمرتهم بالإجابة عمن له ما في السماوات والأرض، وبينت أن الله وحده هو الخالق والمالك، وله ما سكن في الليل والنهار، وانظر هذه الآية: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ، فهو وحده الخالق الرازق ولا ولي غيره.

هي وسورتا المائدة ويوسف فقط اللواتي تكرر فيهن المصدر «حكم» بدون إضافة لضمير: (إن الحكم إلا لله): ٥٧، (إلا له الحكم): ٦٢، (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة): ٨٩، والمائدة: ٤٣، ٥٠ (مرتين)، ويوسف: ٢٢، ٤٠، ٦٧، ج) تقدم في الحديث عن سورة النساء أنها مع سورة الأنعام أكثر سورتين تكرر فيهما الفعل «وصّى» المنسوب إلى الله، د) هي أكثر سورة تكرر فيها ذكر «الأجل» مع الفعل «قضى»: ٢ (مرتين)، ٦٠، هـ) هي الوحيدة التي تكررت فيها «الحُجَّة» المنسوبة لله: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه): ٨٣، (قل فلله الحجة البالغة): ١٤٩، ز) هي إحدى السور الأربع اللواتي تكرر فيهن المصدر «الغيب» بأكثر عدد: ٥٠، ٥٩، ٧٣، وباقي السور: هود، يوسف، سبأ، ثلاث مرات في كل منها، ح) هي الوحيدة التي فيها قوله عن إبراهيم عليه السلام: (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض): ٧٥، وهذه العبارة عن الله (قوله الحق): ٧٣ لم تتكرر، والوحيدة التي ذكر فيها الاسم الجليل «القاهر» بصيغة اسم الفاعل: ١٨، ٦١، والوحيدة التي فيها قوله (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم): ١٩، وكذلك قوله (ما فرطنا في الكتاب من شيء): ٣٨، وكذلك قوله (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين): ١٦٢، وهي الوحيدة التي فيها وصف الله بأنه (فالق الحب والنوى): ٩٥، وأنه (فالق الإصباح): ٩٦، إذ لم تذكر صيغة اسم الفاعل «فالق» في موضع آخر، ثانياً: ومنها أمور متعلقة بالكافرين تدل على إعراضهم عن آيات الله واتباعهم الهوى، أ) فهي أكثر سورة تكرر فيها الفعل الماضي «كذّب» دون إضافة لضمير: ٢١، ٦٦، ١٤٨، ١٥٧، ب) هي أكثر سورة تكرر فيها الفعل الماضي «افترى»: ٢١، ٩٣، ١٤٤، وأكثر سورة تكرر فيها الفعل المضارع «يفترون»: ٢٤، ١١٢، ١٣٧، ١٣٨، وهي الوحيدة التي ذكر فيها المصدر «افتراء»: ١٣٨، ١٤٠، ج) هي إحدى السور السبع التي تكرر فيها الفعل الماضي «ضلَّ»: ٢٤، ٩٤، وباقي السور: النساء، المائدة، يونس، النحل، الإسراء، النجم، د) قوله تعالى (قل لا اتبع أهواءكم قد ضللت إذاً): ٥٦، لم يتكرر بالصيغة ذاتها، وكذلك قوله (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا): ١٥٠، وقوله (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم): ١١٩، هـ) وقوله (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد): ١٩، لم يتكرر وكذلك قوله (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا): ١٥٠، و) هي الوحيدة التي تكرر فيها وصف الكفار بأنهم «يعدلون» بربهم: ١، ١٥٠، والوحيدة التي وصفتهم بأنهم «يصدفون» عن آياته: ٤٦، ١٥٧ (ثلاث مرات)، والوحيدة التي تكرر فيها الفعل المضارع «يستهزؤون»: ٥، ١٠. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس.**

وقد بينت السورة موقف المكذبين من آيات الله القرآنية: ژ ڑ ڑ   ک ک ک ک گ گ گ   گگ گ گ گ گ   گ ژ، وانظر قوله: ژ ۋ ې ې ېې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ ى ى ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ ژ، وقد عرضت مصير المكذبين يوم القيامة إذ سيندمون ويتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا ويكونوا من المؤمنين.

ومن الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى وشمول علمه والمهددة للمكذبين قوله تعالى: ژ ي ي ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ   گ گ گ گ   گ ژ، فكما أنه هو الخالق، فهو القادر على إنزال العذاب على المكذبين بآيات الله بنوعَيْها. ومن الآيات الدالة على علمه تعالى وقدرته بيان أنه عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، وبيان أنه الذي يتوفى الأنفس بالليل ويبعثها في النهار، وهو القاهر في عباده، فلا ولي لهم من دونه.

إن التفصيل في عرض دلالة الآيات على كمال قدرة الله وشمول علمه يؤكد تفرده تعالى بحق الألوهية والحاكمية، وفي ذلك أبلغ رد لما سيأتي من التفصيل في عرض افتراءاتهم على أحكام الله تعالى وأهمها ما يتعلق بالأنعام.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى عرض قصصي يؤكد تفرد الله تعالى بالألوهية والحكم، فعرض السياق قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، إذ كان العرب يزعمون أن انتماءهم الديني إليه، فجاءت هذه القصة لترد عليهم: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ   ي ي ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ، ولاحظ أن الله ملأ قلبه يقيناً بما أراه من الآيات الكونية، وأكرمه بآيات الوحي، وفي هذا توبيخ للمكذبين بهذه الآيات كما تقدم، ولاحظ استدراجه لعقول قومه ليسوقهم إلى التوحيد، فأبطل كون الكوكب إلهاً، وكذلك القمر، وكذلك الشمس، ثم صرخ فيهم مبيناً تبرأه مما يشركون، ووتوجيهه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً.

وقد بين السياق محاجة قومه له، وقد رد عليهم بأنه لا يخاف من آلهتهم لأنه لا تملك ضراً ولا نفعاً، بل هو يخاف خالقه فاطر السماوات والأرض، وختم السياق القصة ببيان ما أكرمه من الذرية الصالحة، إذ جعل منهم الأنبياء، ولاحظ بماذا ختمت قصته: ژ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ □ □ □   □ ژ، فقد أرسلهم الله بالآيات ليحكموا بين الناس بما أراد الله، ولاحظ تهديد الكافرين المعرضين عن الآيات، والذين يفترون عليه في أحكامه.

وانتقل السياق إلى الرد على أهل الكتاب، كونهم يخفون كثيراً مما أُنزل عليهم، ويغيرون أحكام الله وفق أهوائهم: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ پ   پ پ پ پ پ ي ي ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤڤ ڦ ڦ ڦ   ڄ   ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ژ. فهذا يؤكد أن الله وحده هو مرسل الرسل جميعاً، لبيان تفرده بالألوهية والحكم في خلقه.

وقد أعقب السياق هذا العرض القصصي بما يدل على ألوهيته وكمال قدرته وشمول علمه، ليوبخهم على شركهم، فبين أنه تعالى فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح، وهو الذي

جعل النجوم ليهتدي بها الناس، وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج به الجنات، ثم انظر ماذا كان موقفهم: ﮋ ﯜ ﯝ □ □ □ □ □ □□ □□ □ □ □ □ □ □ □
□□ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﮊ.

رابعاً: ثم انتقل السياق بعد تقرير أن الألوهية والحكم لله وحده، إلى التفصيل في افتراء المشركين على أحكام الله تعالى، وأهمها ما يتعلق بالأنعام: ﮋ □ □ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □
□ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ
ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﮊ، فقد ابتدأ السياق بتذكيرهم بأن الله هو الخالق الحكيم، وهو وحده المشرِّع، ولاحظ بيان أن افتراء المشركين على أحكامه تعالى إنما هو ضلال وهوى وجهل واعتداء.

واللافت للنظر أنه في وسط الحديث عن أحكام الأنعام، عرض السياق مدى الغواية المشتركة بين الجن والإنس، فقد كانت الجن توحي للجن بوساوس الشرك والكفر، والإنس يطيعونهم، وهم بذلك خرجوا عن شرع الله حتى استحقوا العذاب: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ
ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
ﮊ، إن هذا العرض يضيف سبباً آخر لافتراء المشركين بالهوى والضلال على أحكام الله، وهو استجابتهم لوساوس الجن المغوية.

ثم عرض السياق بعضاً من مظاهر اعتداءاتهم على حكم الله بالباطل، فجعلوا لله نصيباً من الأنعام، ولشركائهم نصيباً آخر، وجعلوا بعض الأنعام حِجْراً لا يطعمها إلا مَن يشاءون، واحلوا لذكورهم ما في بطون الأنعام وحرموها على إناثهم، وإن كان ميتة فهم فيه سواء، وبعد هذا العرض انتقل السياق إلى رد أهوائهم وتقريعهم عليها، ببيان أن الله هو منشئ الجنات المعروشات وغير المعروشات، وهو منشئ الأشجار بمختلف الطعوم، وهو خالق الأنعام وجاعلها للناس حمولة وفرشاً، وأمرهم بأن يأكلوا مما رزقهم الله وأن لا يتبعوا خطوات الشيطان الذي يرسل جنوده لإغواء البشر كما تقدم.

وبين أن الله أحل من الأنعام ثمانية أزواج، اثنين من كلٍّ من الضأن والمعز والإبل والبقر، ثم سألهم ليسخر من جهلهم وليردعهم عن جهلهم: ﮋ... ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ (بعض الآية: ١٤٣)، ثم أمر السياق ببيان أن لا يجد فيما أوحي إليه من الخالق الحكيم سبحانه محرماً من الأنعام إلا ما كان ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير أو ما أُهلَّ لغير الله به، ولكي يكتمل الترهيب عرض السياق ما جوزي به اليهود حينما افتروا على أحكام الله تعالى، فقد حرم الله عليهم كل ذي ظفر، وحرم عليهم شحوم البقر والغنم إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، وبيّن أن ذلك إنما هو جزاء بغيهم على أحكام الله.

وبعد هذا التفصيل المتعلق بأحكام الأنعام، انتقل السياق إلى بيان ما أحله الله وحرمه من العقيدة والأحكام الاجتماعية، فأمر المؤمنين بعدم الشرك بالله شيئاً، وبالإحسان إلى الوالدين، وبعدم قتل الأولاد من الفقر، وعدم القرب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبعدم القرب من مال اليتيم، وإيفاء الكيل والميزان بالقسط، واتباع صراط الله المستقيم، وعدم اتباع سبل الغواية فيضلوا عن صراطه.

إن هذا التفصيل كما لا يخفى يؤكد أن الله وحده هو الإله الخالق، وبالتالي فله وحده حق التشريع والحكم في كل ما يتعلق بحياة البشر الذين خلقهم الله، وأن أي تدخل من البشر في أحكام الله بغير إذنه إنما هو افتراء وجهل وضلال واعتداء، وموصل في النهاية إلى أن يكون صورة من صور الشرك بالخالق الحكيم. ومن أجل ذلك سميت السورة بالأنعام لأنها تشير إلى مدى الجهل والضلال الذي كان عليه المشركون، وإلى مدى حكمة الله في تشريعه، وإلى اختصاصه وحده بحق الحكم لأنه وحده المختص بحق الألوهية.

خامساً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت الأمر بشرع الله وحده، وبيان أن ما سواه ضلال: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ.

وأعادت التذكير بالإيمان بآيات الله القرآنية، وعدم الإعراض عنها كما أعرض السابقون: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﮊ.

وببيان أن دين النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو دين إبراهيم عليه السلام من قبل، وهو الذين القائم على توحيد الله في العبادة والتوجه إليه بما خلق من الذبائح: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ.

وكما افتتحت السور ببيان دلالة الآيات الكونية والقرآنية على تفرد الله بالألوهية والحكم، ختمت ببيان أنه وحده الخالق للبشر والمدبر لشؤون حياتهم، مع الترغيب باتباع حكمه والترهيب من الإعراض عنه: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ ، وبذلك التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الحج

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بأن يؤذن في الناس بالحج، ليكون الحج مظهراً من مظاهر العبادة الدالة على التوحيد، وإلى بيان منافع الحج وبعض أحكامه، وفي ذلك رد على المشركين الذين جعلوا المسجد الحرام مكاناً للشرك بدلاً من أن يكون مكاناً لعبادة الله وحده.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن موضوعات هذه السورة كلها هي موضوعات التوحيد الأساسية، كإثبات البعث، وإنكار الشرك وعرض مشاهد من يوم القيامة، وعرض بعض الآيات الكونية المبثوثة في الكون، وفي ذلك بيان لقدرة الله تعالى وحكمته في تشريعه، فشرعه الحج يحوي عدة معان منها: الإخلاص في القصد، والتعظيم والاستسلام لله، والمجاهدة لأداء المناسك، وهي معان بارزة في

موضوعات السورة، أكد ذلك ظل السورة وهو ظلال القوة والشدة والرهبة والعبر، لاستجاشة مشاعر الإيمان والتقوى والإخبات والاستسلام [٣٣٥].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان قدرته تعالى على البعث والخلق بالبراهين العقلية، وبيان مصير المؤمنين ومصير المجادلين في الله يوم القيامة، ولما كان الحج أبرز مظهر من مظاهر التوحيد في الأرض، وأكثرها مشابهة للبعث يوم القيامة، سميت السورة به للدلالة على المحور المذكور كناية. ولعل ذلك يطلعنا على سر اختصاصها بسجدتين.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

من الممكن أن تقسم السورة إلى خمسة أقسام: أولها: مقدمة تعرض بعض أهوال يوم القيامة للدلالة على قدرته تعالى على البعث، وثانيها: بيان مصير المجادلين في الله والمشركين به ومصير المؤمنين يوم القيامة مع عرض الأدلة على الوحدانية، وثالثها: بيان اعتداء المشركين في المسجد الحرام إذ جعلوه مكانا للشرك بدلاً من التوحيد، ورابعها: الإذن للمؤمنين المقيمين دين الله بالقتال إزاء جرائم المشركين مع عرض أدلة كمال القدرة الإلهية، وخامسها: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٣٣٦].

أولاً: جاء في مقدمة السورة عرض لبعض مشاهد يوم القيامة لإثبات قدرته تعالى على البعث، وفي ذلك تهديد لمن يجادل في الله بغير علم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ

([٣٣٥]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ٤٠، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٥، ص ١٢٩، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ٢٤٠٦، ٢٤٠٧، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١٧، ١٧٩- ١٨٥، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٥، ص ٧٦، ٧٧، والغزالي، **نحوتفسير موضوعي**، ٢٥٩، ٢٦٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور**، ص ١٦١- ١٦٥.

([٣٣٦]) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٧، وبيان مصير المجادلين والمؤمنين: ٨- ٢٤، وبيان اعتداءات المشركين: ٢٥- ٣٧، والإذن بقتالهم: ٣٨- ٧٢، والخاتمة: ٧٣- ٧٨. وقد تميزت هذه السورة بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أولاً: منها أمور متعلقة بالله تعالى تثبت كمال قدرته على الخلق والبعث والأدلة العقلية على ذلك، أ) فقوله تعالى (إن زلزلة الساعة شيء عظيم): ١، ذكر هنا فقط، وكذلك قوله (وأن الله يبعث من في القبور): ٧، وقريب منه في سورة النحل: ٣٨، وقوله (إن كنتم في ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب): ٥، وقريب منه في سورة طه: ٥٥، ب) وكذلك وصف المضغة بـ (مخلقة وغير مخلقة): ٥، هنا فقط، ج) وكذلك قوله عن آلهتهم (لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له): ٧٣، د) قوله تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) ذكر هنا: ٦٢، وفي سورة لقمان: ٣٠ (وأن ما يدعون من دونه الباطل)، ولكن سورة الحج تميزت بقوله (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى): ٦، هـ) قوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) ذكر هنا فقط بهذه الصيغة: ١، وقريب منه في سورة الرعد: ١٥، والنحل: ٤٩، علماً بأن عبارة (ألم تر) ذكرت في ثلاث سور بأكبر عدد، الحج: ١٨، ٦٣، ٦٥، والبقرة، وإبراهيم، ثلاث مرات في كل منها، بينما في النساء ذكرت خمس مرات ولكنها كلها عن الحديث عن أهل الكتاب والكافرين، و) قوله (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون): ٤٧، لم يتكرر، ز) هي مع سورة يونس أكثر سورتين تكرر فيهما النداء (يا أيها الناس): ١، ٥، ٤٩، ٧٣، وفي سورة يونس: ٢٣، ٥٧، ١٠٤، ١٠٧، ح) بإمكانك أن تضيف أنها الوحيدة التي تكررت فيها كلمة «شعائر»: ٣٢، ٢٦، وهي أكثر سورة تكررت فيها مشتقات «نسك»: ٦٧ (مرتين)، ٣٤، وهما متعلقان باسم السورة كما لا يخفى، ثانياً: ومنها أمور متعلقة ببيان موقف المشركين المجادلين في الله تعالى: أ) فقوله (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) ذكر هنا: ٨، وفي سورة لقمان: ٢٠، بالصيغة ذاتها، ولكن سورة الحج تميزت بقوله (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد): ٣، علماً بأن عبارة «بغير علم» ذكرت في سورة الحج في الآيتين السابقتين، وفي سورة الأنعام: ١٠٠، ١١٩، ١٤٠، ١٤٤، وفي سورة لقمان: ٦، ٢٠، ولم تتكرر في سورة أخرى، ب) قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف): ١١، ذكر هنا فقط، ج) وكذلك قوله (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق): ٣١. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

ٹ ٺ ٻ ټ ٽ ٿ ٹ ٺ ٻ ٿ ٹ ٺ ٻ ٿ ٹ ٺ ٻ ٿ ٹ ٺ ڀ ڀ ٺ ٿ ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ چ ڇ ڈ ڈ ڈ ڈ ڌ ڌ ڎ ڌ ڌ ڎ ڈ ژ ژ، وأعتقد أن ذكر المرضعة والحامل فيه إشارة إلى قدرته على الخلق أيضاً، وأعتقد أيضاً أن ذكر الشيطان مناسب لاسم السورة، لما هو معروف من رجم الشيطان في الجمرات وهو فعل إبراهيم عليه السلام الذي سيأتي ذكره، كأن في ذلك إشارة إلى أنه ينبغي على الإنسان أن يرجم الشيطان لا أن يتولاه.

ثم بينت المقدمة قدرة الله تعالى على الخلق، إذ هو الذي خلق الناس من تراب، ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلق وغير مخلقة، فهو تعالى المبدئ كما أنه هو المعيد، ومن دلائل قدرته أنه أنزل من السماء ماءاً فتنبت به الأرض من كل زوج بهيج. فمقدمة السورة كما ترى تثبت قدرة الله على الخلق والبعث بالأدلة العقلية، وهذا متعلق بالحج كونه أبرز مظهرٍ على التوحيد، وأكثر مظهر مشابهة لبعث الخلق يوم القيامة.

ثانياً: وبعد عرض تلك الأدلة، انتقل السياق إلى عرض موقف الإنسان، فهو يجادل في الله خالقه، ويشرك معه غيره: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ژ، ولاحظ أن السياق ركز على العقوبة الأخروية، وفي ذلك زيادة تأكيد على القدرة على البعث والجزاء.

وبسبب وضوح دلائل قدرة الله تعالى على الخلق والبعث والجزاء في القرآن، وأبرزها ما جاء في هذه السورة، بينت هذه السورة لطوائف البشر جميعها قدرة الله تعالى على حسابهم جميعاً يوم القيامة: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ژ.

وانظر قوله تعالى الداعي إلى التوحيد: ژ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ.

ثم فصل السياق في عرض مصير الكافرين بربهم يوم القيامة بصورة مفزعة، إذ سيصب فوق رؤوسهم الحميم، فيصهر به ما في بطونهم وجلودهم، ولهم مقامع من حديد، وفوق ذلك كله يزجرون بقول الملائكة لهم: (وذوقوا عذاب الحريق). وأما المؤمنون ففي الجنات يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير، فهذه أنعم صورة في مقابل أبأس صورة للكافرين. ولا يخفى أن التفصيل في عرض مصير الفريقين دال على قدرته تعالى على البعث والجزاء.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى عرض اعتداءات المشركين في المسجد الحرام، فهم جعلوه أبرز مكان للشرك في الأرض، والله يريد بحكمته أن يجعله أبرز مكان للتوحيد في الأرض بفرض الحج كما أراد الله له حينما أمر إبراهيم عليه السلام: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ، ثم فصل

السياق في عرض منافع الحج، وبيان بعض أحكامه، وأمر بتعظيم شعائر الله ونبذ الشرك: ﮋ ﮃ
ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﮊ
.

وأعتقد أن بيان مجيء الناس من كل فج عميق يؤكد مشابهة الحج للبعث يوم القيامة، ولذلك اختصت السورة بهذا الاسم، ثم إن في تسميتها بالحج في أبلغ زجر للمشركين الذين جعلوا المسجد الحرام مكاناً للشرك، والله يريد أن يجعله أبرز مكان للتوحيد بفريضة الحج كما تقدم، فاسم السورة جمع الدلالة على الأمرين: التوحيد والبعث.

رابعاً: وبمناسبة الحديث عن اعتداء المشركين في المسجد الحرام، انتقل السياق إلى الإذن للمؤمنين المقيمين دين الله بقتال مَن كان يعتدي عليهم في ذلك المسجد: ﮋ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮊ، وقد بين السياق أن سبب الإذن لهم لأنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، وهذا مرتبط بما تقدم، إذ لم يكتف المشركون بجعل البيت الحرام مكاناً للشرك، بل منعوا أهل التوحيد من إقامة دين الله فيه، ولاحظ وعدهم بالنصر، لأنهم إذا مُكِّن لهم في الأرض سيقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهذا هو دين التوحيد.

وكما حذرت المقدمة من اتباع الشيطان بغير هدى ولا كتاب منير، أعاد السياق هنا التحذير منه مرة أخرى، فما من نبي إلا ويتمنى هداية قومه، ويحاول الشيطان أن يلقي في عقول المدعوين وساوسه، فيحكم الله آياته في عقول المؤمنين ويبطل الله منها وساوس الشيطان فيزدادوا إيماناً، ويجعل الله وساوس الشيطان فتنة في عقول الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم فيزدادوا كفراً [٣٣٧]. والتحذير من الشيطان مناسب لاسم السورة من حيث أن الشيطان يرجم في الحج كما تقدم.

ولكي يؤكد السياق قدرة الله تعالى على نصرة المؤمنين المستضعفين، عرض بعض مظاهر كمال قدرته تعالى في كونه: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ.

خامساً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد بينت قدرة الله وحده على الخلق كما بينت المقدمة قدرته وحده على البعث، وفي ذلك دعوة إلى التوحيد: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﮊ.

وأعادت تهديد المشركين، وأمرت المؤمنين بعبادة الله وحده وإقامة شعائر دينه: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ.

---

(٣٣٧) هذا خلاصة تفسير د. أحمد نوفل لهذه الآية، وقد أشار إلى علاقتها بذكر الشيطان في مقدمة السورة، ينظر للزيادة: **قراءة في آية: إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته**، ط ١، دار الفضيلة، عمّان، ٢٠٠٧. ص ١٥٠- ١٦٢.

وكما افتتحت السورة بذكر الأدلة على قدرته تعالى على الخلق والبعث، الذي أكثر ما يكون مشابهة لفريضة الحج، ختمت بدعوة المؤمنين إلى الجهاد دفاعاً عن دين الله مع بيان أن دينَهم ـ دينَ التوحيد ـ هو دينُ أبيهم إبراهيم عليه السلام من قبل، الذي أمره الله بأن يؤذن في الناس بالحج: ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ، وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة كناية، كون الحج أبرز مظاهر التوحيد وأشبهها بالبعث.

سورة السجدة

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى بيانها موقف المؤمنين بآيات الله، فهم إذا ذُكِّروا بها خرّوا سجداً، وسبحوا بحمد ربهم، وهم لا يستكبرون عن الإيمان، وهو أيضاً تتجافى جنوبهم عن المضاجع داعين ربهم خوفاً من عقابه، وطمعاً في رحمته، فاسم السورة يشير إلى أن سجودهم علامة إيمانهم بربهم وخوفهم من يوم القيامة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن السورة تخاطب القلب البشري لتقرير عقيدة الدينونة لله الأحد الصمد، خالق الكون والناس ومدبر السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما، والتصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم والاعتقاد بالبعث والجزاء، فهي تقدم براهين على هذه العقيدة من مشاهد الكون، ومن نشأة الإنسان، ومشاهد يوم القيامة، وبيان جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين، فاسم السورة الذي هو دليل الإيمان بعظمة الله والخضوع له، والطمع في ثوابه وحسن جزائه، يدل على تكريم المؤمنين بتلك العقيدة التي تقررها السورة (٣٣٨).

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال بيان بعض مظاهر كمال قدرة الله وأهمها البعث والحساب والجزاء، ولما كان سجود المؤمنين بآيات ربهم لله دليلاً على إيمانهم به وخوفهم من عذابه يوم القيامة وطمعهم في رحمته، سميت السورة بالسجدة للدلالة على المحور المذكور كناية وللترغيب فيه.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، فيما يلي بيان ذلك:

---

(٣٣٨) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ١٤٩، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ٤٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٨٠٢، ٢٨٠٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٦، ص ٤٩، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢٢٤- ٢٢٩.

تقسم السورة إلى ثلاثة موضوعات: مقدمة تؤكد على أن الله الخالق المدبر العليم هو الذي أنزل الكتاب على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم عرض لموقف الكافرين بقدرة الله على البعث، وموقف المؤمنين بذلك، وبيان مصير الفريقين يوم القيامة، ثم خاتمة مؤكدة لما سبق [٣٣٩].

أولاً: جاء في مقدمة السورة بيان أن الله هو الخالق العليم المدبر لشؤون السماوات والأرض، وهو الذي أنزل الكتاب على نبيه صلى الله عليه وسلم ليدعو إلى الإيمان: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮊ، فبعد هذا التعريف بالخالق، ينبغي على الإنسان الإيمان به واتباع الحق الذي أُنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، والسجود لعظمته تعالى خوفاً وطمعاً.

وقد فصلت المقدمة أيضاً في بيان مظاهر أخرى لعظمة الله تعالى، فهو عالم الغيب والشهادة، وقد أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، وكما هو قادر على خلقه أول مرة، فهو قادر على بعثه بعد أن يتوفاه ملك الموت الموكل به.

ثانياً: وبعد هذا التعريف بالخالق القادر، انتقل السياق إلى عرض موقف الكافرين بقدرة الله تعالى، والتي أبرزها القدرة على البعث: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯾ ﯿ ﯼ ﯽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﮊ، فهؤلاء الكافرون لعدم إيمانهم بكمال قدرة الخالق العظيم، يمتنعون عن الإيمان به والسجود لعظمته، وقد عرض السياق مصيرهم يوم القيامة ليؤكد كمال قدرته تعالى على البعث والجزاء: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ.

ولكي يجتمع الترغيب مع الترهيب، عرض السياق موقف المؤمنين بالله تعالى وبآياته، وبين مصيرهم يوم القيامة: ﮋﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮊ. فسجودهم لخالقهم دليل إيمانهم بكمال قدرته، ولذلك هم يدعونه خوفاً من عقابه، وطمعاً في رحمته يوم القيامة، ولا يستكبرون عن السجود والإيمان له تعالى كما يستكبر المكذبون، ولعل هذا يطلعنا على شيء من حكمة اختيار اسم السورة، وقد سميت بالسجدة بدلاً من السجود، وكأنها تدل على

---

(٣٣٩) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١- ٩، وعرض موقف الكافرين والمؤمنين: ١٠- ٢٥، والخاتمة: ٢٦- ٣٠. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وكلها أمور تؤكد كمال قدرته على الخلق والبعث والحساب بعد الإنذار: أ) فقوله (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين): ٢، لم يذكر بهذه الصيغة إلا هنا، وقريب منه في سورة الشعراء: ١٩٢، والواقعة: ٨٠، والحاقة: ٤٣، ب) هي إحدى السور الخمس اللواتي اشتركن في بيان أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام بعبارات متقاربة: السجدة: ٤، والأعراف: ٥٤، ويونس: ٣، والفرقان: ٥٩، وفصلت: ٩- ١٢، ج) قوله (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون): ٥، هنا فقط بهذا التفصيل، د) وقوله (الذي أحسن كل شيء خلقه): ٧، هنا فقط، وكذلك (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم): ١١، وكذلك وصف يوم القيامة بـ «يوم الفتح» المشير إلى زوال الحواجز فيه عن رؤية الحقائق التي تستوجب السجود لله: ٢٨، ٢٩و وقد أشار لذلك الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا ص: ٢٢٧، هـ) قوله تعالى عن المؤمنين (فلهم جنات المأوى): ١٩، هنا فقط بالجمع، وانظر بالإفراد في سورة النجم: ١٥، والنازعات: ٤١، و) وقد ذكر فيها «العذاب» مضافاً أربع مرات: (عذاب الخلد): ١٤، ولم يذكر في موضع آخر إلا في سورة يونس: ٥٢، و(عذاب النار): ٢٠، وقد ذكر في مواضع أخرى متعددة، و(العذاب الأدنى): ٢١، لم يذكر إلا هنا، و(العذاب الأكبر): ٢١، ولم يذكر إلا هنا بهذه الصيغة، وقريب منه في سورة الزمر: ٢٦، والقلم: ٣٣. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

أن سجدة واحدة بقلب مخلص الإيمان بالخالق كافية لأن تكون علامة على الإيمان بكمال قدرة الخالق العظيم، والله أعلم.

وكما عرض السياق موقف المؤمنين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجزاءهم، عرضت موقف المؤمنين من أمة موسى عليه السلام وبينت جزاءهم أيضاً: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ، فيقينهم بآيات الله أهلهم لأن يكونوا أئمة يهدون بأمر الله لماصبروا، وذلك علامة إيمانهم، وبذلك يتأكد أن الخالق القادر هو مرسل الرسل جميعاً.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التذكير بعرض مظاهر دالة على كمال قدرة الله: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮌ.

وكما افتتحت السورة ببيان أن منزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم هو الله الخالق القادر، وأكدت ذلك بعرض مظاهر قدرته على الخلق والبعث، ختمت ببيان قدرة الله على البعث بعرض حسرة الكافرين في ذلك اليوم بسبب عدم إيمانهمو مع أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على الدعوة لأنه على الحق: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﮌ، وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور والذي دل عليه اسم السورة أبلغ الدلالة، كون السجدة علامة إيمان العبد بكمال قدرة خالقه، والخوف من عقابه والطمع في رحمته يوم القيامة.

سورة الشورى

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم هذه السورة إلى بيانها ما يجب أن يكون عليه أمر المؤمنين، إذ تصفهم بأن أمرهم شورى بينهم، فليس لأحدهم استبداد في الرأي، بل هم يتشاورون فيما يعترضهم من الظروف، ثم يختارون من الآراء ما فيه الخير والصلاح، فاسم السورة يدل على حكمة المشرِّع سبحانه الذي أمر المؤمنين بأن يكون أمرهم شورى بينهم.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن المحور الرئيس لها هو إثبات الوحي والرسالة، وباقي موضوعاتها مسوقة لتقوية هذا المحور، فوحدانية الخالق، ووحدانية الرازق، ووحدانية المتصرف، تؤكد وحدة الوحي، ووحدة المنهج، ووحدة قيادة البشرية في ظل تلك العقيدة، ولذلك فهي تأمر المؤمنين بالاجتماع على هذا الدين، الذي روح أمره الألفة بالمشاورة المقتضية لمساواة العباد في الأحكام وفي عبوديتهم للشارع سبحانه [٣٤٠].

---

(٣٤٠) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٦، ص ٥٩٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٣١٣٧- ٣١٣٩، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٥، ص ٢٤، ٢٥، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٧، ص ٦٢. والغزالي، **نحو**

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى الإيمان والاستجابة لشرع الله تعالى، من خلال بيان بعض مظاهر حكمته الله تعالى في شرعه وفي خلقه، ولما كانت الشورى هي أدل ما في السورة على حكمة الله في شرعه، وهي أكثر موضوعاتها تعلقاً بحياة المؤمنين، سميت السورة بها للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى أربعة أقسام: أولها: عرض لبعض مظاهر حكمة الله تعالى في شرعه وفي خلقه، وثانيها: عرض لبعض مظاهر حكمته تعالى في شرعه، وثالثها: عرض لبعض مظاهر حكمته في خلقه، مع الدعوة إلى الالتزام بشرعه الحكيم، ورابعها: الخاتمة المؤكدة لما سبق [٣٤١].

أولاً: جاء في مقدمة السور عرض موجز لبعض مظاهر حكمة الله تعالى في شرعه: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ ڈ ڈ ژ، فخالق السماوات والأرض ومدبر أمرها وحافظها من التفطر، وهو الذي أوحى إليك وإلى الرسل من قبلك بالحكمة، وبذلك تجتمع آيات الوحي والآيات الكونية على الدلالة على حكمة الخالق سبحانه،فلا يجوز اتخاذ غيره ولياً.

وقد بينت المقدمة أن الخالق الحكيم هو الذي أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن العربي لينذر يوم الجمع، وليكون حكماً بين الناس: ژ □ □ □ □ □ □ □ □

تفسير موضوعي، ص ٣٧٤،والجابري، **أسماء السور لقرآنية**، ص ٥٤٩- ٥٥٣، وهي من السور التي لم يتناولها الباحثان عيسى وادي ومحمود مهنا بالدراسة.

([٣٤١]) مقدمة السورة شملتها الآيات:١- ١٢، وعرض مظاهر حكمته تعالى في شرعه: ١٣- ٢٦، وفي خلقه: ٢٧- ٤٦، والخاتمة: ٤٧- ٥٣. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أولاً: منها أمور تبين حكمة الله تعالى في شرعه والدعوة إلى التزامه، أ) فهي السورة الوحيدة التي تكرر فيها مشتقات الجذر «شرع»: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً): ١٣، و (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله): ٢١، ب) كثرت فيها مشتقات الجذر «وحي» وإليك التفصيل: قوله (كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم): ١، لم يتكرر، وكذلك (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء): ٥١، وهي مع سورة النساء أكثر سورتين تكرر فيهما الفعل الماضي «أوحينا» بصيغة الجمع: ٧، ١٣، ٥٢، وفي سورة النساء: ١٦٣ (٣ مرات)، ج) هي إحدى السور التي وصفت القرآن بأنه عربي، ولكنها تميزت بذكر الفعل «أوحينا» مع ذلك: (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيا): ٧، د) هي مع سورة النساء أكثر سورتين تكررت فيهما كلمة «ولي»: (والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير): ٨، (فالله هو الولي): ٩، (وهو الولي الحميد): ٢٨، (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير): ٣١، (فما له من ولي من بعده): ٤٤، وفي سورة النساء ست مرات: ٤٥، ٧٥، ٨٩، ١١٩، ١٢٣، ١٧٣، هـ) قوله (استجيبوا لربكم) هنا فقط بهذه الصيغة: ٤٧، وقريب منه في سورة الأنفال: ٢٤، وكذلك قوله (من بعد ما استجيب له): ١٦، وكذلك قوله (فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله): هنا فقط بهذه الصيغة: ١٠، وقوله (فلذلك فادع واستقم كما أمرت): ٢٥، وقريب منها في سورة هود: ١١٢، والنحل: ١٢٥، والحج: ٦٧، والقصص: ٨٧، وكذلك قوله (وأمرت لأعدل بينكم): ١٥، هنا فقط بهذه الصيغة، وقوله (الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان): ١٧، وقوله (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته): ٢٤، وقوله (ألا إلى الله تصير الأمور): ٥٣. و) وصف الظالمين بقوله (حجتهم داحضة عند ربهم): ١٦، كذلك لم يتكرر. ثانياً: ومنها أمور متعلقة ببيان مظاهر حكمته تعالى في خلقه: أ) فقد تكرر مشتقات الجذر «فطر» العائدة على الله فيها وسورتي الأنعام والروم فقط: ٥، ١١، والأنعام: ١٤، ٧٩، والروم: ٣٠ (مرتين)، ب) وقوله (له مقاليد السماوات والأرض): ذكر هنا: ١٢، وفي سورة الزمر: ٦٣، فقط، ومن اللطيف أن وصف يوم القيامة بـ «يوم الجمع» ذكر هنا: ٧، وفي سورة التغابن: ٩، فقط، وكذلك وصف مكة بـ «أم القرى» هنا: ٧، وفي سورة الأنعام: ٩٢، وهما عبارتان متفقتان مع اسم السورة من حيث دلالة الجمع فالشورى تجمع الناس. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**.

□□ □ □ □ □ ى ى ي ي ژ، وقد أكد ذلك ببيان أنه فاطر السماوات والأرض وبيده مقاليدهما، وهو بحكمته يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. فمقدمة السورة كما ترى تدعو إلى الاستجابة لشرع الخالق العظيم سبحانه، وأدل ما في السورة على حكمة شرعه الشورى كما سيأتي.

ثانياً: ثم انتقل السياق إلى التفصيل في عرض بعض مظاهر حكمته تعالى في شرعه الحكيم: ژ ڇ چ ڇ چ ڇ ڇ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژژ ژ ڑ ک ک ک ککگ گ گ گ ڳ ڳ ڳڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ، فمنزِل الوحي على الأنبياء والرسل واحد سبحانه، وأمر السياق النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من بعده بالتزامه شرع الله: ژ ې ې□ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ى ى ي ي□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □ □ □ ژ، ولاحظ بيان أن حكم الله يؤدي إلى العدل بين الناس.

وقد قرّع السياق المشركين الذين يتبعون أهواءهم، ويعرضون عن شرع الله الحكيم: ژ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﯓ ﯓ ۇ ۇ ۆۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ، ولاحظ أنه تعالى بحكمته لم يعجل إليهم عذابهم، بل أجلهم ليوم القيامة، ولكي لا يتطرق الشك لأحد في آيات الله، بين السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس له دور إلا التلقي عن الله ما يوحى إليه من الحكمة: ژ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڌ ڌ ڌ ڌڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژژ.

ثالثاً: ثم انتقل السياق إلى عرض بعض مظاهر حكمة الله تعالى في خلقه: ژ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﯓﯓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ژ، فتوزيع أرزاق العباد من أعجب دلائل حكمة الله تعالى، فهو ينزل الرزق بقدر ما يشاء ليحفظهم من البغي، وهو بحكمته ينزل الغيث متى شاء وأين شاء، ولاحظ بيان قدرته على جمع الخلق بعد بثهم في الأرض ليوم القيامة.

ومن الآيات التي ذكرها السياق أن الله تعالى بحكمته سخر البحر لتجري فيه الفُلك، ثم بين أنه قادر على حفظ سلامتهم فيصلوا بأمان، وقادر على إغراقهم جزاء ذنوبهم، وكله يعود لمقتضى حكمته، ثم بين السياق أن رأس الحكمة اتباع شرع الله الحكيم وإيثار الآخرة على متاع الدنيا: ژ ڇ چ ڇ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﯓ ﯓ ۇۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ، فهذه بعض مظاهر حكمة الله في شرعه، وأهمها الشورى لأنها تجمع المؤمنين على الحق والخير والصلاح، وهي غالباً ما تكون في القرارات المتعلقة بمصير الأمة، ولذلك سميت السورة بها لأنها متعلقة بالمؤمنين جميعاً، فينبغي تطبيقها للحفاظ على وحدة كلمتهم.

ولكي يكتمل عرض مظاهر حكمة الله، بين السياق مصير الظالمين المعرضين عن حكم الله يوم القيامة، وبين استهزاء المؤمنين بهم لأن الظالمين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وأعتقد أن ذكر خسارة الأهل متعلق باسم السورة، فكما كانت الشورى تجمع المؤمنين وأهليهم

في الدنيا على الحق، حتى سلموا يوم القيامة من العذاب، كذلك كان الظالمون وأهلوهم يعرضون عن تطبيق شرع الله وأهمه الشورى وتفرقوا عنه، فاستحقوا العذاب جميعاً يوم القيامة.

رابعاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت التذكير بأن الحكمة هي التزام شرع الله: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ.

وأعادت عرض بعض مظاهر حكمة الله في خلقه: ﮋ ...ﮊ.

وكما افتتحت السورة ببيان أن الله العزيز الحكيم هو من يوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الذين من قبله بالشرع الحكيم، ختمت أن الله بحكمته يختار من الرسل من يشاء، وببيان أن ما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو الحكمة، وكل الحكمة باتباعه: ﮋ ...ﮊ. وبذلك التقى البدء والختام على المحور المذكور الذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الصف

الدلالة السياقية لاسم السورة:

تعود الدلالة السياقية لاسم السورة إلى ندبها المؤمنين إلى أن يقاتلوا الأعداء صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وهي بذلك تشير إلى أن المؤمنين ينبغي أن تكون قلوبهم وعقولهم وتحركاتهم متحدة في الهدف المطلوب منهم في الحياة، وهو نصرة دين الله، ولا يمكن أن يكونوا صفاً في القتال إلا إذا كانوا صفاً واحداً في حياتهم الاجتماعية أيضاً.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن السورة تهدف لأمرين، أولهما: أن تقرر في ضمير المسلم أن دينه هو المنهج الإلهي للبشرية في صورته الأخيرة، والثاني مبني على الأول، وهو أن يكون شعور المؤمن بهذه العقيدة شعوراً يدفعه إلى صدق النية في الجهاد لإظهار دين الله على الدين كله كما أراد الله، وعدم التردد بين القول والفعل، فاسم السورة يشير إلى اتحاد القلوب والنيات في موالاة الله، ومعاداة مَن عاداه، بانضباطٍ ووحدة وتماسك، ولذلك بينت اختلاف بني إسرائيل على موسى وعيسى عليهما السلام عن نصرة دينهم وأنبيائهم (٣٤٢).

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى القتال في سبيل الله لتحقيق وعد الله بإظهار الدين على الدين كله، ولما كان القتال صفاً أدل

---

(٣٤٢) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص ٥٧٠- ٥٧٣، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ٣٥٥٠- ٣٥٥٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٨، ص ١٧٣، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٨، ص ١٢٣، ١٢٤، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ص ٢٨٥- ٢٨٧.

ما في السورة على وحدة القلوب والعقول والتحركات على هذا الهدف، سميت السورة به للدلالة على المحور المذكور كناية وللترغيب فيه.

والمتأمل في موضوعات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسم السورة إلى ثلاثة أقسام: أولها مقدمة تدعو إلى أن يطابق قول المؤمنين فعلَهم خاصة فيما يتعلق بالقتال، وثانيها بيان نكول بني إسرائيل عن نصرة دين الله لاختلافهم مع علمهم أنه الحق، وثالثها: الخاتمة المؤكدة لما سبق (٣٤٣).

أولاً: جاء في مقدمة السورة دعوة للمؤمنين إلى أن يوافق قولهم فعلهم، خاصة فيما يتعلق بالقتال كونه أكثر شيء يهابه الإنسان: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ، لاحظ الاسمين الجليلين «العزيز الحكيم» المناسبين لما تدعو إليه السورة من تحقيق عزة الإسلام، ولاحظ أن السورة تنهى عن أن يكون قول المؤمن مخالفاً لفعله، لأنه لا يمكن أن تتحقق الوحدة في القتال، إلا إذا تحقق الصدق في الأقوال والأفعال في الظروف الاعتيادية، ثم ستتحقق الوحدة في الظروف الصعبة كالقتال.

فالمقدمة تدعو المؤمنين إلى الاجتماع على وحدة الهدف في الأقوال والأفعال والنوايا، وأن يكون ذلك مبنياً على الصدق، فمتى ما تحقق ذلك، سيستحقون النصر الذي وعدهم الله به.

ثانياً: وبعدما أمرت المقدمة المؤمنين بوحدة الهدف، انتقل السياق إلى بيان تفرق بني إسرائيل على أنبيائهم، وابتدأ السياق بذكر اليهود: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ، فهم أعرضوا عن نبيهم، وآذوه وهم يعلمون أنه رسول الله إليهم، فكانت نتيجة زيغهم عن نبيهم وحكم الله الذي أنزله عليه، جوزوا بأن أزاغ الله قلوبهم فلا تجتمع كلمتهم على الحق أبداً.

ثم بين السياق موقف النصارى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ، فقد اختلفت كلمتهم في عيسى عليه السلام بعد رفعه مع علمهم بأنه رسول الله إليهم، وكفروا بما أخبره به من حقيقة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقالوا هذا سحر مبين، فهم أيضاً مختلفون زائغون عن الحق.

---

(٣٤٣) مقدمة السورة شملتها الآيات: ١-٤، وبيان نكول بني إسرائيل عن نصرة دين الله: ٥- ٩، والخاتمة: ١٠- ١٤. ومن لطائف هذه السورة أنها تميزت بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أولاً منها أمور متعلقة بالمؤمنين: أ) فقوله تعالى لهم (لم تقولون ما لا تفعلون) لم يذكر إلا هنا:٢، ٣، ب) وكذلك وصف قتالهم بقوله (صفاً كأنهم بنيان مرصوص): ٤، ج) وصف الجهاد بالتجارة لم يذكر إلا هنا: ١٠، ثانياً: ومنها أمور متعلقة بنكول بني إسرائيل مع علمهم بأن الدين حق: أ) فقول موسى عليه السلام لهم (وقد تعلمون أني رسول الله إليكم): ٥، لم يذكر إلا هنا، ب) وكذلك قول عيسى عليه السلام لقومه (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد): ٦، ج) أما قوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام): ٧، فلم يذكر إلا هنا بهذه الصيغة بذكر أل التعريف للكذب، وقد ذكر افتراء «الكذب» في سورة آل عمران عن بني إسرائيل بصيغة مشابهة: (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون): ٩٤، د) وقوله (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون): ٨، فلم يذكر إلا هنا، وقريب جداً منه في سورة التوبة: ٣٢، هـ) وقول عيسى عليه السلام مع جواب الحواريين (مَن أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) لم يذكر إلا هنا: ١٤، وفي سورة آل عمران: ٥٢، ولكن سورة الصف تميزت بدعوة المؤمنين بقوله (كونوا أنصار الله): ١٤، إذ لم يتكرر. ينظر للمراجعة: عبد الباقي، **المعجم المفهرس.**

إن عرض موقف أهل الكتاب السابقين وبيان زيغهم وضلالهم، فيه أبلغ تحذير للمؤمنين من أن يلحق بهم ما حاق بمن قبلهم إذا لم ينتهوا عن أن يخالف قولهم فعلهم، وإذا لم يكونوا كالصف متفقين على وحدة الهدف والنية.

ثم عرض السياق موقف المشركين: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ، فهم أيضاً مختلفون في الحق كارهون له، مع أن الأصل أن يجمعهم الحق على الخير والفلاح، لا أن يتفرقوا عنه، وبيان أن الله سيتم نوره بمثابة وعد للمؤمنين بنصر دينهم على الدين كله، بشرط أن يكونوا صفاً كالبنيان المرصوص.

ثالثاً: جاء في الخاتمة تأكيد لما سبق، فقد أعادت الحث على القتال في سبيل الله لنصرة دينه، مع بيان أن ذلك هو التجارة الرابحة عند الله: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ ﮊ.

وكما افتتحت السورة بدعوة المؤمنين إلى وحدة الهدف في النية والقول والفعل والاجتماع على نصرة دين الله، ختمت بحثهم على أن يكونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله من قبله، مع وعدهم بنصر الله وظهور دينهم على الدين كله متى ما حققوا وحدة الصف: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ، وبذلك التقى البدء والختام في هذه السورة على المحور المذكور، والذي دل عليه اسم السورة كناية أبلغ الدلالة.

سورة الإخلاص

الدلالة اللفظية لاسم السورة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله: « الخاء واللام والصاد: أصل واحد مطّرد وهو تنقية الشيء وتهذيبه »، وزاد الإمام الأصفهاني رحمه الله: « فإخلاص المسلمين: أنهم قد تبرؤوا مما يدّعيه اليهود من التشبيه، والنصارى من التثليث... فحقيقة الإخلاص: التبرِّي عن كل ما دون الله » (٣٤٤)، ولم يذكر اسم السورة داخلها، لكنه متعلق بما فيها من توحيد الألوهية والربوبية والتوجه إلى الله تعالى، من حيث أنها أمور مبنية على الإخلاص، فليس لها اعتبار عند الله إلا بالإخلاص، وكأن الدين كله ضُغط في هذه الكلمة.

أقوال بعض المفسرين والكاتبين في ربط اسم السورة بمحورها وموضوعاتها:

ذكر عدد من المفسرين والكاتبين أوجهاً لربط اسم هذه السورة بمحورها وموضوعاتها، فذكروا أن مقصود هذه السورة بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى

---

(٣٤٤) ابن فارس، **المقاييس**، ص ٣٢٧، والأصفهاني، **المفردات**، ٢٩٢. بتصرف.

الكمال، للدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص في التوحيد بإثبات الكمال، ونفي النقص عنه والاعتماد عليه في جميع الأحوال، وهذه هي الخطوط الرئيسية في حقيقة الإسلام الكبيرة [٣٤٥].

وما ذكره الأفاضل صحيح ولا ريب، ولكن الباحث يرى أن محور السورة هو: الدعوة إلى التوحيد من خلال نفي الشريك والمثيل عن الله تعالى، بإثبات أحديته في الألوهية والربوبية، ولما كان التوحيد قائماً على الإخلاص لله تعالى بالعبودية والتوجه، جُعل منه اسم للسورة للدلالة على المحور المذكور كناية.

والمتأمل في آيات السورة يبرز له الترابط التام بينها وبين المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، وفيما يلي بيان ذلك [٣٤٦]:

ژ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿژ، لاحظ ضمير الشأن «هو» الدال على مزيد التأكيد والتعظيم، وبيانُ أنه تعالى «أحد» دال على توحيد الألوهية، وقوله (الله الصمد) دال على توحيد الربوبية، فهو وحده الرب المتوجَّه إليه لقضاء الحوائج، وقد تقدم بيان أنه تعالى «لم يلد» على بيان أنه «لم يولد»، لزيادة النفي عما كان يعتقده العرب وغيرهم من وجود أبناء وبنات لله تعالى، ثم نفى عن ذاته الوالد للمبالغة في النفي وإن لم يقل بذلك أحد من البشر، وكما افتتحت السورة بإثبات الألوهية لله وحده، ختمت ببيان نفي وجود مثيل مشابه له تعالى في القدرة، وبذلك تكون هذه السورة دالة على التوحيد من كل النواحي، فالواجب على البشر بعد أن عرّفتهم هذه السورة بربهم أن يعبدوه وحده ويتوجهوا إليه وحده لقضاء حوائجهم، وهذان أمران مبنيان على الإخلاص لكي يستحق العبد الأجر من الله، ولذلك سميت السورة بالإخلاص للدلالة على المحور المذكور كناية.

والحمد لله في بدء وفي ختم

([٣٤٥]) ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن**، ج ٢، ص ٤١٧، والبقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٥٧٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦، ص ٤٠٠٢- ٤٠٠٥، وأ.د مسلم، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي**، م ٩، ص ٤٤٩، والغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، ٥٤٩، ٥٥٠، ووادي، ومهنا، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ٣٨٢- ٣٨٤.

([٣٤٦]) تميزت هذه السورة بعدد من الأمور تؤكد المحور المذكور ودلالة اسم السورة عليه، ومن ذلك: أ) منها ما يتعلق بتوحيد الألوهية: فقوله تعالى (قل هو الله أحد) لم يتكرر في القرآن، وكذلك قوله (لم يلد ولم يولد)، ب) ومنها ما يتعلق بتوحيد الربوبية بإخلاص التوجه له تعالى، فقوله (الله الصمد) لم يتكرر، ج) ومنها ما يتعلق بنفي المثيل عنه تعالى، فقوله (ولم يكن له كفواً أحد) لم يتكرر. وكلها أمور مبنية على الإخلاص كما لا يخفى.

الخاتمة والتوصيات

أحمد الله رب العالمين الذي أعانني على إتمام هذه الدراسة والتي خلصت إلى نتائج وتوصيات كثيرة، أهمها ما يلي:

ـ لقد لفت موضوع العلاقة بين أسماء السور وموضوعاتها أنظار عدد من المفسرين والكاتبين في علوم القرآن قديماً وحديثاً، مما يدل على أهمية هذا الموضوع.

ـ كان حديثهم عن هذا الموضوع منقسماً إلى ثلاثة أقسام: منهم من انطلق من مبدأ أن اسم السورة له علاقة مباشرة بمحورها، دون التطرق إلى بيان وجه العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها بشكل مستوفٍ، ومنهم من اقتصر على نظرة عجلى على السياق الذي جاء به اسم السورة، دون التطرق إلى بيان وجه العلاقة بينه وبين المحور أو الموضوعات، ومنهم من اعتمد على الدلالة اللغوية لاسم السورة أكثر من الاعتماد على الدلالة السياقية له، فكان حديثهم بحاجة إلى تعديل المسار ليصح الربط بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها.

ـ بناء عليه أثبتت هذه الدراسة وجوب الاعتماد على الدلالة السياقية لاسم السورة، وإردافها بالدلالة اللفظية له إن لزم الأمر، ثم التفكر في الربط بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها.

ـ ولقد أثبتت هذه الدراسة أيضاً بتناولها لجميع سور القرآن، أن لكل سورة محوراً يربط موضوعاتها، وأن موضوعاتها مترابطة مع بعضها أشد الترابط وكأنها عقد درٍّ منتظم. وهذا موضوع مازال حرياً بالدراسة.

ـ وأثبتت أن مقدمة السورة وخاتمتها تلتقيان على المحور الجامع لكل موضوعاتها، وأن الخاتمة في السورة تحوي خلاصة مؤكدة لموضوعات السورة، وأن اسم السورة أدل ما فيها على المحور من باب الكناية، ولذلك يمكن وصف اسم السورة بأنه: يمثل روحها العام، كما سمى أ.د إبراهيم خليفة بحثه عن سورتي النساء والنور.

ـ لا بد للوصول إلى معرفة المحور الجامع لموضوعات السورة من تتبع الألفاظ المتكررة بشكل لافت فيها، والألفاظ التي انفردت السورة المتناولَة بها، ثم محاولة الربط بينها وبين موضوعات السورة، حتى يصبح بالإمكان في النهاية صياغة محور السورة بشكل سليم مانع جامع. وهذا أيضاً موضوع حري بالدراسة.

ـ إن معرفة المحور الجامع لموضوعات السورة، ومعرفة وجه العلاقة بينه وبين اسمها، لـهو من أهم ما يساعد المفسر على تفسير السورة بشكل أدق وأصح، وتجنب الانحرافات التي تخرجه عن روح نص السورة.

ـ تشترك كثير من السور في المحور العام الذي يجمع موضوعاتها، ولكن لكل سورة أسلوبها الخاص في عرض موضوعاتها بما يتناسب مع هذا المحور، ومعرفة وجه العلاقة بين اسم السورة ومحورها يساعد في التمييز بين أساليب هذه السور المختلفة، والتي يجمها المحور الواحد. وهذا موضوع حري جداً بالدراسة.

ـ وكأمثلة على النقطة السابقة، تناولت هذه الدراسة بعض السور التي يجمعها محور إثبات حقيقة يوم القيامة، فتناولت سور (التكوير والانفطار والانشقاق)، وبينت جانباً من الأسلوب المميز لكل منها، والعلاقة بين اسمها وبين هذا الأسلوب. وبينت الدراسة ما يؤكد المحور المذكور لكل سورة من الألفاظ المتكررة فيها، والألفاظ التي انفردت كل واحدة منهما بذكرها.

ـ وتشترك كثير من السور التي تعود أسماؤها إلى موضوع معين مشترك في المحور الجامع لموضوعاتها، ولكن يبقى الأمر كذلك لكل سورة أسلوبها الخاص، ومعرفة العلاقة بين أسماء هذه السور وأسلوبها الخاص، يساعد في التمييز بين أساليب هذه السور المختلفة. وهذا موضوع حري جداً بالدراسة.

ـ وكأمثلة على النقطة السابقة، تناولت هذه الدراسة سورتي: (الحجر والكهف) فاسمهما يعود لموضوع القصص القرآني، ويجمعهما محور واحد، فالأولى محورها أن لا حفظ لمن نأى عن الله، والثانية أن من لجأ إلى الله فله كل الحفظ، وبينت الدراسة ما يؤكد المحور المذكور لكل سورة من الألفاظ المتكررة فيهما، والألفاظ التي انفردت كل واحدة منهما بذكرها، وبينت جوانب متعدد من أوجه الترابط والتناسق بين السورتين.

ـ وتناولت كذلك سورتي: (النمل وسبأ) فاسمهما أيضاً يعود إلى موضوع القصص، ويجمعهما محور واحد، فالأولى بيان ما يجب أن يكون عليه موقف الإنسان من آيات الله، فيكون مؤمناً شاكراً، والثانية بيان مصير من أعرض عن الإيمان بآيات الله والشكر له. وبينت الدراسة ما يؤكد المحور المذكور لكل منهما، والألفاظ التي انفردت كل واحدة منهما بذكرها، وبينت جوانب متعدد من أوجه الترابط والتناسق بين السورتين.

ـ وتناولت كذلك سورتي: (الأنفال والتوبة) فاسمهما يعود إلى أحداث السيرة النبوية، ويجمعهما محور واحد، فالأولى تدعو إلى عدم التلهي عن الجهاد في سبيل الله، والثانية تدعو إلى التوبة من الأخطاء التي حصلت في موضوع الجهاد، وبينت الدراسة ما يؤكد المحور المذكور لكل منهما، والألفاظ التي انفردت كل واحدة منهما بذكرها، وبينت جوانب متعدد من أوجه الترابط والتناسق بين السورتين.

كانت هذه أهم الخلاصات التي توصل إليها الباحث في هذه الدراسة، سائلاً المولى عز وجل التوفيق والسداد له ولجميع المسلمين.

هذا والله أعلم وعلمه أحكم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الآلوسي، محمود (ت ١٢٧٠ هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط ١، ١٦ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: ٤٢٥ هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط ٣، (تحقيق صفوان داوودي)، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢.

باجودة، د. حسن محمد، **الوحدة الموضوعية في سورة يوسف**، ط ١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٥.

باجودة، د. حسن، **تأملات في سورة الحاقة**، ب ط، دار بوسلامة، تونس، ١٩٨٢.

باجودة، د. حسن، **تأملات في سورة محمد** ٨، ب ط، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٩.

باجودة، د. حسن، **تأملات في سورة العاديات**، ب ط، دار بو سلامة، تونس، ١٩٨٢.

باجودة، د. حسن، **تأملات في سورة يس**، ط ٣، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧.

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦ هـ)، **الجامع المسند الصحيح**، ط ١، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٥.

البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥ هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط ٤، ٨ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١.

البهي، د. محمد، **تفسير سورة الصافات**، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١.

البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت: ٧٩١ هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، **جامع الترمذي**، ط ١، دار الأفكار، عمان، ٢٠٠٤.

الجابري، د. سيف راشد، **أسماء السور القرآنية دلالات وإشارات**، ط ٣، بدون دار نشر، ٢٠٠٣.

حجازي، د. محمد محمود، **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**، ط ١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠.

خاروف، محمد فهد، وراجح، كريّم، **الميسر في القراءات الأربع عشرة**، ط ٤، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٦.

الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، ط ١، دار عمار، عمّان، ٢٠٠٠.

الدبل، محمد بن سعد، **النظم القرآني في سورة الرعد**، ب ط، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨١

دراز، د.محمد عبد الله، **النبأ العظيم**، ب ط، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥.

الدوسري، د. منيرة محمد، **أسماء سور القرآن وفضائلها**، ط ١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٦ هـ.

الرازي، محمد بن عمر (ت: ٦٠٦ هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط ٣، ١٦ م، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥.

رجب، أ.د مصطفى، **فيض المنان في علوم القرآن**، ط ١، مؤسسة طيبة، القاهرة، ٢٠١٣.

رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، ١٢م، ط ١، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٧.

رفعت، د. محمد، **الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية**، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧.

زاهدة، عطية، **فواتح السور والحروف السبعة**، ب ط، ب دار نشر، ١٩٨٠.

الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان**، ط ٢، مجلد واحد، دار الكتب العلمية، بيروت.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، ب ط، مجلد واحد، (تحقيق أبي الفضل الدمياطي)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦.

الزمخشري، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ)، **تفسير الكشاف**، ط ٤، ٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦.

السامرائي، أ.د فاضل صالح، **التعبير القرآني**، ط ٤، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٦.

سبحاني، د. محمد عناية الله، **البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران**، ط ١، دار عمار، عمّان، ٢٠٠٥.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، ب ط، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

شحاتة، د. عبد الله، **أهداف كل سورة ومقاصدها**، ٥ م، ط ٤، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨.

الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، ب ط، ٣ م، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١.

الصواف، محمد محمود، **نظرات في سورة الحجرات**، ط ٤، دار الرسالة، بيروت.

طبّارة، عفيف، **تفسير جزء عم**، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ب ت.

الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط ٤، ١٠ م، (ت: أحمد البكري وزملائه) دار السلام، القاهرة.

طهماز، عبد الحميد، **من سورة الطور إلى سورة الناس**، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨.

طهماز، عبد الحميد، **العواصم من الفتن في سورة الكهف**، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧.

طهماز، عبد الحميد، **النبي ^ وأزواجه في سورة الأحزاب**، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ب ط، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧.

عباس، أ. د فضل حسن، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط٢، ٢م، دار النفائس، عمّان، ٢٠١٠.

عباس، أ.د فضل، **قصص القرآن الكريم**، ط ٢، دار النفائس، عمّان، ٢٠٠٧.

عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ب ط، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠١.

العريض، د. علي حسن، **فتح الرحمن في تفسير سورتي الفاتحة ولقمان**، ب ط، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٨١.

العسكري، الحسن بن عبد الله (ت: ٤٠٠ هـ)، **الفروق اللغوية**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩.

علي، د. عادل حسن، **الجمان في علوم القرآن**، ب ط، مكتبة المتنبي، الدمام، ٢٠٠٦.

عمر، أحمد عطا، **تفسير جزء قد سمع**، نُشر في عمّان بدون دار نشر، ٢٠٠٤.

عمر، أحمد عطا، **تفسير سورة الأنعام**، ط ١، دار الفكر، عمّان، ٢٠٠٠.

أبو عودة، أ.د عودة، **شواهد في الإعجاز القرآني**، ط١، دار عمار، عمّان، ١٩٩٨، ص ٩٢.

الغزالي، محمد، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، ط ١٣، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ)، **معجم المقاييس في اللغة**، ط ١، (تحقيق شهاب الدين أبو عمرو)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ م.

الفراهي، عبد الحميد، **دلائل النظام**، ب ط، الدائرة الحميدية، حيدر آباد، ١٣٨٨ هـ.

الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (ت 817 هـ)، **البيان بمقاصد القرآن**، ط ١، (تحقيق إسلام بن عيسى العبادي)، المكتب الإسلامي، عمان، ٢٠١٣.

قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ط ٣٤، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤.

قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**، ط ١١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط ٢، ٤ م، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٥.

المجالي، أ.د محمد خازر، **الوجيز في علوم الكتاب العزيز**، ط ٣، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ٢٠٠٦.

مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)، **المسند الصحيح**، ط١، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩.

مسلم، أ.د مصطفى، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ط ١، مطبعة المعارف، الشارقة، ٢٠١٠.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١١ هـ)، **لسان العرب**، ط ٤، ١٧ م، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥.

المهايمي، علي بن أحمد (ت: ٨٣٥ هـ)، **تبصير الرحمن وتيسير المنّان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن**، ط ٢، ٢ م، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

النابلسي، أ.د محمد راتب، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الإنسان**، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ب ت.

النابلسي، أ.د محمد، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الآفاق**، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ب ت.

نوفل، د. أحمد إسماعيل، **سورة يوسف: دراسة تحليلية**، ط ٢، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩.

نوفل، د. أحمد، **تفسير سورة القصص، دراسة تحليلية موضوعية**، ط ١، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ٢٠٠٥.

نوفل، د. أحمد، **تفسير سورة الإسراء: دراسة تحليلية موضوعية**، ط ١، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ٢٠١٤.

نوفل، د. أحمد، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، ط١، دار الفرقان، عمّان ، ٢٠٠٤.

نوفل، د. أحمد، **قراءة في آية: إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته**، ط ١، دار الفضيلة، عمّان، ٢٠٠٧.

ابن هشام، عبد الملك (ت: ٢١٣ أو ٢١٨ هـ)، **السيرة النبوية**، ب ط، مجلد واحد، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٥.

وادي، عيسى إبراهيم، ومهنا، محمود عبد الكريم، **من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**، ط ١،(مراجعة الأستاذ بسام جرار)، دار الرضوان، عمّان، ٢٠١٢.

ومن الأبحاث العلمية المحكمة:

خليفة، أ. د إبراهيم عبد الرحمن، **اسم السورة يمثل روحها العام**، بحث مستل من حولية كلية أصول الدين، القاهرة، العدد: ٩، ١٩٩٢.

نوفل، د. أحمد، **النسق القرآني وأثره في الترجيح، سورة الماعون أنموذجاً**، بحث محكم في مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٢، العدد: ٢، رمضان، ١٤٣٤ هـ.

THE RELATIONSHIP BETWEEN THE QURANIC CHAPTER "NAME" AND ITS THEMES, ANALYTICAL AND ABBLIED STUDY

By:

Omar Ali Hassan Arafat

Supervisor:

Dr. Ahmad Ismail Noufal

ABSTRACT

In this study, I considered one of the most important subjects of Holy Quran sciences, which is the title of Quranic chapters (Surah’s). In the introduction to my dissertation, I started by first explaining the lingual and conceptual meanings of a “Surah”, detailing the literature by previous scholars on this subject.

In the first chapter of this dissertation, I discussed the relationship between the titles and the subjects of the Quranic chapters which have names related to the Day of Judgment or one of its scenes. In the second chapter, I discussed the said relationship for the chapters which names are related to Quranic stories. In the third chapter, that relationship was discussed for the chapters which names are related to events during the life of prophet Mohammad, peace be upon him. In the fourth chapter, I discussed the said relationship for the chapters which carry names that relate to their introduction or opening. Finally, in the fifth chapter, I focused on discussing the relationship between the titles and the

subjects of the Quranic chapters which carry names that refer to regulations or subjects other than the already mentioned.

In this study, I adopted the more widely accepted opinion which states that the names of the Quranic chapters (Surahs) are divinely set by revelation from Allah (SWT). Therefore, I did not discuss the alternative names of some Quranic chapters, which were set as a result of human interpretations. Finally, for each Quranic chapter I studied, I elaborated on the relationship between the studied chapter's name and its pivotal theme which interlinks all the subjects discussed by that chapter.

I hereby humbly declare that whatever correct results I have arrived at in this study are by the grace and help of Allah (SWT), and whatever mistakes I made are entirely the result of my own shortcomings and from Satan the Devil.